تفسير سورة طه

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣
تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾

[طه: ١-٨].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿طه - لِتَشْقَىٰٓ - تَذْكِرَةً - يَخْشَىٰ - ٱسْتَوَىٰ - ٱلثَّرَىٰ - ٱلسِّرَّ - ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿طه﴾	أحرف مقطعة بُدأت بها السورة لا يعلم معناها إلا الله- وقيل معنى: طه يا رجل، وقيل: طأ الأرض برجلك.
﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾	ليحصل لك الشقاء- لتتعب وتُجهد وترهق- ليُنكد عليكَ عيشك.
﴿تَذْكِرَةً﴾	تذكيرًا وتخويفًا.
﴿يَخْشَىٰ﴾	يخاف الله ويتقيه.
﴿ٱسْتَوَىٰ﴾	علا وارتفع.
﴿ٱلثَّرَىٰ﴾	التراب المبتل وقيل: المراد هنا الأرض عمومًا.
﴿ٱلسِّرَّ﴾	ما أسره الشخص في نفسه من الحديث ولم يظهره.
﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	أحسن الأسماء وأفضل الأسماء.

❁ ❁ ❁

معنى طه

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى طه.

ج: للعلماء في ذلك أقوال نقدم بعضًا منها أن طه معناها يا رجل، وهذا اختيار الطبري.

ومنها: أن معناها يا إنسان.

ومنها: أنها حروف مقطعة بُدئت بها بعض السور كـ (ص) و(ق) و(يس) و (كهيعص) و(آلمر) وغير ذلك ولا يعلم معناه إلا الله.

وقيل: إنها قسم أقسم الله به والظاهر، والله أعلم أن (طه) أحرف مقطعة بُدت بها السورة المباركة لا يعلم معناها إلا الله ﷻ.

❀❀❀

س: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ما أنزلنا عليك القرآن ليكون سببًا في شقائك في الدنيا ولا في الآخرة وما أنزلناه عليك لنكلفك ما هو فوق طاقتك ولا ما ليس في وسعك وجهدك، ولا لتشدد على نفسك وأصحابك ولكن أنزلناه تذكرةً تذكيرًا لمن يخاف الله ﷻ ويخاف عذابه، يحذرهم الله من العذاب ومن كل ما يكون سببًا في العذاب فأنزلناه أمانًا وتحذيرًا وبيانًا فمن أراد السلامة فأسبابها في كتاب الله عز وجل ومن أراد معرفة مواطن الضرر كي يتقيها فها هي في كتاب الله ﷻ.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك

فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل، وذُكِر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النَّصب والعناء والسهر في قيام الليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ لا والله ما جعله الله شقيا، ولكن جعله رحمة ونورا، ودليلا إلى الجنة.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ وإن الله أنزل كتبه، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال: ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾: إن الله أنزل كتابه، وبعث رسله رحمة، رحم بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ طه ﴿١﴾ ﴾ من جملة الحروف المقطعة، المفتتح بها كثير من السور، وليست اسما للنبي ﷺ.

﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ أي: ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها

بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة، ولهذا قال:

﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المفصلة، التي كان مستقرا في عقله حسنها مجملا فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ والتذكرة لشيء كان موجودا، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخص بالتذكرة ﴿مَن يَخۡشَىٰ﴾ لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به من لم يؤمن بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مثقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾.

ج: المعنى والله أعلم أنه الله عز وجل أخبر نبيه أنه ما أنزل عليه القرآن ليشقى، وإنما نزل تنزيلا من عنده سبحانه هو خالق الأرض والسموات العلى، هو مالك أمرهما يفعل فيهما ما يشاء ويقضي فيهما بما يريد، هو الرحمن على العرش استوى، استواءًا يليق بجلاله تبارك وتعالى له ملك السموات والأرض وما بينهما له الأمر فيهما يفعل فيهما ما يريد وله كذلك الملك والأمر والنهي فيما تحت الثرى وهو التراب المبتل والمعز له الملك في الارض كلها والسموات كلها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القرآن تنزيل من الربّ الذي خلق

الأرض والسموات العلى ، والعُلَى: جمع عليا.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿تَنزِيلًا﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصب ذلك بمعنى: نزل الله تنزيلا وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين، ولكن المعنى: هو تنزيل، ثم أسقط هو، واتصل بالكلام الذي قبله، فخرج منه، ولم يكن من لفظه.

قال أبو جعفر: والقولان جميعا عندي غير خطأ.

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا.

وقد بيَّنا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وللرفع في الرحمن وجهان: أحدهما بمعنى قوله: تنزيلا فيكون معنى الكلام: نزله من خلق الأرض والسموات، نزله

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الذي على العرش استوى ، والآخر بقوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ لأن في قوله استوى، ذكرا من الرحمن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾.

يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، ملكا له، وهو مدبر ذلك كله، ومصرّف جميعه. ويعني بالثرى: الندى.

يقال للتراب الرطب المبتلّ: ثرى منقوص، يقال منه: ثريت الأرض تثرى، ثرى منقوص، والثرى: مصدر.

وأورد الطبري عن قتادة قوله: والثرى كل شيء مُبتل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾ أي: هذا القرآن الذي جاءك يا محمد تنزيل من رب كل شيء ومليكه، القادر على ما يشاء، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها، وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها.

وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾: تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف، بما أغنى عن إعادته أيضًا، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

وقوله: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ أي: الجميع ملكه وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه، لا إله سواه، ولا رب غيره.

وقوله: ﴿ وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ قال محمد بن كعب: أي ما تحت الأرض السابعة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وإن تظهر قولك وتتلفظ به فإن الله يعمله، وكذا يعلم ما أسررته ولم تعلنه ولم تتلفظ به، ويعلم ما هو أخفى من السِّر كذلكن ويعلم أيضًا ما أخفيته من العمل، وما سيكون في غدٍ، وما ستحدثك به نفسك أيضًا.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا معبود يُعبد بحق سواه، ولا خالق ولا رازق ولا رب

سواه له أحسن شيئًا من ذلك سورتي الأعراف والحشر.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآيتين:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن تجهر يا محمد بالقول، أو تخف به، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ يقول: فإنه لا يخفى عليه ما استسررته في نفسك، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك، ولم تنطق به وأخفى.

ثم اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿وَأَخۡفَى﴾ فقال بعضهم: معناه: وأخفى من السرّ، قال: والذي هو أخفى من السرّ ما حدّث به المرء نفسه ولم يعمله.

وقال آخرون: بل معناه: وأخفى من السرّ ما لم تحدِّث به نفسك.

عن قتادة: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ كنا نحدّث أن السرّ ما حدّثت به نفسك، وأن أخفى من السرّ: ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك.

وأما قوله تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإنه يعني به: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، يقول: فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ يقول جلّ ثناؤه: لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى، فقال: الحسنى، فوحّد، وهو نعت للأسماء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ أي: أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسموات العلى، الذي يعلم السر وأخفى، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان: ٦].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ أي: الـذي أنـزل القـرآن عليك هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى.

❋ ❋ ❋

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ
إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ
ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ
ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا
يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦ ﴾

[طه: ٩-١٦].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ - حَدِيثُ مُوسَىٰٓ - ٱمۡكُثُوٓاْ - ءَانَسۡتُ - بِقَبَسٍ - هُدٗى - ٱلۡمُقَدَّسِ - طُوٗى - لِذِكۡرِيٓ - ٱلسَّاعَةَ - أَكَادُ أُخۡفِيهَا - تَسۡعَىٰ - يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا - هَوَىٰهُ - فَتَرۡدَىٰ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ ﴾	قد آتاك، هل بلغك
﴿ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	قصة موسى صلى الله عليه وسلم وخبره
﴿ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾	انتظروا – اثبتوا في مكانكم
﴿ ءَانَسۡتُ ﴾	أبصرت – رأيت – وجدت
﴿ بِقَبَسٍ ﴾	قطعة من النار – لتكون بطرف العصا أو تؤخذ بطرف السهم – شعلة
﴿ هُدٗى ﴾	هاد يهديني – مرشد يُرشدني شرعُ أهتدي به واسترشد
﴿ ٱلۡمُقَدَّسِ ﴾	المبارك – المطهر
﴿ طُوٗى ﴾	قيل إنه اسم للوادي، وقيل طوى يعني أن الواد طوى أي كانت جوانبه بالأحجار كما تطوى البئر تطوى حافتها بالحجارة حتى لا تنهار – وقيل بروك مرتين، وقيل نودي موسى عليه السلام مرتين
﴿ لِذِكۡرِيٓ ﴾	لتذكرني فيها – عند ذِكرك لها
﴿ ٱلسَّاعَةَ ﴾	القيامة والبعث

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾	أكاد أُخفي العلم بها حتى عن نفسي
﴿تَسْعَىٰ﴾	تعمل
﴿يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾	يشغلك عنها – يصرفك عنها يجعلك لا تكذب بها
﴿هَوَىٰهُ﴾	هوى نفسه
﴿فَتَرْدَىٰ﴾	فتهلك – رأيه

❁ ❁ ❁

شيء من قصة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

س: ما فائدة الإخبار بقصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ج: ذلك والله أعلم لتصبير النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته وتسليته وإخباره أن الفرج آتٍ وأن النصر قريبٌ كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وكما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ ﴾.

ج: هذا استفهام للتنوير والإثبات ويستفاد منه التذكير والإخبار، والمعنى، والله أعلم.

أليس قد جاءك خبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما قصصنا عليك، وقيل المعنى قد جاءك خبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فها هو خبره، ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ وذلك كما قال جمهور المفسرين كان في ليلة شاتية باردة وهو راجع من بلاد مدين إلى مصر ـ فأضل الطريق والبرد شديد فرأى نارًا ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ قال لزوجته وبنيه انتظروا مكانكم واثبتوا إلى ان أذهب إلى النار وأرجع فقد رأيت نارًا وأبصرتها لعيّ آتيكم منها بشعلةٍ تستدفئون بها أو أجد عند النار هاد يهديني ومرشدٌ يرشدني، أو أجد آية دلالة على الطريق الذي أضللناه وابتعدنا عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقى من الشدّة من مشركي قومه، ومعرفه ما إليه بصائر أمره وأمرهم، وأنه معليه عليهم، وموهن كيد الكافرين، ويحثه على الجدّ في أمره، والصبر على عبادته، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مُشركي قومه وغيرهم، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدّوه، ثم من قومه، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا، ثم يافعا مترعرعا، ثم رجلا كاملا ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ ﴾ يا محمد﴿ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ ﴾ ابن عمران﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلا وأن موسى كان أضلّ الطريق؛ فلما رأى ضوء النار﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ﴾ ما قال.

وأورد بإسنادٍ حسن عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما قضى موسى الأجل، سار بأهله فضلّ الطريق. قال عبد الله بن عباس: كان في الشتاء، ورُفعت لهم نار، فلما رآها ظنّ أنها نار، وكانت من نور الله﴿ قَالَ لأهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾.

قال الطبري:

وعني بقوله: ﴿ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ وجدت، ومن أمثال العرب: بعد اطلاع إيناس، ويقال أيضا: بعد طلوع إيناس، وهو مأخوذ من الأنس.

وقوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ يقول: لعلي أجيئكم من النار التي آنست بشعلة.

والقَبَس: هو النار في طَرَف العود أو القصبة ، يقول القائل لصاحبه: أقبسني نارا، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبة ، وإنما أراد موسى بقوله لأهله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ لعلي آتيكم بذلك لتصطلوا به.

وقوله: ﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ ﴾ دلالة تدلّ على الطريق الذي أضللناه، إما من خبر هاد يهدينا إليه، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من هاهنا شَرَعَ، تبارك وتعالى، في ذكر قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه، وذلك بعد ما قضى موسى الأجَل الذي كان بينه وبين صهْره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل: قاصدًا بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين، ومعه زوجته، فأضل الطريق، وكانت ليلة شاتية، ونزل منزلا بين شعاب وجبال، في برد وشتاء، وسحاب وظلام وضباب، وجعل يقدح بزند معه ليُوريَ نارًا، كما جرت له العادة به، فجعل لا يقدح شيئًا، ولا يخرج منه شرر ولا شيء. فبينا هو كذلك، إذ آنس من جانب الطور نارًا، أي: ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه، فقال لأهله يبشرهم: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ ﴾ أي: شهاب من نار. وفي الآية الأخرى: ﴿ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [القصص: ٢٩] وهي الجمر: الذي معه لهب، ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩] دلّ على وجود البرد، وقوله: ﴿بِقَبَسٍ﴾ دلّ على وجود الظلام.

وقوله: ﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ ﴾ أي: من يهديني الطريق، دلّ على أنه قد تاه عن الطريق، كما قال الثوري، عن أبي سعد الأعور، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ ﴾ قال: من يهديني إلى الطريق. وكانوا شاتين وضلوا الطريق، فلما رأى النار قال: إن لم أجد أحدًا يهديني إلى الطريق آتكم بنار توقدون بها.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ
نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ
نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم فلما وصل موسى ﷺ إلى النار ودنا منها ناداه ربه عز وجل وتبارك وتعالى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ وقد اختلف العلماء في السبب الذي من أجله أُمر موسى ﷺ بخلع نعليه فقال عددٌ من أهل العلم إنها كانت من جلد حمار ميت فأمر أن يخلعها من أجل ذلك، وقيل إنه عليه لاسلام أُمر بخلعها حتى يمس الأرض بقدميه فينال من بركة هذه الأرض.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ أي المطهر المبارك، وقد قال بعض العلماء إن هذا هو التقليل لقوله ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي ذلك لكونك بالواد المقدس.

أما قوله تعالى: ﴿طُوٗى﴾ فلأهل العلم فيه أقوال أحدها أنه قدس مرتين، فطوي أي كُرر تقديسه، أي بورك فيه مرتين وطُهِّر مرتين وقال بعض العلماء إن قوله: ﴿طُوٗى﴾ أي أن الوادي مطويٌّ كطي البئر (أي أن جوانبه مبطنة بالحجارة)، وقيل إن طوى اسم للوادي فالله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أي من بين سائر الخلق في زمانك هذا، اخترتك لنبوتي ورسالتي ولتكليمي كما قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾ إلى ما سيلقى عليك وأنصت وتفهَّم ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ لما استوجب إليك من الكلام ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ وهذا أحق الأصول أُمر موسى عليه السلام أن يعلمه وأن يُقربه ويعمل به ألا هو أن الله

ﷻ واحد لا شريك له ولا معبود بحق سواه فاعبده وحده ولا تشرك به شيئًا.

وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ قال فريق من العلماء وأقم الصلاة لتذكرني فيها فالصلاة إنما شرعت لإقامة ذكر الله ﷻ.

وقال آخرون من أهل العلم: إن المعنى وأقم الصلاة إذا ذكرتها وأوردوا في ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها. لا كفارة لها إلا ذلك**».

قال قتادة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

وفي رواية عند مسلم:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها**». فإن الله يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ فحاصل معناه إن يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه ولا شك في وقوعه وحدوثه، ولكن أُخفي وقت وقوعها عن الخلق، واشدد في إخفائها آكاد أخفيها حتى عن نفس كما قال تعالى: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ فحاصل معناه إنه الساعة آتية ليجازي الله ﷻ كل نفس بما عملت، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، أو أن الله يغفر له ويتجاوز عنه، إلا الشرك بالله فإنه لا يغفره.

فإذا علمت يا رسول الله أن الساعة آتية وأيقنت بذلك إذ الله ﷻ أخبرك به، فلا يشغلنك عنها شاغل ولا يصدنك عنها صارف، فإنك إن صُرفت عنها وعن العمل بها وانشغلت وكذبت بها واستكبرت ستهلك ولن ينصلح لك أمر، ولن يسلم لك حالٌ والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما أتى النار موسى، ناداه ربه ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه، فقال بعضهم: أمره بذلك، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فكره أن يطأ بهما الوادي المقدس، وأراد أن يمسه من بركة الوادي.

وأورد بسندٍ حسن:

عن كعب، أنه رآهم يخلعون نعالهم ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ فقال: كانت من جلد حمار ميت، فأراد الله أن يمسه القدس.

وبسندٍ صحيح (بطريقين):

عن قتادة قال: حدثنا، أن نعليه كانتا من جلد حمار، فخلعهما ثم أتاه.

وقال آخرون: كانتا من جلد بقر، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه، ليصل إليه بركتها.

ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ قال: يقول: أفض بقدميك إلى بركة الوادي.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدسا.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾

بعقبه دليلا واضحا، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا.

ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال: ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن نبيّ ﷺ، قال: «يَوْمَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى، كانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ وكساءُ صُوفٍ، و سَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَنَعْلانِ مِنْ جِلْدِ حِمارٍ غيرِ مُذَكّى» صحيحا لم نعده إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

قال الطبري: وأما قوله ﴿طُوًى﴾ فإنه يقول بالوادي المطهر المبارك

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿طُوًى﴾ فقال بعضهم: معناه: إنك بالوادي المقدس طويته، فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه، كأنه قال: طويت الوادي المقدس طوى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مرّتين، وقال: ناداه ربه مرّتين؛ فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه، وذلك أن معناه عندهم: نودي يا موسى مرّتين نداءين، وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى، أنه بمعنى مرّتين، قول عديّ بن زيد العبادي:

أعاذِلَ إنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طَوًى مِنْ غَيِّكِ المُتَرَدّدِ

وروى ذلك آخرون: «عليّ ثنى»: أي مرّة بعد أخرى، وقالوا: طوى وثنى بمعنى واحد.

وأورد بسندٍ حسن:

عن قتادة: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾ كنا نحدّث أنه واد قدّس مرّتين، وأن اسمه طُوًى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه قدّس طوى مرّتين.

وقال آخرون: بل طُوى: اسم الوادي.

وقال آخرون: بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه.

واختار الطبري: أنه اسم للوادي.

ثم قال في تأويل:

قولـه تعـالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾.

وتأويل الكلام: نودي أَنَّا اخترناك. فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ يقول: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه، واعمل به.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إِلَهَ إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ يقول: فأخلص العبادة لي دون كلّ ما عبد من دوني ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: أقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني.

وقال آخرون بل حق ذلك وأقم الصلاة حين تذكرها:

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكركها.

وقـال في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ فعلى ضمّ الألف من أخفيها قراءة جميع قرّاء أمصار الإسلام، بمعنى: أكاد أخفيها من نفسي، لئلا يطلع عليها أحد، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم.

وقال آخرون: إنما هو ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ بفتح الألف من أخفيها بمعنى: أظهرها.

وأورد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير ومجاهد قالا: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ من نفسي.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، والذي ذُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا.

وقوله: ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كلّ نفس: يقول: لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى، يقول: بما تعمل من خير وشرّ، وطاعة ومعصية، وقوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فلا يردّنك يا موسى عن التأهُّب للساعة، من لا يؤمن بها، يعني: من لا يقرّ بقيام الساعة، ولا يصدّق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا. وقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ يقول: اتبع هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه ﴿فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾ يقول: فتهلك إن أنت انصددت عن التأهب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها، وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله:

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ كناية عن ذكر الإيمان، قال: وإنما قيل عنها وهي كناية عن الإيمان كما قيل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأعراف: ١٥٣] يذهب إلى الفعلة، ولم يجر للإيمان ذكر في هذا الموضع، فيجعل ذلك من ذكره، وإنما جرى ذكر الساعة، فهو بأن يكون من ذكرها أولى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ أي: النار واقترب منها، ﴿ نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص: ٣٠] وقال هاهنا ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ أي: الذي يكلمك ويخاطبك، ﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾ ونقل عن غير واحد من السلف: كانتا من جلد حمار غير ذكيّ.

وأورد أقوالًا أخر أيضًا:

ثم قال:

وقوله: ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ كقوله ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي: على جميع الناس من الموجودين في زمانه.

وقد قيل: إن الله تعالى قال: يا موسى، أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس؟ قال: لا. قال: لأني لم يتواضع لي أحد تواضعك.

وقوله: ﴿ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ أي: اسمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ أي: وحّدني وَقُم بعبادتي من غير شريك، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ قيل: معناه: صَلِّ لتذكرني. وقيل: معناه: وأقم الصلاة عند ذكرك

لي.

ويشهد لهذا الثاني ما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا المثنى بن سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا رَقَد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها، فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله تعالى قال:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾».

وفي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من نام عن صلاة أو نسيها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك**».

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ أي: قائمة لا محالة، وكائنة لا بد منها.

وأورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ نحو التي تقدمت:

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ أي: أقيمها لا محالة، لأجزي كل عامل بعمله، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] و ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [الطور: ١٦].

وقوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾ المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين، أي: لا تتبعوا من كذب بالساعة، وأقبل على ملاذه في دنياه، وعصى مولاه، واتبع هواه، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ أي: تهلك وتعطب قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ [الليل: ١١].

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن)

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ أي: لا بد من وقوعها ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ أي: عن نفسي كما في بعض القراءات، كقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾

[الأحزاب: ٦٣] وقال: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ فعلمها قد أخفاه عن الخلائق كلهم، فلا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والحكمة في إتيان الساعة ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ من الخير والشر، فهي الباب لدار الجزاء ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كان كافرا بها، غير معتقد لوقوعها.

يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعا في ذلك هواه، ليس قصده الوصول إلى الحق، وإنما قصاراه اتباع هواه، فإياك أن تصغي إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئا من أقواله وأعماله الصادرة عن الإيمان بها والسعي لها سعيها، وإنما حذر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك، وذكر في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تمت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص شيء منها. وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أوتوا الكتاب وشقاوتهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: ٦٩].

وقوله: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ أي: تهلك وتشقى، إن اتبعت طريق من يصد عنها، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ -إلى- مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾.

❁ ❁ ❁

أصل الأصول

س: أول الوحي الذي أوحاه الله إلى موسى تزكير بأصل عظيم وهو أصل الأصول، وضح ذلك.

ج: نعم هو أعظم أصل على الإطلاق، وهو التذكير بوحدانية الله ﷻ والأمر بعبادته وحده لا شريك له وبيان لكون العبادات شرعت لذلك ثم التذكير بأن من حاد عن هذا فيوم القيامة موعده فله هنالك ما يستحقه، وكذا فإن من أطاع له أفضل الجزاء، فهذا قوله ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ جملة اعتراضية وضح ذلك:

ج: أيضًا من أن العزاء الساعة آتية لتجرى كل نفس بما تسعى، وقوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ ليس بمتعلق بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ فليس الأمر أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وإن كان له وجه، ولكن الأمر آتية لتجزى.....والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩
فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢
لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي
صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ ﴾

[طه: ١٧-٢٦].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بِيَمِينِكَ - أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا - وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي - مَـَٔارِبُ - حَيَّةٌ - تَسۡعَىٰ - سَنُعِيدُهَا - سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ - جَنَاحِكَ - سُوٓءٍ - ءَايَةً أُخۡرَىٰ - ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى - طَغَىٰ - ٱشۡرَحۡ - صَدۡرِي - وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي - يَفۡقَهُواْ - وَزِيرًا - ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي - وَأَشۡرِكۡهُ - نُسَبِّحَكَ - أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِيَمِينِكَ﴾	بيدك اليمنى
﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾	اعتمد عليها
﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾	اضرب الشجر كي يتساقط ورقه فتأكله غنمي
﴿مَـَٔارِبُ﴾	حاجات
﴿حَيَّةٌ﴾	ثعبان عظيم (وقيل أنثى)
﴿تَسۡعَىٰ﴾	تجري وتشتد
﴿سَنُعِيدُهَا﴾	سنردها
﴿سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾	حالتها الأولى
﴿جَنَاحِكَ﴾	إلى جانبك – تحت إبطك
﴿سُوٓءٍ﴾	برص – أذى
﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾	معجزة ثانية (بعد العصا)

﴿ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾	ومعجزاتنا العظمى
﴿طَغَىٰ﴾	تجاوز الحد (في الكفر العظيم)
﴿ٱشۡرَحۡ صَدۡرِي﴾	وسع لي صدري – ارفع عني الحرج في التبليغ
﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾	أذهب العقدة التي في لساني من أثر لدغة النار
﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾	يفهموا مرادي ويفهموا كلامي
﴿وَزِيرٗا﴾	معاونًا يحمل عني شيئًا من ثقل الرسالة له وتبعاتها فالوزر الثقل والوزير من يحمل الثقل والمراد يحمل عنه شيئًا من أعباء الرسالة والدعوة، والمراد هنا أن يكون نبيًّا.
﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾	قوِّي أمري – عززني به
﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾	اجعله نبيًا معي
﴿نُسَبِّحَكَ﴾	نصلي لك نعظمك – ننزهك عن كل ما لا يليق بك
﴿أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾	أعطيت ما سألته – أجبنا دعاءك

❁ ❁ ❁

(العصا) من أعظم الآيات أيّد الله ﷻ بها موسى عليه السلام

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن الله ﷻ سأل نبيه موسى ﷺ على سبيل الإيناس ولفت النظر، فقال له وما تلك بيمينك يا موسى، وربي أعلم بالذي في يمين موسى عليه السلام قال هي ﴿عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها في المشي، ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ أضرب بها ورق الشجر كي يتساقط فتأكله غنمي ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ حاجات ﴿أُخْرَىٰ﴾ غير الاتكاء غير الهش بها على الغنم، قال: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ فألقاها ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ تحولت إل حية عظيمة تضطرب اضطراب شديدًا وتتحرك حركة سريعة فأمر الله ﷻ أن يأخذها فقال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ أي خذها مرة ثانية ولا تخف منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ سنردها إلى حالتها التي كانت عليها قبل إلقاءها عصى مرةً ثانية.

قال الطبري رحمه الله:

ولعل قائلا أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحوّلها حية تسعى، وهي خشبة، فنبهه عليها، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهشّ بها على غنمه، ليعرّفه قُدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حيَّة تسعى، إذا أراد

ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى: قال موسى مجيبا لربه ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ يقول: أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي، يقال منه: هشّ فلان الشجر يهشّ هشا: إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها.

وأورد عدة آثار في تفسير..... وأنه المراد اضرب بها الشجر كي يسقط تأكله غنمي.

وقال:

وقوله: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ يقول: ولي في عصاي هذه حوائج أخرى، وهي جمع مأربة، وفيها للعرب لغات ثلاث: مأرُبة بضم الراء، ومأرَبة بفتحها، ومأرِبة بكسرها، وهي مفعلة من قولهم: لا أرب لي في هذا الأمر: أي لا حاجة لي فيه، وقيل أخرى وهن مآرب جمع، ولم يقل أخر، كما قيل: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ وقد بيَّنت العلة في توجيه ذلك هنالك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى، يقول الله ﷻ: فألقاها موسى، فجعلها الله حية تسعى، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وعصا يتوكأ عليها ويهشّ بها على غنمه، فصارت حية بأمر الله.

وأورد بإسناد حسن

عن السديّ، قال: قال له، يعني لموسى ربه ﴿ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ يعني ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [النمل: ١٠] فنودي ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى: خذ الحية، والهاء والألف من ذكر الحية ﴿ وَلَا تَخَفْ ﴾ يقول: ولا تخف من هذه الحية يقول: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ يقول: فإنا سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية، ونردّها عصا كما كانت.

يقال لكل من كان على أمر فتركه، وتحوّل عنه ثم راجعه: عاد فلان سيرته الأولى، وعاد لسيرته الأولى، وعاد إلى سيرته الأولى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا برهان من الله تعالى لموسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومعجزة عظيمة، وخرق للعادة باهر، دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل.

فقوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ قال بعض المفسرين: إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له. وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التقرير، أي: أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها، فسترى ما نصنع بها الآن، ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ استفهام تقرير.

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ أي: أعتمد عليها في حال المشي ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ أي: أهز بها الشجرة ليسقط ورقها، لترعاه غنمي.

قال عبد الرحمن بن القاسم: عن الإمام مالك: والهش: أن يضع الرجل المحْجَن في الغصن، ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثَمَره، ولا يكسر العود،

فهذا الهش، ولا يخبط. وكذا قال ميمون بن مهران أيضًا.

وقوله: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ أي: مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك. وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة.

والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صيرورتها ثعبانًا، فما كان يفر منها هاربًا، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية وكذا قول بعضهم: إنها كانت لآدم، عليه السلام. وقول الآخر: إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة. وروي عن ابن عباس أنه قال: كان اسمها ماشا. والله أعلم بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى، ألقها ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: صارت في الحال حَيَّة عظيمة، ثعبانًا طويلا يتحرك حركة سريعة، فإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة، ﴿ تَسْعَىٰ ﴾ أي: تمشي وتضطرب.

❁ ❁ ❁

إجابة السائل بأكثر مما سأل

س: في قوله ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ إلى آخر الآية دليل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل وضح ذلك واذكر بعض الأدلة الأخرى في هذا ابا.

ج: إيضاحه أن موسى عليه السلام سأله ربُّه عز وجل، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ فجواب ذلك هي عصا لكنه قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أُخرى. فزاد زيادات على سئل.

ومن الأدلة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الوضوء بماء البحر فقال هو الطهو ماءه الحلُّ ميتته.

ومن الدليل أيضًا قول يوسف عليه السلام في تفسير الرؤيا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكون....... وقوله أيضًا: ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون.

❁ ❁ ❁

وفي (اليد) معجزة أخرى لنبي الله موسى عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم واضمم يدك فاجعل تحت عضدك أي في ما بين الجسم والعضد قريبًا من تحت الإبط، تخرج يدك بيضاء تتلألأ من غير مرض فتلك معجزةٌ أخرى، افعل ذلك ضع يدك على هذا الوصف لذلك من معجزاتنا الكبرى الدالة على صدقك، وأنك رسول من عند الله عز وجل.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: واضمم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك؛

والجناحان هما اليدان، كذلك رُوي الخبر عن أبي هُريرة وكعب الأحبار، وأما أهل العربية، فإنهم يقولون: هما الجنبان، وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز:

أَضُمُّهُ للصَّدْرِ والجَناحِ

وقوله: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردّها، فخرجت كما كانت على لونه.

وأورد الطبري عدة آثار تفيد أن قوله تعالى ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ معناه من غير برص.

وقال: وقوله: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة

لمن بعثناك إليه، ونصب آية على اتصالها بالفعل، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي ، وقوله: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: واضمم يدك يا موسى إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء، كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقُدرتنا. وقال: الكبرى، فوحَّد، وقد قال: ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ كما قال ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨، الحشر: ٢٤] وقد بيَّنا ذلك هنالك. وكان بعض أهل البصرة يقول: إنما قيل الكبرى، لأنه أريد بها التقديم، كأن معناها عنده: لنريك الكبرى من آياتنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا بُرهان ثان لموسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه، كما صرح به في الآية الأخرى، وهاهنا عبر عن ذلك بقوله: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ وقال في مكان آخر: ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ [القصص: ٣٢].

قال ابن كثير وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من غير برص ولا أذى.

❁ ❁ ❁

س: كيف التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾. وقوله ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾.

ج: لا اختلاف ووجه الجمع أنه يدخل يده من فتحة الثوب ويضعها تحت الإبط.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن الله عز وجل كلَّف موسى ﷺ بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى الله عز وجل ودعوته إلى التوحيد وكذا الدعوة إلى فك الحصار عن بني إسرائيل ودعوته لترك تعذيبهم، فقال الله عز وجل لموسى عليه السلام ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ تدعوه إلى التوحيد كف الأذى عن العباد ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر والظلم وتجاوز الحد فقال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ وقال ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ وتجاوز الحد في تعذيب بني إسرائيل بذبح الأطفال وتسخير الرجال واستحياء النساء.

فعندها طلب موسى ﷺ من ربِّه عز وجل أن يوسع صدره لقبول ما كلفه به، وأن يوسع صدره لمناقشة فرعون ودعوته وأن يُذهب عنه الخوف والرهبة من لقاء هذا الجبار، فلقاء الجبابرة الظلمة شديد، ويلزم له أن يستعين الشخص بالله عز وجل، فقال موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ كل أموري وأمر دعوته وأمر دعوتي لفرعون وملاقاته له ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ وأذهب هذه اللثة التي في لساني من أثر الجمرة ا لتي لُدغت بها في صغري أذهبها حتى يفقهوا قولي، ويفهموا عني مرادي، واجعل لي مُعينا من أهلي، وهو هارون أخي قوِّني به واجعله عونا لي، واجعله نبيا مثلي كي نتعاون معًا على الصلاة لك وعلى تسبيحك وتعظيمك وتنزيهك عن كل ما لا يليق بك وكذا كي نذكرك كثيرًا إنك كنت بنا عالمًا وعلينا مطلعًا وشاهدًا، وبنوايانا عالمًا فقال الله

ﷻ قد ﴿أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قد أُعطيت ما سألت يا موسى، قد أجبتك إلى مرادك يا موسى.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه: ﴿ٱذْهَبْ﴾ يا موسى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾. يقول: إنه تجاوز قدره، وتمرّد على ربه؛ وقد بيَّنا معنى الطغيان بما مضى بما أغنى عن إعادته، في هذا الموضع.

وفي الكلام محذوف استغني بفهم السامع بما ذكر منه، وهو قوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ فادعه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل معك ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ يقول: ربّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون

﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ يقول: وسهل عليّ القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة.

وقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ يقول: وأطلق لساني بالمنطق، وكانت فيه فيما ذكر عُجمة عن الكلام الذي كان من إلقائه الجمرة إلى فيه يوم همّ فرعون بقتله.

وقوله: ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ يقول: يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ يقول: واجعل لي عونا من أهل بيتي ﴿هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾.

وفي نصب هارون وجهان: أحدهما: أن يكون هارون منصوبا على الترجمة عن الوزير.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون. وإنما يعني بقوله: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾﴾ قوِّ ظهري، وأعني به ، يقال منه: قد أزر فلان فلانا: إذا أعانه وشدّ ظهره.

وقوله: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾﴾ يقول: واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا، وأرسله معي إلى فرعون.

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا ﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ فنحمدك ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾ يقول: إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم: قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك، وحلّ عقدة لسانك، وتصيير أخيك هارون وزيرا لك، وشدّ أزرك به، وإشراكه في الرسالة معك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ أي: اذهب إلى فرعون ملك مصر، الذي خَرَجت فارًا منه وهاربًا، فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومره فَلْيُحْسِن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم، فإنه قد طغى وبَغَى، وآثر الحياة الدنيا، ونسي الرب الأعلى.

وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾ هذا سؤال من موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لربه عز وجل، أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم،

وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم، وأشدهم كفرًا، وأكثرهم جنودًا، وأعمرهم ملكًا، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهًا غيره.

هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليدًا عندهم، في حجر فرعون، على فراشه، ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكمالها. ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيرًا يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: إن لم تكن أنت عوني ونصيري، وعضدي وظهيري، وإلا فلا طاقة لي بذلك.

وقوله: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾: وهذا أيضًا سؤال من موسى في أمر خارجي عنه، وهو مساعدة أخيه هارون له.

وقوله: ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ ﴾ قال مجاهد: ظهري.

﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ ﴾

أي: في مشاورتي.

﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا، حتى يذكر الله قائما وقاعدًا ومضطجعًا.

وقوله: ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: في اصطفائك لنا، وإعطائك إيانا النبوة، وبعثتك لنا إلى عدوك فرعون، فلك الحمد على ذلك.

❁ ❁ ❁

مزيدُ بيان للعقدة التي كانت بلسان موسى عليه السلام

س: ما المراد بالعقدة التي في لسان موسى عليه السلام أو دعا ربه عز وجل قائلا ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾.

ج: قال جمهور المفسرين: كان في لسانه لدغة من أثر جمرة وضعها على لسانه وهو صغير فكانت سببًا في سلامته ونجاته من بطش فرعون وبقي أثر هذه اللدغة في لسانه فكان يعوقه عن كثير من الكلام وقد قال فرعون ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ وقيل إنها عقدة الحياء لكونه تربى في بيت فرعون والأول عليه أكثر العلماء، وسيأتي في حديث أثر ابن عباس قريبا إن شاء الله في حديث الفتون.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن السدي قال: لما تحرّك الغلام، يعني موسى، أورته أمه آسية صبيا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ إنما هو صبيّ لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حليا من الياقوت، وأضع له جمرا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾، فزالت عن موسى من أجل ذلك.

❁ ❁ ❁

س: هل زالت العقدة التي في لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ قال ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ وإن كانت قد زالت فكيف قال فرعون ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾.

ج: نعم قد زالت العقدة التي في لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك لقوله تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه.

ولكن أشار بعض العلماء إلى أنه القدر الذي زال عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو القدر الذي تيسر مع إزالته لموسى أن يبلغ قوته، فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما سأل ربَّه إزالة العقدة بالكلية -كذا قالوا- وإنما سأل أن يُحلَّ العقدة بالقدر الذي يفقهوا به قوله ولو سأل ربَّه إزالتها بالكلية لأُزيلت.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ وذلك لما كان أصابه من اللثغ، حين عرض عليه التمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه، كما سيأتي بيانه، وما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل بحيث يزول العي، ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة. ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقية، قال الله تعالى إخبارًا عن فرعون أنه قال: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ [الزخرف: ٥٢] أي: يفصح بالكلام.

وقال الحسن البصري: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ قال: حل عقدة واحدة، ولو سأل أكثر من ذلك أعطى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل

الأمور وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم فمن علينا بما سألناك وأجب لنا فيما دعوناك.

فقال الله: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي أعطيت جميع ما طلبت فسنشرح صدرك ونيسر أمرك ونحل عقدة من لسانك يفقهوا قولك ونشد عضدك بأخيك هارون ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص: ٣٥].

وهذا السؤال من موسى عليه السلام يدل على كمال معرفته بالله وكمال فطنته ومعرفته للأمور وكمال نصحه وذلك أن الداعي إلى الله المرشد للخلق خصوصا إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر وحلم تام على ما يصيبه من الأذى ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عن ما يريده ويقصده بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام من ألزم ما يكون لكثرة المراجعات والمراوضات ولحاجته لتحسين الحق وتزيينه بما يقدر عليه ليحببه إلى النفوس وإلى تقبيح الباطل وتهجينه لينفر عنه ويحتاج مع ذلك أيضا أن يتيسر له أمره فيأتي البيوت من أبوابها ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن يعامل الناس كلا بحسب حاله وتمام ذلك أن يكون لمن هذه صفته أعوان ووزراء يساعدونه على مطلوبه لأن الأصوات إذا كثرت لا بد أن تؤثر فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيها وإذا نظرت إلى حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق رأيتهم بهذه الحال بحسب أحوالهم خصوصا خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال وله من شرح الصدر وتيسير الأمر وفصاحة اللسان وحسن التعبير والبيان والأعوان على الحق من الصحابة فمن

بعدهم ما ليس لغيره.

تفسير سورة طه

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ
فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ
عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ
عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ
مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ
٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢
ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا
رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِيٓ مَعَكُمَآ
أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾

[طه: ٣٧-٤٦].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَنَنَّا عَلَيْكَ - ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ - ٱلْيَمِّ - وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي - وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ - يَكْفُلُهُۥ - تَقَرَّ عَيْنُهَا - وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًاۚ - فَلَبِثْتَ - عَلَىٰ قَدَرٍ - وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي - وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي - طَغَىٰ - لَّيِّنًا - يَتَذَكَّرُ - يَخْشَىٰ - يَفْرُطَ عَلَيْنَآ - يَطْغَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾	أنعمنا عليك – تفضلنا عليك ألهمناها
﴿ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾	ضعيه في التابوت، وهو الصندوق
﴿ٱلْيَمِّ﴾	النيل، وقيل إنه البحر،والأول أشهر
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾	قذفت محبتك في قلوب عبادي
﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾	لتُغذى وتُرى بمرأى مني
﴿يَكْفُلُهُۥ﴾	يطعمه ويسقيه ويرضعه ويأويه
﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾	تستقر عينها ولا تتشتت، تهدأ وتستقر
﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا﴾	اختبرناك اختبارًا– أخلصناك إخلاصًا– نقيناك تنقيةً
﴿فَلَبِثْتَ﴾	فمكثت
﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾	على موعدٍ، على وقت وقَّته الله وحدَّده
﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	أخذتك لرسالتي
﴿وَلَا تَنِيَا﴾	لا تضعفا ولا تتباطأ عن ذكري

﴿طَغَى﴾	تجاوز الحد في الطغيان والكفر العظيم
﴿لَيِّنًا﴾	رفيقًا- فيه خفضه للجناح
﴿يَتَذَكَّرُ﴾	يتقظ
﴿يَخْشَى﴾	يخاف عقوبة كفره
﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾	يعالجنا بالعقوبة بلا تثبت ولا تريث
﴿يَطْغَى﴾	يتجاوز الحد في ظلمنا وظلم أهالينا وأقوامنا

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد تفضلنا عليك يا موسى مرة أخرى فضلًا عن التي تفضلنا بها عليك من تكليمك وإرسالك وتأييدك بالعصا وباليد التي تخرج بيضاء من غير سوء، تفضلنا عليك بان أوحينا إلى أمك، وألهمناها وأنت في بطنها الذي ألهمناها، كما قد ورد مفصلًا في سورة القصص إذ الله قال ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهنا قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾، وهو صندوق وضع فيه موسى عليه السلام ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ أي اقذفي التابوت وفيه موسى عليه السلام في النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أي فليلقه الماء، وماء النيل إلى الساحل ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ﴾ وهو فرعون عدو الله وعدو لبني إسرائيل ومنهم موسى عليه السلام، ومننت عليك يا موسى بان ألقيت محبتك في قلب من رآك من هؤلاء، فألقيت محبتك في قلب امرأة فرعون فاحبته حبًا عظيمًا وهو طفل في المهد كان هذا سببًا في سلامته ونجاته.

أما قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ فقد قال عددٌ من العلماء ولتُربى وتُغذى بمرأى من في بيت عدو الله فرعون واذكر شأنه أختك معك إذ تمشي تتبعك كما قالت لها أمها ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ

لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وهنا قالت: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾ أرشدكم من يكفله، يأويه ويضمه ويُرضعه، فرجعناك إلى أمك لما حرمنا عليك المراضع كلها إلا ترى أمك رجعناك إليها كي تقرَّ عينها ولا تحزن كي تستقر عينها إذا رأت ولدها أمامها ولا تحزن على فراقه ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ وهو القبطي الذي قتلته، وقد ذكر شأنه في سورة النساء منجيناك من الغم الذي أصابك من جراء قتله والخوف الذي أصابك من توقع بطش القوم بلا ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ﴾ اختبرناك اختبارًا بعد اختبار وابتليناك ابتلاءً بعد ابتلاء وأخلصناك إخلاصًا بعد إخلاص

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرّة أخرى، وذلك حين أوحينا إلى أمك، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها؛ ثم فسَّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه، فقال: هو أن اقذفيه في التابوت، فأن في موضع نصب ردًّا على «ما» التي في قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾، وترجمة عنها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت ﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ يعني باليم: النيل ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ يقول: فاقذفيه في اليم، يلقه اليم بالساحل، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر، كأن اليم هو المأمور، كما قال جلّ ثناؤه:

﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [العنكبوت: ١٢] يعني: اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم، ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمَشرّعة آل فرعون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك أنه حببه إلى عباده.

وقال آخرون، بل معنى ذلك: أي: حسنت خلقك

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جلّ ثناؤه ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته وغذّته وربَّته، و إلى فرعون، حتى كفّ عنه عاديته وشرّه ، وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حببه إلى كل من رآه. ومعنى ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ حببتك إليهم، يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقيت عليك رحمتي: أي محبتي.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ معناه: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ قال: جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها ﴿وَلِتُصۡنَعَ﴾ بضم التاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به، التأويل الذي تأوله قَتادَة، وهو

﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾ ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني ، وعني بقوله: ﴿عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ بمرأى مني ومحبة وإرادة.

وقوله: ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ ﴾ يقول تعالى ذكره: حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك، ثم تأتي من يطلب المراضع لك، فتقول: هل أدلكم على من يكفله؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله: ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ ﴾ استغناء بدلالة الكلام عليه.

وأورد بإسنادٍ حسن:

عن السديّ، قال: لما ألقته أمه في اليم ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴾ فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢ ﴾؟ فأخذوها وقالوا: بل قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون.

وقوله: ﴿ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك.

وقوله: ﴿ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا ﴾ يعني جلّ ثناؤه بذلك: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكزه موسى. وقوله: ﴿ فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ ﴾ يقول تعالى ذكره: فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم، حتى هربت إلى أهل مدين، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ النفس التي قتل.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ فقال بعضهم: ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارًا.

وقال آخرون: معنى ذلك أخلصناك إخلاصًا.

هذه إجابة من الله لرسوله موسى، عليه السلام، فيما سأل من ربه عز وجل، وتذكير له بنعمه السالفة عليه، فيما كان ألهم أمه حين كانت ترضعه، وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه؛ لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان. فاتخذت له تابوتا، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه، وترسله في البحر -وهو النيل- وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربطه فانفلت منها وذهب به البحر، فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠] فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أي قدرًا مقدورًا من الله، حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل، حذرًا من وجود موسى، فحكم الله -وله السلطان العظيم، والقدرة التامة- ألا يربى إلا على فراش فرعون، ويغذى بطعامه وشرابه، مع محبته وزوجته له؛ ولهذا قال: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ أي: عند عدوك، جعلته يحبك. قال سلمة بن كُهَيْل: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ قال: حببتك إلى عبادي.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ قال أبو عمران الجوني: تربى بعين الله.

وقال قتادة: تغذى على عيني.

وقال معمر بن المثنى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ بحيث أرى.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني أجعله في بيت الملك ينعم

ويترف، غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.

وقولــــه: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون، عرضوا عليه المراضع، فأباها، قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ فجاءت أخته وقالت ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القصص: ١٢]. تعني هل أدلكم على من ترضعه لكم بالأجرة؟ فذهبت به وهم معها إلى أمه، فعرضت عليه ثديها، فقبله، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أغنم وأجزل؛ ولهذا جاء في الحديث: «**مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير، كمثل أم موسى، ترضع ولدها وتأخذ أجرها**».

وقـال تعـالى هاهنـا: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ أي: عليـك، ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ يعني: القبطي، ﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربًا، حتى ورد ماء مدين، وقال له ذلك الرجل الصالح: ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص: ٢٥].

وأورد حديث الفتون الطويل، وسيرد إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

حديث الفتون الطويل

س: اذكر حديث الفتون الطويل وبيِّن مدى صحته؟

ج: قال الحافظ أبو يعلى في مسنده:

حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أصبغ بن زيد الجهني ، حدثنا القاسم بن أبي أيوب ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى: ﴿وَفَتَنَّكَ فُتُونًا﴾ سألته عن الفتون ما هو؟ قال: استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثا طويلا ، فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون ، فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكون فيه ، وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا: ليس كذلك ، إن الله عز وجل وعد إبراهيم ، قال فرعون: فكيف ترونه؟ فأتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، والصغار يذبحون ، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر ، فيقل نباتهم ، ودعوا عاما فلا يقتل منهم أحد ، فينشأ الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إلى ذلك ، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، فلما كان من قابل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن -

وذلك من الفتون يا ابن جبير – ما دخل منه في قلب أمه مما يراد به ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧ ﴾ [القصص: ٧] وأمرهم إذا ولدت أن تجعله في تابوت ، ثم تلقيه في اليم ، فلما ولدت فعلت ذلك به ، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان ، فقالت في نفسها: ما صنعت بابن ، لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى زفرات البحر وحيتانه ، فانتهى الماء به حتى انتهى به فرضة مستقى جواري امرأة فرعون ، فلما رأينه أخذنه ، فهممن أن يفتحن التابوت ، فقال بعضهن: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه ، فحملنه بهيئته لم يحركن منها شيئا حتى دفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقي عليه منها محبة لم تجد مثلها على أحد من البشر قط ، فأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه – وذلك من الفتون يا ابن جبير – فقالت لهم: اتركوه ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم ألمكم ، فأتت به فرعون ، فقالت: قرة عين لي ولك ، قال فرعون: يكون لك ، فأما لي فلا حاجة لي في ذلك .

قال رسول الله ﷺ: « والذي أحلف به ، لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هدى امرأته ، ولكن حرمه ذلك ».

فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا ، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت عليه امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك.

فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا يأخذ منها فلم يقبل ، فأصبحت أم موسى والهة ، فقالت لأخته: قصيه قصي أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرا؟ أحي ابني أم قد أكلته الدواب ، ونسيت ما كان الله وعدها فيه ، فبصرت به أخته ، عن جنب وهم لا يشعرون - والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به - فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤار: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فأخذوها فقالوا: ما يدريك ما نصحهم له؟ هل تعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت: نصيحتهم له وشفقتهم عليه رغبة في صهر الملك ورجاء منفعته ، فأرسلوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمه ، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا.

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا ، فأرسلت إليها ، فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها ، قالت لها: امكثي عندي ترضعين ابني هذا ، فإني لم أحب حبه شيئا قط ، فقالت أم موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فنضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا ، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله عز وجل وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده ، فرجعت إلى بيتها بابنها ، فأصبح أهل القرية مجتمعين يمتنعون من السخرة والظلم ما كان فيهم.

قال: فلما ترعرع ، قالت امرأة فرعون لأم موسى: أريد أن تريني ابني ، فوعدتها يوما تريها إياه ، فقالت امرأة فرعون لخزانها وقهارمتها وظئورتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه ، وأنا باعثة أمينا يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم ، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج

من بيت أمه إلى أن أدخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ، وبجلت أمه بحسن أثرها عليه ، ثم قالت: لآتين به فرعون فليبجلنه وليكرمنه ، فلما دخلت به عليه جعلته في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض ، فقال الغواة أعداء الله لفرعون: ألا ترى إلى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه يربك ويعلوك ويصرعك؟ فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه - وذلك من الفتون يا ابن جبير - بعد كل بلاء ابتلي ، وأربك به فتونا.

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون ، فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ قال: ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني ، قالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف الحق فيه ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك ، فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده مخافة أن تحرقاه ، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به ، كان الله عز وجل بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع.

فبينما موسى في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس أنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾

[القصص: ١٥] ثم قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦] وأصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار، فأتي فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا حقنا ولا ترخص لهم، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، فإن الملك وإن كان صفوه مع قوم لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت، فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم.

فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتا إذا موسى قد رأى من الغد ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه، فكره الذي رأى لغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي - لما فعل أمس واليوم - ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [القصص: ١٨] فنظر الإسرائيلي إلى موسى حين قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس، فخاف أن يكون إياه أراد وما أراد الفرعوني، ولم يكن أراده إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي فحاجز الفرعوني، وقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ﴾ [القصص: ١٩] وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، وتنازعا وتطاوعا، وانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ﴾ [القصص: ١٩] فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى، فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون لموسى وهم لا يخافون أن يفوتهم إذ جاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى يسبقهم إلى موسى فأخبره الخبر، وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فإنه قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ [القصص: ٢٢-٢٣] يعني بذلك حابستين غنمهما، فقال لهما: ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضول حياضهم، فسقى لهما، فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء فراغا، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما، وانصرف موسى فاستظل بشجرة، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] فاستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا، فقال: إن لكما اليوم لشأنا، فأخبرتاه بما صنع موسى، فأمر إحداهما تدعوه له، فأتت موسى فدعته، فلما كلمه قال: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥] ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان، ولسنا في مملكته.

قال: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦] فاحتملته الغيرة على أن قال: وما يدريك ما قوته وما أمانته؟ قالت: أما قوته، فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلا أقوى في ذلك السقي منه، وأما أمانته، فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه ولم يرفعه ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي، وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الأمر إلا وهو أمين، فسري عن أبيها فصدقها وظن به الذي قالت، فقال له: هل لك ﴿أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: ٢٧] ففعل فكانت على

نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين واجبة ، وكانت سنتان عدته منه ، فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرا.

قال سعيد: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم ، فقال: هل تدري أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا ، وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له ، فقال: أما علمت أن ثمانيا كان على موسى واجبة ولم يكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم أن الله قاض عن موسى عدته التي وعد ، فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك ، فقال: الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قال: قلت أجل ، وأولى.

فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى ربه تبارك وتعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقد لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه ، فأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون ، فانطلقا جميعا إلى فرعون ، فأقاما على بابه حينا لا يؤذن لهما ، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد ، فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن ، قال: فما تريد ، وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت ، وقال: إني أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل فأبى عليه ذلك ، وقال: ائت بآية إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم ، عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء - يعني من

غير برص – ثم ردها فعادت إلى لونها الأول، فاستشار الملأ حوله فيما رأى، فقالوا له: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه: ٦٣] يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش – فأبوا أن يعطوه شيئا مما طلب، وقالوا له: اجمع لنا السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى يغلب سحرهم سحرهما، فأرسل في المدينة، فحشر له كل ساحر متعالم، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات، قالوا: فلا والله ما أحد في الأرض يعمل السحر بالحيات والعصي الذي نعمل، فما أجرنا إن نحن غلبنا؟ فقال لهم: إنكم أقاربي وخاصتي، فأنا صانع إليكم كل ما أحببتم، فتواعدوا يوم الزينة ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

قال سعيد: حدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، وهو يوم عاشوراء، فلما اجتمعوا في صعيد، قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: ٤٠] يعنون موسى وهارون – استهزاء بهما، فقالوا: يا موسى – لقدرتهم بسحرهم – ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ [طه: ٦٥] قال: بل ألقوا ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء: ٤٤] فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١٧٧] فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيما فاغرة فاها، فجعلت العصي بدعوة موسى تلبس بالحبال حتى صارت جرزا إلى الثعبان تدخل فيه، حتى ما أبقت عصا ولا حبلا إلا ابتلعته، فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا هذا، ولكنه أمر من أمر الله تبارك وتعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله عز

وجل مما كنا عليه ، وكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه ، وأظهر الحق ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٨-١١٩] وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون ، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه ، وإنما كان حزنها وهمها لموسى.

فلما طال مكث موسى لمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاءه بآية وعده عندها أن يرسل بني إسرائيل ، فإذا مضت أخلف مواعيده ، وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ، فأرسل الله عليه وعلى قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ، ويوافقه أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده ، حتى أمر بالخروج بقومه ، فخرج بهم ليلا ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا ، أرسل في المدائن حاشرين ، يتبعهم بجنود عظيمة كثيرة ، فأوحى الله إلى البحر أن إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفرق اثني عشر فرقا حتى يجوز موسى ومن معه ، ثم التق على من بقي بعده من فرعون وأشياعه ، فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا فانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا.

فلما تراءى الجمعان وتقاربا ، قال قوم موسى ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١] افعل ما أمرك ربك ، فإنك لن تكذب ولن تكذب ، فقال: وعدني إذا أتيت البحر أن يفرق لي اثني عشر فرقا حتى أجاوزه ، ثم ذكر بعد ذلك العصا ، فضرب البحر بعصاه فانفرق له حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى ، فانفرق البحر كما أمره ربه ، وكما وعد موسى ، فلما أن جاوز موسى

وأصحابه كلهم، ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم كما أمر الله.

فلما أن جاور موسى البحر قالوا: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق فلا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه، فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه.

ثم مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩] قد رأيتم من العبر، وسمعتم ما يكفيكم، ومضى فأنزلهم موسى منزلا، ثم قال لهم: أطيعوا هارون، فإني قد استخلفته عليكم وإني ذاهب إلى ربي، وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم.

فلما أتى ربه أراد أن يكلمه في ثلاثين وقد صامهن ليلتين ونهارهن، كره أن يكلم ربه ويخرج من فمه ريح فم الصائم، فتناول موسى شيئا من نبات الأرض فمضغه، فقال له ربه حين أتاه أفطرت؟ وهو أعلم بالذي كان، قال: رب كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح، قال: أوما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، ارجع حتى تصوم عشرا ثم ائتني ففعل موسى ما أمر به.

فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم للأجل، قال: ساءهم ذلك، وكان هارون قد خطبهم، فقال: إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عوار وودائع ولكم فيها مثل ذلك، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم وديعة ولا عارية، ولسنا برادين إليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا، فحفر حفيرا وأمر كل قوم عندهم شيء من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير، ثم أوقد عليه النار فأحرقه، فقال: لا يكون لنا ولا لهم.

وكان السامري رجلا من قوم يعبدون البقر جيران لهم، ولم يكن من بني

إسرائيل ، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقضي لـه أن رأى أثرا ، فأخذ منه قبضة ، فمر بهارون ، فقال لـه هـارون: يـا سـامري ، ألا تلقي مـا في يـدك وهـو قـابض عليـه لا يـراه أحـد طـوال ذلـك ، قـال: هـذه قبضـة مـن أثـر الرسول الذي جاوز بكم البحر ، فلا ألقيها بشـيء إلا أن تـدعو الله إذا ألقيهـا أن يكون ما أريد فألقاه ، فدعا له هارون ، وقال أريد أن أكـون عجـلا ، فـاجتمع مـا كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصـار عجـلا أجـوف لـيس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: ولا والله ما كان له صوت قط ، إنما كانت الريح تدخل مـن دبره وتخرج من فيه ، وكان ذلك الصوت من ذلك ، فتفرق بنو إسـرائيل فرقـا ، فقالت فرقـة: يـا سـامري ، مـا هـذا؟ فأنـت أعلـم بـه ، قـال: هـذا ربكـم ، ولكـن موسى أضل الطريق.

وقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن كان ربنا لـم نكـن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربنا ، فإنا نتبع قول موسى.

وقالـت فرقـة: هـذا عمـل الشـيطان ولـيس بربنـا ولا نـؤمن بـه ولا نصـدق ، وأشـرب فرقـة في قلـوبهم التصـديق بمـا قـال السـامري في العجـل ، وأعلنـوا التكذيب به.

فقال لهم هارون: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ ليس هكذا.

قـالوا: فمـا بـال موسـى وعـدنا ثلاثـين يومـا ثـم أخلفنـا ، هـذه أربعـون قـد مضت، فقال سفهاؤهم: أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه.

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه مـن بعـده ، ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [طه: ٨٦] فقال لهـم ما سمعتم في القـرآن ﴿ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ

أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وألقى الألواح، ثم إنه عذر أخاه واستغفر له، وانصرف إلى السامري، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم فقذفتها ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧ ﴾ [طه: ٩٦-٩٧] ولو كان إلها لم تخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون، وقالوا جماعتهم لموسى: سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر ما عملنا، فاختار قومه سبعين رجلا لذلك لإتيان الجبل ممن لم يشرك في العجل، فانطلق بهم ليسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض، فاستحيا نبي الله من قومه ووفده حين فعل بهم ما فعل، فقال ﴿ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفيهم من كان الله اطلع على ما أشرب من حب العجل إيمانا به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] فقال: رب سألتك التوبة لقومي فقلت: إن رحمتك كتبتها لقوم غير قومي، فليتك أخرتني حتى تخرجني حيا في أمة ذلك الرجل المرحومة، فقال الله عز وجل له: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن، ويأتي أولئك الذين خفي على موسى وهارون ما اطلع الله عليه من ذنوبهم واعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول، ثم سار بهم موسى متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعدما سكت عنه

الغضب ، فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف ، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون إلى الجبل والأرض والكتاب بأيديهم وهم ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة ، فوجدوا فيها مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر ، وذكروا من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها.

فقالوا: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾[المائدة: ٢٢] لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها ﴿ فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢، ٢٣] الجبارين آمنا بموسى ، فخرجا إليه ، فقالا: نحن أعلم بقومنا، إن كنتم إنما تخافون مما ترون من أجسامهم وعدتهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم ، فادخلوا عليهم الباب ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ ﴾ [المائدة: ٢٣].

ويقول ناس: إنهما من قوم موسى ، وزعم عن سعيد بن جبير أنهما من الجبابرة آمنا بموسى ، يقول: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ إنما عنى بذلك الذين يخافهم بنو إسرائيل ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة: ٢٤] فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم ، حتى كان يومئذ ، فاستجاب الله له فسماهم كما سماهم موسى فاسقين ، وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى، وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ ، وجعل بين ظهورهم حجرا مربعا ، وأمر موسى فضربه بعصاه ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ [البقرة: ٦٠]

في كل ناحية ثلاثة أعين ، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجد ذلك الحجر فيهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس.

رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي ، أن معاوية ، سمع ابن عباس ، حدث هذا الحديث فأنكره عليه أن يكون الفرعوني هذا الذي أفشي على موسى أمر القتيل الذي قتل ، قال: فكيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك وشهده ، فغضب ابن عباس ، وأخذ بيد معاوية فذهب به إلى سعد بن مالك الزهري فقال: يا أبا إسحاق ، هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتله من آل فرعون الإسرائيلي أفشى عليه أم الفرعوني؟ فقال: إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره.

وأخرجه ابن جرير الطبري (١٦/ ١٢٥)، عزاه ابن كثير إلى النسائي في «السنن الكبرى» في «التفسير» وإلى ابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن كثير: وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مما أبيح نقله من الإسرائيليات (١) عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا»

❁ ❁ ❁

س: المحبة.....في قلوب العباد إنما هي من الله وضح ذلك.

ج: نعم تلك المحبة التي في قلوب بعض العباد لبعض إنما هي من الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) قلت: والجزم بأنه أخذه من الإسرائيليات فيه نظر، ففي قوله في آخر الحديث: «رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي □» ما يدفع هذا التردد، والله أعلم.

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

ولمزيد مع تفسير الآية المذكورة.

بداية تكليف موسى عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم فخرجت من بلدك يا موسى متجها إلى معين فمكث سنين في بلاد مدين وتزوجت منهم ثم جئت يا موسى إلى هذا المكان في الوقت الذي قدَّرت لك فيه أن يُوحي إليك وأن كلمك، واخترتك يا موسى، وقد دبرت لكن أمولك وهيئتها لك، اخترتك رسولًا من بين الناس في زمامك فاذهب أنت وأخوك هارون الذي جلعتُه نبيًا معك لما سألت ذلك اذهب أنت وهو ولا تضعفا عن ذكري ولا تتكاسلا عن ذكرى بل أكثرا من ذكري. اذهبا إلى فرعون إنه تجاوز الحد في الكفر والظلم تجاوز الحد في الكفر إذ قال أنا ربكم الأعلى، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ وكذا تجاوز الحد في الظلم إذ كان يذبح الأبناء ويستحي النساء ويستعبد الرجال اذهبا إليه فقولا له قولا لينا كلماه بالكلام الطيب اللين أول ما تكلماه لعله يتقظ فينتفع بالموعظة أو يخشى عقاب ربه عز وجل فحينئذٍ قال موسى وهارون عليهما السلام ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي يعاجلنا بالعقوبة ولا يستمع إلى كلامنا ومحبتنا أو أنه يزاداد ظلمًا إلى ظلمه ويبطش بنا وبأهالينا فعندها قال تعالى: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي

مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ لا يخفى على شيء من الأخر فإني أسمعكم وأراكم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ﴾ وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف. ومعنى الكلام: وفتناك فتونا، فخرجت خائفا إلى أهل مدين، فلبثت سنين فيهم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولمقداره.

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ﴾ أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك، واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾ هارون ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ يقول: بأدلتي وحججي، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرّد في ضلاله وغيه، فأبلغاه رسالاتي ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ﴾ يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما منِّي عليكما نِعَما جمَّة، ومننا لا تحصى كثرة ، يقال منه: ونى فلان في هذا الأمر، وعن هذا الأمر: إذا ضعف، وهو يَنِي ونيا كما قال العجاج:

فَمَا وَنى مُحَمَّدٌ مُذْ أنْ غفر لَهُ الإلهُ ما مَضَى وَما غَبَرْ

وأورد آثار في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ لا تضعفا في ذكري

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ ﴾.

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون: فقولا لفرعون قولا ليِّنا ، ذُكر أن القول

اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له، هو أن يكنياه.

وقوله: ﴿ لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ اختلف في معنى قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم معناها ها هنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولا لينا، فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه.

وقال آخرون: معنى لعلّ هاهنا كي. ووجّهوا معنى الكلام إلى ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك، وافرغ من عملك لعلنا نتغدّى، بمعنى: لنتغدى، أو حتى نتغدى، ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح.

وقوله: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجل علينا بالعقوبة، وهو من قولهم: فرط مني إلى فلان أمر: إذا سبق منه ذلك إليه، ومنه: فارط القوم، وهو المتعجل المتقدّم أمامهم إلى الماء أو المنزل كما قال الراجز:

قَدْ فَرَط العِلْجُ عَلَيْنا وَعَجِلْ

وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدّى.

وأما التفريط: فإنه التواني، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا توانى فيه.

يقول الله تعالى ذكره: قال الله لموسى وهارون ﴿لَا تَخَافَآ﴾ فرعون ﴿إِنَّنِي

﴿مَعَكُمَآ﴾ أعينكما عليه، وأبصركما ﴿أَسۡمَعُ﴾ ما يجري بينكما وبينه، فأفهمكما ما تحاورانه به ﴿وَأَرَىٰ ٤٦﴾ ما تفعلان ويفعل، لا يخفى عليّ من ذلك شيء ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبًا لموسى، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إنه لبث مقيمًا في أهل "مدين" فارًا من فرعون وملئه، يرعى على صهره، حتى انتهت المدة وانقضى الأجل، ثم جاء موافقًا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد، والأمر كله لله تبارك وتعالى، وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ قال مجاهد: أي على موعد.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ قال: على قدر الرسالة والنبوّة.

وقوله: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾ أي: اصطفيتك واجتبيتك رَسُولا لنفسي، أي: كما أريد وأشاء.

وأورد ابن كثير ما أخرجه البخاري من حديث عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**التقى آدم وموسى، فقال موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال آدم: وأنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم. قال: فوجدتَه قد كتب عَليّ قبل أن يخلقني؟ قال: نعم. فحَجّ آدم موسى**» أخرجاه .

﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي ﴾ أي: بحُجَجي وبراهيني ومعجزاتي، ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢﴾ قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس: لا تُبْطئا.

وقال مجاهد، عن ابن عباس: لا تَضْعُفا.

والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكرُ الله عونًا لهما عليه، وقوّة لهما وسلطانًا كاسرًا له، كما جاء في الحديث: «**إن عبدي كل عبدي للذي يذكرني وهو مُنَاجِز قِرْنه**».

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: تمرّد وعتا وتَجَهْرم على الله وعصاه، ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾: يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه؟

وقال وهب بن مُنَبِّه: قولا له: إني إلى العفو والمغفرة أقربُ مني إلى الغضب والعقوبة.

وعن عكرمة في قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ قال: لا إله إلا الله، وقال عمرو بن عبيد، عن الحسن البصري: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ أعْذِرا إليه، قولا له: إن لك ربًا ولك معادًا، وإن بين يديك جنة ونارا.

وقال بقيَّة، عن علي بن هارون، عن رجل، عن الضحاك بن مُزَاحِم، عن النزال بن سَبْرَة، عن علي في قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ قال: كَنِّه.

وكذا روي عن سفيان الثوري: كَنّه بأبي مُرَّة.

والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الآية [النحل: ١٢٥].

قوله: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي: لعله يرجع عما هو فيه من الضلال

والهلكة، ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ أي: يُوجد طاعة من خشية ربه، كما قال تعالى: ﴿لمن أراد أن يذكر أو يخشى﴾ فالتذكر: الرجوع عن المحذور، والخشية: تحصيل الطاعة.

وقال الحسن البصري: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ يقول: لا تقل أنت يا موسى وأخوك هارون: أَهْلِكْه قبل أن أعذر إليه.

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا:

يقول تعالى إخبارًا عن موسى وهارون، عليهما السلام، أنهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكِيَيْن إليه: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾ يعنيان أن يَبْدُر إليهما بعقوبة، أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك.

قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿أَن يَفۡرُطَ﴾ يعجل.

وقال مجاهد: يبسط علينا.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾: يعتدي.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ أي: لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ
جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ (٤٧) إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ
ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ
أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلۡمُهَا
عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا
وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ
(٥٣) كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (٥٤) ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ
وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ (٥٥) ﴾

[طه: ٤٧-٥٥].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿فَأْتِيَاهُ - ٱلْهُدَىٰٓ - كَذَّبَ - وَتَوَلَّىٰ - خَلْقَهُۥ - هَدَىٰ - فَمَا بَالُ - ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ - لَّا يَضِلُّ رَبِّى - مَهْدًا - سُبُلًا - أَزْوَٰجًا - شَتَّىٰ - لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ - تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَأْتِيَاهُ﴾	فاذهبا إليه
﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾	البيان الذي...........من عند الله، ومنه التوراة- والهداية وغير ذلك
﴿كَذَّبَ﴾	كذب الأنبياء والرسل والكتب التي جاءوا بها من عند الله
﴿وَتَوَلَّىٰ﴾	أعرض عن الطاعة
﴿مَهْدًا﴾	ممهدة- مهيئة للمسير عليها والسعي عليها
﴿وَسَلَكَ﴾	شقَّ- جعل
﴿سُبُلًا﴾	طرقًا
﴿أَزْوَٰجًا﴾	أصنافًا
﴿شَتَّىٰ﴾	متعددة
﴿لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾	لأصحاب العقول النيرة الرشيدة
﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾	مرة أخرى

❀ ❀ ❀

س: وضع معنى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم قول الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى ﷺ أمره ﷻ أن يذهب مع أخيه هارون عليهما السلام إلى فرعون فيقولا له إنا رسولان من عند الله ﷻ الذي هو ربك فأرسل معنا قبيلتنا من بني إسرائيل حتى نخرج بهم من ديارك، ولا تسومهم سوء العذاب بتسخيرك لهم وإذلالهم وامتهانهم وقد جئناك بما يدل على صدقنا وأننا من عند الله ﷻ والأمان والسلامة على من سلك طريق الهداية واتبع البيان الذي جبناه من عند الله ﷻ وقد أوحي الله ﷻ إلينا أيضًا فما أوحاه أن العذاب على من كذب والأنبياء، وكذب بالكتب المنزلة من عند الله وتولى عن الطاعة والامتثال لها.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل، فأرسلهم معنا ولا تعذّبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكَۖ ﴾ على أنه أرسلنا إليك بذلك، إن أنت لم تصدّقنا فيما نقول لك أريناكها، ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه ، يقال: السلام على من اتبع الهدى، ولمن اتبع بمعنى واحد.

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون: قولا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لا نفاد له، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من

توحيد الله وطاعته، وإجابة رسله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ يقول: وأدبر مُعرضا عما جئناه به من الحقّ.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ في الكلام حذف، والمعنى: فأتياه فقالا له ذلك. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي خل عنهم. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي بالسخرة والتعب في العمل، وكانت بنو إسرائيل عند فرعون في عذاب شديد؛ يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبناء المدائن مالا يطيقونه. ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد العصا واليد. وقيل: إن فرعون قال له: وما هي؟ فأدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس، غلب نورها على نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا إلا يوم الزينة. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ قال الزجاج: أي من اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل وعذابه. قال: وليس بتحية، والدليل على ذلك أنه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب. الفراء: السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء. ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ ﴾ يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة. ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ أنبياء الله ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أعرض عن الإيمان. وقال ابن عباس: هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: بدلالة ومعجزة من ربك، ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي: والسلام عليك إن اتبعت الهدى.

ولهذا لما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم كتابًا، كان أوله: «بسم

الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم] سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، [فإني أدعوك بدعاية الإسلام] فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين».

وكذلك لما كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ كتابًا صُورَتُه: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك. أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر مَعَكَ، فلك المدر ولي الوبر، ولكن قريش قوم يعتدون». فكتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

ولهذا قال موسى وهارون، عليهما السلام، لفرعون: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أي: قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩] وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤-١٦] وقال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]. أي: كذب بقلبه وتولى بفعله.

❀ ❀ ❀

مجادلة فرعون لموسى عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أن موسى وهارون عليهما السلام امتثلا أمر الله عز وجل بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الله عز وجل وأن يخرج بني إسرائيل من بلاده ويترك تعذيبهم، امتثالاً وذهبا إلى فرعون بما كُلفا به، فقال لهما فرعون فمن ربكما الذي تعبدانه يا موسى؟ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وللعلماء في تأويل ذلك أقوال:

أحدها: أنه سبحانه أعطى كل مخلوق صورته التي خلقه عليها وجعل من كل مخلوق من أُنثى من جنسه، فالبشر منهم ذكور وإناث، وكل مخلوق منه ذكور وإناث كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ فالجمل معه ناقة، والبقرة معها ثور، والكبش من جنسه نعجة، والجدي من جنسه معزٌ، وكذا الكلاب والقطط وسائر المخلوقات ثم إنه سبحانه هدى الذكور إلى مآتي النساء ودلهن على الجماع وما يكون به التكاثر والتناسل وثَمَّ قول آخر أنه جلا وعلا خلق الخلائق وكتب عليهم الآجال وقدر لهم المقادير ثم هدى الخلائق إلى فعل ما كتبه عليهم، وساقهم إلى المكتوب عليهم كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وقد قدمت شيئًا من ذلك في تفسير سورة الليل وهناك قولًا ثالث أنه عز وجل أعطى كل شيء خلقه ثم صورته التي خلقه عليها ثم

يسر له من أسباب المعيشة ما يتناسب معه وهنالك أقوالًا أخر في هذا الصدد.

فعند ذلك ولما أجاب موسى عليه السلام بهذا الجواب قال فرعون يريد أن يُثير الناس على موسى عليه السلام فإن موسى إذا ذكر آياتهم بسورٍ ثاروا عليه فسأله فرعون سؤالًا قائلًا فما بال القرون الأولى؟ فما شأنه من مضى مبلغًا من الأم؟ فأجاب موسى عليه السلام بقوله علمها إلى أين صارت وما الذي عملت في دنياها، وكل ما يتعلق بها مثبت عنه ربي عز وجل في كتاب، فكلٌّ قد كتبت أقواله وأعماله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي أن ربي عز وجل لا يخطئ ولا ينسى، ومع أنه سبحانه وتعالى لا يضل ولا ينسى إلا أن أعمالهم أيضًا مكتوبة في كتاب يحاجون به اليوم القيامة، وكذا في الآية الكريمة إشارة إلى كتابة ما يحتاج إلى كتابة من عقود وعهده ومدانيات وتحوذ ذلك ففي الآية تعليم للعباد ورشادٌ لهم كذلك.

وقال الطبري رحمه الله: في تفسير الآيات المذكورة:

وقوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ في هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو قوله: ﴿فأتياه﴾ فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته، فقال فرعون لهما ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ فخاطب موسى وحده بقوله: يا موسى، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعل ذلك كذلك، لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع، وذلك نظير قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] وكان الذي يحمل الحوت واحد، وهو فتى موسى، يدل على ذلك قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣].

وقوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى له مجيبا: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه، يعني: نظير خلقه في الصورة

والهيئة كالذكور من بني آدم. أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا، وكالذكور من البهائم، أعطاها نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب، وغير ذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا فيه.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أنه هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.

وقال آخرون: معنى ذلك: أعطى كلّ شيء صورته، وهي خلقه الذي خلقه به، ثم هداه لما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعطى كل شيء ما يصلحهن ثم هداه له.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، لأنه جلّ ثناؤه أخبر أنه أعطى كلّ شيء خلقه، ولا يعطي المعطي نفسه، بل إنما يعطي ما هو غيره، لأن العطية تقتضي المعطي المُعطَى والعطية، ولا تكون العطيه هي المعْطَى، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت الصورة كلّ خلق بعض أجزائه، كان معلوما أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دعي إنسانا، فكأن قائله قال: أعطى كلّ خلق نفسه، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معاني العطية، وإن كان قد يحتمله الكلام. فإذا كان ذلك كذلك، فالأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كلّ شيء أعطاه ربه مثل خلقه، فزوجه به، ثم هداه لما بيَّنا، ثم

ترك ذكر مثل، وقيل ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ كما يقال: عبد الله مثل الأسد، ثم يحذف مثل، فيقول: عبد الله الأسد.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لموسى، إذ وصف موسى ربه ﷻ بما وصفه به من عظيم السلطان، وكثرة الإنعام على خلقه والأفضال: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول، ولم تصدّق بما تدعو إليه، ولم تخلص له العبادة، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه، وأنها في نِعمه تتقلّب، وفي مِنَنه تتصرف، فأجابه موسى فقال: علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك، عند ربي في كتاب: يعني في أمّ الكتاب، لا علم لي بأمرها، وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ يقول: لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذّب تلك القرون في عاجل، وعجل هلاكها، فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة، فالحقّ ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي ﴿وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ فيترك فعل ما فعْله حكمة وصواب.

وأورد ابن كثير نحوًا مما ذُكر وقال بعض المفسرين: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ٣] أي: قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، أي: كَتَب الأعمال والآجال والأرزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك، لا يحيدون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه. يقول: ربنا الذي خلق الخلق وقدر القَدَر، وجَبَل الخليقة على ما أراد.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ أصح الأقوال في معنى ذلك: أن فرعون لما

أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئًا. يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، فنزه نفسه عن ذلك.

وقال القرطبي أن أورد بعض الأقوال:

وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورة؛ ويجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا. وقال الشاعر:

وله في كل شيء خلقه ... وكذاك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة الصورة؛ وهو قول عطية ومقتل. وقال الضحاك أعطى كل شيء خلقه من المنفعة النوطة به المطابقة له. يعني اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع. وقيل: أعطى كل شيء ما ألهمه من علم أو صناعة. وقال الفراء: خلق الرجل للمرأة ولكل ذكر ما يوافقه من الإناث ثم هدى الذكر للأنثى. فالتقدير على هذا أعطى كل شيء مثل خلقه.

قلت: وهذا معنى قول ابن عباس. الآية بعمومها تتناول جميع الأقوال.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ﴾ البال الحال؛ أي وما حالها وما شأنها، فأعلمه أن علمها عند الله تعالى، أي إن هذا من علم الغيب الذي سألت عنه، وهو مما استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ. وقيل: المعنى فما بال القرون الأولى لم يقروا بذلك. أي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك. وقيل: إنما سأل عن أعمال القرون الأولى فأعلمه أنها محصاة عند الله تعالى، ومحفوظة عنده في كتاب. أي هي مكتوبة فسيجازيهم غدا بها وعليها. وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ. وقيل: هو كتاب مع بعض الملائكة.

وقال القرطبي أيضًا:

هذه الآية ونظائرها مما تقدم ويأتي تدل على تدوين العلوم وكتبها لئلا تنسى. فإن الحفظ قد تعتريه الآفات من الغلط والنسيان. وقد لا يحفظ الإنسان ما يسمع فيقيده لئلا يذهب عنه.

وقال القرطبي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ اختلف في معناه على أقوال خمسة:

الأول: إنه ابتداء كلام، تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام تم في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾. وكذا قال الزجاج، وأن معنى ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يهلك من قوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]. ﴿وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ شيئا؛ نزهه عن

الهلاك والنسيان.

القول الثاني: «لا يضل» لا يخطئ؛ قاله ابن عباس؛ أي لا يخطئ في التدبير، فمن أنظره فلحكمة أنظره، ومن عاجله فلحكمة عاجله.

القول الثالث: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يغيب. قال ابن الأعرابي: أصل الضلال الغيبوبة؛ يقال: ضل الناسي إذا غاب عنه حفظ الشيء. قال: ومعنى ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ أي لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء.

القول الرابع: قاله الزجاج أيضا وقال النحاس أشبهها بالمعنى - أخبر الله عز وجل أنه لا يحتاج إلى كتاب؛ والمعنى لا يضل عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتها، ولا ينسى ما علمه منها.

قلت: وهذا القول راجع إلى معنى قول ابن الأعرابي.

وقول خامس: إن ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ في موضع الصفة لـ "كتاب" أي الكتاب غير ضال عن الله عز وجل؛ أي غير ذاهب عنه.

﴿وَلَا يَنسَى﴾ أي غير ناس له فهما نعتان لـ ﴿كِتَٰبٍ﴾. وعلى هذا يكون الكلام متصلا، ولا يوقف على ﴿كِتَٰبٍ﴾.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أضواء البيان:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ فيه للعلماء أوجه لا يكذب بعضها بعضاً، وكلها حق، ولا مانع من شمول الآية لجميعها. منها أن معنى ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ أنه أعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة والهيئة، كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً. وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها في صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً. فلم يعط الإنسان خلاف خلقه فيزوجه

بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هدى الجميع لطريق المنكح الذي منه النسل والنماء ، كيف يأتيه ، وهدى الجميع لسائر منافعهم من المطاعم والمشارب وغير ذلك.

وهذا القول مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من طريق علي بن أبي طلحة ، وعن السدي وسعيد بن جبير ، وعن ابن عباس أيضاً: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ أي هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ أي: أعطى كل شيء صلاحه ثم هداه إلى ما يصلحه ، وهذا مروي عن الحسن وقتادة.

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾: أي أعطى كل شيء صورته المناسبة له. فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة ، ولا البهيمة في صورة الإنسان ، ولكنه خلق كل شيء على الشكل المناسب له فقدره تقديراً ، كما قال الشاعر:

وله في كل شيء خلقة ... وكذاك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة: الصورة ، وهذا القول مروي عن مجاهد ومقاتل وعطية وسعيد بن جبير ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كل صنف إلى رزقه وإلى زوجه.

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع. وكذلك الأنف والرجل واللسان وغيرها ، كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه. وهذا القول روي عن الضحاك. وعلى جميع هذه الأقوال المذكورة فقوله تعالى ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو المفعول الأول لـ«أَعْطَى»، و«خلقه» هو المفعول الثاني.

وقال بعض أهل العلم: إن « خلقه » هو المفعول الأول ، و«كل شيء» هو المفعول الثاني. وعلى هذا القول فالمعنى: أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه ، ثم هداهم إلى طريق استعماله. ومعلوم أن المفعول من مفعولي باب كسا ومنه « أَعْطَى » في الآية لا مانع من تأخيره وتقديم المفعول الأخير إن أمن اللبس ، ولم يحصل ما يوجب الجري على الأصل كما هو معلوم في علم النحو. وأشار له في الخلاصة بقوله:

ويلزم الأصل لموجب عسرا وترك ذاك الأصل حتما قد يرى

قال مقيده عفا الله عنه: ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة. لأنه لا شكّ أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به. ولا شكّ أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع. وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به فسبحانه جل وعلا؟ ما أعظم شأنه وأكمل قدرته؟!

وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جلا وعلا رب كل شيء ، وهو المعبود وحده جل وعلا: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٨].

وقد حرر العلامة الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته في علوم القرآن: أن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافاً متضاداً يكذب بعضه بعضاً ، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضاً ، والآيات تشمل جميعه ، فينبغي حملها على شمول ذلك كله ، وأوضح أن ذلك هو الجاري على أصول الأئمة الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، وعزاه لجماعة

من خيار أهل المذاهب الأربعة. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم مزيدًا بيان من موسى عليه السلام لفرعون لما سأله قائلًا فمن ربكما يا موسى فأجابه، وكان مما جابه به في تعريفه بالله عز وجل ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي ممهدة سُهلة تمشون عليها بسهولة ويسر ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ شقه لكم فيها طرقًا تسلكونها على حيث تريدون وأنزلن ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وهو المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ممتعدد الأشكال الألون والطعوم والروائح وغير ذلك كل هذا من فضل الله عز وجل فقد تفضل الله عز وجل بذلك على خلقه مبيحًا لهم ذلك ميسرًا لهذا ذلك ﴿كُلُوا۟﴾ يا عبادي مما رزقكم ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ مواشيكم من إبل وبقر وغنم وماعز وغير ذلك كما قال تعالى ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ إنه في ذلك الذي.....الله لكم من النعم ويسره لكم من السبل، وينبت لكم من النبات وينزله لكم من السماء الدلالات واضحات وعلامات جليات يستدل بها أصحاب العقول النيرة الرشيدة علية واحدانية الله عز وجل وعلى قدرته ثم يذكر تعالى العباد بقوله ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ إلى من الأرض من خلقناكم فقد خلقتم من تراب ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ تارة أخرى وذلك يوم القيامة.

وبنحو ما ذكرت قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقا. والهاء في قوله فيها: من ذكر الأرض.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾: أي طرقا.

وقوله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يقول: وأنزل من السماء مطرا ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله، يقول جلّ ثناؤه: فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا، يعني ألوانا من نبات شتى، يعني مختلفة الطعوم، والأراييح والمنظر.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه، وما هو من أقواتكم وغذائكم، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ يقول: إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه لآيات: يعني لدلالات وعلامات تدلّ على وحدانية ربكم، وأن لا إله لكم غيره ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ يعني: أهل الحجى والعقول، والنهى: جمع نُهية، كما الكُشَى: جمع كُشْيَة.

قال أبو جعفر: والكشَى: شحمة تكون في جوف الضبِّ، شبيهة بالسرّة، وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النُّهَى، لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساما ناطقة ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ يقول: وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم ترابا، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ يقول: ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فننشئكم منها، كما أنشأناكم أول مرة..

وقوله: ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ يقول: مرّة أخرى.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرّة أخرى، كما أخرجناكم منها أوّل مرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه، عز وجل، حين سأله فرعون عنه، فقال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾، ثم اعترض الكلام بين ذلك، ثم قال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾

وفي قراءة بعضهم «مهدا» أي: قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها، ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي: جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي: من ألوان النباتات من زروع وثمار، ومن حامض وحلو، وسائر الأنواع.

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ﴾ أي: شيء لطعامكم وفاكهتكم، وشيء لأنعامكم

لأقواتها خضرا ويابسًا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: لدلالات وحججا وبراهين ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ ۝٥٤﴾ أي: لذوي العقول السليمة المستقيمة، على أنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه.

﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾.

أي: من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي: وإليها تصيرون إذا متم وبليتم، ومنها نخرجكم تارة أخرى. ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾.

[الإسراء: ٥٢]

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾.

[الأعراف: ٢٥]

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا
بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا
نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى (٥٨) قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ
ٱلنَّاسُ ضُحٗى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ
وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ (٦١)
فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ (٦٢) قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ
أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ (٦٣) فَأَجۡمِعُواْ
كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ (٦٤) قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن
تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ
مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ (٦٦) فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ (٦٧) قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٦٨) وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ
ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) ﴾
[طه: ٥٦-٧٠].

س: وضح معنى ما يلي:
﴿ءَايَٰتِنَا - وَأَبَىٰ - مَكَانٗا سُوًى - يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ - يُحۡشَرَ - ضُحٗى - فَتَوَلَّىٰ - كَيۡدَهُۥ - لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا - فَيُسۡحِتَكُم - ٱفۡتَرَىٰ - فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم - وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ - بِطَرِيقَتِكُمُ - ٱلۡمُثۡلَىٰ - فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ - ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ - أَفۡلَحَ - ٱسۡتَعۡلَىٰ - تَسۡعَىٰ - فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ - تَلۡقَفۡ - كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ - حَيۡثُ أَتَىٰ - فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَايَٰتِنَا﴾	معجزاتنا - دلالاتنا على وحدانيتنا
﴿وَأَبَىٰ﴾	رفض (أن يؤمن)
﴿مَكَانٗا سُوًى﴾	مكان وسطًا نصفًا عدلًا
﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾	يوم عيد لهم كانوا يتزينون فيه
﴿يُحۡشَرَ﴾	يجمع
﴿ضُحٗى﴾	وقت الضحى
﴿فَتَوَلَّىٰ﴾	فانصرف من عند موسى عليه السلام
﴿كَيۡدَهُۥ﴾	ما يكيد به لموسى عليه السلام وهم سحرته وجنده
﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	لا تكذبوا على الله – لا تقولوا على الله غير الحق
﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾	فيهلككم - فيستأصلكم
﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾	كذب
﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾	اختلفوا فيما بينهم تشاوروا فيما بينهم

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾	تحدثوا فيما بينهم السادة وأصحاب روؤس
﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾	...بطريقتكم في السحر
﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾	فأحضروا سحركم وأئتوا بما استطعتم فيه
﴿ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾	اجتمعوا ولا تتفرقوا
﴿أَفۡلَحَ﴾	فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب
﴿ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾	كانت له الغلبة والعلو
﴿تَسۡعَىٰ﴾	تجري- تتحرك- تضطرب
﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ﴾	أحسن في نفسه بالخوف
﴿تَلۡقَفۡ﴾	تبتلع – تلتهم بسرعة وبشدة
﴿كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾	مكر ساحرٍ، واحتيال الساحر
﴿حَيۡثُ أَتَىٰ﴾	في أي مكان كان، ومن أي مكان أتى
﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾	خروا لله ساجدين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد أطعنا فرعون على معجزاتنا التي أيدنا بها نبينا موسى ﷺ وعلى غيرها من الآيات الدالة على قدرتنا وحدانيتنا فكذب بكل هذه الآيات ورفضه أن يؤمن واقتنع أشد الاقتناع، وقال لموسى عليه السلام أجئتنا يا موسى بالذي جئتنا به من دعوى الرسالة لتخرجنا من أرضنا وتكون لكما أنت وأخيك السيادة والقيادة في البلاد بسحرك الذي أتيتنا به من العصا التي تحولها إلى ثعبان ومن اليد التي تخرج بيضاء من جيبك، فعلى كلٍّ لنجيئك بمن هو ساحر من أمثالك يأتيك بسحر مثل سحرك وأقوى من سحرك فحِّدد موعدًا نلتقي فيه ومكانًا نلتقي فيه يكون مكانًا وسطًا بيننا وبينك أو عدلًا بيننا وبينك لا نتخلف عن، ديرانا الناس كلهم فيه، قال موسى عليه السلام مُحددًا موعدًا وكان موعدكم يوم الزينةن يوم العيد الذي يتزينون فيه وأن يجتمع الناس فيه وقت الضحى.

وبنحو ما ذكرت قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرينا فرعون آياتنا، يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا، موسى وهارون إليه كلها ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ أن يقبل من موسى وهارون ما جاءا به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوّا.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجئتنا

يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به ﴿ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا ﴾ لا نتعدّاه، لنجيء بسحر مثل الذي جئت به، فننظر أينا يغلب صاحبه، لا نخلف ذلك الموعد ﴿ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴾ يقول: بمكان عدل بيننا وبينك ونَصَف.

في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع: ﴿ مَوۡعِدُكُمۡ ﴾ للاجتماع ﴿ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ يعني يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه ﴿ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ﴾ يقول: وأن يُساق الناس من كلّ فجّ وناحية ﴿ ضُحٗى ﴾ فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ يعني فرعون، أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات، وعاين ذلك وأبصره، فكذب بها وأباها كفرًا وعنادًا وبغيًا، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال: هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس، فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحرًا مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا ﴾ أي: يومًا نجتمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندك من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك ﴿ قَالَ ﴾ لَهُمۡ مُوسَىٰ ﴿ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ وهو يوم عيدهم

ونَوروزُهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: جميعهم ﴿ضُحٗى ٥٩﴾ أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بيّن، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل «ليلا» ولكن نهارًا ضحى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ أي المعجزات الدالة على نبوة موسى وقيل حجج الله الدالة على توحيده ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾ أي لم يؤمن وهذا يدل على أنه كفر عنادا لأنه رأى الآيات عيانا لا خبرا نظيره ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧﴾ لما رأى الآيات التي أتاه بها موسى قال: إنها سحر؛ والمعنى: جئت لتوهم الناس أنك جئت بآية توجب اتباعك والإيمان بك، حتى تغلب على أرضنا وعلينا. ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ أي لنعارضنك بمثل ما جئت به ليتبين للناس أن ما أتيت به ليس من عند الله. ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ هو مصدر؛ أي وعدا. وقيل: الموعد اسم لمكان الوعد؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣﴾ [الحجر: ٤٣] فالموعد ها هنا مكان. وقيل: الموعد اسم لزمان الوعد؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ [هود: ٨١] فالمعنى: اجعل لنا يوما معلوما، أو مكانا معروفا. قال القشيري: والأظهر أنه مصدر ولهذا قال: ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ﴾ أي لا نخلف ذلك الوعد، والإخلاف أن يعد شيئا ولا ينجزه.

وأورد القرطبي أقوالا في معنى سوى منها مكانا مستويًا يتبين للناس ما بيَّنا فيه ومنها وسطًا- وعدلًا

وقال:

و﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ واختلف في يوم الزينة، فقيل هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه؛ قاله قتادة والسدي وغيرهما. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: كان يوم عاشوراء. وقال سعيد بن المسيب: يوم سوق كان لهم يتزينون فيها؛ وقاله قتادة أيضا. وقال الضحاك: يوم السبت. وقيل: يوم النيروز؛ ذكره الثعلبي. وقيل: يوم يكسر فيه الخليج؛ وذلك أنهم كانوا يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون؛ وعند ذلك تأمن الديار المصرية من قبل النيل.

وقال: وإنما واعدهم ذلك اليوم؛ ليكون علو كلمة الله، وظهور دينه، وكبت الكافر، وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد، وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في الحق، ويكل حد المبطلين وأشياعهم، يكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جمع أهل الوبر والمدر.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾.

أظهر القولين أن الإضافة في قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ مضمنة معنى العهد كالألف واللام. والمراد بآياتنا المعهودة لموسى كلها وهي التسع المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ [الإسراء: ١٠١] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ﴾ [النمل: ١٢] الآية. وقال

بعضهم: الآيات التسع المذكورة هي: العصا، واليد البيضاء، وفلق البحر، والحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، ونتق الجبل فوقهم كأنه ظلة. وقد قدمنا كلام أهل العلم في الآيات التسع في سورة «الإسراء». وقال بعض أهل العلم: العموم على ظاهره، وإن الله أرى فرعون جميع الآيات التي جاء بها موسى، والتي جاء بها غيره من الأنبياء، وذلك بأن عرفه موسى جميع معجزاته ومعجزات سائر الأنبياء. والأول هو الظاهر.

❁ ❁ ❁

سبب اختيار وقت الضحى للقاء

س: لماذا اختار موسى عليه السلام الضحى خاصة للالتقاء؟

ج: اختار عليه السلام وقت الضحى لأمور:

منها: دفع الالتباس والاشتباه الذي قد يكون في أوقات أُخر فالرؤيا واضحة فيه.

ومنها: أن عمل الشياطين التلبيس على الناس يكون أقلَّ في هذا الوقت فالشياطين تنتشر أوقات الظلمات، ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى: في شأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم رؤيته لجبريل عليه السلام ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ﴾ وهو اتجاه السماء ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المظهر الموضح للأشياء وهو اتجاه طلوع الشمس حيث تندفع الأوهام.

وايضًا من الأسباب أن اجتماع الناس وقت الضحى يوم العيد أكبر من اجتماع في وقت أخر والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تذكرة موسى عليه السلام للسحرة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم فانصرف فرعون من عند موسى عليه السلام بعد أن اتفق معه على الموعد والمكان الذي سيلتقي فيه موسى عليه السلام بالحرة فجمع فرعون ما استطاع أن يجمع من صنوف الكيد والمكر والاحتيال التي يكيد به لموسى عليه السلام فجمع السحرة ثم أتى بهم فذكَّرهم موسى عليه السلام وهكذا ينبغي أن يُذكِّر المعتدي المفتري قال لهم موسى عليه السلام ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ لا تقولوا كذبًا على الله ولا تختلقوا الكذب وتنسبوه إلى الله، ولا تعتقدوا أن لكم ربًا سوى الله عز وجل، فيهلككم الله بعذاب ويستأصلكم جميعًا، وقد خاب من كذب على الله وافترى عليه، فتشاوروا فيما بينهم وتجاذبوا الآراء والأقوال وتناجوا فيما بينهم سرًا قائلين لبعضهم ما هذان إلا ساحران يريديان أن يخرجاكم من بلادكم بما أتيا به من السحر فأراد أن يصرف وجوه الفضلاء إليها، وأراد أن يأخذا وجهاء القوم في صفوفهما، فقوله: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ على رأي الجمهور من المفسرين بوجهائكم وسادتكم وأصحاب رؤوس الأموال وقال كثير من العلماء إنهم بنوا إسرائيل فإنهم، وإن كان مُستذلين مستخدمني ممتهنين لكن كان عندهم أموال وكان لهم شرفٌ عظيم بنسبتهم إلى الأنبياء فيهم أحفاد الأنبياء، وكان الناس يعرفون لهم ذلك ويقرون لهم بذلك أما قوله المثلى فمعناه الذين هم أمثل القوم وأفضل القوم.

هذا ومن العلماء من ذهب إلى أن قوله ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ طريقتكم الحسنة في السحر فيسغلبكم موسى وهارون عليهما. وقد ورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول ولم يقل به.

أما قولهم: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ﴾ أي اعزموا أمركم وأحضروا ما استطعتم من السحر واتفقوا ولا تختلفوا بل كونوا متحدين وتعالوا في صفٍ واحدٍ لإرهاب خصمكم.

أما قوله ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ فمعناه وقد فاز بمطلوبه من علا وغلب، والله تعالى أعلى وأعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ يقول تعالى ذكره: فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحقّ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ يقول: فجمع مكره، وذلك جمعه سحرته بعد أخذه إياهم بتعلمه ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ يقول: ثم جاء للموعد الذي وعده موسى، وجاء بسحرته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يقول: لا تختلقوا على الله كذبا، ولا تتقوّلوه ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ﴾ فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ يقول: لم يظفر من يخلق كذبا، ويقول بكذبه ذلك بحاجته التي طلبها به، ورجا إدراكها به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فتنازع السحرة أمرهم بينهم.

وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض، ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ قال السحرة بينهم: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر.

وقال آخرون: بل هو أن بعضهم قال لبعض: ما هذا القول بقول ساحر.

وقوله: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأسرّوا السحرة المناجاة بينهم.

ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه، فقال بعضهم: هو قول بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا.

وأورد آثار منها أثر السدي بسندٍ حسن عنه

عن السدي: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ من دون موسى وهارون، قالوا في نجواهم ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ قالوا: إن هذان لساحران، يَعْنُونَ بقولهم: إن هذان موسى وهارون، لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما.

وقوله: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء

طرائق قومهم، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١] وهؤلاء نظائر قومهم.

وأما قوله: ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ فإنها تأنيث الأمثل، يقال للمؤنث، خذ المثلى منهما.

وفي المذكر: خذ الأمثل منهما، ووحدت المثلى، وهي صفة ونعت للجماعة، كما قيل: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ وقد يحتمل أن يكون المُثلى أنثت لتأنيث الطريقة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، من قولهم: فلان حسن الطريقة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ قال: يذهبا بالذي أنتم عليه، يغير ما أنتم عليه، وقرأ ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦] قال: هذا قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ وقال: يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة، فإذا غيرت ذهبت هذه الطريقة.

ولكن الطبري تعقب قول ابن زيد هذا فقال وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ وإن كان قولا له وجه يحتمله الكلام، فإن تأويل أهل التأويل خلافه، فلا أستجيز لذلك القول به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾.

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ بهمز الألف من ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾، ووجّهوا معنى ذلك إلى: فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه، من قولهم: أجمع فلان الخروج،

وأجمع على الخروج.

قال أبو جعفر: والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: أجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرّقا مما هو عنده، بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرّقا عندهم فيجمعونه، وأما قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ فغير شبيه المعنى بقوله: ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ﴾ وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا، فقيل: فتولى فرعون فجمع كيده.

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ﴾ يقول: احضروا وجيئوا صفا، والصفّ هاهنا مصدر، ولذلك وحد، ومعناه: ثم ائتوا صفوفا، وللصفّ في كلام العرب موضع آخر، وهو قول العرب: أتيت الصفّ اليوم، يعني به المصلى الذي يصلي فيه.

وقوله: ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ يقول: قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه لما تواعد هو بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إلى وقت ومكان معلومين، تولى، أي: شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته، كل من ينسب إلى سحر في ذلك الزمان. وقد كان السحر فيهم كثيرًا نافقًا جدًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يونس: ٧٩].

﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ أي: اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يتوكأ على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا، وهو يحرضهم ويحثهم، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه، وهو يعدهم ويمنيهم، فيقولون: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢].

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا تُخَيِّلُوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله، ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ أي: يهلككم بعقوبة هلاكًا لا بقية له، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ قيل: معناه: أنهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنما هذا كلام نبي. وقائل يقول: بل هو ساحر. وقيل غير ذلك، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ هذه لغة لبعض العرب، جاءت هذه القراءة على إعرابها، ومنهم من قرأ: «إنْ هَذَينِ لَسَاحِرَانِ» وهذه اللغة المشهورة، وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه.

والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أن هذا الرجل وأخاه -يعنون: موسى وهارون- ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس، وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.

وقوله: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي: ويستبدا بهذه الطريقة، وهي

السحر، فإنهم كانوا معظَّمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها، يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض، وتفردا بذلك، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم.

وقد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ يعني: ملكهم الذي هم فيه والعيش.

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ﴾ أي اجتمعوا كلكم صفًّا واحدًا، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتبهروا الأبصار، وتغلبوا هذا وأخاه، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ أي: منا ومنه، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل، وأما هو فينال الرياسة العظيمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ هذا من قول فرعون للسحرة؛ أي غرضهما إفساد دينكم الذي أنتم عليه؛ كما قال فرعون ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦]. ويقال فلان حسن الطريقة أي حسن المذهب. وقيل: طريقة القوم أفضل القول؛ وهذا الذي ينبغي أن يسلكوا طريقته ويقتدوا به؛ فالمعنى: ويذهبا بسادتكم ورؤسائكم؛ استمالة لهم. أو يذهبا ببني إسرائيل وهم الأماثل وإن كانوا خولا لكم لما يرجعون إليه من الانتساب إلى الأنبياء. أيذهبا بأهل طريقتكم فحذف المضاف. و﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ تأنيث الأمثل؛ كما يقال الأفضل والفضلى. وأنث الطريقة على اللفظ، وإن كان يراد بها الرجال. ويجوز أن يكون التأنيث على الجماعة. وقال الكسائي: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ بسنتكم وسمتكم. و﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ نعت كقولك امرأة كبرى. تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى

يعنون على الهدى المستقيم.

قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ الإجماع الإحكام والعزم على الشيء. تقول: أجمعت الخروج وعلى الخروج أي عزمت.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

وقوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ الظاهر: أن المراد بـ «كيده» ما جمعه من السحر ليغلب به موسى في زعمه وعليه فالمراد بقوله ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ هو جمعه في القرآن كيدًا؛ كقوله ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ الآية، وقوله تعالى عن السحرة: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ وكيدهم سحرهم. والثاني: أن الذي جمعه فرعون هو السحرة كما دلت عليه آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى في «الأعراف»: ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾. وقوله: ﴿حَٰشِرِينَ﴾ أي جامعين يجمعون السحرة من أطراف مملكته، وقوله في «الشعراء» ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ۝٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾، وقوله في «يونس»: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾.

❁ ❁ ❁

مشروعية تذكير المعتدين

س: يشرع تذكير المعتدين بالله ﷻ دلل على ذلك.

ج: من ذلك قول موسى عليه السلام للسحرة: ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ وقول مريم عليها السلام لجبريل عليه السلام لما تمثل لها بشرًا سويًا وما كانت تعرفه ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ وقول ابن آدم الأول المقتول لأخيه القاتل وذلك قبل قتله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقد قدمت شيئًا من ذلك في تقسيم الآيات المذكورة وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن السحرة قالوا لموسى عليه السلام لما حضروا للقاء مع موسى ﷺ أمام الجموع الغفيرة من البشر الذين أتوا للمشاهدة والنظر، وفي حضور فرعون وملئه، وبعد أن تشاوروا فيما بنيهم، قالوا لموسى عليه السلام يا موسى إما أن تلقي عصاك وإما أن نكون نحن الملقين أولًا، خيَّروا موسى عليه السلام فقال لهم موسى عليه السلام بل ألقوا عصيّكم وحبالكم وما معكم، فألقوها وجاءوا بسحرٍ عظيم سحروا به أعين الناس وأخافوهم واسترهبوهم، وخيِّل إلى موسى عليه السلام من شدة هذا السحر الذي أتى به هؤلاء السحرة أنها أي العصى والحبال التي ألقوها أنها تسعى تتحرك وتضطرب حقيقة، وماذالا إلى

تخييل، فتسرب الخوف إلى موسى ﷺ فوجد موسى في نفسه خوفًا وأحس به وتسرب إليه ما تسرب إلى البشر من الأمور التي جُبل عليه البشر، وقيل خاف أن يتفرق الناس قبل أن يُلقي عصاه، فأوحى الله ﷻ إليه لا تخف إنك أنت الأعلى، إنك أنت الغالب لهم في الدنيا، والأعلى منزلة يوم القيامة وألق العصا التي في يمينك تلتهم وتبتلع وبسرعة ما أتى به هؤلاء السحرة إن الذي صنعوه إنما هو باطل وخداع وتمويه من أعمال السحرة ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ ولا يفوز بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبة في أي مكان كان فعند ذلك ولم رأى السحرة ما رأوه من هذه المعجزة الهائلة والآية العظيمة، خروا لله ﷻ سجدًا لما علموه من الحق، ولما شاهده من عظيم الآيات، قالوا مُقرِّين مصرين متبعين آمنا برب هارون وموسى.

فكان عما قليل سحرة كفرة، فتحولوا في لحظات إلى كرامٍ أتقياء بررة. فسبحان من مقلب القلوب والأبصار.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأجمعت السحرة كيدهم، ثم أتوا صفا فقالوا لموسى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ٦٥﴾ وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

وأورد الطبري اختلافًا في عدد السحرة بما لا طائلا تحته ولا دليل عليه ثم قال:

وذلك أن معنى الكلام: اختر يا موسى أحد هذين الأمرين: إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نكون أوّل من ألقى، ولو قال قائل: هو رفع، كان مذهبا، كأنه

وجَّهه إلى أنه خبر، كقول القائل:

فَسِـيرَا فإمَّـا حاجَـةٌ تَقْضِـيانها   وإمَّـا مَقِيـل صَـالِحٌ وصَـدِيقُ

وقوله: ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي. وقوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾، وفي هذا الكلام متروك، وهو: فألقوا ما معهم من الحبال والعصيّ، فإذا حبالهم، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه، وذُكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيل حينئذ إلى موسى أنها تسعى.

يعني تعالى ذكره بقوله: فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده.

وقوله: ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾ يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾ على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ يقول: وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى.

وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى: إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سِحۡرٖ﴾ برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذي صنعوه كيد سحر.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلاف ما هو به في حقيقته،

فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييل، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب، وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ﴿ كَيْدَ سِحْرٍ﴾ بنصب كيد ، ومن قرأ ذلك كذلك، جعل إنما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد.

قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها.

وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ يقول: ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان. وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول: معنى ذلك: أن الساحر يُقتل حيث وُجد. وذكر بعض نحويي البصرة، أن ذلك في حرف ابن مسعود ﴿ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أَيْنَ أَتَى﴾ وقال: العرب تقول: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، وقال غيره من أهل العربية الأول: جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال: وأما قول العرب: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، فإنما هو جواب لم يفهم، فاستفهم كما قالوا: أين الماء والعشب.

وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو: فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحوّل ثعبانا، فالتقم كلّ ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن السحرة حين توافقوا هم وموسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنهم قالوا لموسى: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ ﴾ أي: أنت أولا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ﴾ أي: أنتم أولا ليُرى ماذا تصنعون من السحر، وليظهر للناس جلية أمرهم، ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾. وفي الآية الأخرى أنهم لما

ألقـوا ﴿ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشـعراء: ٤٤] وقـال تعـالى: ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعـراف: ١١٦]، وقال هاهنا ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾.

وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جمًّا غفيرًا وجمعًا كبيرًا فألقى كل منهم عصا وحبلا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضًا.

وقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ أي خاف على الناس أن يَفْتَتِنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ ﴾ يعني: عصاه، فإذا هي ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ﴾ وذلك أنها صارت تِنِّينًا عظيما هائلا ذا عيون وقوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئًا إلا تلقفته وابتلعته، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانًا جَهْرة، نهارًا ضحوة. فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وبطل ما كانوا يعملون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾.

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سُجَّدًا لله وقالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٧، ٤٨].

ولهذا قال ابن عباس، وعُبَيد بن عُمَير: كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر

النهار شهداء بررة.

إيمان السحرة وثباتهم

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ
قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ
لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن
تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

[طه: ٧١-٧٦].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ - مِّنۡ خِلَٰفٖ - وَأَبۡقَىٰ - نُّؤۡثِرَكَ - ٱلۡبَيِّنَٰتِ - فَطَرَنَا - فَٱقۡضِ - خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ - يَأۡتِ - رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا - جَنَّٰتُ عَدۡنٖ - تَزَكَّىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾	صدقتموه واتبعتموه وأقررتموه على ما دعاكم إليه وجاءكم به
﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾	المراد قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو قطع اليد اليسرى مع الرجل اليمنى
﴿وَأَبۡقَىٰ﴾	أدوم عذابًا
﴿نُّؤۡثِرَكَ﴾	نفضلك ونعبدك ونفضل عبادتك
﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	الحجج الواضحات والدلائل النيرات والمعجزات الباهرات
﴿فَطَرَنَا﴾	خلقنا لأول مرة
﴿فَٱقۡضِ﴾	فافعل - فاصنع - فاحكم
﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	أدوم ثوابًا وأبقى ثوابًا (أو أدوم عذابًا لمن كفر) أي عذابه أبقى وأدوم، وكذلك ثوابه أدوم وأبقى إن أثاب وكافأ
﴿يَأۡتِ﴾	يبعث يوم القيامة

﴿مُجۡرِمٗا﴾	اجترم الكفر فجاء كافرًا
﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾	حدائق وبساتين للأقامة
﴿تَزَكَّىٰ﴾	تطهر من الذنوب والكفر والآثام وآمن

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أنه فرعون لعنه الله لما ظهر له من أمر الله ما ظهر وآمن سحرته وخروا لله سجدًا وقال مصدقين بنبوة موسى عليه السلام ورسالته وكذا رسالة أخيه هارون ونبوته وقالوا لفرعون وأمام الملأ جميعًا آمنا برب هارون وموسى، توعدهم فرعون أشد التوعد وهددهم أشد تهديد قائلًا ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ صدقتم به واتبعتموه قبل أن ﴿ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قبل أن أُعطيكم الإذن بالإيمان وكأن عدو الله هو المتسلط على القلوب، وأنى له ذلك؟! وهؤلاء عليك أمر نفسه ولا أمر زوجته ثم بدأ يتهمهم اتهامات باطلة كقوله ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ لعظيمكم ورئيسكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، وما كان موسى عليه السلام قد التقى بهم قبل هذا المجلس وقبل تلك الواقعة، ثم استمر فرعون مُهددًا متوعدًا فقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ أي لأقطعن اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى وليس هذا فقطن بل ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي على جذوع النخل، قيل أن حروف الجر تتناوب فتأتي (في) بمعنى (على) و(عن) بمعنى (بـ) وهكذا كما في قوله تعالى ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ على قول للمفسرين ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ وقيل فسأل خبيرا به وهو رسول الله ارجع فأقول، وقال بعض المفسرين من شدة الصلب كأنه أدخلهم في جذوع النخل ثم قال ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيضًا السحرة ﴿أَيُّنَآ﴾ أنا أم موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا﴾ في

الدنيا ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أدوم عذابًا فيها فعندها قال السحرة مقالتهم التي سُطرت في صحائف أعمالهم، وسجلت بعد في التأريخ، وفي قرآن يتلى إلى يوم الدين ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ ﴾ لن نفضلك ونفضل عبادتك واتباعك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ على الحجج الواضحات والدلالات النيرات والمعجزات الباهرات، وتلك التي أتانا بها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من عند ربه ﷻ أما قولهم ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ فيحتمل أن يكون معناه، ولن نؤثرك على الذي فطرنا وهو الله أي ولن نفضلك على الله ﷻ الذي خلقنا أول مرة ولن نفضل عبادتك على عبادته ﷻ.

ويحتمل معنى آخر، وهو أنهم أقسموا بالذي فطرهم.

أما قولهم ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي أحكم بالذي أنت به حاكم في هذه الحياة الدنيا.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ صدقنا بالله ﷻ خالقنا وربنا وإلهنا ولن يفيد غيره ﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ ليمحو عنا الجرائم والشرك والكفر الذي كنا فيه وكذا ليغفر لنا السحر الذي أمرتنا بتعلمه

والله ﷻ ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ الله خيرق منك وعبادته خيرٌ من عبادتك وطاعته خير من طاعتك وثوابه خيرٌ من ثوابك () فهو حي لا يموت وأنت تموت، وثوابه أبقى وأدوم من ثوابك وكذا إذا عاقب فعقوبته أدوم من عقوبة غيره.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقال فرعون للسحرة: أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم

﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ يقول: إن موسى لعظيمكم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾.

وقوله: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ يقول: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليدين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعا من خلاف، وكان فيما ذُكر أوّل من فعل ذلك فرعون، وقد ذكرنا الرواية بذلك. وقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ يقول: ولأصلبنكم على جذوع النخل، كما قال الشاعر:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ ... فَـلا عَطَسَـتْ شَـيْبان إلا بأجْـدَعا

يعني على، جذع نخلة، وإنما قيل: في جذوع، لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صلب عليها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا، وآمنوا عند ذلك، قال عدو الله ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾... الآية.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي، قال فرعون: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ فقتلهم وقطعهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ وقال: كانوا في أوّل النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

وقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ يقول: ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا أشدّ عذابا لكم، وأدوم، أنا أو موسى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ

﴿مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾

يقول تعالى ذكره: قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ فنتبعك ونكذب من أجلك موسى ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ يقول: قالوا: لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات، وعلى الذي فطرنا، ويعني بقوله: ﴿فَطَرَنَاۖ﴾ خلقنا، فالذي من قوله: ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ خفض على قوله: ﴿مَا جَآءَنَا﴾ وقد يحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ خفضا على القسم، فيكون معنى الكلام: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله، وقوله: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ يقول: فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾ يقول: إنما تقدر أن تعذّبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أقررنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعده ووعيده، وأن ما جاء به موسى حق ﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ يقول: ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ يقول: ليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلّمه والعمل به ، وذُكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ قال: أمرهم بتعلم السحر، قال: تركوا كتاب الله، وأمروا قومهم بتعليم السحر.

﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ قال: أمرتنا أن نتعلمه.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ يقول: والله خير منك يا فرعون جزاء لمن

أطاعه، وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل، حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغُلِب كل الغلب -شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة، فتهددهم وأوعدهم وقال ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ ﴾ أي: صدقتموه ﴿ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ أي: وما أمرتكم بذلك، وافتتم عليّ في ذلك. وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بَهْت وكذب: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى، واتفقتم أنتم وإياه عليّ وعلى رعيتي، لتظهروه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

ثم أخذ يتهددهم فقال: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم.

قال ابن عباس: فكان أول من فعل ذلك. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ أي أنتم تقولون: إني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى. فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه.

فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم، هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل، و ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين. ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ يحتمل أن يكون قسمًا، ويحتمل أن يكون معطوفًا على البينات.

يعنون: لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت.

﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ أي: فافعل ما شئت وما وَصَلَت إليه يدك، ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ ﴾ أي: إنما لك تَسَلُّط في هذه الدار، وهي دار الزَّوال ونحن قد رغبنا في دار القرار.

﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴾ أي: ما كان منا من الآثام، خصوصًا ما أكرهتنا عليه من السحر لنعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه.

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ ﴾ أي: خير لنا منك ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: أدوم ثوابًا مما كنت وعدتنا ومنيتنا. وهو رواية عن ابن إسحاق، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال محمد بن كعب القُرَظي: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ ﴾ أي: لنا منك إن أطيع، ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: منك عذابًا إن عُصِيَ.

وروي نحوه عن ابن إسحاق أيضًا:

والظاهر أن فرعون -لعنه الله- صمم على ذلك وفعله بهم، رحمهم الله؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة، وأمسَوْا شهداء.

❁ ❁ ❁

لا تسلط لأحدٍ على القلوب إلا اللّه.

س: ليس لأحدٍ تسلطٌ على القلوب دلل على ذلك من قصة فرعون مع السحرة.

ج: دليل ذلك أن فرعون مع قوته وجبروته وتهديده الشديد لم يستطع أن يغير سحرته الذين آمنوا فمع توعده لهم وقول ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ لم يتغيروا لم يتأثروا بل ازدادوا ثباتا بقولهم ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

وأيضًا ففرعون مع ما هو فيه لم يستطع أن يحوَّل زوجته عن الإيمان إلى الكفر، بل ضرب إليه ﷻ مثلًا للمؤمنات.

❁ ❁ ❁

س: هل كان السحرة مكرهين على السحر؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأن قال إن فرعون كان قد أرسل بعض الغلمان لتعلم السحر وأكرمهم على ذلك.

وقال بعض العلماء إن أكرهتنا المراد بها هنا أمرتنا أن نأتي من السحر، وألزمتنا به.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾ «آية ٧٣»

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن فرعون لعنة الله لما قال للسحرة ما قال لما آمنوا، قالوا له: ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴾ يعنون ذنوبهم السالفة كالكفر وغيره من المعاصي ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ ﴾ أي ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر. وهذا الذي ذكره عنهم هنا أشار له في غير هذا الموضع.

كقولـه تعـالى في « الشـعـراء » عـنهم: ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١ ﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١] ، وقوله عنهم في «الأعراف»: ﴿ رَبَّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦ ﴾ [الأعـــراف: ١٢٦]. وفي آيـــة «طه» هذه سؤال معروف ، وهو أن يقال: قولهم ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ ﴾ يـدل على أنه أكرههم عليه ، مع أنه دلت آيات أخر على أنهم فعلوه طائعين غير مكرهين ، كقوله في « طه »: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝٦٣ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ۝٦٤ ﴾ [طه: ٦٢-٦٤]. فقولهم: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ ﴾ صريح في أنهم غير مكرهين.

وكذلك قوله عنهم في «الشعراء»: ﴿ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٢ ﴾ [الشعراء: ٤١-٤٢] ، وقوله في « الأعراف »: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝١١٤ ﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤] فتلك الآيات تدل على أنهم غير مكرهين.

وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة معروفة:

(منها): أنه أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم ، فلما أكرهوا على القدوم وأمروا بالسحر أتوه طائعين ، فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر ، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر ، فانفكت الجهة وبذلك ينتفي التعارض ، ويدل لهذا قوله: ﴿ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ ﴾ [الشعراء: ٣٦] ، وقوله: ﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ ﴾ [الأعراف: ١١١].

(ومنها): أنه كان يكرههم على تعليم أولادهم السحر في حال صغرهم ، وأن ذلك هو مرادهم بإكراههم على السحر. ولا ينافي ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا

من السحر بعد تعلمهم وكبرهم طائعين.

(ومنها): أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً: ففعل فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر الساحر! لأن الساحر إذا نام بطل سحره. فأبى إلا أن يعارض، وألزمهم بذلك. فلما لم يجدوا بداً من ذلك فعلوه طائعين. وأظهرها عندي الأول، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: في هذه الآيات السابقة ما يدل على أن الإيمان لابد معه من العلم الصالح دلل على ذلك.

ج: إيضاحه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾.

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل نفذ فرعون ما توعد به السحرة.

ج: الله أعلم بذلكن فهل سلموا مع موسى عليه السلام بعد أن أعرف الله ﷻ فرعون وآله أم أنهم أمسوا شهداء كما قال بعض أهل العلم كانوا أول النهار سحرة، فأصبحوا آخره شهداء بررة.

❁ ❁ ❁

س: هل قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ قول السحرة أم أنه قول الله ﷻ.

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان.

أحدهما: أنه قول الله ﷻ، وقد انتهى كلام السحرة المؤمنون عند قولهم:

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾.

الثاني: أنه استمرار لقول السحرة، والقول الأول أظهر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾.

ج: والمعنى والله أعلم أنه من يلقى ربَّه ﷻ يوم القيامة وقد اجترم الكفر والشرك فإنه له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، فلا هو مات واستراح، ولا هو يحيى الحياة الهادئة بل هو في عذاب مقيم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ ومن يأته مؤمنًا وصاحب الإيمان بالعمل الصالح فأولئك لهم الدرجات العلى في الجنان، التي هي ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ بساتين وحدائق للإقامة الدائمة تجري من تحت أشجارها الأنهار أنهار اللبن أنها الخمر وأنهار العسل وأنهار الماء ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ ماكثين فيها لا يتحولون عنها، وذلك جزاء من تطهر من.....والكفر والجرائم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ﴾ من خلقه ﴿مُجۡرِمٗا﴾ يقول: مكتسبا الكفر به، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ يقول: فإن له جهنم مأوى ومسكنا، جزاء له على كفره ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فتخرج نفسه ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا﴾ موحدا لا يُشرك به ﴿قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: قد عمل ما أمره به ربه، وانتهى عما نهاه عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ يقول: فأولئك الذين لهم درجات

الجنة العلى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات، فأولئك لهم الدرجات العلى. ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي، فقال: هن ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ يعني: جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير غاية محدودة؛ فالجنات من قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ مرفوعة بالردّ على الدرجات.

وقوله: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾ يقول: وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف ﷻ ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ قيل هو من قول السحرة لما آمنوا. وقيل ابتداء كلام من الله عز وجل. والكناية في ﴿إِنَّهُۥ﴾ ترجع إلى الأمر والشأن. ويجوز إن من يأت، ومنه قول الشاعر:

إن من يدخل الكنيسة يوما ... يلق فيها جآذرا وظباء

أراد إنه من يدخل؛ أي أن الأمر هذا؛ أن المجرم يدخل النار، والمؤمن يدخل الجنة. والمجرم الكافر. وقيل: الذي يقترف المعاصي ويكتسبها. والأول أشبه؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ وهذه صفة الكافر المكذب الجاحد - على ما تقدم بيانه في سورة «النساء» وغيرها - فلا ينتفع

بحياته ولا يستريح بموته. قال الشاعر:

ألا من لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

وقيل: نفس الكافر معلقة في حنجرته أخبر الله تعالى عنه فلا يموت بفراقها، ولا يحيا باستقرارها. ومعنى ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ من يأت موعد ربه. ومعنى ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ أي يمت عليه ويوافيه مصدقا به. ﴿قَدْ عَمِلَ﴾ أي وقد عمل ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي الطاعات وما أمر به ونهى عنه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ أي الرفيعة التي قصرت دونها الصفات. ودل قوله: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ على أن المراد بالمجرم المشرك.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بيان للدرجات وبدل منها، والعدن الإقامة. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي من تحت غرفها وسررها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من الخمر والعسل واللبن والماء. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين دائمين. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ أي من تطهر من الكفر والمعاصي. ومن قال هذا من قول السحرة قال: لعل السحرة سمعوه من موسى أو من بني إسرائيل إذ كان فيهم بمصر أقوام، وكان فيهم أيضا المؤمن من آل فرعون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد، فقالوا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ أي: يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ كقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١١-١٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟

يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وأورد ما أخرجه أحمد ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس تصيبهم النار بذنوبهم، فتميتهم إماتة، حتى إذا صاروا فحمًا، أذن في الشفاعة، جيء بهم ضبائر، ضبائر، فبُثُّوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**». فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية.

وقوله: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ أي: ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب، قد صدق ضميره بقوله وعمله، ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ أي: الجنة ذات الدرجات العاليات، والغرف الآمنات، والمساكن الطيبات.

وقوله: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ ﴾ أي: إقامة وهو بدل من الدرجات العلى، ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ﴾ أي: ماكثين أبدا، ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خَبَر وطلب.

❁ ❁ ❁

س: ذكر م يدل على أن الجنة درجات؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [طه: ٧٥، ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ فهنالك تفاوت بين المقربين

وأصحاب اليمين.

وقوله صلى الله عليه وسلم «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»

وفي الصحيحين: «**إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء؛ لتفاضل ما بينهم**». قالوا: يا رسول الله؛ تلك منازل الأنبياء. قال: وفي السنن: وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا
تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ
٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ
وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ
هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾

[طه: ٧٧-٨٢].

وضح معنى ما يلي:

﴿أَسْرِ بِعِبَادِي - فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا - دَرَكًا - وَلَا تَخْشَىٰ - فَغَشِيَهُم - ٱلْيَمِّ - وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ - ٱلْمَنَّ - وَٱلسَّلْوَىٰ - وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ - يَحِلَّ - هَوَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾	اخرج بعبادي دليلًا من البلاد وسافر بهم
﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾	فاضرب البحر بعصاك تشق بهم فيه طريقًا يابسًا لا بلل فيه ولا طين
﴿دَرَكًا﴾	إدراكًا- أن يدركك عدوك
﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾	لا تخاف
﴿فَغَشِيَهُم﴾	فغطاهم وحلَّ بهم وأصابهم
﴿ٱلْيَمِّ﴾	البحر
﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ﴾	ابتعد بهم عن طريق الحق والصواب
﴿ٱلْمَنَّ﴾	شيء يشبه العسل كان ينزل على ورق الشجر شهيٌ في طعمه وجميل
﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾	طائر يشبه السمان
﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾	لا تتجاوز الحد في الأكل، ولا تجاوز الحد في الظلم
﴿يَحِلَّ﴾	ينزل
﴿هَوَىٰ﴾	سقط في الهاوية وهي النار

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد أوحينا إلى موسى عليه السلام أن أخرج بعبادي الذين هم بنو إسرائيل، اخرج بهم من مصر فإن فرعون وقومه سيتبعوكم فاخرج بعبادي وإذا وصلت إلى البحر، ولم لكن أمامك إلا أن تدرك من فرعون أو تقتحم أنت ومن معك البحر، فاضرب البحر بعصاك ينشق لك البحر وينفلق ويكون فيه طريقٌ يابسٌ بإذن الله فاقتحم الطريق الذي يسره الله لك بضرب البحر بعصاك اقتحم الطريق أنت ومن معك لا تخشى الفرق ولا تخف من ادراك فرعون لك ففعل موسى عليه السلام ما أمره الله عز وجل به وسلك الطريق الذي يسره الله له وأوجده الله له في البحر، فاقتحم فرعون أيضًا هذا الطريق، وسلَّم الله موسى عليه السلام ومن معه والتئم البحر على فرعون ومن معه فحل بهم من عذاب الله في البحر ما حلَّ، ونزل بهم ما نزل وصرف فرعون قومه عن طريق الحق وأغواهم وما هداهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ﴾ نبينا ﴿مُوسَىٰٓ﴾ إذ تابعنا له الحجج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطغى وتمادى في طغيانه ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ ليلا ﴿بِعِبَادِى﴾ يعني بعبادي من بني إسرائيل،

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا، واليَبَس واليَبْس: يجمع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض، واليَبْس

المخفف: يجمع يبوس.

وأما قوله: ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووَحَلا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ يقول: لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده في اليم ما غشيهم، فغرقوا جميعا ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا أنه أمر موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل، أن يسري بهم في الليل، ويذهب بهم من قبضة فرعون. وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة. وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب، فغضب فرعون غضبًا شديدًا وأرسل في المدائن حاشرين، أي من يجمعون له الجند من بلدانه

ورَسَاتيقه، يقول: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٤ ، ٥٥] ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه، ساق في طلبهم ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٠] أي: عند طلوع الشمس ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ أي: نظر كل من الفريقين إلى الآخر ﴿ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ ، ٦٢] ، ووقف موسى ببني إسرائيل، البحر أمامهم، وفرعون وراءهم، فعند ذلك أوحى الله إليه أن ﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا ﴾ فضرب البحر بعصاه، وقال: «انفلق بإذن الله» ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي: الجبل العظيم. فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض؛ فلهذا قال: ﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا ﴾ أي: من فرعون، ﴿ وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ يعني: من البحر أن يغرق قومك.

ثم قال تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ ﴾ أي: البحر ﴿ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ ﴾ أي: الذي هو معروف ومشهور. وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النجم: ٥٣ ، ٥٤] ، وكما قال الشاعر:

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي

أي: الذي يعرف، وهو مشهور.

وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك ﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [هود: ٩٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ﴾.

ج: هذا والله أعلم امتنان من الله ﷻ على بني إسرائيل بما أنعم عليهم، وتكليف لهم وحث على الطاعة والإنابة والرجوع إلى الله فيقول تعالى ذكره يا بني إسرائيل وهم نسلُ يعقوب عليه السلام، ومنهم موسى عليه السلام، وبنو اسرائيل الذين معه، فيذكرهم الله بنعمه قائلاً ﴿قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾ قد سلمناكم وحفظناكم ﴿مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ الذي هو فرعون وقومه ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾ أعطينا موسى عليه السلام ومعه بعض بني إسرائيل موعدًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ ﴾ وقال بعض العلماء إن المواعدة كانت لموسى عليه السلام وحده لإنزال التوراة عليه، ولما كان إنزال التوراة إنما هو لأهل بني اسرائيل أطلقت المواعدة وكانت عامةً بقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾

أما قوله جانب الطور الآية فالمراد الجانب الأيمن من الطور، طور سيناء.

وقوله ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ﴾ وهو شيء يشبه العسل في الطعم كان ينزل على ورق الشجرن وقيل المن هو طعام أخرجه الله لبني اسرائيل وهم في التيه بدون تعبٍ منهم ولا مشقة، أما السلوى بأنها طائر يشبه السمان وقد تقدم الكلام على كل ذلك في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ﴾ كلو من الحلال الطيب الذي رزقكم الله إياه، ولا تتجاوز الحد فيه، وقيل المراد لا تسرفوا كما قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ وقيل لا يبغي بعضكم على بعض فيه ولا يظلم بعضكم بعضًا، ولا تعصوا ربكم ولا تكفروا النعم فإنكم

أن منعتم فقد حلَّ عليكم غضب وترك بكم ومن ينزل عليه غضبي فقد هلك وسقط فإن النار هاويًا فيها ووصل إلى قومها ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَءَامَنَ﴾ وعبد الله وحده لا شريك له واستقام على العمل الصالح وسلك سبيل الهداية وأقام على ذلك حتى مات.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ لما أنجاهم من فرعون قال لهم هذا ليشكروا. ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ ﴿جَانِبَ﴾ نصب على المفعول الثاني لـ«واعدنا» ولا يحسن أن ينتصب على الظرف؛ لأنه ظرف مكان غير مبهم. وإنما تتعدى الأفعال والمصادر إلى ظروف المكان بغير حرف جر إذا كانت مبهمة. قال مكي هذا أصل لا خلاف فيه؛ وتقدير الآية. وواعدناكم إتيان جانب الطور؛ ثم حذف المضاف. قال النحاس: أي أمرنا موسى أن يأمركم بالخروج معه ليكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام. وقيل: وعد موسى بعد إغراق فرعون أن يأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة، فالوعد كان لموسى ولكن خوطبوا به لأن الوعد كان لأجلهم. وقرأ أبو عمرو «ووعدناكم» بغير ألف واختاره أبو عبيد؛ لأن الوعد إنما هو من الله تعالى لموسى خاصة، والمواعدة لا تكون إلا من اثنين. و«الأيمن» نصب؛ لأنه نعت للجانب وليس للجبل يمين ولا شمال، فإذا قيل: خذ عن يمين الجبل فمعناه خذ على يمينك من الجبل. وكان الجبل على يمين موسى إذ أتاه. ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠﴾ أي في التيه وقد تقدم القول فيه. ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي من لذيذ الرزق. وقيل: إذ لا صنع فيه لآدمي فتدخله شبهة. ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ أي لا تحملنكم السعة والعافية أن تعصوا؛ لأن الطغيان التجاوز إلى ما لا

يجوز. وقيل: المعنى؛ أي لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم. وقيل: أي ولا تستبدلوا بها شيئا أخر كما قال: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] وقيل: لا تدخروا منه لأكثر من يوم وليله؛ قال ابن عباس: فيتدود عليه ما ادخروه؛ ولولا ذلك ما تدود طعام أبدا. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ أي يجب وينزل.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما نجا موسى بقومه من البحر، وغشي فرعون قومه من اليم ما غشيهم، قلنا لقوم موسى ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن.

وقوله: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لهم: كلوا يا بني إسرائيل من شهيات رزقنا الذي رزقناكم، وحلاله الذي طيبناه لكم ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ يقول: ولا تعتدوا فيه، ولا يظلم فيه بعضكم بعضا.

وقوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ يقول: فينزل عليكم عقوبتي.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة قوله ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ يقول: فينزل عليكم غضبي.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يجب عليه غضبي، فينزل به. فقد هوى، يقول فقد تردّى فشقي.

وقوله: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ يقول: وإني لذو غفر لمن تاب من شركه،

فرجع منه إلى الإيمان لي ﴿وَءَامَنَ﴾ يقول: وأخلص لي الألوهة، ولم يشرك في عبادته إياي غيري. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يقول: وأدّى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنب معاصي ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ يقول: ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئا منه.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ فقال بعضهم: معناه لم يشكُك في إيمانه وقال آخرين: ثم استقام.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم لزم الإيمان والعمل الصالح.

وقال آخرون: بل معناه أصحاب العمل.

وقاله آخرون: بل معناه عرف أمر مُثيبه

قال أبو جعفر: إنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شكّ في اهتدائه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل العظام، ومننه الجسام، حيث نَجَّاهم من عدوهم فرعون، وأقر أعينهم منه، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة، لم ينج منهم أحد، كما قال: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة: ٥٠].

ثم إنه تعالى واعد موسى وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن، وهو الذي كلمه تعالى عليه، وسأل فيه الرؤية، وأعطاه التوراة هناك. وفي غُضُون ذلك عَبَدَ بنو إسرائيل العجل، كما يقصه تعالى قريبا.

وأما المن والسلوى، فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة «البقرة» وغيرها. فالمن: حلوى كانت تنزل عليه من السماء. والسّلوى: طائر يسقط عليهم، فيأخذون من كل، قدر الحاجة إلى الغد، لطفًا من الله ورحمة بهم، وإحسانًا إليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي ﴾ أي: كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم، ولا تطغوا في رزقي، فتأخذوه من غير حاجة، وتخالفوا ما آمركم به، ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ أي: أغضب عليكم ﴿ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي: فقد شقي.

وقال شُفَيّ بن ماتع: إن في جهنم قصرًا يُرمى الكافر من أعلاه، فيهوي في جهنم أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال، وذلك قوله: ﴿ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: كل من تاب إليّ تبتُ عليه من أي ذنب كان، حتى إنه تعالى تاب على من عبد العجل من بني إسرائيل.

وقوله: ﴿ تَابَ ﴾ أي: رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو نفاق أو معصية.

وقوله: ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي: بقلبه ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ أي: بجوارحه.

وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي ثم لم يشكك.

❁ ❁ ❁

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ
إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥
فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا
حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن
زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ
خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ
قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩ ﴾

[طه: ٨٣-٨٩].

س: وضح معنى ما يلي:
﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ - أُوْلَآءِ - عَلَىٰٓ أَثَرِي - لِتَرۡضَىٰ - فَتَنَّا - وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ - أَسِفٗا - أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ - بِمَلۡكِنَا - أَوۡزَارٗا - فَقَذَفۡنَٰهَا - أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ - جَسَدٗا - خُوَارٞ - أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾	وما حملك على أن تأتي مستعجلًا سابقًا قومك
﴿أُوْلَآءِ﴾	هؤلاء
﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾	من خلفي – يأتون بعدي
﴿لِتَرۡضَىٰ﴾	لترضى عني – لأرضيك عني
﴿فَتَنَّا﴾	ابتلينا – اختبرنا
﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾	صرفهم عن عبادة الله إلى عبادة العجل أوقعهم في الضلال
﴿أَسِفٗا﴾	حزينا
﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ ﴾	أفتأخر وعد الله الذي وعدكم إياه....زمن طويل على نعم الله عليكم حتى نسيتموها
﴿بِمَلۡكِنَا﴾	بقدرتنا – بطاقتنا – بأمرنا بهوانا
﴿جَسَدٗا﴾	مُجسدًا في صورة عجل
﴿خُوَارٞ﴾	صوت البقر

﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾	لا يجيبهم

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أن الله جلَّ ذِكره يقول لموسى عليه السلام وكان قدرا عدة أن يأتيه مع قومه بعد أربعين ليلة إذ الله قال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربِّه أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في كومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين.

فالحاصل أن موسى صلى الله عليه وسلم تقدم قومه فسأله ربُّه عز وجل وما أعجلك عن قومك يا موسى ما الذي جعل تسبقهم ولا تأتي بهم فقال عليه السلام هم أولاء على أثري إنهم هؤلاء يسيرون خلفي، وأنا قد تقدمتهم يا رب لترضي عني فجئت قبلهم طلبًا لمرضاتك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ ﴾ وأي شيء أعجلك ﴿ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ فتقدمتهم وخلفتهم وراءك، ولم تكن معهم

﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ يقول: قومي على أثري يلحقون بي ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ يقول وعجلت أنا فسبقتهم ربّ كيما ترضى عني.

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى: ما أعجلك عن قومك، لأنه جلّ ثناؤه، فيما بلغنا، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه، وقطع بهم البحر، وعدهم جانب الطور الأيمن، فتعجل موسى إلى ربه، وأقام هارون في بني إسرائيل يسير بهم على أثر موسى.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما سار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون، وافوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨، ١٣٩] وواعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها له عشرًا، فتمت له أربعين ليلة، أي: يصومها ليلا ونهارًا. وقد تقدم في حديث «الفتون» بيان ذلك. فسارع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مبادرًا إلى الطور، واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ أي: قادمون ينزلون قريبًا من الطور، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ أي: لتزداد عني رضا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ أي ما حملك على أن تسبقهم. قيل: عنى بالقوم جميع بني إسرائيل؛ فعلى هذا قيل: استخلف هارون على بني إسرائيل، وخرج معه بسبعين رجلا للميقات فقوله: ﴿ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ ليس يريد أنهم يسيرون خلفه متوجهين إليه، بل أراد أنهم بالقرب مني ينتظرون عودي إليهم. وقيل: لا بل كان أمر هارون بأن يتبع في بني إسرائيل أثره ويلتحقوا به. وقال قوم: أراد بالقوم السبعين الذين اختارهم، وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقا إلى سماع كلام الله.

وأورد أقوالًا أُخر ثم قال:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ أعجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه لترضى عني. يقال: رجل عجل وعجل وعجول وعجلان بين العجلة؛ والعجلة خلاف البطء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾.

ج: يقول الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿قَوْمَكَ﴾ بني اسرائيل ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ من بعد خروجك عنهم وحجتك إلينا ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وأوقعهم السامري في الضلال والكفر وصرفهم عن عبادة الله عز وجل إلى عبادة العجل، فعندها رجع موسى عليه السلام إلى قومه من بني اسرائيل غضبان حزكينا قائلًا لهم ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ وذلك منه قوله تعالى ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ وكذا وعده لهم تبصرة وتأييده وسائر الوعود التي وعدهم الله بها ومنها ما تحقق أما أعينهم.

أما قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي أتأخر عليكم إنجاز الله عز وجل للوعد الذي وعدكم إياه، كلا بل إن الله عز وجل أكرمكم وأغرق عدوكم، وأنجز لكم ما وعدكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلًا إجراميًا بسببه يحيل عليكم غضب من الله عز وجل وينزل بكم عذاب بسببه

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى: فإنا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى.

ويعني بقوله: ﴿ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾ من بعد فراقك إياهم يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾.

وكان إضلال السامريّ إياهم دعاءه إياهم إلى عبادة العجل.

وقوله: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ يقول: فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة ﴿ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ متغيظا على قومه، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله.

وقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ ﴾ يقول: ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى، ويعدكم جانب الطور الأيمن، وينزل عليكم المنّ والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بني إسرائيل الذي قال لهم موسى: ألم يعدكموه ربكم، وقوله: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾ يقول: أفطال عليكم العهد بي، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم، أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم: يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم موعدي. وكان إخلافهم موعده، عكوفهم على العجل، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى ﴿ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل، وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري. وفي الكتب الإسرائيلية: أنه كان اسمه هارون أيضًا، وكتب الله تعالى له في هذه المدة الألواح المتضمنة للتوراة، كما

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أي: عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري.

وقوله: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ ﴾ أي: بعد ما أخبره تعالى بذلك، في غاية الغضب والحَنَق عليهم، هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم، وتَسَلّم التوراة التي فيها شريعتهم، وفيها شرف لهم. وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يَعْلَمُ كل عاقل له لب [وحزم] بطلان [ما هم فيه] وسخافة عقولهم وأذهانهم؛ ولهذا رجع إليهم غضبان أسفًا، والأسف: شدة الغضب.

وقال مجاهد: ﴿ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ ﴾ أي: جزعًا. وقال قتادة، والسدي: ﴿أَسِفًاۚ﴾ أي: حزينًا على ما صنع قومه من بعده.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ ﴾ أي: أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة، وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم، وإظهاركم عليه، وغير ذلك من أياديه عندكم؟ ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾ أي: في انتظار ما وعدكم الله. ونسيان ما سلف من نعمه، وما بالعهد من قدم. ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ «أم» هاهنا بمعنى «بل» وهي للإضراب عن الكلام الأول، وعدول إلى الثاني، كأنه يقول: بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ حال وقد مضى في «الأعراف». ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ وعدهم عز وجل الجنة إذا أقاموا على طاعته، ووعدهم أنه يسمعهم كلامه، في التوراة على لسان موسى؛

ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم. وقيل: وعدهم النصر والظفر. وقيل: وعده قوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ الآية. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾ أي أفنسيتم؛ كما قيل؛ والشيء قد ينسى لطول العهد. ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ﴿يَحِلَّ ﴾ أي يجب وينزل. والغضب العقوبة والنقمة. والمعنى أم أردتم أن تفعلوا فعلا يكون سبب حلول غضب الله بكم؛ لأن أحدا لا يطلب غضب الله، بل قد يرتكب ما يكون سببا للغضب. ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾ لأنهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور. وقيل: وعدهم على أثره للميقات فتوقفوا.

❁ ❁ ❁

س: من السامري هذا:

ج: السامري- رجلٌ في زمان نبي الله موسى عليه السلام ضل ضلالًا بعيدًا وأضل غيره من بني اسرائيل بما استحدث لهم لإضلالهم وإغوائهم وصرفهم عن عبادة الله عز وجل إلى عبادة عجل قد صنعه لهم وعلى ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال القرطبي رحمه الله:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان السامري من قوم يعبدون البقر، فوقع بأرض مصر فدخل في دين بني إسرائيل بظاهره، وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر. وقيل: كان رجلا من القبط، وكان جارا لموسى أمن به وخرج معه. وقيل: كان عظيما من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معروفون بالشام. قال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان.

قلت: فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن موسى عليه السلام لما عاتب بني اسرائيل على ما صنعوه وعلى عبادتهم العجل ووبخهم ولامهم أجابوه بقولهم ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ ما تخلفنا عن متابعتك والسير من بعدك والثبات على أمرك باختيارنا وقدرتنا وطاقتنا، ولكنا غُلبنا على أمرنا فقد كانت معنا أمانات لآل فرعون من ذهب وحليٍّ ولم نرها حلالاً لنا فقذفناها أي في حفرة وقيل كان ذلك الإلقاء بأمرٍ من هارون عليه السلام حتى تجمع الحليُّ في مكان واحدٍ إلى أن يرجع موسى عليه السلام ويرى فيه أمره الذي يأمره الله به.

وقيل أن الذي أمرهم بإلقائه السامري كي يصل إلى مراده من الاحتيال فالله أعلم.

أما قولهم ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ أي وبنحو الذي وضعنا صنع السامري، فكذلك ألقى السامري الحلي الذي معه أيضًا، فصنع لهم السامري من هذا الحلي بعد أن أوقد عليه النار فانصهر، صنع عجلًا من هذا الذهب ثم قبض قبضة من أثر فرس جبريل عليه السلام كذا ورد في الموقوفات فطرحها السامري على العجل فسمع له صوت البقر، وهو الخوار، فقال السامري لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا ربكم، ونسي أن يعهد إليكم بعبادته وقيل فضَلَ موسى الطريق وجاء ربُّه من طريق آخر فها هو وقال بعض العلماء إن السامري صنع من الذهب عجلًا بطريقة تحدث صوتا إذا دخله الهواء ولم

يكن عجلًا من لحم ودم وصوت فالله أعلم.

وقال بعضهم أيضًا إن قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ عائدٌ على السامري أي فنسي العهود والمواثيق وترك ما أمره موسى به من الإيمان.

ثم وبخهم الله ﷻ بقوله ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يرد عليهم إذا كلموه ولا يجيبهم إذا دعونة ولا عليك لهم كشف ضرٍّ عنهم ولا جلب نفع لهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى: ما أخلفنا موعدك، يعنون بموعده: عهده الذي كان عهده إليهم.

وقوله: ﴿بِمَلْكِنَا﴾ يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: إنا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة.

وأورد الطبري أقوالًا في تفسيره قولهم ﴿بِمَلْكِنَا﴾ منها بأمرنا، ومنها بطاقتنا، ومنها بهوانا

وقال أبو جعفر: وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يملك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه.

ثم قال:

وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على

أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد.

وقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾ يقول: ولكنا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم، يعنون من حلي آل فرعون، وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله إياه بذلك، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم، وقال: إن الله مغنمكم ذلك، ففعلوا، واستعاروا من حليّ نسائهم وأمتعتهم، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾ قال: الحليّ الذي استعاروه والثياب ليست من الذنوب في شيء، لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها، فليست من الذنوب في شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ يقول: فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ يقول: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل.

وأورد قولًا آخر في قوله: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ أي فكذلك صنع السامري.

وقال: وقوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ يقول: فأخرج لهم السامريّ مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار، ويعني بالخوار: الصوت، وهو صوت البقر.

ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامريّ العجل، فقال بعضهم:

صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرائيل في فمه فخار.

وأورد بما يصحح عن عن قتادة: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ قال: كان الله وقَّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحليّ والصورة ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ فجعل يخور خوار البقر، فقال: ﴿ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ قال: كان الله وقَّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحليّ والصورة ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ فجعل يخور خوار البقر، فقال: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ، قال: أخذ السامريّ من تربة الحافر، حافر فرس جبرائيل، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم، وإن حليّ القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة، فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها

فأخرج الله من الحليّ عجلا جسدا له خوار، وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل، فلما رأوه قال لهم السامريّ ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الحليّ حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فقذف السامريّ تربته، وقوله: ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى، وقوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ يقول: فضلّ وترك.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ من قائله ومن الذي وصف به وما معناه، فقال بعضهم: هذا من الله خبر عن السامريّ، والسامريّ هو الموصوف به، وقالوا: معناه: أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام.

وقال آخرون: بل هذا خبر من الله عن السامريّ، أنه قال لبني إسرائيل، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه، فأضلّ موضعه، وهو هذا العجل.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء، وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبرا من السامري عنه بذلك أشبه من غيره.

يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل، والقائلين له ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وعابهم بذلك، وسفه أحلامهم بما فعلوا ونالوا منه: أفلا

يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى لا يكلمهم، وإن كلَّموه لم يرد عليهم جوابا، ولا يقدر على ضرّ ولا نفع، فكيف يكون ما كانت هذه صفته إلها؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿قَالُوا﴾ أي: بنو إسرائيل في جواب ما أنبهم موسى وقرعهم: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ أي: عن قدرتنا واختيارنا.

ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد، يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حُلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم، حين خرجوا من مصر، ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: ألقيناها عنا. وقد تقدم في حديث «الفتون» أن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي كان أمرهم بإلقاء الحلي في حفرة فيها نار.

ثم قال ابن كثير بعد إيرادة أقوالًا:

يقول الله: ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: ترك ما كان عليه من الإسلام يعني: السامري.

قال الله تعالى ردًّا عليهم، وتقريعًا لهم، وبيانًا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ أي: العجل ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أنه لا يجيبهم إذا سألوه، ولا إذا خاطبوه، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ أي: في دنياهم ولا في أخراهم.

ثم قال: وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط، فألقوها عنهم، وعبدوا العجل. فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر: أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب -يعني: هل يصلي فيه أم لا؟ -فقال ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انظروا إلى أهل العراق، قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني: الحسين -

وهم يسألون عن دم البعوض؟

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ
فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي
﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ
بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا
وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن
تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ
عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ ﴾

[طه: ٩٠-٩٨].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فُتِنتُم بِهِۦ - لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ - أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ - لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي - وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي - فَمَا خَطۡبُكَ - بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ - قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ - فَنَبَذۡتُهَا - سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي - لَا مِسَاسَۖ - ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ - ٱلۡيَمِّ - وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فُتِنتُم بِهِۦ﴾	اختبرتم به – ابتليتم به
﴿لَن نَّبۡرَحَ﴾	لن نزال – سنستمر
﴿عَاكِفٗا﴾	مقيمين (على عبادته)
﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾	ألا تسير خلفي وتأتي من ورائي وتتبعني بعد سفري – أن تتبع وصيتي لك
﴿لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي﴾	لا تجذبني من لحيتي
﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ﴾	ولم تمتثل قولي – ولم تلحظ قولي
﴿فَمَا خَطۡبُكَ﴾	فما شأنك – فما بالك – يا......رأيت ما لم يروه وعلمت ما لم يعلموه
﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾	أخذت كفًا من ترابٍ من المكان الذي سار عليه فرس جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ
﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾	فطرحتها (على العجل المصنوع من الحلي)

﴿سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾	زينت لي نفسي – حسنت لي نفسي
﴿لَا مِسَاسَۖ﴾	لن تمس أحدًا ولـن عليك أحدٌ وقيل لـن يتعامـل أحدٌ ولا تعامل مع أحدٍ.
﴿ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾	مكثـت حولـه وعنـده تعبـده لمـا كنًا علـى عبادتـه مستمرًا عليها
﴿ٱلۡيَمِّ﴾	البحر
﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾	أحاط بكل شيء علما

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم دفاع عن نبي الله هارون عليه السلام وأنه لم يقصر في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فإنه عليه السلام لما رأى السامري صنع ما صنع واتبعه على باطله أقوام من بني اسرائيل قام هارون عليه السلام بتحذيرهم وقال يا قوم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ﴾ اختبرتم به وابتليتم به، تعبدوه أم تعبدوا الله عز وجل فإن ربكم الرحمن فاتبعوني فيما أدعوكم إليه سر عبادة الله وحدة لا شريك له وسائر ما حدثتكم به من وجوه الخير وسيروا معي حق فذهب موسى عليه السلام وأطيعوا أمري- قالوا حينئذ لن تزال مستمرين على عبادته حتى يرجع إلينا موسى فيبين لنا هو أصبنا أم أخطأنا.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ يقول: لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون، من قبل رجوع موسى إليهم، وقيله لهم ما قال مما أخبر الله عنه ﴿ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ﴾ يقول: إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب، الشاكّ في دينه.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ يقول: وإن ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه، فاتَّبعوني على ما آمركم به من عبادة الله، وترك عبادة العجل، وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله، وإخلاص العبادة له، وقوله: ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ يقول: قال عبدة العجل من قوم موسى: لن

نزال على العجل مقيمين نعبده، حتى يرجع إلينا موسى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما كان من نَهْي هارون، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لهم عن عبادة العجل، وإخباره إياهم: إنما هذا فتنة لكم ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد ﴿ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ أي: فيما آمركم به، واتركوا ما أنهاكم عنه.

﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه. وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ ﴾ أي من قبل أن يأتي موسى ويرجع إليهم ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ ﴾ أي ابتليتم وأضللتم به؛ أي بالعجل. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ لا العجل. ﴿فَٱتَّبِعُونِي ﴾ في عبادته. ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ لا أمر السامري. أو فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل. فعصوه و ﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل. ﴿ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ فينظر هل يعبد ه كما عبد ناه؛ فتوهموا أن موسى يعبد العجل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم معناه أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قد أوصى أخاه هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن يخلفه في قوم في قوم ويُصح، فلما كان من أمر القوم ما كان من عبادة

العجل، ورجع موسى عليه السلام إليهم اتجه إلى معاتبته أخيه هارون عليه السلام واشتد عليه في العتاب، وما قصر هارون عليه السلام ولا تهاون ولكن موسى عليه السلام لم يكن على علم بالذي كن من أمر هارون عليه السلام مع القوم، فرجع موسى عليه السلام وعاتب هارون عتابًا شديدًا، ولم يقتصر في عتابه لأخيه عليه السلام على الكلام بل أخذ بلحيته وبرأسه يجره إليه، واشتد ذلك هارون عليه السلام، وقد ذكر هارون عليه السلام أعذاره فيما حدث إذ قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين.

فالحاصل أن موسى عليه السلام وقدم أخذ برأس أخيه يجره إليه ويقول له ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾ ما منعك أن تأتيني أنت والقوم، وقد قلت لربي عز وجل هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى، فما الذي خلقك يا هارون وأخرك عن اللحاق بي بمن آمن معك لماذا لم تأتي أنت ومن آمن ولم يعبد العجل!!

فاعتذر هارون عليه السلام بقوله إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم تعمل بقولي ولم تمتثل له، فخشيت أن خرجت بقوم وتركت قومًا يعبدون العجل أن يكون.......فلا تجرني من لحيتي ولا من رأسي فالقوم سيشمتون بي فعند هاد لما موسى عليه السلام ربَّه عز وجل أن يغفر له ولأخيه فقال ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم: يا هارون أي شيء منعك إذ

رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم: عذله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد إليه.

وقال آخرون: بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم.

وقوله: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ وفي هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه، فقال هارون ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾.

وقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم، الذي خشيه هارون، فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه، وأقام على دينه في أثر موسى، ويخلف عبدة العجل، وقد ﴿ قَالُوا ﴾ له ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ فيقول له موسى ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قول الله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ ﴾ قال: ﴿خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ قال: خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله ابن عباس(١) من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من

(١) والأثر الذي أورده عن ابن عباس سنده ضعيف، بغض النظر عن سلامة المعنى.

أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرّقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، وذلك بين في قول هارون للقوم ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾﴾ وفي جواب القوم له وقيلهم ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

وقوله: ﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾﴾ يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه، من مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه.

تنبيه متعلق باللحية

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

تنبيه

هذه الآية الكريمة بضميمة آية « الأنعام » إليها تدل على لزوم إعفاء اللحية، فهي دليل قرآني على إعفاء اللحية وعدم حلقها. وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ﴾ [الأنعام: ٨٤] الآية. ثم إنه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم، وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك أمر لنا. لأن أمر القدوة أمر لأتباعه! كما بينا إيضاحه بالأدلة القرآنية في هذا الكتاب المبارك في سورة « المائدة » وقد قدمنا هناك: أنه ثبت في صحيح البخاري: أن مجاهدًا سأل ابن عباس: من أين أخذت السجدة في « ص » قال: أو ما تقرأ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ [الأنعام: ٨٤] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا علمت بذلك أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في سورة « الأنعام »، وعلمت أن أمره أمر لنا.

لأن لنا فيه الأسوة الحسنة ، وعلمت أن هارون كان موفراً شعر لحيته بدليل قلوه لأخيه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ لأنه لو كان حالقـًا لما أراد أخوه الأخذ بلحيته تبين لك من ذلك بإيضاح: أن إعفاء اللحية من السمت الذي أمرنا به في القرآن العظيم ، وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم. والعجب من الذين مضخت ضمائرهم ، واضمحل ذوقهم ، حتى صاروا يفرون من صفات الذكورية ، وشرف الرجولة ، إلى خنوثة الأنوثة ، ويمثلون بوجوههم بحلق أذقانهم ، ويتشبهون بالنساء حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى وهو اللحية. وقد كان ﷺ كث اللحية ، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة. والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر ، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها: ليس فيهم حالق. نرجو الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقـًا ، ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

أما الأحاديث النبوة الدالة على إعفاء اللحية ، فلسنا بحاجة إلى ذكرها لشهرتها بين الناس ، وكثرة الرسائل المؤلفة في ذلك، وقصدنا هنا أن نبين دليل ذلك من القرآن.

❁ ❁ ❁

س: الغضب قد يحمل على أمور لا يفعلها الرجل الصالح في وقت هدوئه وراحته وضح ذلك:

ج: إيضاحه أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما اشتد غضبه إذ رأى قومه يعبدون العجل ألق الألواح التي فيها هدى ورحمة فتكسرت تلك الألواح، وأخذ برأس أخيه النبي الكريم هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذا أخذه من لحيته يجره إليه، كل ذلك بسبب الغضب ولكن غفر ذلك لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه كان غضبًا لله عَزَّ وَجَلَّ وكان غيرةً من

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على دينه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين رجع إلى قومه، فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم، فامتلأ عند ذلك غيظًا، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وقد قدمنا في «الأعراف» بسط ذلك، وذكرنا هناك حديث «**ليس الخبر كالمعاينة**».

وشرع يلوم أخاه هارون فقال: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ أي: فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ أي: فيما كنت تقدمت إليك، وهو قوله: ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. قال: ﴿ يَبْنَؤُمَّ ﴾ ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه؛ لأن ذكر الأم هاهنا أرق وأبلغ، أي: في الحنو والعطف؛ ولهذا قال: ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾.

هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال ﴿ إِنِّى خَشِيتُ ﴾ أن أتبعك فأخبرك بهذا، فتقول لي: لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ أي: وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم.

قال ابن عباس: وكان هارون هائبًا له مطيعًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ ابن عباس: أخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره؛ لأن الغيرة في الله ملكته؛ أي لا تفعل هذا فيتوهموا أنه منك استخفاف أو عقوبة. وقد وقيل: إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما فعل هذا على غيرا ولا

عقوبة كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه. وقد مضى هذا في "الأعراف" مستوفى. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ أي خشيت أن أخرج وأتركهم وقد أمرتني أن أخرج معهم فلو خرجت لا تبعني قوم ويتخلف مع العجل قوم؛ وربما أدى الأمر إلى سفك الدماء؛ وخشيت إن زجرتهم أن يقع قتال فتلوموني على ذلك. وهذا جواب هارون لموسى عليهما السلام عن قوله ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ وفي الأعراف ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْيَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] لأنك أمرتني أن أكون معهم. وقد تقدم. ومعنى ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ لم تعمل بوصيتي في حفظه؛ قاله مقاتل. وقال أبو عبيدة: لم تنظر عهدي وقدومي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

ج: هذا والله أعلم بيان لما حدث بين موسى عليه السلام وبين السامري فبعد أن تحدث موسى عليه السلام مع قومه من بني اسرائيل ومع أخيه هارون عليه السلام اتجه إلى موسى عليه السلام إلى رأس الفتنة السامري فقال له ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ فما شأنك وما أمرك ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ رأيت شيئًا لم يره القوم وعلمت علمًا لم يعلمه القوم، فرأيت جبريل على فرسه فأخذت كفًا من التراب من أثر الفرس فطرحتها على العجل فكان من أمر العجل ما كان، من

كونه سمع له خوار وأصبح جسدًا فيه رمح، وهكذا حسنت لي نفسي وزينت لي نفسي وهيأت لي نفسي فأمرت القوم بعبادته قال موسى حينئذٍ فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس لن يتوبك أحدٌ ولن يقترب منك أحد، ولاتقرب أحدًا ولا تعامل لك مع أحدٍ وإن لك موعدًا لن تخلفه فإن آتيك هذا الموعد الذي وعدناك به، وهو يوم القيامة أما عن إلهك الذي عبدته وأقامت حوله فانظر إليه لنحرقنه لنحرقه قطعة قطعة شيئًا فشيئًا ثم لنذرينه بعد حرقه في لابحر تزريةً ولنطيرنه تطييرًا ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ معبودكم الذي يستحق العبادة الذي هو خالقكم ورازقكم ومحييكم ومميتكم الله الذي لا إله إلا هو ألا معبود معه ولا معبود غيره ولا معبود سواه ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علما بكل شيء فما من شيء إلا علمه عند الله ﷻ يعلم عند كل شيء.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسامريّ: فاذهب فإن لك في أيام حياتك أن تقول: لا مساس: أي لا أمس، ولا أُمسُّ.. وذُكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه، ولا يخالطوه، ولا يبايعوه، فلذلك قال له: إن لك في الحياة أن تقول لا مساس، فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإن لك موعدا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يخلفكه الله، ولكن يذيقكه، وقرأ ذلك الحسن وقَتادة وأبو نهيك ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدا لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بضمّ التاء وكسر اللام، بمعنى: وإن لك

موعدا لن تخلفه أنت يا سامريّ، وتأوّلوه بمعنى: لن تغيب عنه.

وقوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ يقول: وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقيما تعبده.

وقوله: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وتشديد الراء، بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة، ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون، وتخفيف الراء، بمعنى: لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧﴾ يقول: ثم لنذرّينه في البحر تذرية، يقال منه: نسف فلان الطعام بالمنسف: إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح.

وقوله: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ يقول: ما لكم أيها القوم معبود إلا الذي له عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي أن تكون إلا له ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾ يقول: أحاط بكل شيء علما فعلمه، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك، يقال منه: فلان يسع لهذا الأمر: إذا أطاقه وقوي عليه، ولا يسع له: إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾ قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري، وما الذي دعاك إلى ما فعلته.

وأورد بإسناد صحيح: عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾ قال: ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾ قال: ما

لك يا سامريّ؟

وقوله: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ يقول: قال السامريّ: علمت ما لم يعلموه، وهو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيرا عالما.

وقال آخرون: هي بمعنى: أبصرت ما لم يبصروه، وقالوا: يقال: بصرت بالشيء وأبصرته، كما يقال: أسرعت وسرعت ما شئت.

ذكر من قال: هو بمعنى أبصرت.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ يعني فرس جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ يقول: قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرائيل.

وقوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا ﴾ يقول: فألقيتها ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ يقول: وكما فعلت من إلقائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبكت فصارت عجلا جسدا له خوار، ﴿سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ يقول: زينت لي نفسي أن يكون ذلك كذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ يقول لهم موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ليس هذا إلهكم، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو] أي: لا يستحق ذلك على العباد إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له، فإن كل شيء فقير إليه، عبد لربه.

وقوله: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ نصب على التمييز، أي: هو عالم بكل شيء، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] ، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن:

٢٨]، فلا ﴿يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣]، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦] والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ﴾ أي قال له موسى فاذهب أي من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي لا أمس ولا أمس طول الحياة. فنفاه موسى عن قومه وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له. قال الشاعر:

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا يريد السامري مساسا

قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ألا يماس الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة؛ وكأن الله عز وجل شدد عليه المحنة، بأن جعله لا يماس أحدا ولا يمكن من أن يمسه أحد، وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا. ويقال: ابتلي بالوسواس وأصل الوسواس من ذلك الوقت. وقال قتادة: بقاياهم إلى اليوم يقولون ذلك - لا مساس - وإن مس واحد من غيرهم أحدا منهم حم كلاهما في الوقت. ويقال: إن موسى هم بقتل السامري، فقال الله تعالى له: لا تقتله فإنه سخي. ويقال لما قال له موسى: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحشي، لا يجد أحدا من الناس يمسه حتى صار كالقائل لا مساس؛ لبعده عن الناس وبعد الناس عنه؛ كما قال الشاعر:

حمـــال رايـــات بهـــا قناعســـا حتـــى تقـــول الأزد لا مسابســـا

مسـألة: هـذه الآيـة أصـل في نفـي أهـل البـدع والمعاصـي وهجـرانهم وألا يخالطوا، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خلفوا.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ
أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
حِمۡلٗا ١٠١ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن
لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا
قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ
ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠ ۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ
حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا
هَضۡمٗا ١١٢ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ
أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ
أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾

[طه: ٩٩-١١٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَنۢبَآءِ - مَا قَدۡ سَبَقَۚ - ءَاتَيۡنَٰكَ - لَّدُنَّا - ذِكۡرٗا - وِزۡرًا - وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا - ٱلصُّورِ - زُرۡقٗا - يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ - إِن لَّبِثۡتُمۡ - أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً - يَنسِفُهَا - فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا - عِوَجٗا - أَمۡتٗا - ٱلدَّاعِيَ - لَا عِوَجَ لَهُۥۖ - وَخَشَعَتِ - هَمۡسٗا - وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا - ۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ - هَضۡمٗا - وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ - يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا - فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ - وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ - يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَنۢبَآءِ﴾	أخبار
﴿مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾	من مضوا من الأمم
﴿ءَاتَيۡنَٰكَ﴾	أعطيناك
﴿مِن لَّدُنَّا﴾	من عندنا
﴿ذِكۡرٗا﴾	شرفًا - قرآنا
﴿وِزۡرًا﴾	حملًا من الذنوب
﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾	ساء الحمل الذي يحملونه من الذنوب وأسوأ الحمل الذي يحملونه
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرنٌ يُنفخ فيه
﴿زُرۡقٗا﴾	زرق العيون
﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾	يتساررون فيما بينهم - يتحدثون سرًا فيما بينهم

﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾	ما مكثتم في الدنيا أو في القبور
﴿أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾	أعدلهم طريقة – أوفرفهم عقلًا وأسدهم رأيًا
﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾	يزيلها من أماكنها وإزالتها وذلك بعد تدميرها وتفتيتها – يُطيرها ربي تطييرًا – يُذرِّيها ربي تذريةً
﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا﴾	أرضًا ملساء مستوية
﴿عِوَجٗا﴾	ميلًا، انخفاضًا
﴿أَمۡتٗا﴾	انثناء – ارتفاعًا
﴿ٱلدَّاعِيَ﴾	من يدعوهم، داع يدعوهم يوم القيامة
﴿لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾	لا معدل لهم عن إجابته ولا انحراف لهم عن الذهاب إليه
﴿وَخَشَعَتِ﴾	سكنت – خفتت – انخفضت
﴿هَمۡسٗا﴾	قولًا في السر، وقولًا في الأذان وقيل وطأ الأقدام
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾	لا يحيطون علما بالله، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾	خضعت – ذلَّت – سكنت
﴿لِلۡحَيِّ﴾	الحي الذي لا يموت
﴿ٱلۡقَيُّومِ﴾	القائم بتدبير أحوال خلقه
﴿خَابَ﴾	لم يظفر بمطلوب ولم ينج من مرهوب

﴿حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾	حمل شركًا أشرك ومات على الشرك
﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ﴾	نوعنا فيه من صور الوعيد والتحذير والتخويف والإنذار
﴿يَتَّقُونَ﴾	يحذرون غضب الله وعقابه يحذرون الشرك المؤدي إلى غضب الله وعقابه ويحذرون المحرمات
﴿يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾	يجعلهم يتذكرون، يتعظون ويعتبرون يُحدث لهم شرفًا إن هم اتبعوه
﴿فَتَعَٰلَى﴾	فارتفع وتعاظم وتنزه عن كل ما لا يعلمون وكذا فهو المتعالي على خلقه في سمواته
﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾	ولا تسرع بأخذ القرآن حتى ينتهي جبريل من إلقائه عليك وإفهامك إياه
﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾	من قبل أن يبينه لك ويتلوه عليك

❁ ❁ ❁

س: وصح معنى هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، وكما قصصنا عليك نبأ موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام وبني إسرائيل مع فرعون وقومه، فكذلك نخبرك بأخبار من قد سبقوك وتقدموك عمومًا من الأنبياء وغيرهم ومن الأحداث والوقائع كذلك، وقد أ نزلنا إليك كتابا من عندنا، وهو القرآن يتذكر به من يخشى ويهتدي به من ينيب، من أعرض عنه ورفضه فإنه يحمل يوم القيامة إثمًا عظيمًا خالدًا مع هذا الإثم العظيم ويسبب هذا الإثم العظيم في جهنم، وبئس هذا الحمل الذي يحمله يوم القيامة بسبب إعراضه عن هذا القرآن بئس هذا الحمل الذي يحمله يوم القيامة، يوم يُنفخ في الصور، والصور قرنٌ يُنفخ فيه، والنافخ عند جماهير العلماء- هو إسرافيل عليه السلام وعند النفخ في الصور يحشر المجرمون يومها زرق العيون قيل من شرة العطش، وقيل هي علامة على أهل الإجرام يحشرون زرق العيون ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي تسارر أهل الإجرام، أهل الشرك، فيما بينهم، يتحدثون سرًا فيما بينهم يقول بعضهم لبعض ما لبثتم في الدنيا، وقيل في الحياة البرزخية، إلا عشرة أيام فيقول تعالى ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ بما يتساررون به فيما بينهم، ونحن أعلم بحقيقة ما يقولون ويتكلمون فيه، وأعلم بما لبثوا، ونحن أعلم بهم أيضًا إذ يقولهم أعد لهم طريقة وأوفرهم عقلًا وأسدهم رأيًا، يقول من وجهة نظرة، وفي ظنة وتفكره إن لبثتم إلا يومًا

أي ما مكثتم في دنياكم أو في قبوركم إلا يومًا.

والآية كقوله تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾.

وكقولـــــه: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ﴾.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾ يقول: كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعاينها، وقوله: ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين، وقوله: ﴿ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ ﴾ يقول تعالى ذكره: من ولى عنه فأدبر فلم يصدّق به ولم يقرّ ﴿ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الإثم العظيم.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: خالدين في وزرهم، فأخرج الخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم، والمعنى: أنهم خالدون في النار بأوزارهم، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفي بما ذكر عما لم يذكر.

وقوله: ﴿ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١ ﴾ يقول تعالى ذكره: وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا وحقّ لهم أن يسوءهم ذلك، وقد أوردهم مهلكة لا منجى منها.

وقوله: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: وساء لهم يوم القيامة، يوم ينفخ في الصور، فقوله: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ ردًّا على يوم القيامة، وقد بيَّنا معنى النفخ في الصور، وذكرنا اختلاف المختلفين.

وقوله: ﴿ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ ﴾ يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق، وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذي قال الله: ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقوله: ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ ﴾ يقول تعالى ذكره: يتهامسون بينهم، ويسرّ بعضهم إلى بعض: إن لبثتم في الدنيا، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا.

في تأويل قوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤ ﴾.

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ ﴾ بما يقولون لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤ ﴾ يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم: إن لبثتم في الدنيا إلا يوما.

وإنما عنى جلّ ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ، إعلام عباده أن

أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة، وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذّات، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم، وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف. أي كما قصصنا عليك خبر موسى ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ قصصا كذلك من أخبار ما قد سبق؛ ليكون تسلية لك، وليدل على صدقك. ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ يعني القرآن. وسمي القرآن ذكرا؛ لما فيه من الذكر كما سمي الرسول ذكرا؛ الذكر كان ينزل عليه. وقيل: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ أي شرفا، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف وتنويه باسمك.

قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي القرآن فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ أي إثما عظيما وحملا ثقيلا. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ يريد مقيمين فيه؛ أي في جزائه وجزاؤه جهنم. ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ يريد بئس الحمل حملوه يوم القيامة. وقرأ داود بن رفيع ﴿فَإِنَّهُ يُحَمَّلُ﴾.

وقال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ قراءة العامة ﴿يُنْفَخُ﴾ بضم الياء على الفعل المجهول. وقرأ أبو عمرو وابن إسحاق بنون مسمى الفاعل. واستدل أبو عمرو بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بنون.

وعن ابن هرمز: ﴿يَنْفَخُ﴾ بفتح الياء أي ينفخ إسرافيل. أبو عياض: ﴿فِي ٱلصُّوَرِ﴾. الباقون ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ وقد تقدم. وقرأ طلحة بن مصرف ﴿وَيُحْشَرُ﴾ بضم الياء المجرمون رفعا بخلاف المصحف. والباقون ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي

المشركين. ﴿زُرْقًا﴾ حال من المجرمين، والزرق خلاف الكحل. والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه؛ أي تشوه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم. وقال الكلبي والفراء: ﴿زُرْقًا﴾ أي عميا. وقال الأزهري: عطاشا قد ازرقت أعينهم من شدة العطش؛ وقاله الزجاج؛ قال: لأن سواد العين يتغير ويزرق من العطش.

وقال في قوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أصل الخفت في اللغة السكون، ثم قيل لمن خفض صوته خفته. يتسارون؛ قاله مجاهد؛ أي يقولون بعضهم لبعض في الموقف سرا. ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي ما لبثتم يعني في الدنيا، وقيل في القبور ﴿إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ يريد عشر ليال. وقيل: أراد ما بين النفختين وهو أربعون سنة؛ يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار - في قول ابن عباس - فيستقصرون تلك المدة. أو مدة مقامهم في الدنيا لشدة ما يرون من أهوال يوم القيامة؛ ويخيل إلى أمثلهم أي أعدلهم قولا وأعقلهم وأعلمهم عند نفسه أنهم ما لبثوا إلا يوما واحدا يعني لبثهم في الدنيا؛ عن قتادة؛ فالتقدير: إلا مثل يوم. وقيل: إنهم من شدة هول المطلع نسوا ما كانوا فيه من نعيم الدنيا رأوه كيوم. وقيل: أراد بيوم لبثهم ما بين النفختين، أو لبثهم في القبور على ما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: كما قَصَصْنَا عليك خبر موسى، وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص، هذا ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: عندنا ﴿ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ وهو القرآن العظيم، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، الذي لم يعط نبي من الأنبياء منذ

بعثوا إلى أن ختموا بمحمد ﷺ تسليما، كتابًا مثله ولا أكمل منه، ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن، وحكم الفصل بين الناس منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ أي: كذب به وأعرض عن اتباعه أمرًا وطلبًا، وابتغى الهدى في غيره، فإن الله يضله ويهديه إلى سواء الجحيم؛ ولهذا قال: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ أي: إثمًا، كما قال [الله] تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧].

وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، أهل الكتاب وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]. فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع، فمن اتبعه هدي، ومن خالفه وأعرض عنه ضَلَّ وشقي في الدنيا، والنار موعده يوم القيامة؛ ولهذا قال: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ أي: لا مَحِيد لهم عنه ولا انفكاك ﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾ أي: بئس الحمل حملهم.

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سُئِل عن الصُّور، فقال: «**قَرنٌ يُنفَخ فيه**».

وقد جاء في حديث «الصور» من رواية أبي هريرة: أنه قرن عظيم، الدَّارة منه بقدر السماوات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل، عليه السلام. وجاء في الحديث: «**كيف أنعَمُ وصاحب القَرْن قد التقم القَرْن، وحنى جبهته، وانتظر أن يؤذن له**» فقالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**».

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ قيل: معناه زُرْق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال.

﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: يتسارّون بينهم، أي: يقول بعضهم

لبعض: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٠٣﴾.

أي: في الدار الدنيا، لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها.

قال الله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: في حال تناجيهم بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: العاقل الكامل فيهم، ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝١٠٤﴾ أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد؛ لأن الدنيا كُلَّها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد؛ ولهذا تستقصر مدة الحياة الدنيا يوم القيامة: وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم، لقصر المدة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤]

أي: إنما كان لُبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني، ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف، قَدَّمتُم الحاضر الفاني على الدائم الباقي.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا﴾.

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بما حاصله أن مواقف القيامة وأحوالها تتعدد ففي بعض الأوقات يحشرون عميانا، وفي بعضها يكونون زرق العيون. وبالله التوفيق وهو أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ويسألونك عن مصير الجبال يوم القيامة كيف ستكون فقل لهم يفتتها ربي ﷻ تفتيتًا ويُطيِّرها تطيرًا ويُذرِّيها تذرية فتصبح أماكنها ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أرضًا مستوية ملساء لا شيء عليها لا ترى فيها ارتفاعًا ولا انخفاضًا، ولا ترى فيها وادًا ولا جبلًا ولا رابية، فعند ذلك يتبع البشر الخارجون من قبورهم للبعث والنشور الداعي الذي يدعوهم كما قال تعالى ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ وكما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ فيجيبون الداعي وليس لهم معدلس عن إجابته، وعندئذ ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ سكنت الأصوات ولم يتكلم أصحابها فلا تسمع ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ إلا تساررًا فمي بينهم وقول بعضهم لبعض في السر، وهمسًا في الآذان ووطأ الأقدام فقط فعندئذ ويومها لا تقبل من أحدٍ شفاعة إلا الذي أذن له الرحمن أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وكذا لا تقبل في أحدٍ شفاعة إلا الذي أذن الله لشفيعه أن يشفع فيه.

أما قوله: ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ فتحتمل احتمالات أحدها ورضي قوله في الشفاعة.

الثاني ورضي قوله الذي كان يقوله في الدنيا وهو قول لا إله إلا الله فلا تنفع الشفاعة إلا من قال لا إله إلا الله أما قوله تبارك وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فقيل معناه يعلم ما سيأتيهم من أمور الغيب وما سيكون من أوهم

يوم القيامة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما صدر منهم في دنياهم من قبل والله أعلم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويسألك يا محمد قومك عن الجبال، فقل لهم: يذريها ربي تذرية، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها، ودكّ بعضها على بعض، وتصييره إياها هباء منبثا

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا، قاعا: يعني: أرضا ملساء، صفصفا: يعني مستويا لا نبات فيه، ولا نشز، ولا ارتفاع.

وقوله: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ يقول: لا ترى في الأرض عوجا ولا أمتا.

واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت، فقال بعضهم عنى بالعوج في هذا الموضع: الأودية، وبالأمت: الروابي والنشوز.

وقال آخرون: بل عني بالعوج في هذا الموضع الصدوع، وبالأمت الارتفاع من الآكام وأشباهها.

وقال آخرون: عني بالعوج الميل، والأمت الأثر.

وقال آخرون: الأمت المحاني والأحداب.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب.

فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج، فيقال: لا ترى فيها يومئذ

عوجا، قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة، كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا، وأحيانا شمالا لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم، مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا: أي انثناء، وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتا، ومنه قول الراجز:

مـا فِـي انْجِـذابِ سَـيْرِهِ مِـنْ أمْـتِ

يعني: من وهن وضعف، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلا عن الاستواء، ولا ارتفاعا، ولا انخفاضا، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: يومئذ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، فيحشرهم إليه ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ يقول: لا عوج لهم عنه ولا انحراف، ولكنهم سراعا إليه ينحشرون، وقيل: لا عوج له، والمعنى: لا عوج لهم عنه، لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه، ولكنهم يؤمونه ويأتونه، كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها، وقوله: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنهم خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن.

وقوله: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ يقول:

إنه وطء الأقدام إلى المحشر، وأصله: الصوت الخفيّ، يقال همس فلان

إلى فلان بحديثه إذا أسرّه إليه وأخفاه في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا﴾ شفاعة ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ وأدخل في الكلام له دليلا على إضافة القول إلى كناية «مَنْ» وذلك كقول القائل الآخر: رضيت لك عملك، ورضيته منك، وموضع مَن من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ نصب لأنه خلاف الشفاعة.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

وأورد بإسنادس حسن:

عن قتادة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علما. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علما، ولا يحيط عباده به علما، وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم، وقال: إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها، موبخهم بذلك ومقرّعهم بأن من كان كذلك، فكيف يعبد، وأن

العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ أي: هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ أي: يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرًا.

﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي: الأرض ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ أي: بساطًا واحدًا.

والقاع: هو المستوي من الأرض. والصفصف تأكيد لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه. والأول أولى، وإن كان الآخر مرادًا أيضًا باللازم؛ ولهذا قال: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ أي: لا ترى في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية، ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ أي: يوم يرون هذه الأحوال والأهوال، يستجيبون مسارعين إلى الداعي، حيثما أمروا بادروا إليه، ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم، ولكن حيث لا ينفعهم، كما قال تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم: ٣٨]، وقال: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [القمر: ٨].

قال محمد بن كعب القُرَظِي: يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة، وتطوي السماء، وتتناثر النجوم، وتذهب الشمس والقمر، وينادي مناد، فيتبع الناس الصوت فيأتونه فذلك قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾.

وقال قتادة: ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ لا يميلون عنه.

وقال أبو صالح: ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ لا عوج عنه.

وأورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ ﴾ أقوالًا مفادها وسكنت وأورد في قوله ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ قولين أحدهما أن الهمس الصوت الخفي، والآخر أنه وطء الأقدام وقولًا ثالث يشمل المعنيين

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما وطء الأقدام فالمراد سعي الناس إلى المحشر، وهو مشيهم في سكون وخضوع. وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٥].

يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أي: عنده ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨].

وفي الصحيحين، من غير وجه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم، وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال: «**آتي تحت العرش، وأخر لله ساجدًا، ويَفْتَح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع واشفع تشفع**». قال: «**فيحد لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود**»، فذكر أربع مرات، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء.

وفي الحديث أيضًا: «**يقول تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، فَيُخْرِجُون خلقا كثيرا، ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرّة، من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرّة من إيمان**» الحديث.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يحيط علما بالخلائق كلهم، ﴿وَلَا

﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ كقولـــه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقـــرة: ٢٥٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾ أي عن حال الجبال يوم القيامة. ﴿فَقُلۡ﴾ جاء هذا بفاء وكل سؤال في القرآن ﴿قُلۡ﴾ بغير فاء إلا هذا، لأن المعنى إن سألوك عن الجبال فقل، فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم الله أنهم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال، وتلك أسئلة تقدمت سألوا عنها النبي ﷺ فجاء الجواب عقب السؤال؛ فلذلك كان بغير فاء، وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد؛ فتفهمه. ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥﴾ يطيرها. ﴿نَسۡفٗا﴾ قال ابن الأعرابي وغيره: يقلعها قلعا من أصولها ثم يصيرها رملا يسيل سيلا، ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا قال: ولا يكون العهن من الصوف إلا المصبوغ، ثم كالهباء المنثور. ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي يذر مواضعها ﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦﴾ القاع الأرض الملساء بلا نبات ولا بناء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ يريد إسرافيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إذا نفخ في الصور ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾ أي لا معدل لهم عنه؛ أي عن دعائه لا يزيغون ولا ينحرفون بل يسرعون إليه ولا يحيدون عنه. وعلى هذا أكثر العلماء. وقيل: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾ أي لدعائه. وقيل: يتبعون الداعي اتباعا لا عوج له؛ فالمصدر مضمر؛ والمعنى: يتبعون صوت الداعي للمحشر؛ نظيره: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١﴾ [ق: ٤١] الآية. وسيأتي. ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ﴾ أي ذلت.

وأورد أقوالًا في قوله إلا همسًا منها: الصوت الخفي، ومنها الحس الخفي،

ومنها تحريك الشفة واللسان ومنها صوت الأقدام.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمعنى متقارب أي لا يسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت أقدام وقال في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب على الاستثناء الخارج من الأول؛ أي لا تنفع الشفاعة أحدا إلا شفاعة من أذن له الرحمن. ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ أي رضي قوله في الشفاعة. وقيل: المعنى، أي إنما تنفع الشفاعة لمن أذن له الرحمن في أن يشفع له، وكان له قول يرضي. قال ابن عباس: هو قول لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي من أمر الساعة. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الدنيا قاله قتادة. وقيل: يعلم ما يصيرون إليه من ثواب أو عقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما خلفوه وراءهم في الدنيا. ثم قيل: الآية عامة في جميع الخلق. وقيل: المراد الذين يتبعون الداعي. والحمد لله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، خضعت الوجوه وذلَّت واستسلمت وأصبحت أسيرة (فالأسير يطلق عليه العاني) وقيل أيضًا من صور ذلك، وضع الجبهة والكيفية والركبتين واطراف القدمين في السجود أما قوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ فمعناه ولم يظفر بمطلوبه ولم ينجو من مرهوبه من حمل شركًا أي جاء يوم القيامة وكان قد مات في دنياه على الشرك وقيل من ظلم العباد كذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: استرّت وجوه الخلق، واستسلمت للحيّ القيوم الذي لا

يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا، وأصل العنو الذلّ، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنوا، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر، فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يئول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة، كما قال الشاعر:

هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي أَيُّها القلب عنوة ... ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها

وقال آخر:

هَـلْ أَخَـذُوها عَنْـوَةً عَـنْ مَـوَدَّةٍ ... وَلَكِـنْ بِحَـدِّ المَشْـرَفِي اسْـتَقالَهَا

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيادة شركا بالله، وكفرا به، وعملا بمعصيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ قال ابن عباس، وغير واحد: خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم: الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء، يدبره ويحفظه، فهو الكامل في نفسه، الذي كل شيء فقير إليه، لا قوام له إلا به.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾ أي: يوم القيامة، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

ج: المعنى والله أعلم ومن يعمل أعمالًا صالحة موافقة للكتاب العزيز

والسنة المباركة مع إيمانه بالله ﷻ وإخلاص له فلا يخاف نقصًا لحسناته لا قليل ولا كثير منها.

فالظلم النقص، والهضم كذلك النقص ولكن قال بعض العلماء إن الظلم الذهاب بالحق كله أو بأكثر الحق والهضم الذهاب بجزي ولو يسير من الحق.

وقال بعض العلماء إن قوله ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ أي أن تحمل عليه سيئات غيره ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا نقص من ثواب حسناته، قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه: ومن يعمل من صالحات الأعمال، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يقول: وهو مصدّق بالله، وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليها ﴿وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ يقول: لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن العمل لا يقبل من غير إيمان.

و ﴿مِنَ﴾ في قوله ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ للتبعيض؛ أي شيئا من الصالحات. وقيل للجنس. ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ قرأ ابن كثير ومجاهد وابن محيص ﴿يَخَفْ﴾ بالجزم جوابا لقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾. الباقون ﴿يَخَافُ﴾ رفعا على الخبر؛ أي فهو لا يخاف؛ أو فإنه لا يخاف. ﴿ظُلْمًا﴾ أي نقصا لثواب طاعته، ولا زيادة عليه في سيئاته. ﴿وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ بالانتقاص من حقه. والهضم النقص والكسر؛ يقال:

هضمت ذلك من حقي أي حططته وتركته. وهذ يهضم الطعام أي ينقص ثقله. وامرأة هضيم الكشح ضامرة البطن. الماوردي: والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الحق كله، والهضم المنع من بعضه، والهضم ظلم وإن افترقا من وجه؛ قال المتوكل الليثي:

إن الأذلة واللئام لمعشر ... مولاهم المتهضم المظلوم

قال الجوهري ورجل هضيم ومهتضم أي مظلوم. وتهضمه أي ظلمه واهتضمه إذا ظلمه وكسر عليه حقه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وكما بيَّنا لكن يا رسول الله في هذه السورة الكريمة من كريم البيان وصادق البيان وحسن البيان وكما أخبرناك وقصصنا عليك وكما أنزلنا عليك من التذكير في هذه السورة وبينا لكن عن الأحكام فهكذا أنزلنا هذا القرآن كله عربيًا بسان عربي مبين أنزلناه عربيا لعلهم يعقلون ويفهمون عن الله ﷻ مراده وكذا نوعنا فيه من صور الوعيد فأحيانا تخويف بالنار وأحيانا تذكير بالقبة وأحيانا بالتذكير بصور العذاب التي عُذِّب بها أقوام وأحيانا بذكر ريح الغابرين، كل ذلك لعلَّ القوم يتقون الشرك ويخافون عذاب الله ويحذرونه ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾ أو يحدث هذا التصريف تصريف الوعيد، يحدث لهم ذكرًا خوفًا وحذرًا وتذكيرصا، وكذا يحدث لهم شرفًا إن هم اتبعوه وأقبلوا على ما فيه من الخير أما قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ

ﵟٱلۡحَقُّۗﵞ.... فترفع وتعالى وعلا منزلةً وقدرًا وجلَّ الله الملك الحمد الذي لا ملك سواه القائم كذلك بالحق والقائل بالحق، وذو الوعد الحق والقول الحق.

والذي أرسل رسلة بالحق وخلق الجنة والنار بالحق وأقام الساعة لإحقاق الحق.

أما قوله تعالى: ﵟوَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖﵞ أي انتظر واستمع للقرآن عندما يوحي إليك ولا تتعجل في حفظه وأخذه عن جبريل حتى ينقضي من تلاوته عليك ومن إيمان لك فاستمع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى ينتهي ويفرغ من تلاوته عليك ثم حدث به كما تقدم في قوله تعالى: ﵟلَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥﵞ.

أما قوله ﵟوَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗاﵞ فحث على دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ سؤاله فريدًا من العلم الشرعي.

وبنحو هذا قال العلماء

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: كما رغبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، بوعدناهم ما وعدناهم، كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا، وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا، إذ كانوا عربا ﵟوَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِﵞ فبيناه: يقول: وخوّفناهم فيه بضروب من الوعيد ﵟلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَﵞ يقول: كي يتقونا، بتصريفنا ما صرّفنا فيه من الوعيد ﵟأَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ﵞ يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التي كذبت الرسل قبلها،

وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ما حذروا به من أمر الله وعقابه، ووقائعه بالأمم قبلهم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ القرآن ﴿ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾: أي جدّا وورعا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال بعضهم في ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ أن معناه: أو يحدثُ لهم شرفا، بإيمانهم به.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، الحق عما يصفه به المشركون من خلقه ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه، وقيل: لا تتله على أحد، ولا تمله عليه حتى نبينه لك.

وأورد أقوالًا مفادها حتى نبينه لك.

وقال:

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: ربّ زدني علما إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لا محالة، أنزلنا القرآن بشيرًا ونذيرًا، بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عيّ، ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتركون المآثم والمحارم والفواحش، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تنزه وتقدس الملك الحق، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، ورسله حق، والجنة حق، والنار حق، وكل شيء منه حق. وعدله تعالى ألا يعذب أحدًا قبل الإنذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه؛ لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ كقوله تعالى في سورة «لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ» ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، وثبت في الصحيح عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدّة، فكان مما يحرّك لسانه، فأنزل الله هذه الآية يعني: أنه، عليه السلام، كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدّة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه. فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئًا، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ أي: زدني منك علمًا.

قال ابن عُيَيْنَة رحمه الله: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عز وجل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي كما بينا لك في هذه السورة من البيان فكذلك جعلناه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ أي بلغة العرب. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ أي بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي يخافون الله فيجتنبون معاصيه، ويحذرون عقابه. ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ١١٣ ﴾ أي موعظة. وقال قتادة: حذرا وورعا. وقيل: شرفا؛ فالذكر ها هنا بمعنى الشرف؛ كقول: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وقيل: أي ليتذكروا العذاب الذي توعدوا به. وقرأ الحسن «أو نحدث» بالنون؛ وروي عنه رفع الثاء وجزمها.

قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ لما عرف العباد عظيم نعمه، وإنزال القرآن نزه نفسه عن الأولاد والأنداد فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ﴾ أي جل الله الملك الحق؛ أي ذو الحق. ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ علم نبيه كيف يتلقى القرآن. قال ابن عباس كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ، وشفقة على القرآن مخافة النسيان، فنهاه الله عن ذلك وأنزل ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ وهذا كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦ ﴾ [القيامة: ١٦].

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ وَإِذۡ قُلۡنَا
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ
هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا
تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ فَوَسۡوَسَ
إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠
فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ
وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ
ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ
ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ
مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ
وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾

[طه: ١١٥-١٢٧].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿عَهِدْنَآ - فَنَسِيَ - عَزْمًا - أَبَىٰ - فَتَشْقَىٰٓ - لَا تَظْمَؤُاْ - وَلَا تَضْحَىٰ - لَّا يَبْلَىٰ - فَبَدَتْ - سَوْءَٰتُهُمَا - وَطَفِقَا - يَخْصِفَانِ - فَغَوَىٰ - ٱجْتَبَٰهُ - وَهَدَىٰ - هُدًى - فَلَا يَضِلُّ - وَلَا يَشْقَىٰ - ذِكْرِي - مَعِيشَةً ضَنكًا - وَنَحْشُرُهُۥ - فَنَسِيتَهَا - أَسْرَفَ - وَأَبْقَىٰٓ﴾.

الكلمة	معناها
﴿عَهِدْنَآ﴾	أمرنا – حذرنا – أوصينا
﴿فَنَسِيَ﴾	فترك (العهد)
﴿عَزْمًا﴾	عزيمة قوية – صبراً – حفظًا لما عهدنا به إليه
﴿أَبَىٰ﴾	امتنع
﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾	فتتعب في العمل فيكون طعامك من كد يدك – فتتعب وترهق – فتعذب وتطرد من النعم
﴿لَا تَظْمَؤُاْ﴾	لا تعطش
﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾	لا تصاب بالحر
﴿لَّا يَبْلَىٰ﴾	لا يفنى – لا يبيد – لا يزول ولا ينتهي
﴿فَبَدَتْ﴾	فظهرت – فانكشفت
﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾	عورتهما
﴿وَطَفِقَا﴾	بدأ

﴿يَخْصِفَانِ ﴾	يجمعان ويضمان ويشدان
﴿فغوى﴾	ترك طريق الرشاد- وقع في الغي وهو البعد عن الحق والصواب
﴿اجْتَبَاهُ﴾	اختاره
﴿وَهَدَى﴾	وفقه للإيمان والاستغفار
﴿هُدًى﴾	حقٌ- إرشادٌ
﴿فَلَا يَضِلُّ﴾	فلا يخطئ طريق الجنة
﴿وَلَا يَشْقَى﴾	ولا يعيش في كبدس ولا في مشقة
﴿ذِكْرِي﴾	كتبه التي أنزلتها على رسلي- ذكرى بلسانه
﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾	معيشة ضيقة شديدة الضيق والنكد والتعب، قيل في الدنيا- وقيل في القبر وقيل يوم القيامة
﴿وَنَحْشُرُهُ﴾	نجمعه مع سائر الخلق
﴿فَنَسِيتَهَا﴾	فتركت العمل بها
﴿أَسْرَفَ﴾	تجاوز الحد في الكفر والظلم والفسق والعصيان
﴿وَأَبْقَى﴾	أدوم وأكثر استمرارًا

❁ ❁ ❁

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد وصينا آدم عليه السلام بوصية ونهيناه عن شيء فلم يُمضه وصيتنا ولم ينته عما نهيناه عنه ولم يحفظ وصيتنا ولم نجد عنده صبراً على ما نهيناه عنه ولا عزيمة شدسدة على ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

أما قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل هؤلاء المشركين وقيل من قبل أن يأكل من الشجرة.

وقوله: ﴿فَنَسِىَ﴾ أي فترك الذي عهدناه إليه:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي، ويخالفوا أمري، ويتركوا طاعتي، ويتبعوا أمر عدّوهم إبليس، ويطيعوه في خلاف أمري، فقديما ما فعل ذلك أبوهم آدم ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ﴾ يقول: ولقد وصينا آدم وقلنا له ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ ووسوس إليه الشيطان فأطاعه، وخالف أمري، فحلّ به من عقوبتي ما حلّ.

وعنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ هؤلاء الذين أخبر أنه صرَّف لهم الوعيد في هذا القرآن، وقوله: ﴿فَنَسِىَ﴾ يقول: فترك عهدي.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ قال: قال له: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ وقرأ حتى بلغ

﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾ قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك، قال: وهذا عهد الله إليه، قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه الذي حسده، وأبي أن يسجد له مع من سجد له إبليس، وعصى الله الذي كرّمه وشرّفه، وأمر ملائكته فسجدوا له.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي.

وقوله: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ اختلف أهل التأويل في معنى العزم ها هنا، فقال: بعضهم: معناه الصبر.

وأورد بإسناد صحيح عن قتادة قال: ﴿عَزۡمٗا﴾ صبراً.

قال:

وقال آخرون: معناه الحفظ قالوا ومعناه ولم نجد له حفظًا لما عهدنا إليه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: العزم المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به.

قال أبو جعفر: وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه ، فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله قولنا للملائكة وقبل أن نخلق آدم عليه السلام ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ فأخبرهم بما سيكون وأمرهم بالسجود إذا نفخ الروح فيه، وكذا أمرهم بالسجود لما نفخ فيه الروح فقال ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ سجود تحية ﴿فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ أي كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ الشيطان الأكبر ﴿أَبَىٰ ﴾ رفض وامتنع من السجود ورفض مستكبرًا متعاليًا عن الأمر كما في قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ وعلل ذلك بقوله ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وبقوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾.

فالحاصل أن الله عز وجل حذر آدم عليه السلام من إبليس وخطواته فقال له ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الشيطان ﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ وهي حواء عليها السلام ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا ﴾ فلا يتسبب في إخراجكما من الجنة فتشقى فتتعب وتكد كي تأكل لقمة العيش وتتعب أما أنت الآن يا آدم ففي الجنة ﴿لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ بل أنت في عيش رغيد هنيء وكذلك ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ لا تنوي بل أنت مكسوٌ مستورٌ والحمد لله ومن فضل الله بلباس من الجنة وبطعام وشراب من طعامها وشرابها ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا ﴾ لا تعطش بل أنت تُروى كيف شئت ومن أي مكان فيها شئت ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ لا تصاب بحر فيها، فاحفظ يا آدم هذه النعمة التي أنعم الله بها عليك، وذلك بشكرك لله وامتثالك لأمره.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره معلمًا نبيه محمدﷺ، ما كان من تضييع آدم عهده، ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه، إلا من عصمه الله منهم ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ أن يسجد له ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ ولذلك من شنآنه لم يسجد لك، وخالف أمري في ذلك وعصاني، فلا تطيعاه فيما يأمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له ﴿ مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ يقول: فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذّره ربه.

وقال تعالى ذكره: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ ولم يقل: فتشقيا، وقد قال: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا ﴾ لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه. كما قال: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ق: ١٧] اجتزئ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه.

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا آدم ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ و«أن» في قوله: ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ في موضع نصب بإنَّ التي في قوله: ﴿ إِنَّ لَكَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا ﴾ اختلفت القرّاء في قراءتها، فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة بالكسر: وإنك، على العطف على قوله: ﴿ إِنَّ لَكَ ﴾، وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة والبصرة وأنك، بفتح ألفها عطفا بها على «أن» التي في قوله: ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾، ووجّهوا تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا، فهذه القراءة أعجب القراءتين إليّ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة، فكون ذلك بأن يكون عطفا على أن لا

تجوع أولى من أن يكون خبر مبتدأ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب، وعني بقوله: ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا﴾ لا تعطش في الجنة ما دمت فيها ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾، يقول: لا تظهر للشمس فيؤذيك حرّها، كما قال ابن أبي ربيعة:

رأتْ رَجُـلا أمَّـا إذا الشَّـمْسُ فَيَضْحَى وأمَّا بالعشِيّ فَيَخْصَرُ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ أي: امتنع واستكبر. ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ يعني: حواء، عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ أي: إياك أن يسعى في إخراجك منها، فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء، لا كلفة ولا مشقة.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ إنما قرن بين الجوع والعُرْي؛ لأن الجوع ذُلّ الباطن، والعري ذُلّ الظاهر.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ وهذان أيضا متقابلان، فالظمأ: حر الباطن، وهو العطش. والضحى: حر الظاهر.

قوال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ نهي؛ ومجازه لا تقبلا منه فيكون ذلك سببا لخروجكما ﴿مِنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ ﴿فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ يعني أنت وزوجك لأنهما في استواء العلة واحد؛ وليقل: فتشقيا لأن المعنى معروف، وآدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو المخاطب، وهو المقصود. وأيضا لما كان الكاد عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص. وقيل: الإخراج واقع عليهما والشقاوة على آدم وحده، وهو شقاوة البدن؛ ألا ترى أنه عقبه بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ أي في الجنة ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ فأعلمه أن له في الجنة هذا كله:

الكسوة والطعام والشراب والمسكن؛ وأنك إن ضيعت الوصية، وأطعت العدو أخرجكما من الجنة فشقيت تعبا ونصبا، أي جعت وعريت وظمئت وأصابتك الشمس؛ لأنك ترد إلى الأرض إذا أخرجت من الجنة. وإنما خصه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان: يعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج؛ فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج، فلما كانت نفقة حواء على آدم كذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية. وأعلمنا في هذه الآية أن النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة: الطعام والشراب والكسوة والمسكن؛ فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها؛ فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور، فأما هذه الأربعة فلا بد لها منها؛ لأن بها إقامة المهجة. قال الحسن المراد بقوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ شقاء الدنيا، لا يرى ابن آدم إلا ناصبا. وقال الفراء هو أن يأكل من كد يديه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾. ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ أي لا تعطش. والظمأ العطش. ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ أي تبرز للشمس فتجد حرها. إذ ليس في الجنة شمس، إنما هو ظل ممدود.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

ج: المعنى والله وأعلم فحدث الشيطان آدم عليه السلام حديثًا في نفسه وألقى إليه بوساوسه في صدره وقال له يا آدم هل أدلك على ﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ شجرة إن أكلت منها ستخلد ولن تموت، وبالأكل منها تصبح ملكًا مثل الله عز وجل ولك

ملكٌ مثل ملكه لا يفنى ولا يبيد ولا يزولن وقيل كي تكون ملكًا من الملائكة الآية الكريمة كقوله ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ وأقسم لهما الشيطان على صدقه فيم يقوله قال تعالى ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾

فحملهما اللعين على الأكل من الشجرةن فأكلا منها فلما أكلا منها نزع عنهما لباس الجنَّة، ذلكم اللباس الذي كساهما الله تعالى به في الجنة إذ قال ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ نزع عنهما اللباس وانكشف العورات وظهرت فرأى آدم وحواء سوءتهما فبدأ يجمعان ورقًا من أوراق أشجار الجنة ويضمان بعضه إلى بعض كي يسترا العوارات، كي يستر السوءات وعصى آدم ربَّه ﷻ بأكله من الشجرة هو وزجته فغوى فوقع في المخالفة والغواية، وفسدت عليه معيشته ووقع في الشر لما أكل من الشجرة ثم إن الله ﷻ اجتباه واختاره واصطفاه بعد معصيته فرزقه التوبة والإنابة والاستقصاء والعمل بطاعة الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يقول: فألقى إلى آدم الشيطان وحدّثه ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ يقول: قال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكا لا ينقضي فيبلى.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ إن أكلت منها كنت مَلكا مثل الله ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠] فلا تموتان أبدا.

يقول تعالى ذكره: فأكل آدم وحوّاء من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفا أمر ربهما ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ يقول: فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي، قال: إنما أراد، يعني إبليس بقوله: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾ ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما، بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حوّاء، فأكلت ثم قالت: يا آدم كل، فإني قد أكلت، فلم يضرّني، فلما أكل آدم بدت سوآتهما.

وقوله: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ يقول: أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة.

عن السدي: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ يقول: أقبلا يغطيان عليهما بورق التين.

وبإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ يقول: يوصلان عليهما من ورق الجنة.

وقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ يقول: وخالف أمر ربه، فتعدّى إلى ما لم يكن له أن يتعدّى إليه، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ يقول: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه، وقوله: ﴿وَهَدَىٰ﴾ يقول: وهداه للتوبة، فوفّقه لها.

❀ ❀ ❀

هل تصدر من الأنبياء معاصي

س: هل الأنبياء تصدر منهم معاصي؟

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

الأكثر على أنه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء مَعْصية. وخالف الروافض، وخالف المعتزلة إلا في الصغائر. ومعتمدهم التقبيح العقلي. والإجماع على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الأحكام؛ لدلالة المعجزة على الصدق. وجوَّزه القاضي غلطًا وقال: دلت على الصدق اعتقاداً. وأما غيره مِن المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصغائر الخسيسة. والأكثر على جواز غيرهما ا ه منه بلفظه.

وحاصل كلامه: عصمتهم من الكبائر، ومن صغائر الخِسّة دون غيرها من الصغائر.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وحاصل كلام الأصوليِّين في هذه المسألة: عِصْمَتهم مِن الكُفر وفي كل ما يتعلق بالتبليغ، ومن الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف حبة، وأن أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائر غير الصغائر الخسة منهم. ولكن جماعة كثيرة مِن متأخِّري الأصوليِّين اختاروا أن ذلك وإن جاز عقلاً لم يَقع فعلاً، وقالوا: إنما جاء في الكتاب والسنَّة مِن ذلك أن ما فعلوه بتأويل أو نسيانًا أو سهواً، أو نحو ذلك.

قال مقيده عفا الله وغفر له: الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يَقع منهم ما يزري بمراتبهم العَلِّية، ومناصبهم السامِيَة. ولا يستودجب خطأ منهم ولا نقصًا فيهم صَلوات الله

وسلامه عليهم ، ولو فَرَضْنا أنه وقع منهم بعض الذنوب لأنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة ، والإخلاص ، وصِدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئًا من ذلك. ومِما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]. فانظر أي أثر يبقى لِلعِصْيان والغي بعد توبة الله عليه ، واجتبائه أي اصطفائه إياه ، وهِدايته له ، ولا شكّ أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

المعاصي سبب زوال النعم

س: المعاصي سبب لزوال النعم دلل على ذلك:

ج: الأدلة على ذلك كثيرة جدًّا نذكر بعضها فقد ذكرت في مواطن وقوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣) ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

وقال سبحانه في شأن سبأ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ (١٧) ﴾ [سبأ: ١٥ – ١٧].

وكذا ما حلَّ بقوم نوح وعاد وثمود وقوم فرعون وأصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين وقارون الطاغي......

وها هو أبونا آدم ﷺ وزوجه حواء عليها السلام كانا في نعيم وكانا في الجنان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

وكما قال سبحانه: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩].

فماذا كان من آدم وزوه بعد هذا النعيم وبعد هذا الستر الجميل؟!!.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]

فماذا كان؟؟أُخرج عليه السلام من الجنة هو وزوجه، نُزع عنهما لباسهما! كما قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١].

فانظر إلى آثر المعاصي والذنوب، انظر إلى أثر المعصية، والعياذ بالله وكيف تبدل الستر عُريًا؟!! وأصبح المستور عريانًا؟!

وها هو يونس صلى الله عليه وسلم: ذهب مغاضبًا فكان بطن الحوت له سجنًا. وأي سجن؟!!إنه سجن في قاع البحار!!!

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن الله عز وجل، ولما أكل آدم وحواء عليهما السلام من الشجرة قال الله عز وجل لهما ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ اهبطا من الجنة جميعًا يا آدم ويا حواء

وفي الآية الأخرى ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ أي ومعهما الشيطان ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ يا آدم وحواء وذريتكما وكذ إبليس وذريته، فإبليس وذريته أعداء لآدم وحواء وذريتها ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾ يا بني آدم من ﴿هُدٗى﴾ إرشادًا وهداية وقولًا حق ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ الحق الذي أرسلت به رسلي وأنزلته في كتب ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ عن طريق الجنة ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ تذكير في كتب التي أنزلتها على رسلي، وأعرض عن توحيدي وذكري ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ ضيقة، وشقيل أن هذه المعيشة الضيقة في الدنيا وقيل إنها في القبر يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وقيل إنها في جهنم والعياذ بالله وأكثر الأقوال على أنها في القبر ولا ينفي هذا القول ما سواه.

وكذلك مفضلًا عن المعيشة الضنك التي يعيشها العرض عن ذكر الله فإنه أيضًا ﴿يُحشر﴾ يجمع من يجمعوا يوم القيامة ﴿أَعۡمَىٰ﴾ قيل أعمى البصيرة عن الحجة فلا حجة له ولا يدري يجيب وقيل أعمى البصر لا يرى كما قال تعالى ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾

فيتساءل ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ﴾ في الدنيا ﴿بَصِيرٗا﴾ فيجاب بقوله ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا﴾ حججنا الدالة على واحدنيتنا ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ فتركت العمل بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وكما تركت العمل بآياتنا ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ اليوم تنزل في النار وتترك بلا نصير ولا يقين وتُهمل كما أهملت الآيات ولم تعمل بها.

وكما جازينا هذا الموص من الذكر، فكذلك نجزي ﴿مَنۡ أَسۡرَفَ﴾ تجاوز الحد ﴿وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ ولم يصدق بالقرآن ولا بالكتب والحجج والآيات ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ وأدوم وأكثر استمرارًا

من عذاب الدنيا.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال الله تعالى لآدم وحوّاء ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يقول: أنتما عدوّ إبليس وذرّيته، وإبليس عدوّكما وعدوّ ذرّيتكما.

وقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ يقول: فإن يأتكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى: يقول: بيان لسبيلي، وما أختاره لخلقي من دين ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزغ منه ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ يقول: فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ في الآخرة بعقاب الله، لأن الله يدخله الجنة، وينجيه من عذابه.

وأورد بما يصح لشواهده عن ابن عباس، قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ يقول: فإن له معيشة ضيقة، والضنك من المنازل والأماكن والمعايش: الشديد، يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقا، وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد؛ ومنه قول عنترة:

وإنْ نزلُوا بضَنْكٍ أنزل

وأورد الطبري عددًا من الأقوال في تفسير المعيشة الضنك بأنها الضيق.

ثم قال الطبري:

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك، والحال التي جعلهم فيها، فقال بعضهم: جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال في جهنم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر، قال: ومعيشة ضنكا في النار شوك من نار وزقوم وغسلين، والضريع: شوك من نار، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٤] قال: لمعيشتي، قال: والغسلين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنيا.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: فإن له معيشة في الدنيا حراما قال: ووصف الله جلّ وعزّ معيشتهم بالضنك، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك.

وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة، لأنهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله، وإياس من فضل الله، وسوء ظنّ منهم بربهم، فتشتدّ لذلك عليهم معيشتهم وتضيق.

وقال آخرون: بل عني بذلك: أن ذلك لهم في البرزخ، وهو عذاب القبر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي سعيد الخدري، قال: إن المعيشة الضنك، التي قال الله عذاب القبر.

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: يضيق عليه

قبره حتى تختلف أضلاعه.

وعن أبي هريرة قال: يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾.

واختار الطبري أن المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر معللًا ذلك بما أورده بإسنادٍ ضعيف.

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَتَدْرُونَ فِيمَ أُنزلتْ هَذِهِ الآيَة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أَتَدْرُونَ مَا المعيشَةُ الضَّنْكُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عَذَابُ الكافِرِ فِي قَبْرِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنَّه لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينا، أَتَدْرُونَ ما التِّنِينُ: تسْعَةٌ وَتسْعُونَ حَيَّه، لكلّ حَيَّه سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَيخْدِشُونَهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ».

قال الطبري:

وإن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾ فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾ معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدّمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشدّ منه، بطل معنى قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾، فإذ كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بيَّنا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كلّ من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم

أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدلّ على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صحّ الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ.

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقال بعضهم: ذلك عمى عن الحجة، لا عمى عن البصر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جلّ ثناؤه، فعمّ ولم يخصص.

وقوله: ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وقد كنت بصيرا بحجتي.

وقال آخرون بل معناه: وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عزّ شأنه وجلّ ثناؤه، عمّ بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخصص منه معنى دون معنى، فذلك على ما عمه ، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية، قال: ربّ لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله.

فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ مع معاينته عظيم سلطانه، أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء، أم ما وجه ذلك؟ قيل: إن ذلك منه مسألة لربه يعرّفه الجرم الذي استحق به ذلك، إذ كان قد جهله، وظنّ أن لا جرم له، استحق ذلك به منه، فقال: ربّ لأيّ ذنب ولأيّ جرم حشرتني أعمى، وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا

إلا بدون ما يستحق منك من العقاب.

وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ﴾ يقول تعالى ذكره، قال الله حينئذ للقائل له: ﴿لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥﴾ فعلت ذلك بك، فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي، وهي حججه وأدلته وبيانه الذي بيَّنه في كتابه، فنسيتها: يقول: فتركتها وأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، ولم تعمل. وعنى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ﴾ هكذا أتتك. وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا، فتركتها وأعرضت عنها، فكذلك اليوم ننساك، فنتركك في النار.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك.

وأورد عن أبي صالح: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ في النار.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ قال: نسي من الخير، ولم ينس من الشرّ. وهذا القول الذي قاله قَتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد، لأن تركه إياهم في النار أعظم الشرّ لهم.

يقول تعالى ذكره: وهكذا نجزي: أي نثيب من أسرف فعصى ربه، ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة ضنكا في البرزخ كما قد بيَّنا قبل ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولعذاب في الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول: وأدوم منها، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية.

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حَرَج لضلاله، وإن تَنَعَّم

ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويحتمل أن يكون المراد: أنه يُحشَر أو يبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضًا، كما قال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧]. ولهذا يقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥﴾ أي: في الدنيا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ أي: لما أعرضت عن آيات الله، وعامَلْتها معاملة من لم يذكرها، بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك نعاملك اليوم معاملة من ينساك ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١] فإن الجزاء من جنس العمل، فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه، فليس داخلًا في هذا الوعيد الخاص، وإن كان مُتَوَعدًا عليه من جهة أخرى.

وقال في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾.

يقول تعالى: وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة، ﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾ [الرعد: ٣٤] ولهذا قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾ أي: أشد ألمًا من عذاب الدنيا، وأدوم عليهم، فهم مخلدون فيه؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: **«إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة»**.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ ﴾ خطاب آدم وإبليس. ﴿مِنْهَا﴾ أي من الجنة. وقد قال لإبليس: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ ﴾ [الأعراف ١٨] فلعله أخرج من الجنة إلى موضع من السماء، ثم أهبط إلى الأرض. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ ﴾ أي أنت عدو للحية ولإبليس وهما عدوان لك. وهذا يدل على أن قول ﴿ٱهْبِطَا﴾ ليس خطابا لآدم وحواء؛ لأنهما ما كانا متعاديين؛ وتضمن هبوط آدم هبوط حواء. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أي رشدا وقولا حقا. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ يعني الرسل والكتب. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ قال ابن عباس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية. من قرأ واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، ثم تلا الآية. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه. وقيل: عما أنزلت من الدلائل. ويحتمل أن يحمل الذكر على الرسول؛ لأنه كان منه الذكر. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي عيشا ضيقا.

وقال في تفسير قوله: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ قيل أعمى في حال وبصيرًا في حال وقيل: أعمى عن الحجة؛ قاله مجاهد. وقيل: أعمى عن جهات الخير، لا يهتدي لشيء منها. وقيل: عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه، كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه. ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ أي بأي ذنب عاقبتني بالعمى. ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ أي في الدنيا، وكأنه يظن أنه لا ذنب له. وقال ابن عباس ومجاهد: أي ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ عن حجتي ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ أي عالما بحجتي؛ القشيري: وهو بعيد إذ ما كان للكافر حجة في الدنيا. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ أي قال الله تعالى له ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ أي دلالاتنا على وحدانيتنا

وقدرتنا. ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ أي تركتها ولم تنظر فيها، وأعرضت عنها. ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ أي تترك في العذاب؛ يريد جهنم. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن، وعن النظر في المصنوعات، والتفكير فيها، وجاوز الحد في المعصية. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ أي لم يصدق بها. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ أي أفظع من المعيشة الضنك، وعذاب القبر. ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ أي أدوم وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

❁ ❁ ❁

س: ما صحة هذا الحديث: «ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم القيامة وهو أجذم»؟

ج: هذا حديث ضعيف جدًا، ولم أقف له على درجة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩
فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ
ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا
بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ
أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢
وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣
وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا
فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾

[طه: ١٢٨-١٣٥].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ - لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ - كَلِمَةٌ سَبَقَتْ - لِزَامًا - ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ - وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ - أَزْوَٰجًا - زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا - وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا - وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ - بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ - نَّذِلَّ - وَنَخْزَىٰ - مُّتَرَبِّصٌ - ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾	أفلم يظهر لهم – أفلم يتبين لهم
﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾	لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة لأهل التقوى– لأهل الورع
﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾	ما قضاه الله وكتبه قبل الخلق ما قدرة الله على الخلائق وأثبت في اللوح المحفوظ– ما تكلَّم الله به.......
﴿لِزَامًا﴾	العذاب ملازمًا لهم من الأمة القتل ملازمًا لهم
﴿ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾	ساعات الليل
﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾	قيل المراد الظهر والمغرب، وقيل أول النهار وآخره
﴿أَزْوَٰجًا﴾	أصنافًا
﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	زينة الحياة الدنيا
﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾	صابر على الصلاة وحافظ عليها بشدة

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾	العاقبة الحسنة، وهي الجنة لأهل التقوى، للأتقياء
﴿بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾	ما في الكتب الأولى (كالتوراة والإنجيل) مُبينًا وقيل البينة الآية الدلالة على صدق رسولنا مما في الصحف الأولى.
﴿نَّذِلَّ﴾	نذل في العذاب (قيل الدنيوي)......
﴿وَنَخۡزَىٰ﴾	ونخزى في جهنم ونخزى بدخول النار – يحل بنا العار.
﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾	منتظرٌ نتيجة عمله
﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾	الطريق المستقيم الموصل للجنة

❀ ❀ ❀

ومن الدليل على أن الأمور مقدرة

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أفلم يتبين لهؤلاء المشركين المكذبين، وتظهر لهم العبر من القرون التي كانت من قبلهم، فلقد أهلكنا قبلهم قرونًا كثيرة وأمما كثيرة، وهاهم هؤلاء يمشون في مساكن لقوم الذي أهلكناهم وأمنيناهم، ويرون مساكنهم التي دمرناها في صباحهم ومساءهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ لدلالات على قدرتنا وحدانيتنا ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ لأصحاب العقول النيّرة الرشيدة.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾

أي: ولولا أن الله ﷻ كتب عنده في اللوح المحفوظ وقضى وقدر أنه لا يعذب هؤلاء إلا بعد قيام الحجة عليهم، ولولا أنه كتب أن لهم أجلٌ مسمى يعيشون عُمرًا محددًا يعيشون ولولا أنه كتب أن العذاب سينزل في وقت محدد لنزل عليهم العذاب الآية لتكذيبهم وعنادهم، وملازمهم العذاب ففي الآية تقديم وتأخير فالمعنى ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى حدَّده لنزول العذاب عليهم للازمهم العذاب من الآية ولحلَّ بهم العذاب.

ما قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يرشد الله ﷻ نبيه محمد ﷺ ويحثه على الصبر على جهات هؤلاء وتكذيبهم وأنها مهم له بالباطل وضعهم له بأنه شاعر وكاهن وكذاب وغير ذلك من الأوصاف فاصبر على كل هذا ﴿وَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

صل لربك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أي صلاة العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ ساعات الليل، وقيل المراد صلاة العشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ قيل الظهر والمغرب فعلى ذلك تكون الآية الكريمة انتظمت الصلوات الخمس فالله أعلم.

وقال بعض العلماء: إن المراد بقوله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ المراد صلاة الصبح وصلاة العصر وما سوى ذلك فالمراد به صلوات النفل في الليل والنهار أما قوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ أي لعلّك تثاب على هذه الصلوات ثوابًا يرضيك الله به، ومن هذا الثواب الذي يرضيك الله به الوسيلة التي هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ومن هذا الذي يرضيه الله به قبول.

شفاعته في أمته، وقد قدمت مزيدًا لذلك في سورة الضحى عن قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

بنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا، ويتعظوا بهم، ويعتبروا، وينيبوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي

﴿مَسَٰكِنِهِمۡۚ﴾ لأن قريشا كانت تتجر إلى الشأم، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذّرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله لهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذّبة رسلها قبلهم، وحلول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ يقول: لدلالات وعبرا وعظات ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ يعني: لأهل الحجى والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد أن كلّ من قضى له أجلا فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾ يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أمّ الكتاب وخطه فيه، هم بالغوه ومستوفوه ﴿لَكَانَ لِزَامٗا﴾ يقول: للازمهم الهلاك عاجلا وهو مصدر من قول القائل: لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما: إذا لم يفارقه، وقدّم قوله: ﴿لَكَانَ لِزَامٗا﴾ قبل قوله: ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، فاصبر على ما يقولون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾ وهذه من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى كان لزاما، والأجل المسمى، الساعة، لأن الله تعالى يقول ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦﴾ [القمر: ٤٦].

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾ قال: هذا مقدّم ومؤخر، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل

مسمى لكان لزاما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختلف أهل التأويل في قوله ﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ فقال بعضهم لكان موتا وقال آخرون لكان قتلًا

قال الطبري:

وقوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ يقول: وصل بثنائك على ربك، وقال: بحمد ربك، والمعنى: بحمدك ربك، كما تقول: أعجبني ضرب زيد، والمعنى: ضربي زيدا، وقوله: ﴿ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ وذلك صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾ وهي العصر ﴿ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾ وهي ساعات الليل، واحدها: إنى، على تقدير حمل، ومنه قول المنخل السعدي:

حُلْوٌ وَمُرّ كَعطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ فِي كُلّ إِني قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

ويعني بقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ ﴾ صلاة العشاء الآخرة، لأنها تصلى بعد مضيّ آناء من الليل. وقوله: ﴿ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾: يعني صلاة الظهر والمغرب، وقيل: أطراف النهار، والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرتا، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أوّل طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب، فلذلك قيل أطراف، وقد يحمل أن يقال: أريد به طرفا النهار. وقيل: أطراف، كما قيل ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فجمع، والمراد: قلبان، فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر، وآخر طرفه الأول.

وأورد الطبري حديث: عن جرير بن عبد الله، قال: كنا جلوسا عند رسول

ﷺ، فرأى القمر ليلة البدر فقال: «**إِنَّكُمْ راءُونَ رَبَّكُمْ كَما تَرَوْنَ هَذَا، لا تُضَامُونَ فِي رُؤيته، فإِن اسْتَطَعْتُم أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها فافْعَلُوا**» ثم تلا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾».

وقال الحفاظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به: يا محمد، كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسل قبلهم، فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر، كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها، يمشون فيها، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝١٢٨﴾ أي: العقول الصحيحة والألباب المستقيمة، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: ٤٦]، وقال في سورة «الم السجدة»: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝٢٦﴾ [السجدة: ٢٦].

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝١٢٩﴾ أي: لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة؛ ولهذا قال لنبيه مسليًا له: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من تكذيبهم لك، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني: صلاة الفجر، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: صلاة العصر، كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البَجَليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند رسول ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضَامُّون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا**» ثم قرأ هذه الآية .

وأورد حديث رسول الله ﷺ: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي: من ساعاته فتهجد به. وحمله بعضهم على المغرب والعشاء، ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ في مقابلة آناء الليل، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ٥].

وفي الصحيح: «يقول الله تعالى: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: إني أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يريد أهل مكة؛ أي أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إذا سافروا وخرجوا في التجارة طلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية خاويه؛ أي أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم. وقرأ ابن عباس والسلمي وغيرهما ﴿نَهْدِ لَهُمْ﴾ بالنون وهي أبين. و ﴿يَهْدِ﴾ بالياء مشكل لأجل الفاعل؛ فقال الكوفيون ﴿كَمْ﴾ الفاعل؛ النحاس: وهذا خطأ لأن "كم" استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها. وقال الزجاج المعنى أو لم يهد لهم الأم بإهلاكنا من أهلكنا. وحقيقة "يهد" على الهدى؛ فالفاعل هو الهدى تقديره أفلم يهد الهدى لهم. قال الزجاج: "كم" في موضع نصب ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ فيه تقديم وتأخير؛ أي ولولا

كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما؛ قاله قتادة. واللزام الملازمة؛ أي لكان العذاب لازما لهم. وأضمر اسم كان. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ قال الزجاج: عطف على «كلمة». قتادة: والمراد القيامة؛ وقاله القتبي. وقيل تأخيرهم إلى يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمره تعالى بالصبر على أقوالهم: إنه ساحر؛ إنه كاهن؛ إنه كذاب؛ إلى غير ذلك. والمعنى لا تحفل بهم؛ فان لعذابهم وقتا مضروبا لا يتقدم ولا يتأخر. ثم قيل: هذا منسوخ بآية القتال. وقيل: ليس منسوخا؛ إذ لم يستأصل الكفار بعد آية القتال بل بقي المعظم منهم.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ قال أكثر المتأولين: هذا إشارة إلى الصلوات الخمس ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ﴾ العتمة ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ المغرب والظهر؛ لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر؛ فهي في طرفين منه؛ والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب. وقيل: النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال، ولكل قسم طرفان؛ فعند الزوال طرفان؛ الآخر من القسم الأول والأول من القسم الآخر؛ فقال عن الطرفين أطرافا على نحو ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤] وأشار إلى هذا النظر ابن فورك في المشكل. وقيل: النهار للجنس فلكل يوم طرف، وهو إلى جمع لأنه يعود في كل نهار. و ﴿ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته وواحد الآناء إني وإنى وأنى. وقالت فرقة: المراد بالآية صلاة التطوع؛ قاله الحسن. ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ بفتح التاء؛ أي لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به. وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم «تُرْضَى» بضم

التاء؛ أي لعلك تعطى ما يرضيك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

ج: المعنى لا تنظر ولا تنشغل ولا تكترث ولا تبالي ولا تشغل قلبك وعقلك بما متعنا به هؤلاء القوم القوم في دنياهم وهم معرضون عن طاعة الله لا تنشغل بدنياهم كثيرًا، لا تنشغل بهذا المتاع الذي متعنا به أصنافًا منهم، فإنما هو زينة في الحياة لنختبرهم بذلك وما عند الله ﷻ من رزق حلال طيب اعده لك في الآخرة خيرٌ من هذا المتاع الدنيوي الزائل لأن زرق الآخرة لا يزول ولا يتحول، بل هو دائم وهم فيه خالدون فاحرص على صلاتك واصطبر على صلاتك، حافظ عليها وأمر أهلك بها كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ وكما قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

أما قوله تعالى: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ﴾ أي لا نطلب منك مالًا بل نطلب منك أن تصلي ونحن نتكفل لك بالرزق وكذا لا نطلب منك أن تنشغل عن الصلاة بالبحث عن الرزق، بل صل وأيضًا ابحث عن الرزق فنرزقك ونحن المتكلفون بالرزق

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ أي العاقبة الحسنة وهي الجنة، والعاقبة الحسنة في كل الأمور ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لأهل التقى والإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فانٍ زائل، وغُرور وخدع تضمحلّ ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه ﴿خَيْرٌ﴾ لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاد، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، من أجل أن رسول الله ﷺ بعث إلى يهوديّ يستسلف منه طعاما، فأبى أن يسلفه إلا برهن.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ يقول: واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها أنت ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ يقول: لا نسألك مالا بل نكلفك عملا ببدنك، نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا يقول ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ نحن نعطيك المال ونكسبكه، ولا نسألكه ، وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كلّ عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا، ولا يرجو له ثوابا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن هشام بن عروة، قال: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره، فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.

وبإسنادٍ صحيح عن عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان يبيت عند عمر بن

الخطاب من غلمانه أنا ويرفأ، وكانت له من الليل ساعة يصليها، فإذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما .

وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾.... الآية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور.

وقال مجاهد: ﴿ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: الأغنياء فقد آتاك [الله] خيرًا مما آتاهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨]، وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله في الدار الآخرة أمر عظيم لا يُحَدّ ولا يوصف، كما قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى: ٥] ولهذا قال: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾.

وفي الصحيح: أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه، حين آلى منهم فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير وليس في البيت إلا صُبْرَة من قَرَظ، وأَهَب معلقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء، فقال رسول الله: «**ما يبكيك ؟**».

فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؟ فقال: «**أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا**».

فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا، في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد.

وقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصطبر أنت على فعلها كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦].

وقوله: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] ولهذا قال: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ وقال الثوري: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ ﴾ أي: لا نكلفك الطلب.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في حث الرجل أهل بيته على الصلاة

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وقال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت.

وفي صحيح البخاري أيضًا من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: «**سبحان اله ماذا أنزل الله من الفتن؟ وماذا فتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحبات الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء**».

وطرق النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا وفاطمة ليلة فقال لهما: «**ألا تصليان؟**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم وقال أهل الكفر والتكذيب والشرك والجحود والنكلان لولا يأتينا محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة من ربِّه تدل على صدقه ونبوته كما جاء من كان قبله، فقد جاء صالح بناقة عظيمة، وجاء موسى بعدة آيات كالعصا

واليمد وغير ذلك وسخرت لسليمان الريح وكذا الجن والشياطين وكذا ألان الله لداود الحديد وعيسى كان يُبرء الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله وغير هؤلاء كثير وكثير فهلا جاء محمد بشيءٍ مثل ذلك يدل على نبوته فأجابهم ربنا ﷻ بقوله ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وللعلماء في ذلك أقوال:

أحدها: أولم تأتهم البينة من الصحف.

الأولى: كالتوراة والإنجيل، البيِّنة الدالة على صدق رسولنا ﷺ وأنه خارج وأنه خاتم النبيين وقد أُخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا به وكذا بشرت به تلك الكتب؟

الثاني: أولم تأت لهؤلاء المكذبين البينات من الصحف الأولى تلك البينات والدلائل على أن المعجزات لا تنشأ الإيمان عند من كتب الله له الكفر، فقد جاءت الناقة قوم صالح مفعودها وكذبوا نبيهم عليه السلام وكذا جاء موسى بالبينات فكُذِّب ووصف بأنه ساحر، وكذا وصف عيسى عليه السلام، وأيضًا فقد كفروا سليمان عليه السلام فماذا عساها أن تنفع الآيات.

الثالث: أولم يُخبر النبي ﷺ بما أُنزل عليه القرآن بالأخبار التي أخبرت بها الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل هذا، وثم أقوال أخر في هذا الصدد.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ فمعناه ولو أنا عذبناهم وأهلكناهم بعذاب قبل بعثت النبي ﷺ إليهم وقبل إنزال القرآن عليه لتحذيرهم ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في الدنيا، ونُهان فيها ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ بدخولنا النار.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ﴾ قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين كلٌ منا

يتربص وينتظر ماذا سيحل بالآخر، وينتظر يوم الفصل وينتظر من المحق ومن المصيب ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الطريق المستقيم المؤدي إلى جنات الله ومرضاته ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ ومن الذي وفقه الله السلوك طريق الهداية.

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جلّ ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجَّلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله، لقالوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك، فنتبع آياتك: يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: كلكم أيها المشركون بالله

متربص يقول: منتظر لمن يكون الفلاح، وإلى ما يئول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان، فتربصوا يقول: فترقبوا وانتظروا، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، أنحن أم أنتم؟ ومن اهتدى يقول: وستعلمون حينئذ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار في قولهم: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي: بعلامة دالة على صدقه في أنه رسول الله؟ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾ يعني: القرآن العظيم الذي أنزله عليه الله وهو أمي، لا يحسن الكتابة، ولم يدارس أهل الكتاب، وقد جاء فيه أخبار الأولين، بما كان منهم في سالف الدهور، بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها؛ فإن القرآن مهيمن عليها، يصدق الصحيح، ويُبَيّن خطأ المكذوب فيها وعليها. وهذه الآية كقوله تعالى في سورة «العنكبوت»: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١] وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**».

وإنما ذكر هاهنا أعظم الآيات التي أعطيها، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو القرآن، وله من المعجزات ما لا يحد ولا يحصر، كما هو مودع في كتبه، ومقرر في مواضعه.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا

رَسُولًا ﴾ أي: لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ قبل أن تهلكنا، حتى نؤمن به ونتبعه؟ كما قال: ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾، يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٧]، كما قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧] وقال: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [فاطر: ٤٢] وقال: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] الآيتين.

ثم قال تعالى ﴿ قُلْ ﴾ أي: يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده ﴿ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ أي: منا ومنكم ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ ﴾ أي: فانتظروا، ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ ﴾ أي: الطريق المستقيم، ﴿ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ إلى الحق وسبيل الرشاد، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٢]، ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القمر: ٢٦].

❊ ❊ ❊

تفسير سورة الأنبياء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ
مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣
قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ
أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥
مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا
رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ
جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ
وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا
تَعۡقِلُونَ ١٠ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا
ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ
إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤
فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾

[الأنبياء: ١-١٥].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿حِسَابُهُمۡ - غَفۡلَةٖ - مُّعۡرِضُونَ - ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم - مُّحۡدَثٍ - لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ - وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى - أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ - وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ - ٱلۡقَوۡلَ - أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ - ٱفۡتَرَىٰهُ - بِـَٔايَةٖ - يُؤۡمِنُونَ - ذِكۡرُكُمۡ - قَصَمۡنَا - بَأۡسَنَآ - يَرۡكُضُونَ - مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ - دَعۡوَىٰهُمۡ - حَصِيدًا - خَٰمِدِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حِسَابُهُمۡ﴾	وقت حسابهم على أعمالهم ومجازاتهم عليها
﴿غَفۡلَةٖ﴾	سهوٍ
﴿مُّعۡرِضُونَ﴾	منصرفون (عن القرآن– وعن العمل لليوم الآخر) منشغلون
﴿ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم﴾	تذكير من ربهم (بالقرآن– أو برسول الله صلى الله عليه وسلم) القرآن– وقيل رسول الله
﴿مُّحۡدَثٍ﴾	جديدٌ إنزاله– نزوله حديث
﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ﴾	منشغلة قلوبهم– ساهيةً قلوبهم
﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾	تناجوا فيما بينهم سرًا– ظهروا لبعض (في السر ما تحدثهم نفوسهم به)
﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ﴾	أفتقبلون السحر
﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾	وأنتم تعلمون أنه سحر
﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾	كل ما يُقال

﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾	أحلاط تُرى في المنام- رؤيا كاذبة
﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾	تقَّوله من عند نفسه
﴿بِـَٔايَةٖ﴾	بمعجزة- بدلالة على نبوته
﴿يُؤۡمِنُونَ﴾	يصدقون
﴿ذِكۡرُكُمۡ﴾	شرفكم- عزكم- مجدكم- حدثكم
﴿قَصَمۡنَا﴾	أهلكنا- قصم الظهر كسرة
﴿بَأۡسَنَآ﴾	عذابنا
﴿يَرۡكُضُونَ﴾	يسرعون، يفرون مسرعين
﴿مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾	ما مُتعتم فيه- ما نقمتم فيه الفيم الذي كنت فيه
﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾	دعوتهم – دعاوهم
﴿حَصِيدًا﴾	كالشيء المحصود المقطوع من أصله
﴿خَٰمِدِينَ﴾	هلكى- موتى – لا صوت لهم وا حراك

س: ما معنى الوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأولى، وهن من تلادي. وما مدى صحته؟

ج: هذا صحيح وقد أخرجه البخاري رحمه الله.

ومعنى قوله من العتاق الأُولى أي من السور التي نزلت أولًا (يعني نزلت قديمًا بمكة في أوائل البعثة)، وقوله: (وهن من تلادي) أي من حفظي القديم يعني من أوائل ما حفظت من السور.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم، اقترب الوقت الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويحاسبون فيه على النعم التي أنعم الله بها عليهم فيها وذلك الحساب يوم القيامة، فالمعنى اقترب يوم الحساب وهو يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ وكما قال ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

اقترب ذلك اليوم وقع ذلك فالناس في غفلة عنه معرضون عن العمل به وعن المُذكر به.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها؛ وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا

أمره فيها؟ ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له، والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ قال في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تنبيه من الله، عز وجل، على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها، أي: لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها.

وأورد الحديث السابق لكن من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾.

وقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ الآية.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نُوَاس الشاعر أنه قال: أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول:

النَّاس في غَفَلاتِهِمْ ... وَرَحا المنِيَّة تَطْحَنْ

فقيل له: من أين أخذ هذا؟ قال: من قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱقۡتَرَبَ﴾ أي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على أعمالهم. ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ

﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾ إلـــى قولـــه: ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾.

وقيل: الناس عموم وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش؛ يدل على ذلك ما بعد من الآيات؛ ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، وطابت نفسه بالتوبة، ولم يركن إلى الدنيا، فكأن ما كان لم يكن إذا ذهب، وكل آت قريب، والموت لا محالة آت؛ وموت كل إنسان قيام ساعته؛ والقيامة أيضا قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ما يأتي هؤلاء المكذبين من قرانٍ يُذكرهم به رسول الله ﷺ حديثٌ إنزاله من عند الله ﷻ إلا استمعوه بلا اكتراث وبلا مبالاة وهم يلعبون لاهية قلوبهم قلوبهم منشغلةً عنه ملتهيةً بغيره أما قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في معناه أن أهل الظلم أهل الشرك والكفر تناجوا فيما بينهم سرًا وأظهر بعضهم لبعض في السر ما يحيك في صدورهم، وما يضمرونه لهذا القرآن قائلين لبعضهم ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ أي فكيف يكون رسولًا من عند الله، أتقبلون السحر وتصدقون وأنتم تعلمون أنه سحرٌ كذا قال بعضهم لبعض في شأن هذا القرآن المنزل من عند الله وهكذا اتناجوا فيما بينهم وتأمروا على رسول الله وتناصحوا للتكذيب بهذا القرآن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس،

ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾... الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة: يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يقول: غافلة قلوبهم.

وقوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: وأسرّ هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم، النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم، إلا بشر مثلكم: يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمدًا صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله، والتكذيب برسوله وللذين من قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ والرفع على الردّ على الأسماء الذين في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ من ذكر الناس، كما قيل: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١] وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسرّوا النجوى، ثم قال: هم الذين ظلموا.

وقوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ يقول: وأظهروا هذا القول

بينهم، وهي النجوى التي أسرّوها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدّقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ قال: قال أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله، زعموا أنه ساحر، وأن ما جاء به سحر، قالوا: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى أنهم لا يُصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله، والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أي: جديد إنزاله ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ كما قال ابن عباس: ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه، وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضًا لم يشب. ورواه البخاري بنحوه.

وقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: قائلين فيما بينهم خفية ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعنونَ رسول الله ﷺ، يستبعدون كونه نبيًا؛ لأنه بَشَرٌ مثلهم، فكيف اختص بالوحي دونهم؛ ولهذا قال: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾؟ أي: أفتتبعونه فتكونون كمن أتى السحر وهو يعلم أنه سحر.

وأورد القرطبي أقوالًا منها:

يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي ﷺ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزل الله تعالى عليه في وقت بعد وقت؛ لا أن القرآن مخلوق. وقيل: الذكر ما يذكرهم به النبي ﷺ ويعظهم به. وقال: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ لأن النبي ﷺ لا ينطق إلا بالوحي، فوعظ النبي ﷺ وتحذيره ذكر، وهو

محدث؛ قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ [الغاشية: ٢١]. ويقال: فلان في مجلس الذكر. وقيل: الذكر الرسول نفسه؛ قال الحسين بن الفضل بدليل ما في سياق الآية ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ [الأنبياء: ٣] ولو أراد بالذكر القرآن لقال: هل هذا إلا أساطير الأولين؛ ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ [القلم: ٥١ – ٥٢] يعني محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال: ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا﴾ [الطلاق: ١٠ – ١١]. ﴿إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، أو القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم أو من أمته. ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ الواو واو الحال يدل عليه ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ ومعنى ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ أي يلهون. وقيل: يشتغلون؛ فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين:

أحدهما: بلذاتهم.

الثاني: بسماع ما يتلى عليهم.

وإن حمل تأويله حلى الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين:

أحدهما: بالدنيا لأنها لعب؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ [محمد: ٣٦].

الثاني: يتشاغلون بالقدح فيه، والاعتراض عليه. قال الحسن: كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل وقيل: يستمعون القرآن مستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ أي ساهية قلوبهم، معرضة عن ذكر الله، متشاغلة عن التأمل والتفهم؛ من قول العرب: لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسلوت عنه ألهى لهيا ولهيانا.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ أي تناجوا بينهم وقالوا: هل هذا

الذكر الذي هو الرسول، أو هل هذا الذي يدعوكم إلا بشر مثلكم، لا يتميز عنكم بشيء، يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق كما تفعلون. وما علموا أن الله عز وجل أنه لا يجوز أن يرسل إليهم إلا بشرا ليتفهموا ويعلمهم. ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي إن الذي جاء به محمد ﷺ سحر، فكيف تجيؤون إليه وتتبعونه؟ فأطلع الله نبيه عليه السلام على ما تناجوا به. و«السحر» في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة. ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنه إنسان مثلكم مثل: «وأنتم تعقلون» لأن العقل البصر بالأشياء. وقيل: المعنى؛ أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر. وقيل: المعني؛ أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق؛ ومعنى الكلام التوبيخ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٞ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما وصفه أهل الكفر بالذي وصفوه به من الباطل وصفوا القرآن بأنه سحرٌ، وليس من عند الله ﷻ قال مجيبًا ربي يعلمه كل ما يُقال في السماء والأرض، ويعلم صدق الصادق وكذب الكاذب، ويعلم أن ما جئتكم به هو الحق من عنده ليس بسحر ولا كذب ولا شعر ولا كهانة فهو السميع للأقوال كلها السميع لكل شيء العليم بالنوايا وبكل شيء هذا وقد أورد الطبري قراءتين لقوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ أحدهما ﴿قَالَ﴾ والأخرى ﴿قَالَ﴾ ثم قال وكأن الذين قرءوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ ربي يعلم قول كلّ

قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه منه شيء وهو السميع لذلك كله، ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي، وحقيقة ما أدعوكم إليه، وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها. وكأن الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا، قال محمد: ربي يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَاءة الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقتا المعنى، وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعالى مجيبًا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب.

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الذي يعلم ذلك، لا يخفى عليه خافية، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوالكم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد.

أما قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فحاصل معناه أنهم (أهل الكفر) وصفوا القرآن بسيء الأوصاف، فمنهم من قال إنه أضغاث أحلام أي أخلاط تُرى في النوم وهلاوس لا معنى لها ومنهم من قال إنه قولٌ مفترى مكذوب!! ومنهم من قال إنه قول شاعرٍ

أما قولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

فحاصل معناه أن أهل الكفر طلبوا معجزة كالتي أوتاها الأنبياء قبل رسولنا محمد ﷺ كناقة صالح عليه السلام أو كعصى موسى عليه السلام أو كإلانة الحديد لداود عليه السلام أو تسخير الرياح والجن لسليمان عليه السلام، أو إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى كما أيّد الله عيسى عليه السلام أو غير ذلك من الآيات التي أيمد بها المرسلون فاقل تعالى مجيبًا عليه في طلبهم الذي طلبوه ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: أننا قد أرسلنا الآيان إلى امم قل هؤلاء فما آمنوا بل ازدادوا كفرًا وعنادًا كما قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا ﴾ فإذا كان الذين من قبلهم من أهل الكفر قد كذبوا بالآيات

أفيؤمن هؤلاء المشركون من قريش وغيرهم، وهم إنما يسيرون على طريقة أسلافهم؟؟ فهذا استبعاد لإيمانهم وإسلامهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وكم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ما صدّقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقرّوا بأنه وحي أوْحَى الله إلى محمد ﷺ، بل قال بعضهم: هو أهاويل رؤيا رآها في النوم، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر ﴿فَلۡيَأۡتِنَا﴾ به يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله، إن الله بعثه رسولا إلينا وإن هذا

الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إلينا، ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ يقول: بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدّعي ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ يقول: كما جاءت به الرسل الأوّلون من قَبْله من إحياء المَوتى، وإبراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾ أي فعل حالم، إنما هي رؤيا رآها ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ كل هذا قد كان منهم. وقوله: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥﴾ يقول: كما جاء عيسى بالبيِّنات وموسى بالبينات، والرسل.

قال الطبري:

وقال تعالى ذكره: بل قالوا: ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقق ببل، لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب، فاجْتُزِي بمعرفة السامعين بما دلّ عليه قوله، بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾.

يقول تعالى ذكره: ما آمن من قبل هؤلاء المكذّبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا: فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذّبناهم بالهلاك في الدنيا، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ يقول: أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهمْ أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ

﴿يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ أي الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم، واختلافهم فيما يصفون به القرآن، وحيرتهم فيه، وضلالهم عنه. فتارة يجعلونه سحرًا، وتارة يجعلونه شعرًا، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مفتري، كما قال: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨﴾ [الإسراء: ٤٨، والفرقان: ٩].

وقوله: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥﴾: يعنون ناقة صالح، وآيات موسى وعيسى. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ [الآية] [الإسراء: ٥٩]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ أي: ما آتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يَدَيْ نبيها فآمنوا بها، بل كذبوا، فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك؟ كلا بل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

هذا كله، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات، والحجج القاطعات، والدلائل البينات، على يدي رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجلى، وأبهر وأقطع وأقهر، مما شُوهِدَ مع غيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾ قال الزجاج: أي قالوا الذي يأتي به

أضغاث أحلام. وقال غيره: أي قالوا هو أخلاط كالأحلام المختلطة؛ أي أهاويل رآها في المنام.

وقال القرطبي أيضًا:

فلما رأوا أن الأمر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أي هم متحيرون لا يستقرون على شيء قالوا ومرة سحر، ومرة أضغاث أحلام، ومرة افتراه، ومرة شاعر. وقيل: أي قال فريق إنه ساحر، وفريق إنه أضغاث أحلام؛ وفريق إنه افتراه، وفريق إنه شاعر. والافتراء الاختلاق؛ وقد تقدم.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ أي كما أرسل موسى بالعصا وغيرها من الآيات ومثل ناقة صالح. وكانوا عالمين بأن القرآن ليس بسحر ولا رؤيا ولكن قالوا: ينبغي أن يأتي بآية نقترحها؛ ولم يكن لهم الاقتراح بعدما رأوا آية واحدة. وأيضا إذا لم يؤمنوا بآية هي من جنس ما هم أعلم الناس به، ولا مجال للشبهة فيها فكيف يؤمنون بآية غيرها، ولو أبرأ الأكمه والأبرص لقالوا: هذا من باب الطب، وليس ذلك من صناعتنا، وإنما كان سؤالهم تعنتا إذ كان الله أعطاهم من الآيات ما فيه كفاية. وبين الله عز وجل أنهم لو كانوا يؤمنون لأعطاهم ما سألوه لقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ قال ابن عباس: يريد قوم صالح وقوم فرعون. ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ يريد كان في علمنا هلاكها. ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ يريد يصدقون؛ أي فما آمنوا بالآيات فاستؤصلوا فلو رأى هؤلاء ما اقترحوا لما آمنوا؛ لما سبق من القضاء بأنهم لا يؤمنون أيضا؛ وإنما تأخر عقابهم لعلمنا

بأن في أصلابهم من يؤمن. و﴿مِّن﴾ زائدة في قوله: ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقة: ٤٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾.

ج: المعنى والله أعلم اعلم يا رسول الله أننا ما أرسلنا قبلك من رسول إلا وهو من البشر ليس من الملائكة فإذا استنكر هؤلاء إرسال رسولٍ من البشر فمرهم فليأتوا أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم عن صفة الرسل الذين أرسلناهم هل كانوا ملائكة؟ هل كانوا غير البشر!؟ كلا بل هم بشر كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وغيرهم، فكلهم كانوا بشرًا، وكانوا أجسادًا يأكلون الطعام، لم يكونوا أجسادًا ممتنعين عن الطعام، بل كانوا يأكلون ويشربون، وأيضًا فلم يكن هؤلاء الرسل بمخلدين في الأرض بل يموتون كما يموت غيرهم من البشر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ أي صدقنا في وعدنا به رسلنا من أن سننجيهم وننتقم ممن خالفهم وعاندهم، صدقنا في كل الوعود التي وعدنا بها المرسلين، فأنجيا رسلنا من نشاء من عبادنا وأهلكما المسرفين المتجاوزين للحدود في المعاصي والكفر والطغيان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم نوحي إليهم، ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهينا، لا ملائكة، فماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم. وقوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ يقول للقائلين لمحمد ﷺ في تناجيهم بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم، فإن أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ يقول فاسألوا أهل التوراة والإنجيل قال أبو جعفر: أراه أنا قال: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ قال: أهل القرآن، والذكر: القرآن. وقرأ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ﴾

يقول تعالى ذكره: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك، ﴿ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام.

قال أبو جعفر: وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ فوحَّد الجسد وجعله موحدا، وهو من صفة الجماعة، وإنما جاز ذلك لأن الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وما جعلناهم خَلْقا لا يأكلون.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ﴾ يقول: ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قد أخبر الله عنهم ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ ﴾.. ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢] قال الله تبارك وتعالى لهم: ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكم، وإنما كنا نرسل إليهم رجالا نوحي إليهم كما أرسلنا إليكم رسولا نوحي إليه أمرنا ونهينا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ﴾: أي لابد لهم من الموت أن يموتوا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ ﴾

يقول تعالى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذّبهم أممهم وسألتهم الآيات، فأتيناهم ما سألوه من ذلك، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها، وأصرّوا على جحودهم نبوّتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها، وعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم بعد مجيء الآية التي سألوا، وذلك كقوله جل ثناؤه ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥ ﴾ [المائدة: ١١٥] وكقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝٦٤ ﴾ [هود: ٦٤] ونحو ذلك من المواعيد التي وعد الأمم مع مجيء الآيات، وقوله: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات،

﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها، وقوله: ﴿ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٩ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٩ ﴾ قال المسرفون هم المشركون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى رادًّا على من أنكر بعثة الرسل من البشر: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ ﴾ أي: جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم أنهم أنكروا ذلك فقالوا: ﴿أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا ﴾ [التغابن: ٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣ ﴾ أي: اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرًا أو ملائكة؟ إنما كانوا بشرًا، وذلك من تمام نِعمَ الله على خلقه؛ إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ أي: بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي: قد كانوا بشرا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بضار لهم ولا ناقص منهم شيئًا، كما توهمه المشركون في قولهم: ﴿مَالِ

هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

وقوله: ﴿ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ أي: في الدنيا، بل كانوا يعيشون ثم يموتون، ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وخاصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل، تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكم في خلقه مما يأمر به وينهى عنه.

وقوله: ﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ ﴾ أي: الذي وعدهم ربهم: «ليهلكن الظالمين»، صدقهم الله وعده ففعل ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ أي: أتباعهم من المؤمنين، ﴿ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ أي: المكذبين بما جاءت الرسل به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ هذا رد عليهم في قولهم: ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ [الأنبياء: ٣] وتأنيس لنبيه ﷺ؛ أي لم يرسل قبلك إلا رجالا. ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يريد أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا بالنبي ﷺ، قاله سفيان. وسماهم أهل الذكر؛ لأنهم كانوا يذكرون خبر الأنبياء مما لم تعرفه العرب. وكان كفار قريش يراجعون أهل الكتاب في أمر محمد ﷺ. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن؛ أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ الضمير في ﴿ جَعَلۡنَٰهُمۡ ﴾

للأنبياء؛ أي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ⁨٨⁩﴾ يريد لا يموتون وهذا جواب لقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٣] وقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]. و﴿جَسَدًا﴾ اسم جنس؛ ولهذا لم يقل أجسادا، وقيل: لم يقل أجسادا؛ لأنه أراد وما جعلنا كل واحد منهم جسدا. والجسد البدن.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ يعني الأنبياء؛ أي بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذبيهم. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي الذين صدقوا الأنبياء. ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي المشركين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ⁨١٠⁩﴾.

ج: المعنى والله أعلم لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابًا من عند الله ﷻ ولقد أنزلنا عليكم أيها الناس كتابًا فيه عزكم ومجدكم وشرفكم وذكركم بخير إن أنت اتبعتموه فالقرآن شرفٌ وعزٌّ ومجدٌ لمن اتبعه أفلا تفهمون.

وقال بعض العلماء: لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابًا فيه شرفكم، نكون القرآن نزل على رجل منكم ففي هزائمٌ لكم وشرفٌ لكم إن أنتم شكرتم هذه النعمة وأقبلتم عليها أفلا تفهمون وتُقبلون على هذا الشرف؟!! وقال بعض العلماء إن معنى قوله تعالى: ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ حديثكم ولكن الأكثرون من أهل العلم على القول الأول والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه، لقد أنزلنا إليكم

كتابًا فيه ذكركم، فيه حديثكم.

وقال آخرون: بل عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه شرفكم.

قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، و هو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا﴾ يعني القرآن. ﴿فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ﴾ رفع بالابتداء والجملة في موضع نصب لأنها نعت لكتاب؛ والمراد بالذكر هنا الشرف؛ أي فيه شرفكم، مثل ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤]. ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ وقيل: فيه ذكركم أي ذكر أم دينكم؛ وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب، أفلا تعقلون هذه الأشياء التي ذكرناها؟! وقال مجاهد: ﴿فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾ أي حديثكم. وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم. وقال سهل بن عبد الله: العمل بما فيه حياتكم.

قلت: وهذه الأقوال بمعنى والأول يعمها؛ إذ هي شرف كلها، والكتاب شرف لنبينا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنه معجزته، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه، دليله قول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**القرآن حجة لك أو عليك**».

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾.

ج: المراد والله أعلم أن الله ﷻ يخبر عباده ويذكرهم بالأمم السابقة التي مضت، تلك التي كذبت رسلها وعتت عن أمر ربها فيقول تعالى: ﴿وَكَمْ﴾ وهي للتكثير، لبيان كثرة من أهلكهم الله ﴿قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ودمرنا وأصل القصم كسر الظهور والمراد هنا الإهلاك والتدمير ﴿مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ظالمة لنفسها بشركها بالله ﷻ لأن أهلها ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ وبظلمهم لعباد الله كذلكن فأبدناهم وأفنيناهم ودمرنا بلادهم، كما قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وأوجدنا وخلقنا ﴿بَعْدَهَا﴾ بعد القرى التي أهلكناها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ سكنوا تلك القرى أو سكنوا غيرها من القرى مما حولها، فكذبوا أيضًا فقضينا عليهم بالعذاب كما قضينا على غيرهم، فلما أحسوا بنزول العذاب عليهم، وأو أنه واقع بهم لا محالة وحلَّت بهم بوادره ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ إذا بهم يسرعون في الهرب ويحاولون الهرب مسرعين، ولكن إلى أين الهرب ولات حين مناص، ولات حين مفر فيقال لهم على سبيل التهكم ﴿قيل إن الملائكة تقول ذلك﴾ ﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾، لا تهربوا مسرعينن لا تسرعوا في الفرار والهرب، فلا مفرَّ ولا مهرب ﴿وَٱرْجِعُوٓا۟﴾ يُقال لهم هذا على سبيل التهكم والاستهزاء بهم يقال لهم إلى أن تذهبوا ارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعيم وارجعوا إلى بيوتكم لعلكم تُسألون عما حدث لكم فتجيبوا، فحينئذٍ يقولون، وقد علموا أن لا رجوع يا ويلينا إنا كنا ظالمين لأنفسنا فمازالت تلك دعواهم، ما زالوا يقولون ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فاستمروا في هذا القول حتى أهلكناهم عن آخرهم حتى حصدناهم حصدًا وأبدناهم إبادةً

فأصبحوا لا حركة ولا صوت لهم قد خمدوا كما خمدت النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية، والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت، وهو هاهنا معني به أهلكنا، وكذلك تأوّله أهل التأويل.

وقوله: ﴿مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ أجرى الكلام على القرية، والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه، وكأن ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله، وقوله: ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ يقول تعالى ذكره: وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ يقول: فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مسه، يقال منه: قد أحسست من فلان ضعفا، وأحسته منه ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾ يقول: إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجْلَى، يَعْدُون منهزمين، يقال منه: ركض فلان فرسه: إذا كَدَّه سياقته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه: يقول: إلى ما أُنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم.

وأورد بإسناد صحيح لغيره عن قتادة: ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها.

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة.

وقال آخرون: بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيئًا على وجه السخرية والاستهزاء.

وأورد بإسناد صحيح عن قتادة قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ من دنياكم شيئًا استهزاءًا بهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.

وقال: يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا بربنا، فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ حتى قتلهم الله، فحصدهم بالسيف كما يُحْصَد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل، وقوله: ﴿خَٰمِدِينَ﴾ يقول: هالكين قد انطفأت شرارتهم، وسكنت حركتهم، فصاروا همودا كما تخمد النار فتطفأ.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن قتادة، قوله: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾...الآية، فلما رأو العذاب وعاينوه لم يكن لهم هجيري إلا قولهم ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ هذه صيغة تكثير، كما قال ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج: ٤٥]. وقوله: ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ أي: أمة أخرى بعدهم.

﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ ﴾ أي: تيقنوا أن العذاب واقع بهم، كما وعدهم نبيهم، ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي: يفرون هاربين.

﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ ﴾ هذا تهكم بهم قدرًا أي: قيل لهم قدرًا: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور، والمعيشة والمساكن الطيبة.

قال قتادة: استهزاء بهم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي: عما كنتم فيه من أداء شكر النعمة.

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك، ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: ما زالت تلك المقالة، وهي الاعتراف بالظلم، هِجيراهم حتى حصدناهم حصدًا وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ ﴾ أي رأوا عذابنا؛ يقال: أحسست منه ضعفا. وقال الأخفش: ﴿أَحَسُّواْ ﴾ خافوا وتوقعوا. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي يهربون ويفرون. والركض العدو بشدة الوطء. والركض تحريك الرجل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢] وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل، والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهوم مركوض.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ ﴾ أي لا تفروا. وقيل: إن الملائكة نادتهم لما

انهزموا استهزاء بهم وقالت: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ ﴾ أي إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم، والمترف المتنعم؛ يقال: أترف على فلان أي وسع عليه في معاشه. وإنما أترفهم الله عز وجل كما قال: ﴿وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [المؤمنون: ٣٣]. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ أي لعلكم تسألون شيئا من دنياكم؛ استهزاء بهم؛ قاله قتادة. وقيل: المعنى ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به. وقيل: المعنى ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ أي تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول البأس بكم؛ قيل لهم ذلك استهزاء وتقريعا وتوبيخا. ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ ﴾ لما قالت لهم الملائكة: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ ﴾ ونادت بالثارات الأنبياء! ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا أن الله عز وجل هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم، فعند ذلك قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ فاعترفوا بأنهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف. ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾ أي لم يزالوا يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾. ﴿حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا ﴾ أي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل؛ قال مجاهد. وقال الحسن: أي بالعذاب. ﴿خَٰمِدِينَ ﴾ أي ميتين. والخمود الهمود كخمود النار إذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفئ تشبيها بانطفاء النار.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا
لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ
عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا
يَفۡتُرُونَ ٢٠ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ
إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ
يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ
وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن
قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ
فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ ﴾

[الأنبياء:١٦-٢٩].

س: وضح معنى ما يلي: ﴿لَهْوًا - لَّدُنَّآ - إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ - نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ - ٱلْبَٰطِلِ - فَيَدْمَغُهُۥ - زَاهِقٌ - ٱلْوَيْلُ - تَصِفُونَ - وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ - لَا يَفْتُرُونَ - ءَالِهَةً - يُنشِرُونَ - فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ - بُرْهَٰنَكُمْ - ذِكْرُ مَن مَّعِىَ - وَذِكْرُ مَن قَبْلِى - مُّكْرَمُونَ - لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ - ٱرْتَضَىٰ - خَشْيَتِهِۦ - مُشْفِقُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَهْوًا﴾	ولدًا- زوجةً
﴿لَّدُنَّآ﴾	عندنا
﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾	ما كنا فاعلين ذلك
﴿نَقْذِفُ﴾	نُلقي
﴿بِٱلْحَقِّ﴾	بالقرآن
﴿ٱلْبَٰطِلِ﴾	الكفر- الشيطان- الأكاذيب
﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾	فيهلكه- يكسر دماغه
﴿زَاهِقٌ﴾	باطل- ذاهب
﴿ٱلْوَيْلُ﴾	العذاب الشديد- واد في جهنم
﴿تَصِفُونَ﴾	تكذبون – تصفون ربكم بشيء الأوصاف
﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	لا يتراجعون عن التسبيح والعبادة- لا يكلون ولا يملون

﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾	لا يتعبون
﴿ءَالِهَةً﴾	معبودين
﴿يُنشِرُونَ﴾	يحيون الموتى
﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	تنزه الله
﴿بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾	حجتكم
﴿ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾	الذِّكر الذي معي، وهو القرآن
﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾	(كالتوراة والزبور والإنجيل)
﴿مُّكۡرَمُونَ﴾	أكرمهم الله (بأن وفقهم للطاعة)
﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾	لا يتكلمون في شيء إلا بإذن من الله
﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾	رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
﴿خَشۡيَتِهِۦ﴾	خوفه، خوف عقابه
﴿مُشۡفِقُونَ﴾	خائنون- حذرون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثًا ولا باطلًا وعلى سبيل اللعب لو أردنا أن نتخذ زوجة أو ولدًا لاتخذناه من عندنا، ولكن ما كنا لنفعل ذلك، ولكننا نقذف بالحق الذي هو القرآن على الباطل، وهو الكفر والشيطان فيدمغه أي يهلكه ويدمره والله الدفع كما قال بعض العلماء خدش الرأس خدشًا يفضي إلى الموت وكذلك القرآن.....الله به الباطلن فإذا هو ذاهبٌ ولكم يا أهل الكفر الويل بسبب الوصف السيء الذي وصفته به ربكم ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يَخْلق ذلك عبثا ولعبا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ يقول: ما خلقناهما عَبَثا ولا باطلا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا،

ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾... الآية، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي. واللهو بلغة أهل اليمن: المرأة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولكن ننزل الحق من عندنا، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله، فيدمغه، يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

وقوله: ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴾ يقول: فإذا هو هالك مضمحلٌ.

وأورد بإسنادٍ حسن عن عن قتادة، قوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴾ والحقّ كتاب الله القرآن، والباطل: إبليس، فيدمغه فإذا هو زاهق: أي ذاهب.

وقوله: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقِيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفِريتكم عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون تكذبون.

وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته، غير أن أولى العبارات أن يُعَبر بها عن معاني

القرآن أقربها إلى فهم سامعيه.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: بالعدل والقسط، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم:٣١]، وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص:٢٧].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ يعني: من عندنا، يقول: وما خلقنا جنة ولا نارًا، ولا موتًا، ولا بعثًا، ولا حسابًا.

وقال الحسن، وقتادة، وغيرهما: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ اللهو: المرأة بلسان أهل اليمن.

وقال إبراهيم النَّخعِي: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ﴾ من الحور العين.

وقال عكرمة والسدي: المراد باللهو هاهنا: الولد.

وهذا والذي قبله متلازمان، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الزمر:٤]، فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقًا، لا سيما عما يقولون من الإفك والباطل، من اتخاذ عيسى، أو العزير أو الملائكة، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء:٤٣].

وقوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال قتادة، والسدي، وإبراهيم النخعي، ومغيرة بن مِقْسَم، أي: ما كنا فاعلين.

وقال مجاهد: كل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار.

وقوله: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ ﴾ أي: نبين الحق فيدحض الباطل؛ ولهذا قال: ﴿ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴾ أي: ذاهب مضمحل، ﴿ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ ﴾ أي: أيها القاتلون: لله ولد، ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ أي: تقولون وتفترون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ ﴾ أي عبثا وباطلا؛ بل للتنبيه على أن لها خالقا قادرا يجب امتثال أموه، وأنه يجازي المسيء والمحسن أي ما خلقنا السماء والأرض ليظلم بعض الناس بعضا ويكفر بعضهم، ويخالف بعضهم ما أمر به ثم يموتوا ولا يجازوا، ولا يؤمروا في الدنيا بحسن ولا ينهوا عن قبيح. وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة.

قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا ﴾ لما اعتقد قوم أن له ولدا قال: ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا ﴾ واللهو المرأة بلغة اليمن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ ﴾ القذف الرمي؛ أي نرمي بالحق على الباطل. ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ ﴾ أي يقهره ويهلكه. وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ومنه الدامغة. والحق هنا القرآن، والباطل الشيطان في قول مجاهد؛ قال: وكل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان. وقيل: الباطل كذبهم ووصفهم الله عز وجل بغير صفاته من الولد وغيره. وقيل: أراد بالحق الحجة، وبالباطل شبههم. وقيل: الحق المواعظ، والباطل المعاصي؛ والمعنى متقارب. والقرآن يتضمن الحجة والموعظة. ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴾ أي هالك وتالف؛ قاله قتادة. ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ ﴾ أي العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الله بما

لا يجوز وصفه. وقال ابن عباس: الويل واد في جهنم؛ وقد تقدم. ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي مما تكذبون؛ عن قتادة ومجاهد؛ نظيره ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩] أي بكذبهم. وقيل: مما تصفون الله به من المحال وهو اتخاذه سبحانه الولد.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ٢٠﴾.

ج: ولله ﷻ من في السموات والأرض كلهم له عبيد يقضي فيهم بما يشاء ويحكم فيهم بما يريد، فكيف يتخذ زوجةً؟؟ وكيف يتخذ ولدًا؟؟ وكل الخلق له مملوكون هو ربهم وإلههم وخالقهم ومالكهم، والملائكة الذي عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستنكفون عنها ولا يتراجعون عنها ولا يتعبون ولا يعيون (من العيّ) ويستحسرون منها قوله: (حسد) أي كليل مُتعب ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي كليل أما قوله ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي أنه أُلهموا التسبيح فيسبحون ربهم ليلًا ونهار لا يتعبون ولا يملون.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا، وله ملك جميع من في السماوات والأرض، والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا يَعْيَون من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته، وكل من في السماوات والأرض عبيده، فأنى يكون له صاحبة وولد: يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم.

ويقول تعالى ذكره: يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم الليل والنهار

لا يفترون من تسبيحهم إياه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ و ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ فقال: هل يئودك طرفك؟ هل يَئُودك نَفَسُك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له، ودأبهم في طاعته ليلا ونهارًا، فقال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾ يعني: الملائكة، ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ أي: لا يستنكفون عنها، كما قال: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء:١٧٢].

وقوله: ﴿ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ أي: لا يتعبون ولا يملُّون.

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ فهم دائبون في العمل ليلا ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملا قادرون عليه، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أعبد هؤلاء المشركون آلهة مع الله ﷻ، تقدر هذه الألهة على إحياء الموتى ونشرهم من قبورهم أحياء؟؟ كلا فليس في

السموات والأرض آلهة تُعبد بحق مع الله ﷻ بل الكل له عبيد والكل له خضوع ولو كان في السموات والأرض آلهة مع الله لفسدت السموات والأرض فهذا إلهٌ يريد لها البقاء، وهذا إلهٌ يريد لهما الأول، وهذا إله يريد طلوع شمس ذاك لا يريده، فتفسد السموات وتفسد الأرض وكذا سيفسد كل من فيهما فكلُّ إله- إذا كانتا هناك آلهة، نبرأ إليى الله من ذلك إلهٍ سيريد أن ينفذ قوله في المخلوقات وبتضارب الأقوال يحدث الفساد ويحدث الشر فننزه الله عن ذلك كله، فهو الله إلهٌ واحد لا شريك له ولا معبود سواه تنزه ربنا رب العرش عما يصفه به الواصفون المشركون، فهو لا يُسأل عن أي شيء يفعله، وسائر العباد يُسألون عن أعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ ﴾ يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعني بقوله هم: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾... إلى قوله: ﴿ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥ ﴾ [يونس: ٣١-٣٥].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ يقول: لفسد أهل السماوات والأرض ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا

﴿ يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولِمَ لم تفعل؟ ﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وجميع من في السماوات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يقول: لا يسئل عما يفعل بعبادة، وهم يُسئلون عن أعمالهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة، فقال: بل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض؟ أي: لا يقدرون على شيء من ذلك. فكيف جعلوها لله ندًا وعبدوها معه.

ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات الأرض، فقال ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ﴾ أي: في السماء والأرض، ﴿ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون:٩١]، وقال هاهنا: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: عما يقولون إن له ولدًا أو شريكًا، سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوًا كبيرًا.

وقوله: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه، ﴿ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ أي: وهو سائل خلقه عما يعملون، كقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ قال المفضل: مقصود هذا الاستفهام الجحد، أي لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء. وقيل: «أم» بمعنى «هل» أي هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض يحيون الموتى. ولا تكون «أم» هنا بمعنى بل؛ لأن ذلك يوجب لهم إنشاء الموتى إلا أن تقدر «أم» مع الاستفهام فتكون «أم» المنقطعة فيصح المعنى؛ قاله المبرد. وقيل: «أم» عطف على المعنى أي أفخلقنا السماء والأرض لعبا، أو هذا الذي أضافوه إلينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة؟ أو هل ما اتخذوه من الآلهة في الأرض يحيي الموتى فيكون موضع شبهة؟. وقيل: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠] ثم عطف عليه بالمعاتبة، وعلى هذين التأويلين تكون «أم» متصلة.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أفتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ظانين أنها معبودة بحق، وظآنين أنه يصبون فيما يعملون فقل لهؤلاء الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى قل هلم هاتوا حجتكم ودليلكم على صحة ما تصنعون فهذا القرآن الذي معي، وهذه الكتب التي تقدمت ونزلت من قبلي على رسل الله عليهم الصلاة والسلام ليس فيها شيء من ذلك ليس فيها أي دليل ولا أية حجة على أن هناك من يُعبد مع الله ﷻ فليس عند هؤلاء برهان فيما يصنعون ليس عندهم حجةٌ ولا دليل على عبادة غير الله ولكنه أكثرهم جهلة لا يعلمون وجه الحق ولا وجه الصواب ولا يعلمون الكتب ولا يعلمون قدر ربهم فمن ثمَّ أعرضوا عن الإيمان وأعرضوا عن التوحيد، ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم أن الله ﷻ ما أرسل رسولًا قبل النبي محمدٍ ﷺ إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا الله فأطيعون واخضعوا لي واركعوا لي واسجدوا ولا تعبدوا معي إلهًا آخر بهذا الأصل العظيم جاءت الرسل من عند ربها كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦] فكل رسول أرسله الله يأمر قومه بعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له وترك عبادة الطواغيت.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: بل ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ ﴾ يا محمد: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ

بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ أي: دليلكم على ما تقولون، ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يعني: الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولون وتزعمون، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، ناطق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق، فأنتم معرضون عنه؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾، كما قال: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضا، والمشركون لا برهان لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضرّ، وتخلق وتحيي وتميت، قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم، يعني حجتكم يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ يقول: هاتوا بينتكم على ما تقولون.

وقوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل، ﴿ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم إياه، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم إلى ما صاروا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ قال: حديث من معي، وحديث من قبلي.

وقوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به، وقلّة فهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾

عن كتاب الله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم «قال أبو جعفر: أظنه أنا قال»: عمل حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أعاد التعجب في اتخاذ الآلهة من دون الله مبالغة في التوبيخ، أي صفتهم كما تقدم في الإنشاء والإحياء، فتكون «أم» بمعنى هل على ما تقدم، فليأتوا بالبرهان على ذلك. وقيل: الأول احتجاج. من حيث المعقول؛ لأنه قال: «هم ينشرون» ويحيون الموتى؛ هيهات! والثاني احتجاج بالمنقول، أي هاتوا برهانكم من هذه الجهة، ففي أي كتاب نزل هذا؟ في القران، أم في الكتب المنزلة سائر الأنبياء؟ ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ بإخلاص التوحيد في القرآن ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ﴾ في التوراة والإنجيل، وما أنزل الله من الكتب؛ فانظروا هل في كتاب من هذه الكتب أن الله أمر باتخاذ آلهة سواه؟ فالشرائع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد، وإنما اختلفت في

الأوامر والنواهي. وقال قتادة: الإشارة إلى القرآن؛ المعنى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ بما يلزمهم من الحلال والحرام ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ من الأمم ممن نجا بالإيمان وهلك بالشرك. وقيل: ﴿ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ بما لهم من الثواب على الإيمان والعقاب على الكفر ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ من الأمم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا، وما يفعل بهم في الآخرة. وقيل: معنى الكلام الوعيد والتهديد، أي افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء. وحكى أبو حاتم: أن يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف قرأ ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكۡرٌ مِّن قَبۡلِيۗ﴾ بالتنوين وكسر الميم، وزعم أنه لا وجه لهذا. وقال أبو إسحاق الزجاج في هذه القراءة: المعنى؛ هذا ذكر مما أنزل إلي ومما هو معي وذكر من قبلي. وقيل: ذكر كائن من قبلي، أي جئت بما جاءت به الأنبياء من قبلي.

❀ ❀ ❀

س: كثيرًا ما يصدر من الناس عداءٌ للحق، وإنكارٌ لبعض الأمور بسبب قلة العلم، دلَّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾ [الأنبياء: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ [يونس: ٣٩].

وقول الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨].

وقول عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكفر بالله ورسوله».

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى هذه الآيات ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وقالت طوائف من أهل الشرك والكفر وهم اليهود قالوا عزيرٌ ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقالت بعض قبائل العرب الملائكة بنات الله فنزَّه ربنا ﷻ نفسه عما يصفه هؤلاء الواصفون بقوله سبحانه قال بل هؤلاء الذين زعمتم انهم أبناء لله، وهم الملائكة.

عبادٌ أكرمهم الله ﷻ بطاعته، وبالاستقامة على أمره لا يتكلمون إلا بما أوهم الله، وهم ممتثلون أمره عاملون به لا يخالفونه ولا يعصونه، ثم إنه سبحانه وتعالى يعلم ما قدموه من أعمالٍ وأقوال، وما سيعلمون فيما بعد، رحاهم عاملون الآن وكذا يعلم أمر أخرتهم أو دنياهم وماذا سيكونون عليه في آخرتهم وماذا كانوا عليه في دنياهم.

ولا يشفعون لأحدٍ إلا لأحد ارتضاه الله وأذن لهم أن يشفعوا فيه كما قال تعالى ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

فمناها والله أعلم، وهم حذرون خوفًا من الله وخشيته من عذابه.

من يقل منهم إن إلهٌ من دونه كما قال إبليس اللعين خذلك نجزيه جهنم، كعاقبه بجهنم، يجعلها له جزاءً كذلك نجزي تعاقب الظالمين، الذي افتروا على الله الكذب وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته، فقال جلّ ثناؤه استعظاما مما قالوا، وتبريًّا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك، ما ذلك من صفته ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون، يقول: أكرمهم الله.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجنّ، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردّا عليهم، ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾.

يقول تعالى ذكره: يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون، وما خلفهم:يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ ﴾ ولا تشفع الملائكة إلا لمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال الطبري أيضًا: وقوله: ﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾ يقول: وهم من

خوف الله وحذار عقابه أن يحلّ بهم مشفقون، يقول: حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة: إني إله من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ﴾ الذي يقول ذلك منهم ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ﴾ يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة إني إله من دون الله جهنم، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه، فكفر بالله وعبد غيره، وقيل: عنى بهذه الآية إبليس، وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك، لأنه لا أحد من الملائكة قال: إني إله من دون الله سواه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال، لعنه الله وجعله رجيما، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ردًا على من زعم أن له -تعالى وتقدس- ولدًا من الملائكة، كمن قال ذلك من العرب: إن الملائكة بنات الله، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: الملائكة عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا.

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به بل يبادرون إلى فعله، وهو تعالى عِلْمه

محيط بهم، فلا يخفى عليه منهم خافية، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ كقوله: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ:٢٣]، في آيات كثيرة في معنى ذلك.

﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ ﴾ أي: من خوفه ورهبته ﴿مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي: من ادعى منهم أنه إله من دون الله، أي: مع الله، ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي: كل من قال ذلك، وهذا شرط، والشرط لا يلزم وقوعه، كقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر:٦٥].

۞ ۞ ۞

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ
وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن
تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا
ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم
بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن
يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ
ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا
تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨
لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن
ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ
فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١ ﴾

[الأنبياء: ٣٠-٤١].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿رَتْقًا - فَفَتَقْنَٰهُمَا - رَوَٰسِيَ - تَمِيدَ بِهِمْ - فِجَاجًا - سُبُلًا - يَهْتَدُونَ - مَّحْفُوظًا - عَنْ ءَايَٰتِهَا - مُعْرِضُونَ - فَلَكٍ - يَسْبَحُونَ - ٱلْخُلْدَ - وَنَبْلُوكُم - هُزُوًا - بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ - عَجَلٍ - سَأُوْرِيكُمْ - لَا يَكُفُّونَ - بَغْتَةً - فَتَبْهَتُهُمْ - يُنظَرُونَ - فَحَاقَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿رَتْقًا﴾	ملتصقتين
﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾	ففرقنا بينهما (قيل فرقنا بينهم بالهواء) وقيل جُعلت السموات سبعًا بعد أن كانت واحدة، وكذا الأرض جعلت سبع أرضين، وقيل فتقناهما فتحناهما فتقت السماء بالمطر، والأرض بالنبات
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا راسيات
﴿تَمِيدَ بِهِمْ﴾	تميل بهم – تضطرب
﴿فِجَاجًا﴾	مسالك – ممرات
﴿سُبُلًا﴾	طرقًا
﴿يَهْتَدُونَ﴾	يسيرون فيها فيذهبون على أماكنهم وأماكن احتياجتهم

﴿مَحْفُوظًا﴾	ممنوعًا من أن يسقط، وممنوعًا من الشياطين أن يقربوا منه على ما فيها من المعجزات والدلالات على قدرة الله ووحدانيته كالشمس والقمر والنجوم والرياح وغير ذلك.
﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾	منصرفون منشغلون
﴿فَلَكٍ﴾	مدار
﴿يَسْبَحُونَ﴾	يدورون
﴿ٱلْخُلْدَ﴾	المعيشة الدائمة بلا موت - الخلود في الدنيا
﴿وَنَبْلُوكُم﴾	نختبركم
﴿هُزُوًا﴾	استهزاءًا وسخرية
﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	بذكر اسم الرحمن - بالقرآن
﴿عَجَلٍ﴾	أمره أنه عجول
﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾	سأطلعكم - سأجعلكم ترون
﴿لَا يَكُفُّونَ﴾	لا يمنعون
﴿بَغْتَةً﴾	فجأة
﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾	فتحيرهم
﴿يُنظَرُونَ﴾	يؤخرون - يمهلون
﴿فَحَاقَ﴾	فنزل - فحلَّ

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن السموات والأرض كانتا ملتصقين ففصلهما الله ﷻ عن بعضها وجعل بينهما الهواء.

الثاني: أن السموات كانتا سماء واحد ففتقها الله وجعلها سبع سموات وكذا جعل الأرض سبع أرضين بعد أن كانت أرضًا واحدة.

الثالث: أن السموات كانت رتقا مسدودة متلاصقة ففتقها الله بالمط وأن الأرض كذلك كانت ملتصقة لا تنبت ففتقهما الله بالنبات

الرابع: ان الليل كان قبل النهار، وكان الجو كله ليل ففتق الله منه الصبح، كما قال تعالى ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وهذا القول الأخير أبعد الأقوال، والأقوال التي قبله أقوى منه، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رَتْقا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شدّه، فهو يرتقه رتقا ورتوقا، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء، ووحد الرتق، وهو من صفة السماء والأرض، وقد جاء بعد قوله: ﴿كَانَتَا ﴾ لأنه مصدر، مثل قول الزور والصوم والفطر.

وقوله: ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ يقول: فصدعناهما وفرجناهما.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق وكيف كان الرتق، وبأيْ معنى فتق؟ فقال بعضهم: عنى بذلك أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، ففصل الله بينهما بالهواء.

وأورد من طرقٍ تحسن بمجموعها عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ ملتصقتين.

وبإسناد حسن عن قتادة والحسن: كانتا جميعًا ففصل الله بينهما بهذا الهواء، قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السماوات كانت مرتتقة طبقة، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها، فجعلها سبع أرضين.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أن السماوات كانت رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ قال: كانت السماوات رتقا لا ينزل منها مطر، وكانت الأرض رتقا لا يخرج منها نبات، ففتقهما الله، فأنزل مطر السماء، وشقّ الأرض فأخرج نباتها، وقرأ ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾.

وقال آخرون: إنما قيل ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ لأن الليل كان قبل النهار، ففتق النهار.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات،

ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ على ذلك، وأنه جلّ ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك كذلك، فكيف قيل: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه، قد قال قوم: إنما ينزل من السماء السابعة، وقال آخرون: من السماء الرابعة، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا، لم يكن في قوله: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ دليل على خلاف ما قلنا، لأنه لا يمتنع أن يقال السماوات، والمراد منها واحدة فتجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق، وقميص أسمال.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير، فكيف يليق أن يعبد غيره أو يشرك به ما سواه، ألم يروا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي: كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه. فجعل السموات سبعًا، والأرض سبعًا، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا، وذلك دليل على وجود

الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء:

فِفي كُلّ شيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلّ على أنَّه واحد

قال سفيان الثوري، عن أبيه، عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: الليل كان قبل أو النهار؟ فقال: أرأيتم السموات والأرض حين كانتا رتقًا، هل كان بينهما إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن كل شيء حيٍّ خلقه الله من الماء.

الثاني: أن كل شيء حيٍّ حياته محفوظة بإذن الله ثم بالماء.

الثالث: أن المراد بالماء ما الصلب (المني) والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كلّ شيء.

فإن قال قائل: وكيف خصّ كل شيء حيّ بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حيّ ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهنّ وأن في ذوات الأرواح أرواحا، فلذلك قيل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يقول: أفلا يصدّقون بذلك، ويقرّون بألوهية من

فعل ذلك ويفردونه بالعبادة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ أي: أصل كل الأحياء منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ثلاث تأويلات:

أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء؛ قال قتادة.

الثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء.

الثالث: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي؛ قاله قطرب. ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى خلقنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وجعلنا في الأرض جبالًا رواسي شامخات لتثبيت الأرض كي لا تضطرب بمن عليها وتميل بهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ فمن العلماء.

قال: إن قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائدةٌ على الأرض أي وجعلنا في الأرض مسالك أعلامًا ممرات جعلنا طرقًا لعل البشر يسلكونها فيستدلون بها على ما يريدون الوصول إليه فالفجاج هي الطرق، وهي المسالك، وهي المعجزات وهي الأعلام التي يهتدى بها.

ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿فِيهَا﴾ أي في الجبال أي بين الجبال توجد ممرات يتخذها الناس طرقًا للسير فيها للوصول إلى وادهم وبلا اهتداء على

مقاصدهم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية؟ والرواسي: جمع راسية، وهي الثابتة.

وقوله: ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ يقول: أن لا تتكفأ بهم، يقول جلّ ثناؤه: فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس، وليقدروا بالثبات على ظهرها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قال: كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض، وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعني مسالك، واحدها فجّ.

وأورد بإسنادس حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ أي أعلاما.

وقوله: ﴿ سُبُلًا ﴾ أي طرقا، وهي جمع السبيل.

وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١ ﴾ يقول تعالى ذكره: جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهتدوا إلى السير فيها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ أي: جبالا أرسى الأرض بها وقررها وثقلها؛ لئلا تميد بالناس، أي: تضطرب وتتحرك، فلا يحصل لهم عليها قرار لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع، فإنه باد للهواء والشمس، ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات، والحكم والدلالات؛ ولهذا قال: ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي: لئلا تميد بهم.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ﴾ أي: ثغرًا في الجبال، يسلكون فيها طرقًا من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض، يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة -ثغرة- ليسلك الناس فيها من هاهنا إلى هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ أي جبالا ثوابت. ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي لئلا تميد بهم، ولا تتحرك ليتم القرار عليها؛ قاله الكوفيون. وقال البصريون: المعنى كراهية أن تميد. والميد التحرك والدوران. يقال: ماد رأسه؛ أي دار. ومضى في «النحل» مستوفى. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ يعني في الرواسي؛ عن ابن عباس. والفجاج المسالك. والفج الطريق الواسع بين الجبلين. وقيل: وجعلنا في الأرض فجاجا أي مسالك؛ وهو اختيار الطبري؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ أي يهتدون إلى السير في الأرض. ﴿سُبُلًا ﴾ تفسير الفجاج؛ لأن الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقد لا يكون. وقيل: ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وجعلنا السماء سقف للأرض محنوطًا من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات: ٦-٧].

وقيل: محفوظًا من السقوط على الأرض كما قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ

أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥] وكما قال ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ ﴾ [فاطر: ٤١] أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي وأهل الكفر عن الآيات الدالة على وحدانية الله في السماء من شمس وقمر ونجوم وأفلاك، وجريان الشمس والقمر والنجوم وكذا ما يأتي من رياح وعواصف وغير ذلك أهل الكفر عن كل هذا معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستدلون به على وحدانية الله وقدرته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ للأرض مسموكًا، قوله ﴿مَّحْفُوظًاۖ﴾ يقول: حفظناها من كل شيطان رجيم.

وقوله: ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء. ويعني بآياتها: شمسها وقمرها ونجومها. ﴿مُعْرِضُونَ﴾ يقول: يعرضون عن التفكر فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلالتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسوّاها، ولا تصلح إلا له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ أي: على الأرض وهي كالقبة عليها، كما قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الشمس:٥]، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ق:٦]، والبناء هو نصب القبة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بُنِي الإسلام على خمس**» أي: خمس دعائم، وهذا لا يكون إلا في الخيام، على ما تعهده العرب.

﴿ مَّحۡفُوظٗاۖ ﴾ أي: عاليًا محروسًا أن يُنال. وقال مجاهد: مرفوعا.

وقوله: ﴿ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ ﴾، كقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ ﴾ [يوسف:١٠٥] أي: لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم، والارتفاع الباهر، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها، وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله، في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ ﴾ أي محفوظا من أن يقع ويسقط على الأرض؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ ﴾ [الحج: ٦٥]. وقيل: محفوظا بالنجوم من الشياطين؛ قاله الفراء. دليله قوله تعالى: ﴿وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ ﴾ [الحجر: ١٧]. وقيل: محفوظا من الهدم والنقض، وعن أن يبلغه أحد بحيلة. وقيل: محفوظا فلا يحتاج إلى عماد. وقال مجاهد: مرفوعا. وقيل: محفوظا من الشرك والمعاصي. ﴿وَهُمۡ﴾ يعني الكفار ﴿عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ ﴾ قال مجاهد يعني الشمس والقمر. وأضاف الآيات إلى السماء لأنها مجعولة فيها، وقد أضاف الآيات إلى نفسه في مواضع، لأنه الفاعل لها. بين أن المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها، من ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وأفلاكها ورياحها وسحابها، وما فيها من قدرة الله تعالى، إذ لو نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعا قادرا فيستحيل أن يكون له شريك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم والله الذي خلق الليل والنهار خلق الليل كي نسكن فيه ونستريح، وجعل النهار للمعاش، وهي يتعاقبان وكم قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وكذا خلق الله الشمس والقمر يتعاقبان ويجريان بحساب، كما قال تعالى ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: ٥] وهذه الأشياء تدور في مدارات أعدها الله لها فتسبح فيها وتدور فيها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار، نعمة منه عليكم وحجة، ودلالة عظيم سلطانه، وأن الألوهة له دون كلّ ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشمس والقمر أيضا، ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقول: كلّ ذلك في فلك يسبحون.

واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية، فقال بعضهم: هو كهيئة حديدة الرحى.

وقال آخرون: بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها.

وقال آخرون: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.

وقال آخرون: بل هو القطب الذي تدور به النجوم، واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز:

باتَتْ تُناجِي الفَلَكَ الدَّوَّارَا   حتى الصَّباحِ تعمَلُ الأقْتارَا

وقال آخرون: في ذلك، ما حدثنا به بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾: أي في فلك السماء.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر، وقرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ وقال: تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: فيما بين السماء والأرض: النجوم والشمس والقمر.

وذُكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عزّ وجل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى، وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز:

باتَّتْ تُناجِي الفُلْكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أيّ ذلك هو من أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به.

فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كلّ ذلك في دائر يسبحون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثـم قـال منبهًـا علـى بعـض آياتـه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ أي: هـذا في ظلامه وسكونه، وهذا بضيائه وأنسه، يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى، وعكسه الآخر. ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ هذه لها نور يخصها، وفلك بذاته، وزمان على حدة، وحركة وسير خاص، وهذا بنور خاص آخر، وفلك آخر، وسير آخر، وتقدير آخر، ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠]، أي: يدورون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ ذكرهم نعمة أخرى: جعل لهم الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليتصرفوا فيه لمعايشهم ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ أي وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل؛ لتعلم الشهور والسنون والحساب، كما تقدم في «سبحان» بيانه. ﴿ كُلٌّ ﴾ يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار ﴿ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء. قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ ﴾ [النازعات: ٣] ويقال للفرس الذي يمد يده في الجري سابح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما قدرنا لبشر جاءوا قبلك أن يخلدوا في هذه الحياة الدنيا بل كلهم يموتون، أفأن مت يا رسول الله سيخلد هؤلاء العائدون لك كلا فلن تخلَّد في الدنيا ولن يخلدوا بل كل نفس ذائقة الموت، ونختبركم بالشر اختبارًا ونبولكم به ابتلاء، وكذا نختبركم بالخير فتنة لكم، وإلينا جميعًا وجعلكم رقابكم فنجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك، لا ما ذلك كذلك، بل هم ميتون بكلّ حال عشت أو متّ، فأدخلت الفاء في إن وهي جزاء، وفي جوابه، لأن الجزاء متصل بكلام قبله، ودخلت أيضا في قوله فهم لأنه جواب للجزاء، ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة، وهي مرادة، والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء فكأنه قال: أفهم الخالدون إن متّ.

وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من خلقه، معالجة غصص الموت ومتجرّعة كأسها.

وقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ يقول: نبلوكم بالشر بلاء والخير فتنة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: يا محمد، ﴿ٱلْخُلْدَ﴾ أي: في الدنيا بل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧].

وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مات وليس بحي إلى الآن؛ لأنه بشر، سواء كان وليًا أو نبيًا أو رسولا وقد قال

تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾.

وقوله: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ ﴾ أي: يا محمد، ﴿ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾؟! أي: يؤملون أن يعيشوا بعدك، لا يكون هذا، بل كل إلى فناء؛ ولهذا قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾، وقد روي عن الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

وقوله: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ وَنَبْلُوكُم ﴾، يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال..

وقوله: ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: فنجازيكم بأعمالكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ أي دوام البقاء في الدنيا نزلت حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون. وذلك أن المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون: شاعر نتربص به ريب المنون، ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان؛ فقال الله تعالى: قد مات الأنبياء من قبلك، وتولى الله دينه بالنصر والحياطة، فهكذا نحفظ دينك وشرعك. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي أفهم؛ مثل قول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أي أهم فهو استفهام إنكار. وقال الفراء: جاء بالفاء ليدل على الشرط؛ لأنه جواب قولهم سيموت. ويجوز أن يكون جيء بها؛ لأن التقدير فيها: أفهم الخالدون إن مت! قال الفراء: ويجوز حذف الفاء وإضمارها؛ لأن "هم" لا يتبين فيها الإعراب. أي إن مت فهم يموتون أيضا، فلا شماتة في الإماتة. وقرئ ﴿مِتَّ﴾ و ﴿مُتَّ﴾ بكسر الميم وضمها لغتان.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ تقدم. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ﴾ ﴿فِتْنَةًۖ﴾ مصدر على غير اللفظ. أي نختبركم بالشدة والرخاء والحلال والحرام، فننظر كيف شكركم وصبركم. ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ أي للجزاء بالأعمال.

❁ ❁ ❁

بعض الأدلة على الابتلاء بالخير

س: اذكر بعض الأدلة على فتنة الناس واختبارهم بالخير؟

ج: من ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥].

وقوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام لما أُتي بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

وحديث أبي هريرة[(١)] في الصحيحين: في شأن الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل، فيه أن الله عز وجل ابتلاهم، فيبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي

(١) البخاري (٣٤٦٤).

بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي(١) النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ(٢) فَذَهَبَ عَنْهُ(٣) فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ(٤)، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ(٥) هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٢): (قوله: «قذرني» - بفتح القاف، والذال المعجمة المكسورة - أي: اشمأزوا من رؤيتي. وفي رواية حكاها الكرماني «قذروني الناس». وهي على لُغة «أكلوني البراغيث»).

(٢) (مسحه): أي: مسح جسمه.

(٣) أي: ذهب عنه البرصُ.

(٤) قال النووي: (الناقة العشراء هي الحامل: القريبة الولادة)، وقال الحافظ في «الفتح»: (هي: الحامل التي أتى عليها في حملها عشرةُ أشهر من يوم طرقها الفحل، وقيل: يقال لها ذلك إلى أن تلد وبعدما تضع، وهي من أنفس المال.

(٥) «أنتج هذان» أي: صاحب الإبل والبقر. قال النووي: («فأنتج» رباعي، وهي لغة قليلة الاستعمال، والمشهور: نتج» ثلاثي، وممَّن حكى اللغتين الأخفش، ومعناه: تولَّى الولادة، وهي: النتج والإنتاج، ومعنى «ولد هذا» بتشديد اللام: معنى «أنتج»، و«الناتج» للإبل، و«المولد» للغنم وغيرها، هو كـ«القابلة» للنساء).

وقال ابن حجر: («وأنتج» في مثل هذا شاذ، والمشهور في اللغة: «نتجت الناقة» بضم النون، و«نتج

بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ (١) فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ (٢) فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ، فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ (٣)، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ (٤) فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه (٥): أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ يَوْمًا

الرجل الناقة» أي: حمل عليها الفحل، وقد سُمع «انتجت الفرس» إذا ولدت، فهي «نتوج»).

(١) أي: الأسباب التي تُقطع في طلب الرزق.

(٢) أي: أتوصَّل به إلى مُرادي.

(٣) قال النووي: أي: ورثته عن آبائي الذين ورثوه من أجدادي الذين ورثوه آبائهم كبيرًا عن كبيرٍ في العزِّ والشَّرف والثَّروة.

(٤) قال النووي «شرح مسلم» (٥/ ٨٢٠): (قوله: «فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ» هكذا هو في رواية الجمهور: «أجهدك» - بالجيم والهاء- وفي رواية ابن ماهان «أحمدك» - بالحاء والميم-، ووقع في البخاري بالوجهين، لكن الأشهر في مسلم بالجيم وفي البخاري بالحاء، ومعنى الجيم: لا أشق عليك بردِّ شيء تأخذه أو تطلبه من مالي، والجهد: المشقة.

(٥) مسلم (٢٢٩٦).

فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ إِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الأَرْضِ وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**».

وعند البخاري (١) **من طريق سعد بن إبراهيم عن أبيه:** إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

وعند مسلم (٢): من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَقُولُ: كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾.

ج: المعنى والله أعلم وإذا رآك يا رسول الله أهل الكفر والتكذيب اتخذوك

---

(١) البخاري (٤٠٤٥).

(٢) مسلم (٢٩٦٢).

مجالًا للسخرية والاستهزاء لم يأخذوا منك خيرك ولم يستفيدوا منك علمك ولم يقبلوا ما جئت به من الهدى والنور بل نصبهم منك أن يسخرو منك ويستهزءوا بك قائلين أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها ويأوكم بمفارقة عبادتها؟؟!!

وليس أمرهم بقاصرٍ عليك وعلى الاستهزاء بك بل هم كافرون بالله ﷻ وكافرون بالذِّكر الذي جئتهم به من عند الله، وكافرون أيضًا باسم الرحمن وجاحدون لنعمه عليهم.

فغذا كانوا مجدوا نعم الله عليهم، أليس من اليسير عليهم أن يستهزءوا بك!!!

ففي هذا الأخير ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ بتكرير كلمة ﴿هُمْ﴾ للتأكيد على كفرهم وجحودهم والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالله، ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يقول: ما يتخذونك إلا سخريا يقول بعضهم لبعض ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعني بقوله: يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها، تعجبا منهم من ذلك، يقول الله تعالى ذكره: فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي خلقهم وأنعم عليهم، ومنه نفعهم، وبيده ضرّهم، وإليه مرجعهم بما هو أهله منهم؛ أن يذكروه به ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ والعرب تضع الذكر موضع

المدح والذمّ، فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانا، وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح ويعيبه؛ ومن ذلك قول عنترة:

لا تَـذْكُري مُهْـري ومَـا أطْعَمْتُـهُ　　فيكُـونَ جِلْـدُكِ مِثْـلَ جِلْـدِ الأجْـرَبِ

يعني بذلك: لا تعيبي مهري. وسمعناه يُذكر بخير.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: كفار قريش كأبي جهل وأشباهه ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: يستهزئون بك وينتقصونك، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ يعنون: أهذا الذي يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم، قال تعالى: ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ أي: وهم كافرون بالله، ومع هذا يستهزئون برسول الله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي ما يتخذونك. والهزاء السخرية؛ وقد تقدم وهم المستهزئون المتقدمو الذكر في آخر سورة «الحجر» في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥﴾ [الحجر: ٩٥]. كانوا يعيبون من جاحد إلهية أصنامهم وهم جاحدون لإلهية الرحمن؛ وهذا غاية الجهل. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي﴾ أي يقولون: أهذا الذي؟ فأضمر القول وهو جواب «إذا» وقوله: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ كلام معترض بين «إذا» وجوابه. ﴿يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي بالسوء والعيب. ومنه قول عنترة:

لا تذكري مهري وما أطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

أي لا تعيبي مهري. ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي بالقرآن. ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿هُمۡ﴾ الثانية توكيد كفرهم، أي هم الكافرون مبالغة في وصفهم بالكفر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم يتضمن ردًا على المستعجلين نزول العذاب عليهم المنكرين لذلك القائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، المكذبين بوعد الله ووعيده، فيقال لهم إذا كنتم تستعجلون نزول العذاب عليكم فهذا طبع الإنسان الذي طُبع عليه وجبلته التي جُبل عليها أنه محلوق من عجل، مخلوق وطبيعة التي طبعه الله عليها العجل كما قال: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١]، كما قال تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ﴾ [الروم: ٥٤] أي: خلقكم أول ما خرجتم من بطون أمهاتكم ضعفاء وهنا خلقكم عجولين.

وقيل إن معنى ﴿مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ أي في وقت قليل في أخر ساعة من يوم الجمعة كذا قيل: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي لا تتعجلوا نزول العذاب عليكم يا أهل الكفر ولا تستعجلوا نقمي، ولا تنكروها فإنها آتية لا محالة ولا مرد لها منكم ما دمتم على كفركم وعلى تكذيبكم، كما قال تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ ﴾ [المعارج: ١-٢].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ يعني آدم ﴿مِنۡ عَجَلٖۚ﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: من عجل في بنيته وخلقته، كان من العجلة، وعلى العجلة.

وقال آخرون: معناه: خلق الإنسان من عجل: أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل، وقالوا: خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة

قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ قال: على عجل آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين، يريد يوم الجمعة، وخلقه على عجل، وجعله عجولا.

قال الطبري:

والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عمن قال معناه: خُلق الإنسان من عجل في خلقه: أيْ على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ على ذلك.

وأن أبا كريب، حدثنا قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ فِي الجُمُعَةِ لَساعَةٌ يَقَلِّلُها ، قال لا يُوَافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسألُ اللهَ فِيها خَيْرًا إلا أتاهُ اللهُ إيَّاهُ**» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أيّ ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد ﷺ: بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون آياتي، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل، إذا أتتها الآيات فلا تستعجلون، يقول:

فلا تستعجلوا ربكم، فإنا سنأتيكم بها ونريكموها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١]، أي: في الأمور.

وهي التي خلق الله فيها آدم، قال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى ﴾ أي: نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني، ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ويقول أهل الكفر والتكذيب وأهل الجحود والنكران، يقولون لرسول الله ﷺ ولأهل الإيمان ساخرين مستهزئين مكذبين مستبعدين متى هذا الوعد الذي تعدونا أننا سنعذب فيه وسنبعث فيه إن كنتم صادقين في قبلكم فأتونا به!!.

فأجابهم الله بقوله: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ حقيقة هذا اليومن وما يحدث فيه لتابوا وأنابوا وآمنوا وأسلموا لو يعلم الذين كفروا أن هذا اليوم الذي يأتيهم فيه

العذاب لا يستطيعوا دفع النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم وليس هناك ناصرٌ فيعدهم ولا مدافعٌ يدفع عنهم لو علموا هذا ما قالوا هذه المقولة التي يقولونها.

أما قوله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ فكقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٢٤] فحاصل المعنى والتقريب المعنى؟! أقول بالله التوفيق إن الإنسان في الدنيا إذا قائله شخص وحاول ضربه فإن يدافع عن وجهه أولًا فيجتهد ألا يصاب وجهه بأي أذى، فكيف إذا كانت يداه موثوقتان ووجهه معرض للضرب لا يستطيع أن يدفع عن وجهه الضرب؟؟!! فعياذا بالله الكفار يكون هكذا يوم القيامة، النار فُسلَّطه على وجهه ولا يستطيع منعها فيستقبل النار بوجهه عياذًا بالله فنارٌ على وجهه ونار على ظهره، وعذاب على وجهه وعذاب على ظهره، كما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١] وكما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: ١٦].

أما قوله تعالى: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً ﴾ أي: تأتيهم الساعة فجأة فتحيرهم فلا يستطيعون لها ردًا ولا يستطيعون لها دفعًا ولا يستطيعون جدالًا آنذاك، ولا يؤخرون لحظة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد ﷺ: متى هذا الوعد: يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما

تعدوننا به من ذلك. وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ كأنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ وللمؤمنين به، و متى في موضع نصب، لأن معناه: أي وقت هذا الوعد وأيّ يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها، وإنابة ينيبون، لأنها ليست حين

عمل وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضًا بوقوع العذاب بهم، تكذيبًا وجحودًا وكفرًا وعنادًا واستبعادًا، فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا، به ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر:١٦]، ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف:٤١]، وقال في هذه الآية: ﴿ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ وقال: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: لا ناصر لهم كما قال: ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد:٣٤].

وقوله: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً ﴾ أي: «تأتيهم النار بغتة»، أي: فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ أي: تذعرهم فيستسلمون لها حائرين، لا يدرون ما يصنعون، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ أي: ليس لهم حيلة في ذلك، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي الموعود، كما يقال: الله رجاؤنا أي مرجونا. وقيل: معنى «الوعد» هنا الوعيد، أي الذي يعدنا من العذاب. وقيل: القيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يا معشر المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ العلم هنا بمعنى المعرفة فلا يقتضي مفعولا ثانيا مثل ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وجواب «لو» محذوف، أي لو علموا الوقت الذي ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وعرفوه لما استعجلوا الوعيد. وقال الزجاج: أي لعلموا صدق الوعد. وقيل: المعنى لو علموه لما أقاموا على الكفر ولآمنوا. وقال الكسائي: هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة، أي لو علموه علم يقين لعلموا أن الساعة آتية. ودل عليه ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً﴾ أي فجأة يعني القيامة. وقيل: العقوبة. وقيل: النار فلا يتمكنون حيلة ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ قال الجوهري: بهته بهتا أخذه بغتة، قال الله تعالى: ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ وقال الفراء: ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ أي تحيرهم، يقال: بهته يبهته إذا واجهه بشيء يحيره. وقيل: فتفجأهم. ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي صرفها عن ظهورهم. ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي لا يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم،وإن كان القوم الكافرون الجاحدون استهزءوا بك يا رسول الله فقد استهزأ أمثالهم بالرسل من قبلك فلك فيمن كانوا قبلك من المرسلين أسوة فتأسى بهم واقتدِ بهم واصبر كما صبروا، فإن الساخرين المستهزئين قد حلَّ بهم نكالٌ من الله ﷻ وعذابٌ منه ونزل بهم جزاء استهزائهم وجزاء تكذيبهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله، واجتراء عليه، فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم، يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم، وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزئون: يقول جلّ ثناؤه: حلّ بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوّفهم نزوله بهم، يستهزءون: يقول جلّ ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليًا لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ يعني: من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام:٣٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ وتعزية له. يقول: إن استهزأ بك هؤلاء، فقد استهزئ برسل من قبلك، فاصبر كما صبروا. ثم وعده النصر فقال: ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط ودار ﴿بِٱلَّذِينَ﴾ كفروا ﴿سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ وهزئوا بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي جزاء استهزائهم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ
مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

[الأنبياء: ٤٢-٥٠].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَكْلَؤُكُم - ذِكْرِ رَبِّهِم - ءَالِهَةٌ - يُصْحَبُونَ - طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ - نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ - أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ - يُنذَرُونَ - نَفْحَةٌ - ٱلْقِسْطَ - تُظْلَمُ - ٱلْفُرْقَانَ - وَضِيَآءً - وَذِكْرًا - يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ - مُشْفِقُونَ - مُبَارَكٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَكْلَؤُكُم﴾	يحرسكم - يحفظكم
﴿ذِكْرِ رَبِّهِم﴾	تذكير ربهم لهم بما أنزله في كتاب ذكر الله بتوحيده- القرآن
﴿ءَالِهَةٌ﴾	معبودات
﴿يُصْحَبُونَ﴾	يُمنعون- يجارون- نصبحهم بخير
﴿طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾	طالت أعمارهم في الغي والضلال والنعيم الدنيوي
﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾	نهلكها قرية بعد قرية، وهي القرى التي يرونها مُدمرة خاوية على عروشها- وقيل يُسلم أهل القرى قرية بعد قرية فيضيق الخناق على أهل الشرك فينقلون يومًا بعد يوم
﴿أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾	أخوفكم
﴿يُنذَرُونَ﴾	بالقرآن الذي أوحاه الله إليَّ
﴿نَفْحَةٌ﴾	يخوفون- يُحذَّرون- شيء يسيرٌ

﴿ٱلْقِسْطَ﴾	الحق – العدل
﴿تُظْلَمُ﴾	تُبخس شيئًا من حقها
﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾	ما يوَّق به بين الحق والباطل (قيل العصا وقيل التوراة)
﴿وَضِيَآءً﴾	نورًا
﴿وَذِكْرًا﴾	تذكيرًا
﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾	يخافون ربهم ﷻ
﴿بِٱلْغَيْبِ﴾	وهم لا يرون الله – وفي حال غيابهم عن الناس – في حال عدم رؤيتهم لله
﴿مُشْفِقُونَ﴾	خائفون
﴿مُّبَارَكٌ﴾	كثيرٌ خبرة – متزايدُ خيره ثابتُ خيره

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المنكرين للبعث المستعجلين وقوع العذابن قل لهم من يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار إذا أراد بكم الرحمة سوءًا، وهذه كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ فإذا سألت هؤلاء المشركين هذا السؤال، فلا يجدون له جوابصا، فإنهم يقرون أن الله هو الذي يكلؤهم (يحرسهم ويحفظهم بالليل والنهار) لن يجدوا جوابًا، ومع ذلك فهو عن ذكر من الذي أنزل على رسوله وهو القرآن بما فيه من تذكير معرضون وكذا فإنهم عن ذكر الله بتوحيده وإفراده بالعبادة.

أما قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ﴾ فمعناه ألهم آلهة تمنعهم منا إذا أردنا بهم سوءًا أو أردنا بهم رحمة كلا فليس لهم من يعصمهم منا ولا من يمنعهم مما أردناه بهم فهذه الألهة التي عبدوها مع الله ﷻ لا تستطيع نصر أنفسها ولا منع أنفسها ممن أرادها بأي شيء، وقد كسرها الخليل إبراهيم عليه السلام، ولم تدفع عن نفسها شيئًا فكيف تنصر غيرها، وكيف تحفظ غيرها.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ فالمعنى أن أهل الشرك لا يمنعهم ماناع فما أردناهم به وكذا لا يجدون منا صحبة خير ولا يصحبون منا بخير

وكذا قال بعض العلماء:

وقال آخرون: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي ولا هم يُجارون منا ولا

يمنعون منا.

ثم يقول تعالى ما حاصل معناه فإن سأل سائل فما بال العذاب تأخر عن هؤلاء فجوابه أننا متعنا هؤلاء وأمهلناهم كما متعنا آباءهم وأمهلناهم حتى طال عليهم العمر في النعيم الدنيوي، ثم أننا نأخذهم كما أخذنا آباءهم وأسلافهم.

أفلا ينظر هؤلاء إلى سنن الله في الخلق وأنه يوم المكذبين شيئًا فشيئًا، ويهلكم قومًا بعد قوم وقيل نقصها من أطرافها أي يُسلم الناس- وكان هذا في زمن رسول الله ﷺ ويدخلون في دين الله أفواجًا فيضيق الخناق على أهل الشرك بمكة ويقل أتباعهم ومن على شاكلتهم من أهل الكفر كذا قال بعض أهل العلم وهناك أقوال أُخر والأول عليه أكثر العلماء.

أما قوله تعالى: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فحاصل معناه إن كنا قد أهلكنا القرى التي يعلمها الله، وديارهم وآثارهم باقية تشهد لما أحللناه بهم، وكافر أأشد منهما أهل مكة قوة وأكثر جمعًا، أفيغلبنا هؤلاء المشركون من قريش؟!! كلا بل نحن الغالبون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ**:** قل يا محمد بهؤلاء المستعجليك بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم: يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا تصرّفتم من الرحمن؟ يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل من الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ قال من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن، يقال منه: كلأت القوم: إذا حرستهم، أكلؤهم، كما قال ابن هَرْمة:

إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُها ... ضَنَّتْ بشَيْءٍ ما كانَ يَرْزَؤُها

قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢﴾ وقوله بل: تحقيق لجحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا.

ومعنى الكلام: وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالئ لهم من أمر الله إذا هو حلّ بهم ليلا أو نهارا، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتجّ بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به، جهلا منهم وسفها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝٤٣﴾.

يقول تعالى ذكره: الهؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا، ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها، وقوله: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝٤٣﴾ اختلف أهل التأويل في المعني بذلك، وفي معنى يُصْحبون، فقال بعضهم: عنى بذلك الآلهة، وأنها لا تصحب من الله بخير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني الآلهة ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝٤٣﴾ يقول: لا يصحبون من الله بخير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا هم منا ينصرون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن ﴿هُم﴾ من قوله: ﴿وَلَا هُم﴾ من ذكر الكفار، وأن قوله: ﴿يُصْحَبُونَ﴾ بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا، ولا جار يجيرهم من عذابنا، إذا نحن أردنا عذابهم، فاتكلوا على ذلك، وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك، ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر، وهم على كفرهم مقيمون، لا تأتيهم منا واعظة من عذاب، ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا، وعبادتهم الأوثان والأصنام، فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم، ولم يعرفوا موضع الشكر، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد ﷺ الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخرّبها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغلبتناهم، وإجلاؤهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف، وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد،

بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يقول تبارك وتعالى: أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمدا بالعذاب الغالبونا، وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين، ليس ذلك كذلك، بل نحن الغالبون، وإنما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم، يقول: أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه، وقد قهر من ناوأه من أهل أطراف الأرض غيرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار، وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام، فقال: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾؟ أي: بدل الرحمن بمعني غيره كما قال الشاعر

جَاريــةٌ لَـمْ تَلْـبَسِ المُرَقَّقـا   وَلَـمْ تَـذق مِـنَ البُقـول الفُسْـتُقا

أي: لم تذق بدل البقول الفستق.

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: لا يعترفون بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، بل يعرضون عن آياته وآلائه، ثم قال ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ، أي: ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا؛ ولهذا قال: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: هذه [الآلهة] التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم.

وقوله: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يمنعون.

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين: إنما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال، أنهم مُتّعوا في الحياة الدنيا، ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه، فاعتقدوا أنهم على شيء.

ثم قال واعظًا لهم: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ اختلف المفسرون في معناه، وقد أسلفناه في سورة «الرعد»، وأحسن ما فسر بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٧].

وقال الحسن البصري: يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر.

والمعنى: أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة، وإنجائه لعباده المؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يعني: بل هم المغلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ أي يحرسكم ويحفظكم. والكلاءة الحراسة والحفظ؛ كلاه الله كلاء "بالكسر" أي حفظه وحرسه. يقال: اذهب في كلاءة الله؛ واكتلأت منهم أي احترست، قال الشاعر هو ابن هرمة:

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وقال آخر:

أنخت بعيري واكتلأت بعينه

ثم قال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة. أي

بسطنا لهم ولآبائهم في نعيمها ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ﴾ في النعمة. فظنوا أنها لا تزول عنهم، فاغتروا وأعرضوا عن تدبر حجج ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ أي بالظهور عليها لك يا محمد أرضا بعد أرض، وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة؛ قال معناه الحسن وغيره. وقيل: بالقتل والسبي؛ حكاه الكلبي. والمعنى واحد.

❁❁❁

س: وضح معنى الآيات: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعاندين المستعجلين نزول العذاب عليهم، قل لهم إنما أحذركم وأخوفكم وأنذركم بالقرآن الذي أوحاه الله إليَّ، ولكن أهل الكفر الذي أصمهم الله عن الحق وأعمى أبصارهن لا يسمعون ما ندعوهم إليه ولا يفقهون ما نحذرهم منه ولا يسمعونه النذير سرعًا ينتفعون به، ولئن أصابهم شيءٌ ولو اليسير جدًا من عذاب الله ﷻ لضجُّوا ودعوا على أنفسهم بالويل والهلاك والموت قائلين معترفين ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ كنا ظالمين لأنفسنا لعبادة غير الله ﷻ.

ثم يبين الله ﷻ شيئًا مما هو كائن يوم القيامة فيقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ﴾ التي توزن فيها أي العباد، بل ويوزن فيها العبادة أيضًا نقيم هذه الموازين بالعدل وهو القسط وذلك يوم القيامة فلا تبخس نفسٌ أي شيء عملته بل وإن كان المعمول من خيرا أو شر صغيرًا ضئيلًا ولو حبة من خردل أتينا بها ووضعناه

في الموازين كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. أما قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ أي لا نحتاج في لأحدٍ يحسب لنا ويزيد على العباد أعمالهم، فالله يحب أي والعباد أدن حساب وأعدل حساب وأتم حساب.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون إنم أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحيه إلى من عند وأخبركم به بأسه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أي بهذا القرآن.

وقوله: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ بفتح الياء من ﴿يَسْمَعُ﴾ بمعنى أنه فعل للصمّ، والصمّ حينئذ مرفوعون، ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأ ﴿ولا تُسْمعُ﴾ بالتاء وضمها، فالصمّ على هذه القراءة مرفوعة، لأن قوله: ﴿لا تُسْمِعُ﴾ لم يسمّ فاعله، ومعناه على هذه القراءة: ولا يسمع الله الصمّ الدعاء.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه، ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا تُلي عليه وأُريد به، ولكنه يعرض عن الاعتبار

به والتفكر فيه، فعل الأصمّ الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يقول: إن الكافر قد صمّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يقول: إن الكافر قد صمّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك، يعني بالنفحة النصيب والحظّ، من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾... الآية، يقول: لئن أصابتهم عقوبة.

وقوله: ﴿ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يقول: لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم، ليعلمن حينئذ غبّ تكذيبهم بك، وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم وكفرانهم أياديه عندهم، وليقولن يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا، ووضعنا العبادة غير موضعها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ العدل وهو ﴿ٱلْقِسْطَ ﴾ وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه، وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى "في" كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة، وقوله: ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ يقول: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته.

وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ يقول: وإن كان الذي له من عمل الحسنات، أو عليه منا لسيئات وزن حبة من خدل أتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ قال: كتبناها وأحصيناها له وعليه.

وأيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ قال: يؤتى بها لك وعليك، ثم يعفوا إن شاء أو يأخذ، ويجزي بما عمل له من طاعة. وكان مجاهد يقول في ذلك ما.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ يقول: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم، وما سلف في الدنيا من صالح أو سيء منا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ ﴾ أي: إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذركم به

من العذاب والنكال، ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إليّ، ولكن لا يجدي هذا عمن أعمى الله بصيرته، وختم على سمعه وقلبه؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي: ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله، ليعترفن بذنوبهم، وأنهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا.

وقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.

وقوله: ﴿ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف:٤٩]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٤٠]، وقال لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان:١٦].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

وأورد ما أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال: أفلك عذر، أو**

حسنة؟» قال: فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك. فيخرج له بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله» فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: «**فتوضع السجلات في كفة**» ، قال: «**فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**» قال: «**ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**» .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

ج: المعنى والله أعلم ولقد أتينا موسى وهارون عليهما السلام الفرقان، وهو ما يفرق به بين الحق والباطل، وقيل إن هذا الفرقان هو المعجزات التي أيد الله بها موسى وهارون عليهما السلام كالعصا واليد وغير ذلك، وقيل إن هذا الفرقان هو التوارة.

أما قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾ فمن العلم ومن قال إن المراد به التوراة فهي ضياءٌ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤].

أما قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي تذكيرًا للمتقين، وقيل للمتقين، مع أنه ذكرٌ للجميع، وذلك لكون المتقين هم المستفيدون به أما قوله تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ أي: وهذا القرين الذي أنزلناه عليك يا رسول ذِكر مبارك كثير نفعه بل وكله نفعٌ، نفع أثناء وتعلمه وتعليمه وأثناء العمل به، وأثناء تدبره، والدعوة إليه بل في كل زمانٍ، وفي كل مكان.

أنزلناه عليك يا رسول الله لتبليغه هؤلاء القوم أفتنكرونه، وهو في غاية الجلاء والظهور والوضوح.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق والباطل.

وأورد بإسناد صحيح: ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ قال: الفرقان: الحق آتاه الله موسى وهارون، فرق بينهما وبين فرعون، قضى بينهم بالحق، وقرأ ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١] قال: يوم بدر.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرّهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال: ﴿ بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظًا ﴾ [الصافات: ٦-٧]؟ قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من

معانيه ما قلنا، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل.

وقوله: ﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ يقول: وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذكّرهم بما آتى موسى وهارون من التوراة.

في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى وهارون الفرقان: الذكر الذي آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته، يحافظون على حدوده وفرائضه، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون، حذرون أن تقوم عليهم، فيردوا على ربهم قد فرّطوا في الواجب عليهم لله، فيعاقبهم من العقوبة بما لا قِبَل لهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به ﴿مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين ﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون وتقولون هو ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين، كالذي آتينا موسى وهارون ذكرا للمتقين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهما، وبين كتابيهما؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾. قال مجاهد: يعني: الكتاب. وقال أبو صالح: التوراة، وقال قتادة: التوراة، حلالها وحرامها، وما فرق الله بين الحق والباطل. وقال ابن زيد: يعني: النصر.

وجامع القول في ذلك: أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام، وعلى ما يحصل نورًا في القلوب، وهداية وخوفًا وإنابة وخشية؛ ولهذا قال: ﴿ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: تذكيرًا لهم وعظة.

ثم وصفهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ كقوله: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢]، ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: خائفون وجلون.

ثم قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يعني: القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ﴿ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد آتينا موسى وهرون النصر والتوراة التي هي الضياء والذكر. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي غائبين، لانهم لم يروا الله تعالى، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم ربا قادرا، يجازي على الاعمال فهم يخشونه في سرائرهم، وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس. ﴿وَهُم مِّنَ

ٱلسَّاعَةِ﴾ أي من قيامها قبل التوبة. ﴿مُشۡفِقُونَ ۝٤٩﴾ أي خائفون وجلون.

﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ يعني القرآن ﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ﴾ يا معشر العرب ﴿مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ وهو معجز لا تقدرون على الاتيان بمثله.

وأجاز الفراء ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ بمعنى أنزلناه مباركا.

❋ ❋ ❋

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ
أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي
فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم
بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ
يَرۡجِعُونَ ٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ
سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ
يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ
فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ
عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ
أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ
ٱلْأَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ
٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ٧٢
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾

[الأنبياء: ٥١-٧٣].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿رُشْدَهُۥ - ٱلتَّمَاثِيلُ - عَٰكِفُونَ - ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ - ٱللَّٰعِبِينَ - فَطَرَهُنَّ - وَتَٱللَّهِ - لَأَكِيدَنَّ - تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ - جُذَٰذًا - أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ - يَشْهَدُونَ - ٱلتَّمَاثِيلُ - فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ - نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ - أُفٍّ لَّكُمْ - إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ - كَيْدًا - بَٰرَكْنَا فِيهَا - نَافِلَةً - أَئِمَّةً - يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿رُشْدَهُۥ﴾	عقله- فهمه- سدادًا وتوفيقًا
﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾	الأصنام
﴿عَٰكِفُونَ﴾	مقيمون حولها- ملازمون لها
﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	بعدُ عن الحق مظهرٌ لمن تأمله أنهم على باطل وضلال
﴿ٱللَّٰعِبِينَ﴾	المازحين
﴿فَطَرَهُنَّ﴾	خلقهن لأول مرة وعلى غير مثال سابقٍ
﴿وَتَٱللَّهِ﴾	ووالله
﴿لَأَكِيدَنَّ﴾	لأكرمن أصنامكم- لأفعلن بها مكيدة
﴿تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾	تنصرفوا بعيدين عنها
﴿جُذَٰذًا﴾	فُتاتًا- مقطعًا
﴿أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾	أمام الناس وعلى مرأى منهم

﴿يَشْهَدُونَ﴾	يشهدون عليه أنه توعد
﴿التَّمَاثِيلُ﴾	الأصنام
﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾	فرجع بعضهم على بعض بالملامة
﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾	ارتدوا ثانية باللوم على إبراهيم عليه السلام
﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾	تقذرًا لكم وتقززًا من فعلكم
﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾	إن كنتم منتصرين لها- إن كنتم تريدون الاستمرار على عبادتها
﴿كَيْدًا﴾	هلاكًا- موتًا
﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾	أكثرنا الخيرات فيها- أرسلنا فيها رسلًا وأنبياء كثيرين- أكثرنا فيها من الثمار والبركات والخيرات
﴿نَافِلَةً﴾	زيادة على ما سأل
﴿أَئِمَّةً﴾	قادة وسادة في الخير
﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾	يهدون الناس بإذننا وبما أمرناهم به

❁ ❁ ❁

ذكر نبي اللّه إبراهيم عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ
﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ
﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾
قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلى وأعلم ولقد أتينا إبراهيم عليه السلام هداه وعقله الرشيد وفهمه السديد، أي أتيناه فهمًا سديدًا وعقلًا رشيدًا، وهدى وتوفيقًا.

أما قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى وهارون عليهما السلام ، وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي وهو صغير ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ قيل عالمين أنه أهلًا لذلك وقيل كنا به عالمين أنه يتحرى الحق والصواب ويبحث عنه.

وكذا كنا به عالمين عند قوله لأبيه آزر ولقومه ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ ما هذه الأصنام والصور التي أنتم عندها مقيمون وحولها مقيمون تعبدونها لا تتركون عبادتها وأنتم لها ملازمون؟ قالوا وجدنا أباءنا يعبدونها فنحن نعبدها كما كان أباؤنا ويعبدونها ، فقال لهم الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي في بعدٍ عن الحق واضحٌ مظهرٌ لمن تأمله أنكم على غير صوابٍ وعلى غير الحق فتعجب قوم إبراهيم عليه السلام من مقولته تلك فقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أأنت جادٌ فيما تقول أم أنك هازل تمزح، فأكد، فأكّد لهم أنه جاد ليس بمازح ولا هازل فأكد لهم أنه جاد ليس بمازح ولا هازل فقال: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ الذي خلقهن لأول مرة، وأنا على ما قلت من الشاهدين المُقرين لله عز وجل بالربوبية دون ما سواه والمقرين له بالألوهية دون ما سواه فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ موسى وهارون، ووفقناه للحقّ، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعلى إبراهيم، فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقا منا له.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئا ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ ﴾ يعني في وقت قيله وحين قيله لهم ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يقول: قال لهم: أيّ شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون، ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ ﴾ أيها القوم ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ ﴾ بعبادتكم إياها ﴿ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ، وجور عن قصد السبيل مبين: يقول: بين لمن تأمله بعقل، إنكم كذلك في جور عن الحقّ ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أجئتنا بالحقّ فيما تقول ﴿ أَمْ أَنتَ ﴾ هازل لاعب ﴿ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتكم بالحق لا اللعب، ربكم ربّ السماوات والأرض الذي خلقهنّ، وأنا على ذلكم من أن ربكم هو ربّ السماوات والأرض الذي فطرهنّ، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كلّ أحد سواه شاهد من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضرّ ولا تنفع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه آتاه رشده من قبل، أي: من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣]، وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب، وهو رضيع، وأنه خرج به بعد أيام، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات، فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم -فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وفقًا، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة. والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما

حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة.

والمقصود هاهنا: أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده، من قبل، أي: من قبل ذلك، وقوله: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي: وكان أهلا لذلك.

ثم قال: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره، الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله، عز وجل، فقال: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي: معتكفون على عبادتها.

﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾: لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال؛ ولهذا قال: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم، فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم.

فلما سفه أحلامهم، وضلل آباءهم، واحتقر آلهتهم ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ يقولون: هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبًا أو محقًا فيه؟ فإنا لم نسمع به قبلك.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: ربكم الذي لا إله غيره، هو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي: وأنا أشهد أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ قال الفراء: أي أعطيناه هداه.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل النبوة، أي وفقناه للنظر والاستدلال، لما جن عليه

الليل فرأى النجم والشمس والقمر.

وقيل: «من قبل» أي من قبل موسى وهرون.

والرشد على هذا النبوة.

وعلى الاول أكثر أهل التفسير، كما قال ليحيى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢].

وقال القرظي: رشده صلاحه.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ أي إنه أهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ قيل: المعنى أي اذكر حين قال لابيه، فيكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

وقيل: المعنى، ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ﴾ فيكون الكلام متصلا ولا يوقف على قوله: «عالمين».

«لابيه» وهو آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ نمرود ومن اتبعه.

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ أي الاصنام.

والتمثال اسم موضوع للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى.

يقال: مثلت الشئ بالشئ أي شبهته به.

واسم ذلك الممثل تمثال.

﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي مقيمون على عبادتها.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي نعبدها تقليدا لاسلافنا.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي في خسران بعبادتها، إذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي أجاء أنت بحق فيما تقول؟ ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾

أي لاعب مازح.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي لست بلاعب، بل ربكم والقائم بتدبيركم خالق السموات والارض.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ أي خلقهن وأبدعهن.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي على أنه رب السموات والأرض.

والشاهد يبين الحكم، ومنه ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٨] بين الله، فالمعنى: وأنا أبين بالدليل ما أقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم قسم أقسمه إبراهيم عليه السلام وعهدٌ أخذه على نفسه أن يكسر الأصنام بعد خروج القوم لعيدهم، وبعد انصرافهم عن آلهتهم، وقد قيل إن أقسم على ذلك أمام بعض قومه فسمعه بعضهم ولم يسمعه آخرون، ويحتمل أنه عقد عليه العزم في نفسه، والأول أظهر لقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ فالحاصل أن إبراهيم عليه السلام أقسم بالله ﷻ أن يكيد هذه الأصنام بتكسيرها وتدميرها بعد انصراف القوم عنها. فلما انصرفوا عنها قام إليها وكسرها بقوةٍ وشدة كما قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الصافات: ٩٣] فكسرها وجعلها قطعًا متفتتة محطمةً، كسرها كلها إلا أكبر صنم فيها لعلَّ

القوم يرجعون.

وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ فقيل إن المراد بذلك الصنم الأكبر تركه إبراهيم، وقيل إنه علَّق عليه الفأس الذي كسر به الأصنام لعلَّ القوم يرجعون إلى الصنم فيسألونه لماذا صنعت هذا بالأصنام الصغيرة التي دونك، فيكون ردَّه إني رفضت أن يعبد هؤلاء الصغار معي. وهذا كله على سبيل السخرية والتهكم من القوم أي فاسألوا هذا الصنم الكبير لماذا كسرها، فقد يكون كسرها لكونها تُعبد معه، وهو لا يريد أن يُعبد أحدٌ معه من هذه الأصنام، هذا قولٌ، فحاصله أنه جعل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ أن يرجعون إلى الصنم الأكبر.

وقوله آخر ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى إبراهيم عليه السلام ﴿يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ أي يرجعون إلى دينه وما هو عليه من الحق، وقيل يرجعون إلى إبراهيم عليه السلام يسألونه ويناظرونه.

فقالوا لما رجعوا ووجدوا الأصنام مكسرة محطمةً مُدمرةً (إلا الصنم الأكبر) قالوا من فعل هذا بمعبوداتنا التي نعبدها إنه لشخص ظالم من الظالمين، فقال بعض الذين سمعوا إبراهيم عليه السلام يُقسم على الكيد لها وتدميرها سمعنا فتى -شابًا- يُقال له إبراهيم فقال كبراء القوم وأهل الرياسة فيهم فأتوا به أمام الناس وعلى رأي منهم وأمام الشهود لعلهم يشهدون عليه وعلى جريمته التي ارتكبها في حقنا بتكسيره أصنامنا وازدراءه بمعبوداتنا فأُتي بالخليل إبراهيم عليه السلام، فسألوه أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم؟ أأنت الذي كسرتها ودمرتها وأهنتها؟؟ فقال عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ هذا الصنم الأكبر هو الذي كسرها فسألوهم من الذي فعل ذلك بكم، واسألوا

الصنم الأكبر من الذي فعل هذا بمن حولك؟؟.

فسيجيبوا إن كانوا ينطقون، فأقام عليهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحجة، وأوضح لهم أن هذه الأصنام لا تملك دفاعًا عن نفسها، فلم تمنع نفسها ممن أرادها بسوءٍ ومن كسرها، ثم هي جمادات لا تنطق ولا تتكلم ولا تجيب، فكيف تعبدُ هذه من دون الله عَزَّ وَجَلَّ!

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سرّ من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا. من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولّوا مدبرين.

وأورد أقوالًا في تفسير ﴿جُذَاذًا﴾ منها حطاما ومنها قطعًا، ومنها كالصريم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السديّ أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيدا لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضعفى الناس ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝٥٧ ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاما، فوضعوه بين أيدي

الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ فلما لم تجبه، قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصافات: ٩١-٩٣] فأخذ فأس حديد، فنقر كلّ صنم في حافتيه، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

قلت: (مصطفى): ولعل هذا من الإسرائيليات. فالله أعلم.

ثم قال الطبري:

وقوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يقول: إلا عظيما للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول: فعل ذلك إبراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعد، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله، والبراءة من الأوثان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ قال كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

وقال الطبري:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذّت، إلا الذي ربط به الفأسَ إبراهيم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إن الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين! أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ يقول: قال الذين سمعوه يقول ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم.

وقوله: ﴿ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا باللذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس؛ فقيل: معنى ذلك: على رءوس الناس. وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم، وقالوا: إنما أريد بذلك أظهروا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلّ الناس يشهدون عليه، أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

وأورد عن السدي بسندٍ حسن: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ عليه أنه فعل ذلك.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ قال: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به، فيعاينوه ويرونه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأتوا بإبراهيم، فلما أتوا به قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أقسم الخليل قسمًا أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم، أي: ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين أي: إلى عيدهم. وكان لهم عيد يخرجون إليه.

ثم أورد طرفًا من أثر السدي المتقدم وقال وقال أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: لما خرج قوم إبراهيم، إلى عيدهم مروا عليه فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال: إني سقيم. وقد كان بالأمس قال: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ فسمعه ناس منهم.

وقوله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ أي: حطامًا كسرها كلها ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ يعني: إلا الصنم الكبير عندهم كما قال: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات:٩٣].

وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غَارَ لنفسه، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فكسرها.

﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي: حين رجعوا

وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها، وعلى سخافة عقول عابديها ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩)﴾ أي: في صنيعه هذا.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)﴾ أي: قال من سمعه يحلف أنه ليكيدنهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ أي: شابًا ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن قابوس [عن أبيه]، عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيًا إلا شابًا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)﴾.

وقوله: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: على رءوس الأشهاد في الملإ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يتبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرًا، ولا تملك لها نصرًا، فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟.

﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ يعني: الذي تركه لم يكسره ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣)﴾ وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم، لأنه جماد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ أخبر أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل كسر أصنامهم فعل واثق بالله تعالى، موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين. والتاء في ﴿تَاللَّهِ﴾ تختص في القسم باسم الله

وحده، والواو تختص بكل مظهر، والباء بكل مضمر ومظهر. قال الشاعر:

تالله يبقي على الأيام ذو حيد   بمشمخر به الظيان والآس

وقال ابن عباس: أي وحرمة الله لأكيدن أصنامكم، أي لأمكرن بها. والكيد المكر. كاده يكيده كيدا ومكيدة، وكذلك المكايدة؛ وربما سمي الحرب كيدا؛ يقال: غزا فلان فلم يلق كيدا، وكل شيء تعالجه فأنت تكيده. ﴿بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧﴾ أي منطلقين ذاهبين.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يجمع أهل الظلم الجموع فتكون هذه وبالًا عليهم وحجة عليهم بل وفضيحة لهم دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

أن فرعون لما اتفق مع موسى عَلَيۡهِ السَّلَامُ، وكذا اتفق السحرة مع موسى عَلَيۡهِ السَّلَامُ على وقت اللقاء يوم الزينه وأن يحشر الناس ضحى، تولى فرعون فجمع كيده ثم أتى. فكان في مجيئهم نصرةٌ لموسى عَلَيۡهِ السَّلَامُ.

وكذا لما أرسل فرعون في المدائن حاشرين وكان في هذا إهلاك لهم ودمارٌ وغرقٌ وكذا قوم إبراهيم عَلَيۡهِ السَّلَامُ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، فاجتمعوا وخرج لهم إبراهيم عَلَيۡهِ السَّلَامُ، بعد أن كسر الأصنام، فأقام عليهم الحجة، وهم مجتمعون وكذا الغلام الوارد ذِكره في قصته أصحاب الأخدود وغير ذلك كثير.

❁ ❁ ❁

س: أحرف القسم ثلاثة، اذكرها بأدلتها.

ج: هي الواو والباء، والتاء

وأدلة ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [النمل: ٤٩].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر الكذبات الثلاث التي كذبها إبراهيم عليه السلام.

ج: هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩] لما دعوه للخروج معهم ليوم عيدهم.

وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وقوله عن سارة لما دخل بلاد الجبابرة: هذه أختي.

وينحو ذلك جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثا».

حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز و جل. قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾. وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾. وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك»....الحديث.

❁ ❁ ❁

س: هل كل نبي يبعث عند الأربعين من عمره؟

ج: لم أقف على دليل بذلك، بل الأدلة تخالف ذلك، فليس بالضرورة أن يبعث كل نبي عند الأربعين، وإن كان هذا قد ورد في شأن رسولنا محمد ﷺ وأنه بعث عند الأربعين.

أما إبراهيم عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنبياء: ٥١] قيل في صغره.

ويوسف عليه السلام أوحي إليه وهو في غيابة الجب قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٥].

ويحيى عليه السلام أتاه الله الحكم صبيًا.

وقيل: إن عيسى عليه السلام رفع قبل الأربعين، قيل عند الثلاث والثلاثين، ولم أقف على خبر عن رسول الله ﷺ بذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم فرجع أهل الكفر عبدة الأصنام والأوثان إلى أنفسهم إلى بعضهم البعض يُعاقب بعضهم بعضًا يقول بعضهم لبعض أنتم الذي ظلمتم آلهتكم بتركها دون حراسة وبدون رعاية حتى كسرها إبراهيم عليه السلام وقال آخرون من العلماء معنى ذلك: إنكم أنتم الظالمون

بعبادتكم الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن نفسها شيئًا فضلًا عن غنايتها عنكم.

وقال آخرون: إنكم أنتم الظالمون، كيف تسألون إبراهيم، بل اسألوا الآلهة التي كُسرت من كسرها واسألوا الكبير الصنم الأكبر من فعل ذلك والأظهر من هذه الأقوال قول من قال إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، وذلك للآية التي بعدها، ولو قوله ثم نكسوا على رؤوسهم أي ارتدوا إلى جهلهم وغبائهم وشركهم وقلة أفهامهم، وكذا إلى كفرهم وضلالهم قائلين لإبراهيم عليه السلام لما قال لهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون قالوا له لقد علمت يا إبراهيم أن هذه الألهة لا تستطيع النطق فكيف نسألها فبهذا أقاموا الحجة على أنفسهم، فإذا كانت الألهة لا تستطيع النطق ولا تدفع عن نفسها الضر، فكيف تعبدونها إذن؟؟ فحينئذٍ قال لهم الخليل إبراهيم عليه السلام مُحتجًا عليهم أفتعبدون من دون الله، أتعبدون مع الله آلهة أخرى لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم بشر ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقذرًا لكم، وتقذرًا للآلهة التي تبعدونها مع الله عز وجل أفلا تعقلون ما ينفعكم ولا يضركم أليست عندكم عقول تعقلون بها؟

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ في أنفسهم، ورجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم، وهذه آلهتكم

التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم غُلبوا في الحجة، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال الله: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ادركت الناس حيرة سوء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم نُكسوا في الفتنة.

وبإسناد حسن عن السدي: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ قال: نكسوا في الفتنة على رءوسهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك، لأن نَكْس الشيء على رأسه: قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله؛ ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رءوس أنفسهم، وأنهم إنما نُكست حجتهم، فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم، وإذ كان ذلك كذلك، فنكْس الحجة لا شك إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من

عبادة ما كان هكذا.

وقوله: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ يقول: قُبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضرّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم، ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: في ترككم لها مهملة لا حافظ عندها، ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: ثم أطرقوا في الأرض فقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء فقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

وقال السدي: ﴿ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: في الفتنة.

وقال ابن زيد: أي في الرأي.

وقول قتادة أظهر في المعنى؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا؛ ولهذا قالوا له: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾، فكيف تقول لنا: سلوهم إن كانوا ينطقون، وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: إذا كانت لا تنطق، وهي لا تضر ولا تنفع، فلم تعبدونها من دون الله.

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ، الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر؟ فأقام عليهم الحجة، وألزمهم بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ

ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ الآية [الأنعام: ٨٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن لصحة حجه خصمه ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي بعبادة من لا ينطق بلفظة، ولا يملك لنفسه لحظة، وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم البأس، من لا يرد عن رأسه الفأس. ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي عادوا إلى جهلهم وعبادتهم فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فـ﴿قَالَ﴾ قاطعا لما به يهذون، ومفحما لهم فيما يتقولون ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ﴾ أي النتن لكم ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾. وقيل: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي طأطأوا رؤوسهم خجلا من إبراهيم، وفيه نظر؛ لأنه لم يقل نكسوا رؤوسهم، بفتح الكاف بل قال: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي ردوا على ما كانوا عليه في أول الأمر وكذا قال ابن عباس، قال: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم قال قوم من أهل الكفر لساداتهم وكبراءهم أوقدوا لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نارًا فألقوه فيها ﴿ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: ٩٧] وقيل قائل ذلك رجل من أعراب أهل فارس، وهم الأكراد، وهذا لا يثبت بسند إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يضر عدم معرفة قائل ذلك، إنما هو قائل من

الكفار أيًا كان، وقوله وانصروا آلهتكم معناه انتصروا لها إن كنتم ترونها آلهة حقًا وكنتم ستستمرون على عبادتها، فإن كنتم لها منتصرين فأوقدوا له نارًا فأوقدوا له نارًا فاقذفوه فيها فأوقدوا نارًا عظيمة فقذفوه فيها، وهو يقول حسبي الله ونعم والوكيل، فأمر الله ﷻ النار أن تكون بردًا، وليس بردًا شديدًا مُضرًّا مؤلما، بل تكون عليه بردًا وسلاما وأرادوا بإبراهيم عليه السلام الموت والهلاك فجعلناهم الأخسرين، المغلوبين.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾ يقول: إن كنتم ناصريها، ولم تريدوا ترك عبادتها.

وقيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس.

وقوله: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ في الكلام متروك اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، وذُكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ، قال: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ۝٩٧ ﴾ [الصافات: ٩٧] قال: فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطبا، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنّ حطبا لإبراهيم، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء، فقالت

السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فقذفوه في النار، فناداها فقال: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ فكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي ناداها.

وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، ظنت أنها هي تعنى، فلما طُفئت النار نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظلّ، وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ يقول تعالى ذكره: وأرادوا بإبراهيم كيدًا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠﴾ يعني الهالكين.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ألقي في النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل.

ج: أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلقي في النار، وقالها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا لهم ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]».

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن جبريل أتى النبي ﷺ جاء إلى إبراهيم وسأله ألك حاجة، قال أما منك فلا، قال فمن الله قال علمه بحالي يغني عن سؤالي.

ج: لم أقف على سندٍ صحيح لهذا عن رسول الله ﷺ وأخرج الطبري شيئًا من ذلك بسندٍ ضعيف من طريق معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحاب قال جاء جبريل إلى إبراهيم عليه السلام وهو موثق أو يُقمط في النار قال يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا.

❁ ❁ ❁

س: لماذا اتبع قوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا﴾ بقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾.

ج: ذلك، والله أعلم لأن البرد نفسه مؤذي فاتباع ذلك بقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لدفع ما قد يتأتى من البرد من ضررٍ، وإلا فقد قال الله في أهل النار ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧﴾ [ص: ٥٧] والغساق البرد الشديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ونجينا إبراهيم عليه السلام من النار، ومن قومه الأشرار فهاجر إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وأكثر العلماء على أنها الشام، ومن العلماء من قال إنها القدس ومنهم من قال إنها مكة، ومنهم من قال إنها مصر إلا أن الأكثرين على أنها الشام، والمراد بالبركة فيها ما فيها من الثمار والمياهن فضلًا عن الأنبياء الكثيرين الذي كانوا بها عليهم صلوات الله

وسلامه.

أما قوله: ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، قيل للخلق، وذلك لأن الأنبياء مباركين على الخلق كلهم، وقيل للعالمين آنذاك وهم أهلها وسكانها آنذاك.

أما قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾ أي ورزقناه بإسحاق عليه السلام ابنًا بعد طول سنين وطول دعاء كما قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء وكما قال وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين.

أما قوله ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ أي ومن بعد إسحاق يعقوب كحينئذٍ لإبراهيم عليه السلام إبنًا لإسحاق عليه السلام.

أما قوله ﴿نَافِلَةٗ﴾ فقيل في معناها عطية أعطيناها له.

وقيل ﴿نَافِلَةٗ﴾ زيادةً على ما طلبن فقد طلب عليه السلام ولدًا فرزقه الله ولدًا وحفيدًا طلب إبراهيم ولدًا إذ قال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠] فبشر بإسحاق، وليس بإسحاق فقط بل ومن وراء إسحاق يعقوب، أي كحفيد وهذا من كرم الله عز وجل.

وجعلنا هذا، وذاك صالحين، أي أن الله عز وجل جعل إسحاق صالحًا وكذا يعقوب عليه السلام جعله الله صالحًا، بل جعلهما نبيين كريمين كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن يوسف عليه السلام وهو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال «عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

وفي رواية نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله ثم إن الله عز وجل تفضل على إبراهيم عليه السلام وعلى ذريته مع الصلاح بأن جعلهم أئمة قادةً وسادةً في الخير والدعوة إليه، فصلاحهم لم يقتصر على أنفسهم بل كانوا دعاه خير

﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يصدون الناس بأمر الله ﷻ وبالوحي الذي أوحى الله إليهم ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ﴾ عن طريق رسلنا (وهو جبريل عليه السلام) فعل الخيرات أن افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وعلموا الناس ذلك ومروهم بذلك، ففعلوا إذ الله ألهمهم ذلك ووفقهم إليه وكانوا عليهم صلوات الله وسلامه لله مطيعين خاضعين مستسلمين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ وهي أرض الشأم، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشأم.

وهذه القصة التي قص، الله من نبأ إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشأم، مسلٍّ بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبراهيم من كفرة قومه.

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى إبراهيم ولوطا إليها، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

وأورد بسندٍ قابل للتحسين عن أبيّ بن كعب: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي

﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ قال: الشأم، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس.

وبسند حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشأم، وكان يقال للشأم عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشأم، وما نقص من الشأم زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذّاب الدجال.

وأورد أسانيد كثيرة في بيان أن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي الشام وبيت المقدس.

وقال آخرون: بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

ويقول تعالى ذكره: ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده، نافلة لك.

واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿نَافِلَةٗ﴾ فقال بعضهم: عنى به يعقوب خاصة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ والنافلة ابن ابنه يعقوب.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قال: سأل واحدا فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠] فأعطاه واحدا، وزاده يعقوب، ويعقوب ولد ولده.

وقال آخرون: بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب، قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية، وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عطاء في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قال عطية.

قال أبو جعفر: وقد بيّنا فيما مضى قبل، أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أيّ شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم، وهبة منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدلّ على أيّ ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله له لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

وقوله: ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يعني عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه، وعنى بقوله: ﴿وَكُلًّا﴾ إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدي بهم، ويُتَّبَعون عليه.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾

جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله وقوله: ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته، وقوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ أي: الجميع أهل خير وصلاح، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ أي: يقتدي بهم، ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ يريد نجينا إبراهيم ولوطا إلى أرض الشام وكانا بالعراق. وكان "إبراهيم" عَلَيْهِ السَّلَامُ عمه؛ قال ابن عباس. وقيل: لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها؛ ولأنها معادن الأنبياء. والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه فلم يبرح. وقال ابن عباس: الأرض المباركة مكة. وقيل: بيت المقدس؛ لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، وهي أيضا كثيرة الخصب والنمو، عذبة الماء، ومنها يتفرق في الأرض. قال أبو العالية: ليس ماء عذب إلا يهبط من السماء إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرق في الأرض. ونحوه عن كعب الأحبار. وقيل: الأرض المباركة مصر.

قولـه تعـالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ أي زيـادة؛ لأنـه دعـا في إسحاق وزيد في يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة؛ أي زيادة على ما سأل؛ إذ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠]. ويقال لولد الولد نافلة؛ لأنه زيادة على الولد. ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي وكلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله. وجعلهم صالحين إنما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم، وبخلق القدرة على الطاعة، ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى.

قولـه تعـالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ومعنى ﴿بِأَمْرِنَا ﴾ أي بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي؛ فكأنه قال يهدون بكتابنا وقيل: المعنى يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد الخلق، ودعائهم إلى التوحيد. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي أن يفعلوا الطاعات. ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي مطيعين.

❁ ❁ ❁

س: الله ﷻ كريم يعطي العبد أكثر مما سأل دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾. فإبراهيم عليه السلام طلب ولدًا صالحًا إذ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠]. فبشر بغلام حليم وبشر بيعقوب أيضًا فضلًا زيادةً عما طلب.

وقوله تعالى على أحد وجوه التفسير - ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [الشورى: ٢٦] أي يجيب الله أهل الإيمان ويزيدهم من فضله يعطيهم أكثر مما سألوه وطلبوا.

وأم موسى عليها السلام غاية ما كانت تتمناه أن يحفظ ولدها من شفار الذباحين والمواسي والسكاكين فأعطاها الله كل ذلك، ورد إليها ولدها، وجعله من المرسلين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص:٧] فلم تكن تتوقع أن تُربي وليدها في بيت فرعون وان تأتيها الهدايا من أجل إرضاع وليدها وأن تشفع فيمن شاءت من بني إسرائيل وفضلًا عن ذلك كله يجعل الله وليدها نبيًا من المرسلين، بل يصطفيه الله من سائر الخلق في زمانه بالرسالة التكليم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥) وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ
مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٧٧) وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ
فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ (٧٨)
فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ
يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ
لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي
بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ (٨١) وَمِنَ
ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ
حَٰفِظِينَ (٨٢) ﴾

[الأنبياء: ٧٤-٨٢].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿حُكۡمٗا – ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ – قَوۡمَ سَوۡءٖ – فَٰسِقِينَ – فِي رَحۡمَتِنَآ – ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ – نَفَشَتۡ فِيهِ – صَنۡعَةَ لَبُوسٖ – لِتُحۡصِنَكُم – مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ – عَاصِفَةٗ – بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ – يَغُوصُونَ لَهُۥ – دُونَ ذَٰلِكَ – حَٰفِظِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حُكۡمٗا﴾	نبوة – فهمًا – فصلًا – بين الخصوم
﴿ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾	المراد بها هنا (إتيان الذكران من العالمين)
﴿قَوۡمَ سَوۡءٖ﴾	أهل سوء وشر وفساد
﴿فَٰسِقِينَ﴾	خارجين عن الطاعة
﴿فِي رَحۡمَتِنَآ﴾	في نبوتنا – ضمن المرحومين من عبادنا
﴿ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	الطوفان الذي عمَّ الأرض وأغرق من عليها من أهل الكفر
﴿نَفَشَتۡ فِيهِ﴾	رعت فيه ليلًا
﴿صَنۡعَةَ لَبُوسٖ﴾	صنعة الدروع التي تقي سهام العدو وتقي ضربات السيوف
﴿لِتُحۡصِنَكُم﴾	لتمنعكم
﴿مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾	من بطش غيركم بكم، من سهام عدوكم وسيوف عدوكم

﴿عَاصِفَةً﴾	شديدة الهبوب
﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾	أكثرنا فيها من الخيرات- أكثرنا فيها من الأنبياء الذين أرسلناهم
﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾	يغوصون في البحار كي يأتونه باللؤلؤ ونحوه
﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾	غير ذلك، إضافة على ذلك
﴿حَٰفِظِينَ﴾	كاتب بين لأعمالهم محصين لها حافظين لسليمان عليه السلام فلا توبة أحد منهم بسوءٍ

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر نبينا لو طا عليه السلام فقد أتيناه حكما، قيل نبوةً، وقيل فصلاً بين الخصوم وفهما ووصيًا من عند الله ونجيناه من أهل القرية الشرير بين المفسدين الذين كانوا يأتونه الذكران من العالمين، وهي قرية سدوم على رأي جماهير المفسرين أما الخبائث فمن إتيان الذكران من العالمين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ ﴾ أي قومه كانوا قومًا فاسقين، خارجين عن طاعته لله عز وجل مرتكبين للعمل التي بها صاروا أهل فسق وشر وفساد.

وأدخلناه في رحمتنان قيل وأدخلناه في عداد الأنبياء الذين مننا عليهم بالنبوةن وقيل وأدخلناه في رحمتنا أي في الإسلام، وقيل أدخلناه فيمن رحمناهم وسلمناهم من العذاب الذي حلَّ بأقوالهم.

وبنحو الذي قلنا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وآتينا لوطا حكما، وهو فصل القضاء بين الخصوم، وعلما: يقول: وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه.

وفي نصب لوط وجهان: أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا: وآتينا لوطا، والآخر بمضمر بمعنى: واذكر لوطا.

وقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ ﴾ يقول: ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهي قرية سَدُوم التي كان لوط بعث إلى أهلها، وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران

في أدبارهم، وخَذْفهم الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء أخرَ كانوا يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام.

وأخرج بسندٍ حسن عن السديّ، قال: أخرجهم الله، يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجائنا إياه ما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذناه منه إنه من الصالحين: يقول: إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا، وينتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا ، وكان ابن زيد يقول في معنى قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم عطف بذكر لوط –وهو لوط بن هاران بن آزر– كان قد آمن بإبراهيم، واتبعه، وهاجر معه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦]، فآتاه الله حكمًا وعلمًا، وأوحى إليه، وجعله نبيًا، وبعثه إلى سَدُومَ وأعمالها، فخالفوه وكذبوه، فأهلكهم الله ودَمَّر عليهم، كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز؛ ولهذا قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بفعل مضمر

دل عليه الثاني؛ أي وآتينا لوطا آتيناه. وقيل: أي واذكر لوطا. والحكم النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم. وقيل: ﴿وَعِلْمًا﴾ فهما؛ والمعنى واحد. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ يريد سدوم. ابن عباس: كانت سبع قرى، قلب جبريل عليه السلام ستة وأبقى واحدة للوط وعياله، وهي زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين إلى حد السراة؛ ولها قرى كثيرة إلى حد بحر الحجاز وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان: أحدهما: اللواط على ما تقدم. والثاني: الضراط؛ أي كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم. وقيل: الضراط وحذف الحصي وسيأتي. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝٧٤﴾ أي خارجين عن طاعة الله، والفسوق الخروج وقد تقدم. ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في النبوة. وقيل: في الإسلام. وقيل: الجنة. وقيل: عنى بالرحمة إنجاءه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥﴾.

❋ ❋ ❋

ذكر نبي الله نوح عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر نبي الله نوحًا عليه السلام إذ دعانا من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطًا دعانا كي ننتصر له من قومه الذين كذبوه وآذر وسخروا منه، دعانا بقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠] وبقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ فأجبناه وسلمناه وحفظناه من الكرب العظيم، وهو الطوفان الهائل العظيم الذي عمَّ الأرض في زمانه، والذي ذُكر شأنه في سورة القمر إذ الله قال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر: ١١].

أما قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي ونصرناه على القوم وانتصرنا له من القوم الذين كذبوا بآياتنا بأدلتنا على وحدانيتنا إنهم كانوا قوم سوء قومًا سيئوا المعتقد، يسيئون القول والعمل، فيعصون الله عز وجل ويشركون به ويسخرون من نبيهم صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كبارهم وصغارهم شيوخهم وشبابهم، رجالهم ونساءهمن إلا من آمن بنوح صلى الله عليه وسلم وصدقه واتبعه.

وبنحو الذي ذُكر قال أحمل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك، ومن قبل إبراهيم ولوط، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذّبوا الله فيما توعدهم به من وعيده، وكذّبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [نوح: ٢٦].

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه، ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ يعني بأهله: أهل الإيمان من ولده وحلائلهم ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ يعني بالكرب العظيم: العذاب الذي أحل بالمكذّبين من الطوفان والغرق، والكرب: شدّة الغم، يقال منه: قد كربني هذا الأمر فهو يكربني كربا، وقوله: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ يقول: ونصرنا نوحا على القوم الذين كذّبوا بحججنا وأدلتنا، فأنجيناه منهم، فأغرقناهم أجمعين، إنهم كانوا قوم سوء، يقول تعالى ذكره: إن قوم نوح الذين كذّبوا بآياتنا كانوا قوم سوء، يسيئون الأعمال، فيعصون الله ويخالفون أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين دعا على قومه لما كذبوه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ [القمر: ١٠]، ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، ولهذا قال هاهنا: ﴿إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي: الذين آمنوا به كما قال: ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود: ٤٠].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ أي: من الشدة والتكذيب والأذى، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وكانوا يقصدون لأذاه ويتواصون قرنًا بعد قرن، وجيلا بعد جيل على خلافه.

وقوله: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي: ونجيناه وخلصناه منتصرًا من القوم

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٧٧﴾ أي: أهلكهم الله بعامة، ولم يُبْقِ على وجه الأرض منهم أحدًا؛ إذ دعا عليهم نبيهم.

ذكر داود وسليمان عليهما السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ۝٧٩ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ۝٨٠﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم واذكر يا رسول الله داود وسليمان عليهما السلام، وهما يحكمان في الحرث إذا دخلت عليه غنم القوم ليلًا ترعى فيه فأتلفته وأهلكته، وحكم داود عليه السلام بحكم وحكم سليمان عليه السلام في ذلك بحكم آخر أفهمه إياه الله عز وجل، فافهم الله عز وجل نبيه سليمان صلى الله عليه وسلم الوجه الصحيح في الحكم وجه الحق والصواب، ثم إن الله عز وجل أثنى على هذين النبيين الكريمين حتى لا يظن ظآن بأحدهما سوءًا أو شرًا، فقال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾، نبوة وعلمًا بالشرائع الأحكام، وسخرنا مع داود الجبال تُسبح بتسبيحه وتصلي بصلاته وكذا سخرنا معه الطير تسبح بتسبيحه وتصلي بصلاته ونحن الذين سخرنا له ذلك لا أحد سوانا، وكذا من فضلنا على هذا النبي الكريم أننا علمنه صنعة الدروع الواقيات التي تقي المحارب من سهام عدوه، كتلك القمصان الواقية التي يرتديها الملوك الرؤساء اتقاء للرصاص، علمنا داود صناعة الدروع السوابغ التي تغطي الجسم حتى تقي من سهام الأعداء، وقوله من بأسكم من بأس بعضكم أي عن السهام الشديدة التي يضربكم بها

أعداءكم، وكذا من ضربات السيوف فهل قدمتم شكرًا لهذه النعم؟.

وأما عن هذه القضية قضية الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم، وفضى فيها هذان النبيان الكريمان فحاصلها أن قومًا كان لهم غنمٌ، وآخرون كان لهم حرثٌ، حرث أرض، ثمرٌ فدخلت غنم القوم ليلًا على حرث الآخرين ترعى فيها فأتلفت الغنم الحرث، فقضى داود عليه السلام بقضاءٍ حاصله أن أصحاب الحرث يأخذون الغنم مقابل ما أتلفته من الثمار والحرث فخرج الخصوم من عند دواود عليه السلام فمروا بسليمان عليه السلام فاستأذن أباه وقضى بقضاء آخر حاصله أن أصحاب الحرث الذي أُتلف يأخذوا الأغنام يستفيدوا من ألبانها وأصوافها ونتاجها (ما ولدته) حتى يصلح أصحاب الغنم الحرث والثمر ويعيدونه كما كان فإذا أعادوه كما كان، أخذوا أغنمهم وردوا للناس حرثهم. فهكذا أفهم الله سليمان عليه السلام كذا قال جمهور المفسرين، وهذه بعض أقوال العلماء في الآيات المذكورة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث.

واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتا.

وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كَرْما.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ والحرث: إنما هو حرث الأرض، وجائز أن يكون ذلك كان زرعا، وجائز أن يكون غَرْسا، وغير ضائر الجهل بأيّ ذلك كان.

وقوله: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم

القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو أفسدته ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨﴾ يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ يقول: ففهَّمنا القضية في ذلك ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ دون داود، ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أوّل هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة، وعلما: يعني وعلما بأحكام الله.

وأورد الطبري نحوه من طرق عن أبي إسحاق، عن مرّة، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ قال: كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان غير هذا يا نبيّ الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دَفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

وأورد نحوه عن ابن عباس بأسانيد فيها مقال قال ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرُّعاة معهم الكلاب، فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه، فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا، فأُخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه، أخذ أصحاب الحرث الحرث، وردّوا الغنم إلى أصحابها.

وبإسناد حسن عن قَتادة، قوله: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ ﴾... الآية، النفْش بالليل، والهَمَل بالنهار.

وذُكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا فُرفع ذلك إلى داود، فقضى بالغنم لأصحاب الزرع، فقال سليمان: ليس كذلك، ولكن له نسلها ورَسْلها وعوارضها وجُزازها، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئه يوم أكل، دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه، فقال الله ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ ﴾.

وإسنادس صحيح عن الزهري: والنفش لا يكون إلا ليلا فقضى داود أن يأخذ الغنم، ففهمها الله سليمان، قال: فلما أخبر بقضاء داود، قال: لا ولكن خذوا الغنم، ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾... الآيتين، قال: انفلت غنم رجل على حرث رجل فأكلته، فجاء إلى داود، فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت، وكأنه رأى أنه وجه ذلك، فمرّوا بسليمان، فقال: ما قضى بينكم نبيّ الله؟ فأخبروه، فقال: ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا نعم. فقال: أما أنت يا صاحب الحرث، فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب، وأحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك، فأعطه حرثه، وخذ غنمك، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ وقرأ حتى بلغ قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾.

وقوله: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ﴾ يقول تعالى ذكره:

وسخرنا مع داود الجبال، والطير يسبحن معه إذا سبح.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾: أي يصلين مع داود إذا صلى.

وقوله: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ يقول: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير في أمّ الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لبوس لكم، واللبوس عند العرب: السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا، يدلّ على ذلك قول الهُذليّ:

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلَّبِيسِ كَأَنَّهُ رَوقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعاجٍ مُجْفِلِ

وإنما يصف بذلك رمحا، وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أوّل من صنع هذا الحلق وسرد داود.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أوّل من صنع هذا الحلق وسرد داود.

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علّمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير

ذلك من نعمه عليكم، يقول: فاشكروني على ذلك.

وقولــــــه: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾: وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا تَرَنَّم به تقف الطير في الهـواء، فتجاوبه، وتَرد عليه الجبال تأويبًا؛ ولهذا لمَّا مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طيب جدًّا . فوقف واستمع لقراءته، وقال: «لقد أوتي هذا مزامير آل داود». قال يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا .

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنْج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ، ومع هذا قال: لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود.

وقولـه: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ ﴾ يعنـي صـنعة الدروع.

قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حلَقًا. كما قال تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ ﴾ [سبأ:١٠، ١١] أي: لا توسع الحلقة فتقلق المسمار، ولا تغلظ المسمار فتَقُدّ الحَلْقة؛ ولهذا قال: ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ ﴾ يعنـي: في القتـال، ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي: نعـم الله عليكم، لما ألهم به عبده داود، فعلمه ذلك من أجلكم.

وقال القرطبي رحمه الله:

الأولـى: قولـه تعـالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ أي واذكرهمـا إذ يحكمان، ولم يرد بقوله: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ الاجتماع في الحكم وإن جمعهما في القول؛ فإن حكمين على حكم واحد لا يجوز. وإنما حكم كل واحد منهما انفراده؛ وكان سليمان الفاهم لها بتفهيم الله تعالى إياه. ﴿فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ اختلف

فيه على قولين: فقيل: كان زرعا؛ قال قتادة. وقيل: كرما نبت عنا قيده؛ قال ابن مسعود وشريح. و ﴿ٱلۡحَرۡثِ﴾ يقال فيهما، وهو في الزرع أبعد من الاستعارة.

الثانية: ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي رعت فيه ليلا؛ والنفش الرعي بالليل. يقال: نفشت بالليل، وهملت بالنهار، إذا رعت بلا راع. وأنفشها صاحبها. وإبل نفاش. وفي حديث عبد الله بن عمرو: الحبة في الجنة مثل كرش البعير يبيت نافشا؛ أي راعيا؛ حكاه الهروي. وقال ابن سيده: لا يقال الهمل في الغنم وإنما هو في الإبل.

الثالثة: ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ دليل على أن أقل الجمع اثنان. وقيل: المراد الحاكمان والمحكوم عليه؛ فلذلك قال ﴿لِحُكۡمِهِمۡ﴾.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ أي فهمناه القضية والحكومة، فكنى عنها إذ سبق ما يدل عليها. وفضل حكم سليمان حكم أبيه في أنه أنه أحرز أن يبقي كل واحد منهما على متاعه، وتبقى نفسه طيبة بذلك؛ وذلك أن داود عليه السلام رأى أن يدفع الغنم إلى صاحب الحرث. وقالت فرقة: بل دفع الغنم إلى صاحب الحرث.

❁ ❁ ❁

س: يفر الكثيرون من أهل العلم من العمل بالقضاء فهل لهم وجهة في ذلك؟ وما وجه الصواب في ذلك:

ج: الوجه في ذلك، والله أعلم، أن يُقال الشخص إذا كان قويَّ الإيمان ويطع في أن يقضي بين الناس بالحق وينتصر للمظلوم من ظالمه فليعمل، وله في ذلك أجر، وقد قال تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾ [الأعراف: ١٨١] وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ...﴾

[النساء: ١٣٥] وأيضًا قال صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلوا».

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلوا».

وقال صلى الله عليه وسلم: «تعدل بين الاثنين صدقة».

أما إذا كان الشخص جاهلًا ولا يدري حكم الله ولا يدري أين الحق، ولا يمكن التوصل إلى ذلك، وإنما واده المنصب فقط، فالأولى له البعد عن هذا كله درءًا للفتنة وإيثارًا للسلامة.

أم ما قد يرد على القاف القوال بالحق من الأخطاء فذلك مدفوع بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الحاكم المجتهد، وأن له أجرًا إذا أخطأ.

هذا، وقد أورد الحافظ ابن كثير بسندٍ صحيح:

عن حميد؛ أن إياس بن معاوية لما استقضى أتاه الحسن فبكى، قال ما يبكيك؟ قال يا أبا سعيد، بلغني أن القضاة: رجل اجتهد فأخطأ، فهو في النار، ورجل مال به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة. فقال الحسن البصري: إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان، عليهما السلام، والأنبياء حكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم، قال الله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود. ثم قال -يعني: الحسن-: إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثًا: لا يشترون به ثمنًا قليلا ولا يتبعون فيه الهوى، ولا يخشون فيه أحدًا، ثم تلا ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ [ص:٢٦] وقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا ﴾ [المائدة:٤٤] ، وقال: ﴿

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة:٤٤].

قلت: أما الأنبياء، عليهم السلام، فكلهم معصومون مُؤيَّدون من الله عز وجل. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري، عن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه «إياس» من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار، والله أعلم.

وفي السنن: «**القضاة ثلاثة: قاض في الجنة، وقاضيان في النار: رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى بخلافه، فهو في النار**».

وقال القرطبي رحمه الله:

قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت القضاة هلكوا، ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده. وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع إذا اختلفوا؛ فقالت فرقة: الحق في طرف واحد عند الله، قد نصب على ذلك أدلة، وحمل المجتهدين على البحث عنها، والنظر فيها، فمن صادف العين المطلوبة في المسألة فهو المصيب على الإطلاق، وله أجران في الاجتهاد وأجر في الإصابة، ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطئ في أنه لم يصب العين فله أجر وهو غير معذور. هذا سليمان قد صادف العين المطلوبة، وهي التي فهم. ورأت فرقة أن العالم المخطئ لا إثم في خطئه وإن كان غير معذور. وقالت فرقة: الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى عليه دلائل [بل] وكل الأمر إلى نظر المجتهدين فمن أصابه أصاب ومن أخطأ فهو

معذور مأجور متعبد بإصابته العين بل تعبد نا بالاجتهاد فقط. وقال جمهور أهل السنة وهو المحفوظ عن مالك وأصحابه ﵃: إن الحق في مسائل الفروع في الطرفين، وكل مجتهد مصيب، والمطلوب إنما هو الأفضل في ظنه، وكل مجتهد قد أداه نظره إلى الأفضل في ظنه؛ والدليل على هذه المقالة أن الصحابة فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض، ولم ير أحد منهم أن يقع الانحمال على قوله دون قول مخالفه. ومنه رد مالك ﵀ للمنصور أبي جعفر عن حمل الناس «الموطأ»؛ فإذا قال عالم في أم حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله تعالى وبكل من أخذ بقوله، وكذا في العكس. قالوا: وإن كان سليمان ﵇ فهم القضية المثلى والتي أرجح فالأولى ليست بخطأ، وعلى هذا يحملون قول ﵇: «**إذا اجتهد العالم فأخطأ**» أي فأخطأ الأفضل.

س: اذكر مثالًا آخر يدل على أن سليمان ﵇ آتاه الله فهمصا في القضاء.

ج: ذلك ما أخرجه البخاري من حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما امرأتان معهما ابنان لهما، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا. فدعاهما سليمان فقال: هاتوا السكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها، لا تَشُقه، فقضى به للصغرى**».

❁ ❁ ❁

دفاع الله ﷻ عن أوليائه

س: الله سبحانه وتعالى يدافع عن أنبيائه وأوليائه ويدفع التهم عنهم....منهم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

* دفاع الله ﷻ عن أهل الإيمان بقوله: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨].

* دفاع الله عن نبيه يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ ﴾ [يوسف: ٦٨] وذلك بعد قوله: ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ [يوسف: ٦٨].

* وكذلك ثناء الله على داود عليه السلام عقب قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ ﴾ بقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ ﴾.

* ودفاع عن رسوله محمد ﷺ لما اتهمه أهل الضلال بالجنون.

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩﴾ [الطور: ٢٩].

* ودفاعه عن بقوله: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾ [الفرقان: ٦] عقب قولهم.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥].

وكذا التأييد بالمعجزات التي أمدَّ بها الأنبياء عليهم السلام وبالله التوفيق.

❀ ❀ ❀

س: ما فائدة التذكير بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾.

ج: فائدة ذلك تنبيه القضاء على الحكم بالحق فإن الله ﷻ يشهد كل القضاء، ويعلم: أحوال كل الخصوم فإذا علم القضاة ذلك حملهم علمهم بأن الله يراهم على القضاء بالحق، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وسخرنا لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الريح شديدة سريعة إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين بكثرة ما أرسل إلى أهلها من الأنبياء وكثرة البركات والخيرات والزروع والثمار فيها وهي أرض الشام على رأي الأكثرين سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يسافر وترجع به الريح عاصفة إلى زيادة بالشام، وكذا سخرنا له طائفة من الشياطين يغوصون في فتح لبحار لاستخراج جميع أنواع الحلي التي تستخرج من البحار كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك، وكذا تعمل له الشياطين أعمالًا أخرى كما قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] وأعمالًا آخرى ذلك أيضًا، أم قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ أي وكنا للشياطين حافظين لأي لهم ذاقوا لهم. مسطرين لها في كتبهم حتى يتوب ربهم عَزَّ وَجَلَّ.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ بن داود ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وعصوفُها: شدة هبوبها؛ ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾ يقول: تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: عاصفة شديدة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها، قال: الشام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه، وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج ﴿ٱلرِّيحَ﴾ رفعا بالكلام في سليمان على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له، وإعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا، ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر، ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾، يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين، لا يئودنا حفظ ذلك كله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح العاصفة، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ يعني أرض الشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ وذلك أنه كان له بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه

من أمور المملكة، والخيل والجمال والخيام والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته، ثم تحمله فترفعه وتسير به، وتظله الطير من الحر، إلى حيث يشاء من الأرض، فينزل وتوضع آلاته وخشبه، قال الله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ص:٣٦]، وقال ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ:١٢].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴾ أي: في الماء يستخرجون اللآلئ [وغير ذلك. ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾. [ص: ٣٧، ٣٨].

وقوله: ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه، بل هو مُحَكَّم فيهم، إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء؛ ولهذا قال: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة، أي شديدة الهبوب. يقال منه: عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف. وفي لغة بني أسد: أعصفت الريح فهي معصفة ومعصفة. والعصف التبن فسمي به شدة الريح؛ لأنها تعصفه بشدة تطيرها. وقرأ عبد الرحمن الأعرج وأبو بكر ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحُ ﴾ برفع الحاء على القطع مما قبله؛ والمعنى ولسليمان تسخير الريح؛ ابتداء وخبر. ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾

يعني الشام يروي أنها كانت تجري به وبأصحابه إلى حيث أراد، ثم ترده إلى الشام. وقال وهب: كان سليمان بن داود إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره. وكان امرأ غزاء لا يعقد عن الغزو؛ فإذا أراد أن يغزو أمر بخشب فمدت ورفع عليها الناس والدواب وآلة الحرب، أمر العاصف فأقلت ذلك، ثم أمر الرخاء فمرت به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: ٣٦]. والرخاء اللينة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي بكل شيء عملنا عالمين بتدبيره.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي وسخرنا له من يغوصون؛ يريد تحت الماء. أي يستخرجون له الجواهر من البحر. والغوص النزول تحت الماء، وقد غاص في الماء، والهاجم على الشيء غائص. والغواص الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ، وفعله الغياصة. ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي سوى ذلك من الغوص؛ قاله الفراء. وقيل: يراد بذلك المحاريب والتماثيل وغير ذلك يسخرهم فيه. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي لأعمالهم. وقال الفراء: حافظين لهم من أن يفسدوا أعمالهم، أو يهيجوا أحدا من بني آدم في زمان سليمان. وقيل: ﴿حَٰفِظِينَ﴾ من أن يهربوا أو يمتنعوا. أو حفظناهم من أن يخرجوا عن أمره. وقد قيل: إن الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون من استخراج الشياطين.

❁ ❁ ❁

س: الله ﷻ هو الذي يعلم أصحاب الصنائع صنائعهم، وإلا فهما بذلوا من جهدٍ للتعلم فلن يحصلوا علمًا، دلَّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.

[البقرة: ٢٥١]

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾.

[النساء: ١١٣]

وقال ﷺ: «إن الله خلق كل صانع وصنعته».

❁ ❁ ❁

س: على شخص أن يبحث عن عمل يقتات منه ولا يمد يده للناس دلَّل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «**ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**».

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «**ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت؟! فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة وقال النبي ﷺ: «**كان زكريا نجارًا**».

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا فيسأله أعطاه أو معه**».

وعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال «أُمرنا بالصدقة قال كنا نُحامل».

«أي نحمل على ظهورنا من أجل أن نأتي بمالٍ نتصدق به»...الحديث.

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة. وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثا، ونوح نجارا، ولقمان خياطا، وطالوت دباغا. وقيل: سقاء؛ فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والباس. وفي الحديث: «**إن الله يحب المؤمن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السائل الملحف**». وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الفرقان» وقد تقدم في غير ما آية، وفيه كفاية والحمد لله.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ
مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا
لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ
رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ
وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ وَٱلَّتِيٓ
أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ
لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ
كَٰتِبُونَ ٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ
كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧

[الأنبياء: ٨٣-٩٧]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ - فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ - وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ - وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ - وَذَا ٱلْكِفْلِ - فِى رَحْمَتِنَآ - ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا - لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ - سُبْحَٰنَكَ - ٱلْغَمِّ - لَا تَذَرْنِى فَرْدًا - خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ - وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ - رَغَبًا - وَرَهَبًا - أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا - فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا - ءَايَةً - أُمَّتُكُمْ - أُمَّةً وَٰحِدَةً - وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ - فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ - وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ - فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ - حَدَبٍ - يَنسِلُونَ - شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾	أصابني المرض وتضررت به
﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾	فأجبناه
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾	ردد فاعلية أهله
﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾	تذكرة للعباد (حتى تقتدوا به وتيأسوا به)
﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾	الظاهر أنه نبيٌ من الأنبياء عليه السلام
﴿فِى رَحْمَتِنَآ﴾	في عداد من رحمناهم – في ثبوتنا
﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾	خرج عن بلاده مغاضبًا قومه
﴿لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾	لن نضيق عليه – لن فعاقبه
﴿سُبْحَٰنَكَ﴾	تنزهت عن كل مالا يليق بك

﴿ٱلْغَمِّ﴾	ما يصيب الإنسان من بلاء يسبب له الهموم والأحزان- الهموم والأحزان
﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾	لا تتركني وحيدًا- ارزقني ذرية
﴿خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾	خير من بقي بعد كل من الموت – أنت ترث الأرض من عليها وخير من ورث
﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾	قيل كان في لسانها شيء فأصلحها الله وأحسن أخلاقها وقيل كانت عاقرًا فأصلحها الله وجعلها مهيئة للولادة والإنجاب
﴿رَغَبًا﴾	طمعًا فيما عندنا
﴿وَرَهَبًا﴾	خوفًا مما عندنا من العذاب
﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾	حفظت فرجها من الحرام
﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾	قيل (نفخ جبريل في جيب درعها أي فتح فتحة القميص من أعلى تلك الفتحة التي تدخل منها الرأس) فتسربت النفخة حتى دخلت فيه
﴿ءَايَةً﴾	دلالة (على قدرتنا ووحدانيتنا)
﴿أُمَّتُكُمْ﴾	ملتكم
﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾	ملةً واحدة

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾	افترقوا على رسلهم فمنهم من آمن ومنهم من كذَّب، ثم إن المكذبين افترقوا أيضًا فرقًا وشيعًا وأحزابًا
﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾	فلا جحود لمعروفه وإحسانه ولا ضياع لعمله
﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾	ممنوع على قرية- ممنوع أن ترجع قريةٌ بعد إهلاكها، وممنوع أن بطريق من كتبنا عليه الكفر، وأهلكناه بأن جعلناه من الكافرين (فيما قدرناه عليه)
﴿فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾	فتح السدد والردم الذي أقامه ذم القرنين عليهم، وهما قبيلتان عظيمتان مفسدتان في الأرض من ذرية آدم عليه السلام
﴿حَدَبٖ﴾	مكان مرتفع
﴿يَنسِلُونَ﴾	يخرجون مسرعين
﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ﴾	مُركزين البصر لا تصرف أعينهم ولا ترتد إليهم أبصارهم

❁ ❁ ❁

ذكر نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ أصابه المرض وطال به واستمر زمانًا فدعا ربَّه ﷻ قائلًا أني مسني الضر (أي في بدني) وأنت أرحم الراحمين، فأجاب الله دعاءه فكشف ما به من ضرٍّ وأذهب ما به من مرض وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة من عند الله ﷻ به وكي يتذكر العباد نبي الله أيوب فيصبروا كما صبروا ويكثروا من الدعاء كم أكثر من الدعاء وسأل ولا ييأسوا من رحمة الله ﷻ.

هذا ولأهل العلم أقوال في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾.

من هذه الأقوال ما يلي:

القول الأول: أنهم قد ماتوا فأحياهم الله ﷻ له وزاده إليهم مثلهم بأن رُزق بأزواج وذرية أيضًا إضافة إلى الذين أحياهم الله.

القول الثاني: أنه ردَّ إليه أهله الذي كانوا قد ابتعدوا عنه وزاده أهلًا آخرين إما بزواج وإما بأية صلة من حملات القرابة.

القول الثالث: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ وُعد بأن يجمعه الله بأهله الذين ماتوا، يجمعهم الله به في جنات النعيم، ورزق مثلهم في الدنيا، وها هي بعض الأقوال في عموم ما ذُكر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضرّ والبلاء رب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا، فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهد، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانًا من الله له واختبارًا.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة آثار جلها إسرائيليات ولا يثبت منها شيء عن رسول الله ﷺ أضربت عن ذكرها عمدًا ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ أهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة؟ فقال بعضهم: إنما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا، فإنهم لم يُرَدّوا عليه في الدنيا، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة.

وقال آخرون: بل ردّهم إليه بأعيانهم، وأعطاه مثلهم معهم.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ قال الحسن وقتادة أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم.

وقال آخرون: بل آتاه المثل من نسل ماله الذي ردّه عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردّهما عليه.

وقوله: ﴿رَحۡمَةً﴾ نصبت بمعنى: فعلنا بهم ذلك رحمة منا له.

وقوله: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يقول: وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به، ويعلموا أن الله قد يبتلي أولياءه ومن أحبّ من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختبارا

منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يذكر تعالى عن أيوب، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده -يقال: بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عز وجل، حتى عافه الجليس، وأفردَ في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره ، ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**» وفي الحديث الآخر: «**يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**».

وقد كان نبي الله أيوب، عَلَيْهِ السَّلَامُ، غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك.

وأورد ابن كثير أيضًا من الآثار منها ما عزاه إلى ابن أبي حاتم بسنده إلى عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تَعَلَّم -والله- لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أدري ما تقول، غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما،**

كراهة أن يذكرا الله إلا في حق. قال: وكان يخرج في حاجته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى إلى أيوب في مكانه: أن اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب».

رفع هذا الحديث غريب جدًّا.

قلت: كذا استغرب ابن كثير رفع هذا الحديث لكن إسناده صحيح.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قد تقدم عن ابن عباس أنه قال: ردوا عليه بأعيانهم. وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس أيضًا. وروي مثله عن ابن مسعود ومجاهد، وبه قال الحسن وقتادة.

وقال ابن كثير:

وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: فعلنا به ذلك رحمة من الله به، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا. وقيل: ابتليناه ليعظم ثوابه غدا. ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي وتذكيرا للعباد؛ لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحنته له وهو أفضل أهل زمانه وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيها لهم على إدامة العبادة، واحتمال الضرر. واختلف في مدة إقامته في البلاء؛ فقال ابن عباس: كانت مدة البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ليال. وهب: ثلاثين سنة. الحسن سبع سنين وستة أشهر. قلت: وأصح من هذا والله أعلم ثماني

عشرة سنة؛ رواه ابن شهاب عن النبي صلى؛ ذكره ابن المبارك وقد تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله صادق الوعد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكذا اذكر إدريس عليه السلام الذي رمقه الله مكانًا عليًا، واذكر ذا الكفل كذلك وليس في الكتاب العزيز، ولا في السنة المباركة شيء ثابت عن ذي الكفل إلا بمثل هذا الاختصار، واذكر هؤلاء يا رسول الله فقد كانوا من الصابرين على أوامر الله الممتثلين لها، الصابرين على قضاء الله وقدره كذلك، وأدخلناهم في رحمتنا ضمن من رحمناهم وسلمناهم وقيل في النبوة، وقد كانوا من أهل الصلاح والعمل بالطاعات والبعد عن المحرمات.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بإسماعيل: إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد، وبإدريس: أخنوخ، وبذي الكفل: رجلا تكفل من بعض الناس، إما من نبيّ وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله، وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء.

وأورد عدة آثار مفادها أن ذا الكفل هذا لم يكن نبيًا، وإنما كان رجلًا صالحًا تكفلَّ بأن يعمل أعمالًا معنيةً من أعمال البر فوفَّى بذلك وقام بها خير

قيام فسمى (ذا الكفل)

قلت (مصطفى): وليس في هذه الآثار شيء مرفوع إلى رسول الله ﷺ والسياق يقتضي أنه نبي، وذلك لاقترانه بإسماعيل وإدريس عليهما السلام، فالله أعلم.

ثم قال الطبري رحمه الله:

ونصب إسماعيل وإدريس وذا الكفل، عطفا على أيوب، ثم استؤنف بقوله: ﴿كُلٌّ﴾ فقال: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾ ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله.

وقوله: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦﴾ يقول تعالى ذكره: وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل، والهاء والميم عائدتان عليهم ﴿فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦﴾ يقول: إنهم ممن صلح، فأطاع الله، وعمل بما أمره

وقال ابن كثير رحمه الله:

أما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم، وكذلك إدريس، عليه السلام وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي. وقال آخرون: إنما كان رجلا صالحًا، وكان ملكًا عادلا وحكمًا مقسطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد رحمه الله بسنده على ابن عن ابن عمر قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين -حتى عدّ سبع مرات- ولكن قد سمعته أكثر من ذلك، قال: «كان الكفل من بني إسرائيل، لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا، على أن

يَطَأها، فلما قعد منها مَقعدَ الرجل من امرأته، أرعِدَت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ أكْرَهْتُك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط، وإنما حَمَلني عليه الحاجة. قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟ فَنزل فقال: اذهبي فالدنانير لك. ثم قال: «والله لا يَعصي الله الكفل أبدًا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر الله للكفل».

وهل هو ذا الكفل المذكور في الآية.

ج: أما الحديث فضعيف الإسناد وهذا المذكور في الحديث اسمه الكفل أم المذكور في الآية الكريمة فهو ذا الكفل.

وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد هذا الحديث في تفسيره.

هكذا وقع في هذه الرواية «الكفل» ، من غير إضافة، فالله أعلم. وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وإسناده غريب، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان «الكفل» ، ولم يقل: «ذو الكفل» ، فلعله رجل آخر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: مما فائدة التذكير بقوله تعالى ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: فائدة ذلك والله أعلم، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يراهم فيقيموا أمر الله عَزَّوَجَلَّ يقضون بين الناس بالحق.

❁ ❁ ❁

ذكر نبي الله يونس عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله صاحب الحوت، وهو يونس صلى الله عليه وسلم وقيل صاحب الحوت لأن الحوت التقمه والحوت هو النون، اذكره يا رسول الله اذكر هذا النبي الكريم واذكر شأنه إذ ذهب مغاضبًا غضب من قومه لما تأخروا عن الإيمان وكذبوه فغضب منهم وخرج عن بلادهم بغير إذنه ربِّه عز وجل وقيل ذهب مغاضبًا لربِّه عز وجل لما أخر عنهم العذاب وقيل ذهب مغاضبًا لربه عز وجل لما طلب منه أن يخرج لإنذار قوم وفي وقت معين والظاهر هو الأول، أنه عليه السلام ذهب مغاضبًا قومه لما تباطؤوا عن الإيمان والله أعلم أما قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي فطن يونس عليه السلام أننا لن نضيق عليه وأنه إذا خرج عن قومه بغير إذن من الله لن يضيق الله عز وجل عليه ومعنى ﴿نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ هنا نضيق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٥-١٦] فخرج يونس عليه السلام فابتلي بالذي ابتلي به على ما فصلناه في سورة القلم (سورة نون) فآل أمره إلى أن التقمه الحوت وهو مُليم وهنالك نزل الحوت به إلى قاع البحار فاجمعت عليه الظلمات ظلمة بطن الحوت وظله الليل البهيم وظلمه قاع البحار، فنادى في الظلمات أن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ تضمنت كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تضمنت إثبات وحدانية الله عز وجل وإلهيته وحده لا شريك له ونفي ما سواه مما يُعبد من دون الله تضمنت الكلمة

﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيه الله ﷻ عن كل ما يصفه الواصفون المشركون، وتنزيه الله ﷻ عن كل وصفٍ لا يليق به.

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ تضمنت إقرارًا بالذنب واعترافًا به.

فاستجاب الله له ونجاه مما هو فيه من الغم وليس أمرًا نجائه خاصًا به، بل كل من دعى الله ورجاه ولجأ إليه واستعان به التفريج كربه فإن الله يكشف عنه الضر ويجيب ويكشف عنه ما ألم به.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الحافظ ابن الكثير رحمه الله:

هذه القصة مذكورة هاهنا وفي سورة «الصافات» وفي سورة «ن» وذلك أن يونس بن مَتَّى، عليه السلام، بعثه الله إلى أهل قرية «نينوى» ، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث. فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحُمْلانها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:٩٨].

وأما يونس، عليه السلام، فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فَلَجَّجت بهم، وخافوا أن يغرقوا . فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا، فأبوا،

ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا، قال الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الصافات:١٤١]، أي: وقعت عليه القرعة ، فقام يونس، عليه السلام، وتجرد من ثيابه، ثم ألقى نفسه في البحر، وقد أرسل الله، سبحانه وتعالى، من البحر الأخضر - فيما قاله ابن مسعود-حوتًا يشق البحار، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة، فأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظما؛ فإن يونس ليس لك رزقا، وإنما بطنك له يكون سجنًا.

وقوله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ يعني: الحوت، صحت الإضافة إليه بهذه النسبة.

وقوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾: قال الضحاك: لقومه،

وجنح ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نضيق عليه.

هذا، وقد أورد الطبري أقوالًا في تفسيره، وإن لم يرجحها إلا أنه لا يليق ذكرها في هذا المقام لمخالفتها أصولًا عامة، وكذا العدم ثبوت شيء منها إلى صحابي، فضلًا عن عدم ثبوتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث «من دعا بدعاء يونس استجيب له».

ج: هذا ضعيف:

وقد أخرج الطبري من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الأعظم الذي إذا دعُي به أجاب وإذا سُئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال رجل يا رسول الله ليونس خاصة أم الجماعة المسلمين قال هي ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ

﴿إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ فهو شرط من الله لمن دعا به مكث (وسنده ضعيف) فيه علي بن زيد وهو ابن جدعان وهو ضعيف.

وأخرج ابن أبي حاتم بسندٍ ضعيف عن كثير بن معبد قال سألت الحسن قلت يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى؟ قال ابن أخي أما تقرأ القرآن؟ قول الله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قلت: وسنده ضعيف فيه كثير بن معبد لا يعرف وضعفه الأزدي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله زكريا صلى الله عليه وسلم إذ دعا ربَّه عز وجل، وكان هذا الدعاء خفيا كما في سورة مريم قائلًا في دعائه رب لا تذرني فردًا، لا تتركن وحيدًا بلا وريث وأنت خير من ورث فأجاب الله دعاءه ونداءه ووهب له وريثًا وهو يحيى صلى الله عليه وسلم سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين وأصلح الله له زوجته، وللعلماء في إصلاحها وجهان:

أحدهما: أنه سبحانه جعلها محلًا للولادة صالحة للولادة معيأةً لها.

الثانية: أن لسانها كان فيه شيء من حدة، وأخلاقها كان فيها شيء من الشدة كذلك فأصلحها الله تبارك وتعالى لزوجها.

أن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي أن زكريا عليه السلام،

وزوجته، وولدهما يحيى كل هؤلاء كانوا يسابقون إلى فعل الخيرات ﴿وَيَدۡعُونَنَا﴾ يعبدوننا ويسألوننا ﴿رَغَبٗا﴾ طمعًا فيما عندنا من الأجر والثواب ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ خوفًا مما عندنا من العقاب ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ كانوا متذللين لنا خاضعين لنا مطيعين لنا.

هذا، وقد أخذ بعض أهل العلم من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا﴾ أمرًا، وهو أن الدعاء يستحب أن يصاحب بعمل صالح، كصلاة، وأو صيام أو صدقة أو ذكر لله ﷻ أو نحو ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا﴾.

وهذه طائفة من أقوال العلماء في تفسير الآيات المذكورة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي﴾ وحيدا ﴿فَرۡدٗا﴾ لا ولد لي ولا عقب ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ يقول: فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني، ثم ردّ الأمر إلى الله فقال وأنت خير الوارثين، يقول الله جلّ ثناؤه: فاستجبنا لزكريا دعاءه، ووهبنا له يحيي ولدا ووارثا يرثه، وأصلحنا له زوجه.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ فقال بعضهم: كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها وَلُودا.

وأورد بإسنادٍ حسن:عن قتادة قوله: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ كانت عاقرا، فجعلها الله ولودا، ووهب له منها يحيى.

وقال آخرون: كانت سيئة الخلق، فأصلحها الله له بأن رزقها حُسن الخُلُق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخُلُق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصُصِ الله جلّ ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يقول الله: إن الذين سميناهم، يعني زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا، وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال: ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ ويعنى بقوله: ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿وَرَهَبًا﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته.

وقوله: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عبده زكريا، حين طلب أن يَهبَه الله ولدا، يكون من بعده نبيًا. وقد تقدمت القصة مبسوطة في أول سورة «مريم» وفي سورة «آل عمران» أيضا، وهاهنا أخصر منهما؛ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ أي: خفية عن قومه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي: لا ولدَ لي ولا وارثَ يقوم بعدي في الناس، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ دعاء وثناء مناسب للمسألة.

قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ أي: امرأته.

وأورد أقوالًا في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ بنحو مما ذكرنا واستظهر القول بأنها كانت عاقرًا لا تلد فولدت.

وأورد أقوالًا أيضًا في تفسير قوله: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ مفادها مصدقين، ومتواضعين ومتذللين وخائفين، وقال وكل هذه الأقوال متقاربة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ أي واذكر زكريا. وقد تقدم في «آل عمران» ذكره. ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي منفردا لا ولد لي وقد تقدم. ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ أي خير من يبقى بعد كل من يموت؛ وإنما قال ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ لما تقدم من قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ [مريم: ٦] أي أعلم أنك، لا تضيع دينك ولكن لا تقطع هذه الفضيلة التي هي القيام بأمر الذين عن عقبي. كما تقدم في «مريم» بيانه.

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ أي أجبنا دعاءه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾. تقدم. ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ قال قتادة وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين: إنها كانت عاقرا فجعلت ولودا. وقال ابن عباس وعطاء: كانت سيئة الخلق، طويلة اللسان، فأصلحها الله فجعلها حسنة الخلق.

قلت: ويحتمل أن تكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولودا.

﴿إِنَّهُمۡ﴾ يعني الأنبياء المسلمين في هذه السورة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وقيل: الكناية راجعة إلى زكريا وامرأته ويحيى.

قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة. وقيل: المعنى يدعون وقت تعبد هم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله مريم عليها السلام اليت حفظت فرجها ومنعته من الحرام فنفخنا فيها من روحنا كما في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في سورتي مريم والتحريم أما قوله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ أي وجعلنا مريم عليها السلام وابنها عيسى عليه السلام معجزةً للعالمين ودلالة على قدرتنا على خلق ولد من غير أب.

فكما رزقنا زكريا عليه السلام على الكبر، وكانت زوجته عاقرًا، كما رزقنا بالولد آنذاك، فأعظم من ذلك خلق عيسى عليه السلام من غير أب.

أما قوله تعالى ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ قيل لبشر، وقيل للإنس والجن.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران.

ويعني بقوله: ﴿أَحۡصَنَتۡ﴾: حفظت فرجها ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه.

واختلف في الفرج الذي عنى الله جلّ ثناؤه أنها أحصنته، فقال بعضهم: عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

وقال آخرون: عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرائيل منه قبل أن تعلم

أنه رسول ربها، وقبل أن تثبته معرفة، قالوا: والذي يدلّ على ذلك قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ ويعقب ذلك قوله: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قالوا: وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام: والتي أحصنت جيبها ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة، لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه، والأظهر في ظاهر الكلام، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ يقول: فنفخنا في جيب درعها من روحنا، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في غير هذا الموضع، والأولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ يقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء: وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين، لأن معنى الكلام: جعلناهما عَلَما لنا وحجة، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله، وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا قَرَن تعالى قصة مريم وابنها عيسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بقصة زكريا وابنه يحيى، عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، فيذكر أولا قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك مُوَطّئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طَعَن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى

بلا ذكر. هكذا وقع في سورة «آل عمران»، وفي سورة «مريم»، وهاهنا ذكر قصة زكريا، ثم أتبعها بقصة مريم، فقوله: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ يعني: مريم، عليها السلام، كما قال في سورة التحريم: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم:١٢].

وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: دلالة على أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، و ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢]. وهذا كقوله: ﴿ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ ﴾ [مريم:٢١].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عَمْرو بن علي، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مُخَلَّد عن شَبِيب -يعني ابن بشر- عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قال: العالمين: الجن والإنس.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن هذه ملتكم ملةً واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم فأقروني بالعبادة وحدي لا شريك لي، ولا تعبدوا معي إلهًا آخر.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدوني دون الألهة والأوثان، وسائر ما تعبدون من دوني.

قوال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ لما ذكر الأنبياء قال: هؤلاء

كلهم مجتمعون على التوحيد؛ فالأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام؛ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما. فأما المشركون فقد خالفوا الكل. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ أي إلهكم وحدي. ﴿فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ أي أفردوني بالعبادة.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: فقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ إن واسمها و﴿أُمَّتُكُمۡ﴾ خبر إن، أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم، وقوله: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ نصب على الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾ [المؤمنون:٥١، ٥٢]، وقال رسول الله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد»، يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم فتفرقت الأمم، وما كان ينبغي لها أن تتفرق، بل كان من الواجب أن تجتمع على عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، ولكن تفرقوا فرقًا وصاروا شيعًا وأحزابًا، فتهودت اليهود، وتنصَّر النصارى، وتنجست المجوس، وأشرك المشركون، وعُبد غير الله ﷻ.

ولكن كل هؤلاء لن يتركوا هملًا بلا حساب وثواب ولا عقاب، بل سنحاسبهم جميعًا فكلهم إلينا راهبون يوم القيامة نحاسبهم ونجازيهم على أعمالهم الحسن على إحسانه والمسيء بإساءته إلا الشرك فإنه لا يغفر ونعذب

من نشاء ونعفو عمن نشاء.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وتفرّق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزابا ، فَهَودت اليهود ، وتنصَّرت النصارى وعُبدت الأوثان ، ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هم إليه صائرون ، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه ، متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد ، وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ قال: تقطعوا: اختلفوا، في الدين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: اختلفت الأمم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾، أي: يوم القيامة، [فيجازي] كل بحسب علمه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾.

ج: المعنى والله أعلم فمن يعمل فيكم عملًا صالحًا موافقًا لكتاب ربِّه ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وهو مخلص في ذلك لله ﷻ موحدٌ، مصدق بوعد الله ووعيده فلا جحود لعمله ولا نكران لعمله بل الله ﷻ شاكرٌ له سعيه ومكافؤه عليه، وكانتب له عمله في صحيفته وسيلقاه يوم يلقى ربَّه ﷻ.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح، وأطاعه في أمره ونهيه، وهو مقرّ بوحدانية الله؛ مصدّق بوعده ووعيده متبرّئ من الأنداد والآلهة ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له، وهو به مؤمن، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه، ولا يكفر ذلك له فيجحده، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤﴾ يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: قلبه مصدق، وعمل عملا صالحا، ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾، كقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف:٣٠] أي: لا يُكْفَر سعيُه، وهو عمله، بل يُشْكَر، فلا يظلم مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤﴾ أي: يُكتب جميعُ عمله، فلا يَضيع عليه منه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتبعيض لا للجنس إذ لا قدرة للمكلف أن يأتي بجميع الطاعات فرضها ونفلها؛ فالمعنى: من يعمل شيئا من الطاعات فرضا أو نفلا وهو موحد مسلم. وقال ابن عباس: مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم. ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي لا جحود لعمله، أي لا يضيع

جزاؤه ولا يغطي والكفر ضده الإيمان. والكفر أيضا جحود النعمة، وهو ضد الشكر. وقد كفره كفورا وكفرانا. وفي ابن مسعود ﴿فَلَا كُفْرَ لِسَعْيِهِ﴾. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ لعمله حافظون. نظيره ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥] أي كل ذلك محفوظ ليجازي به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: وممنوع على قرية أمتنا أهلها أن يرجع أهلها إلى الدنيا مرة ثانية بعد أن أماتهم الله، والمراد أمتنا أهلها بعذاب وإهلاك وانتقام.

الثاني: وممنوع أن يُسلم أهل قرية أهلكناهم بأن طبعنا على قلوبهم وختمنا عليهم، فهؤلاء لن تجدي فيهم المواعظ ولن تنفع معهم الذكرى، فممنوع أن يرجعوا ويتوبوا وقد انتقمنا منهم بالطبع على قلوبهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد بإسنادٍ صحيح عن عكرمة أنه قال: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ قال لم يكن يرجع منه راجع حرام عليهم ذلك.

قال الطبري:

ويكون معنى الكلام: وعزم منا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم، وكذلك إذا كان معنى قوله: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾. نوجبه، وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة، فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا،

وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه.

أن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جنح إلى القول بأنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل الممات أي أن قدرًا مقدرًا أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

❋ ❋ ❋

س: كيف توجه الآية الكريمة ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ مع ما ورد من إحياء الله عَزَّ وَجَلَّ لبعض الموتى كما قال ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ج: التوجيه، أن يُقال والله أعلم أن هؤلاء الذين أماتهم الله ثم أحياهم مستثنى من العموم وكان لعلةٍ.

قد يُقال إن قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَـٰهَآ﴾ أي أهلكناهم بعذاب فأمتناهم معذبين. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س: ما وجه (لا) في قوله ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: قال بعض أهل العلم إنها صلة لتقوية الكلام وإلا فالمعنى ممنوع أن ترجع قرية إلى الدنيا ثانيةً، قال بعض العلماء إنها كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢].

وكقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]. ونحو ذلك.

وقيل هي كقوله: (لا والله) والشخص يقصد القسم، لا يقصد نفي القسم. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س: اذكر بعض الوارد في شأن يأجوج ومأجوج.

ج: تقدم مبحث واسع في ذلك في تفسير سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

ومما ورد هنالك أنهم من ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنهم كثيرون جدًا وأن ما نُسج حولهم من كونه أذن أحدهم طويلة جدًا مثلًا أو أنف أحدهم طويلة جدًا أو غير ذلك من الأمور المستغربة غرابة شديدة لا يثبت منه شيء وارجع إلى سائر البحث هنالك وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم تذكير بيوم القيامة وشيء من مقدماته وعلاماته، فبين يدي يوم القيامة، ومن الأشراط الكبرى للساعة خروج يأجوج ومأجوج، فخروجهم ذلك زمن عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، علامات الساعة الكبرى فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي فتح الردم الذي بينهم وبين الناس ذلكم الردم الذي بناه ذو القرنين كما في سورة الكهف إذ قال ذو القرنين ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩٥-٩٩].

فالحاصل أن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ فتح الردم،

والسد الذي يحول بينهم وبين الناس.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

أي وحينئذ نخرج يأجوج ومأجوج من كل مكان مرتفع مسرعين متجهين نحو الناس لإهلاكهم وتدميرهم.

وإن كان بعض العلماء قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قال إن ذلك المعنى به الموتى يخرجون من قبورهم من كل مكان مرتفع كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].

لكن القول الأول أراه أصح في هذا المقام والله أعلم.

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ أي إذا خرجت يأجوج ومأجوج فقد اقترب يوم القيامة ذلك اليوم الذي وعد الله ﷻ به وأنه كائن لا محالة فإذا جاء يوم القيامة إذا بأبصار الذين كفروا شاخصين لا تطرف مركزة البصر من شدة الهدى، يتولون يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا الوقف، ثم ليستدركوا، إذ قد جاءتهم الرسل، فيعترفوا بذنوبهم قال قد جاءتنا النذر والرسل ولكن ظلمنا أنفسنا بما اجرمناه من شرك، وما ارتكبناه من كفر وبما تركنا العمل ليومنا هذا؟ الله أعلم.

وينحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج ، اقترب الوعد الحقّ ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب

والعقاب، وهو لا شك حق كما قال جلّ ثناؤه.

وأما قوله: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم: عني بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة.

وقال آخرون: بل عني بذلك يأجوج ومأجوج، وقوله وهم كناية أسمائهم.

وصوت بالطبري القول الأخير الذي هو وهم من كل حدب يتسلون مستظهر ببعض الأدلة، وقد قدمت ذكرها في سورة الكهف.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ قاله يعني من كل شرف ونشز وأكمه.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان: أحدهما أن تكون كناية عن الأبصار، وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها، كما قال الشاعر:

لَعَمْــرو أبيهَــا لا تَقُــولُ ظَعِينَتــي ألا فــرّ عَنِّــي مالِــكُ بــنُ أبِــي كَعْــبِ

فكنى عن الظعينة في: لعمرو أبيها، ثم أظهرها، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا.

والثاني: أن تكون عمادا كما قال جلّ ثناؤه ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] وكقول الشاعر:

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بما هَهُنا رأسْ

وقوله: ﴿ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار

الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحقّ بأهواله وقيام الساعة بحقائقها، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء، وفي الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة ما ذُكر عليه عنه، وذلك يقولون من قوله: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقولون يا ويلنا، وقوله: ﴿ بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ: ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عزّ وجلّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾: قد قدمنا أنهم من سلالة آدم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة منهم، تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين.

وقال: ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف:٩٨، ٩٩]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ أي: يسرعون في المشي إلى الفساد.

والحَدَب: هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو صالح، والثوري وغيرهم، وهذه صفتهم في حال خروجهم، كأن السامع مشاهد لذلك، ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر:١٤]: هذا إخبار عالم ما كان وما يكون، الذي يعلم غيب السموات والأرض، لا إله إلا هو.

وأورد ابن كثير ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عُبَيد الله بن أبي يزيد

قال: رأى ابْن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض، يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.

وما أخرجه أحمد والطبري وغيرهما بسندٍ حسن عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومأْجُوجَ فَيَخْرُجُونَ على النَّاسِ كمَا قال الله عز وجل ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فَيَغْشَوْنَ الأرْضَ، ويَنْحازُ المُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إلى مَدَائِنِهِمْ وحُصُونِهِمْ، وَيَضُمَّونَ إلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ، فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الأرض**... الحديث.

قال ابن كثير:

وقوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: يوم القيامة، إذا وُجدت هذه الأهوال والزلازل والبلابل، أزفت الساعة واقتربت، فإذا كانت ووقعت قال الكافرون: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر:٨]. ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ أي: يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: في الدنيا، ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾، يعترفون بظلمهم لأنفسهم، حيث لا ينفعهم ذلك.

❁ ❁ ❁

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا
ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا
ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى
ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ
إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ
أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ
وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾
قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

[الأنبياء: ٩٨-١١٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ - وَٰرِدُونَ - مَّا وَرَدُوهَا - زَفِيرٌ - سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ - حَسِيسَهَا - ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ - كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ - ٱلزَّبُورِ - ٱلذِّكْرِ - لَبَلَٰغًا - مُّسْلِمُونَ - تَوَلَّوْا۟ - ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ - وَإِنْ أَدْرِىٓ - ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ - مَا تَكْتُمُونَ - فِتْنَةٌ لَّكُمْ - وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ - ٱلْمُسْتَعَانُ - عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حَصَبُ﴾	حطب جهنم - وقود جهنم
﴿جَهَنَّمَ﴾	تحصبهم جهنم
﴿وَٰرِدُونَ﴾	داخلون
﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾	ما دخلوها
﴿زَفِيرٌ﴾	صوت الهواء الخارج هواء عظيم خارج من الفم والأنف
﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾	كتبنا لهم السعادة قبل خلقهم، وكتبنا لهم الجنة
﴿حَسِيسَهَا﴾	صوت النار وصوت حركتها ولهيبها
﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾	الخوف العظيم لنفخ في الصور - البعث والقيامة
﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾	كما تطوى الصحيفة على ما فيها من المكتوب وقيل كما يطوى الغلاف على ما فيه من أوراق

﴿ٱلزَّبُورِ﴾	الكتب التي أنزلها الله ﷻ على عموم أنبياءه، وقيل الزبور الكتاب الذي أنزل الله على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل الزبور التوراة
﴿ٱلذِّكۡرِ﴾	اللوح المحفوظ، وقيل الذكر التوراة
﴿لَبَلَٰغٗا﴾	الكفاية وغُنية، لإنذارًا
﴿مُّسۡلِمُونَ﴾	مستسلمون لله خاضعون له موحدون تشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتفعلون ما يلزمكم به إسلامكم
﴿تَوَلَّوۡاْ﴾	أعرضوا
﴿ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖ﴾	أخبرتكم حتى تكون نحن فأنتم على علم بأعلم بعضنا عدوٌ لبعض
﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ﴾	ما أدري – ما أعلم
﴿ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾	ما ظهر من القول
﴿مَا تَكۡتُمُونَ﴾	ما خفي من القول = ما تخفون من القول ما يتحدثون به في أنفسكم
﴿فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾	اختبار لكم وابتلاء
﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾	ما تتمتعون به إلى زمن الموت
﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	على ما تصفونني به من قولكم عني كذاب ساحر وشاعر وكاهن وغير ذلك وكذا ما تصفون به ربكم من أن له شريك وله ولد وغير ذلك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم إنكم يا أهل الكفر وألهتكم التي تعبدونها من دون الله ﷻ وقود جهنم وحطبًا، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦] أنتم جميعًا لها داخلون، ولو كانت هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، لو كانت آلهة حقًا ما دخلتها، ولا تركتكم تدخلونها، بل لدافعت عن نفسها، ودافعت عن عابديها بل تكلم فيها خالدون.

هذا، وقد قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أقوالًا أُخر إضافةً إلى ما ذُكر، منها أن جهنم تحصبهم أي تقذف بهم، تقذف بهم من مكان إلى مكان من شدتها، وقيل تقذفهم بشررها العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون بالله، العابدون من دونه الأوثان والأصنام، وما تعبدون من دون الله من الآلهة.

وقال: وأما حصب جهنم فقال بعضهم معناه وقود جهنم وشجرها.

وقال آخرون: بل معناه حطب جهنم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يُرمى بهم في جهنم وأورد قراءتين في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

أحدهما بالصاد، والآخر بالطاء، وأختار قراءة من قرأ بالصاد ثم قال فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب

عند العرب: الرمي، من قولهم: حصبت الرجل: إذا رميته، كما قال جلّ ثناؤه ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ [القمر: ٣٤] كان الأولى بتأويل ذلك قول من قال: معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها، وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمين: الحطب، فإن يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح، وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد. وأما قوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ فإن معناه: أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردون، يقول: داخلون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، وهم مشركو قريش: أنتم أيها المشركون، وما تعبدون من دون الله واردو جهنم، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين، ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضر عنها، فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد، ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء، فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون إلها. وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية، وإنما معنى الكلام: كلكم فيها خالدون.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ قال: التي عبد القوم قال: العابد والمعبود.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبا لأهل مكة من مشركي قريش، ومن دان بدينهم من

عبدة الأصنام والأوثان: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾، قال ابن عباس: أي وقودها، يعني كقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[التحريم: ٦].

وقال ابن عباس أيضا: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ بمعنى: شجر جهنم. وفي رواية قال: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ يعني: حطب جهنم، بالزنجية.

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: حطبها. وهي كذلك في قراءة علي وعائشة رضي الله عنهما.

وقال الضحاك: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ أي: ما يرمى به فيها.

وكذا قال غيره. والجميع قريب.

وقوله: ﴿ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ أي: داخلون.

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ يعني: لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار، ولما دخلوها، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ أي: العابدون ومعبوداتهم، كلهم فيها خالدون.

وقال القرطبي رحمه الله:

في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ كل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به. ويظهر من هذه الآية أن الناس من الكفار وما يعبدون من الأصنام حطب لجهنم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقيل: إن المراد بالحجارة حجارة الكبريت؛ على ما تقدم في «البقرة» وأن النار لا تكون على الأصنام عذابا ولا عقوبة؛ لأنها لم تذنب، ولكن تكون عذابا على من عبدها: أول شيء بالحسرة، ثم تجمع على النار فتكون نارها أشد من كل نار، ثم يعذبون بها. وقيل: تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم وقيل: إنما جعلت في النار تبكيتا لعبادتهم.

قولـه تعـالى: ﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ أي فيهـا داخلـون. والخطـاب للمشـركين عبـد ه الأصـنام؛ أي أنـتم واردوهـا مع الأصـنام. ويجـوز أن يقـال: الخطاب للأصنام وعبد تها؛ لأن الأصنام وإن كانـت جمـادات فقـد يخـبر عنهـا بكنايـات الآدميـين. وقـال العلمـاء: لا يـدخل في هـذا عيسـى ولا عزيـر ولا الملائكـة صـلوات الله علـيهم؛ لأن «مـا» لغيـر الآدميين. فلـو أراد ذلـك لقـال: «ومن». قال الزجاج: ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم.

قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ أي لو كانت الأصنام آلهة لما ورد عابدوها النار. وقيل: ما وردها العابدون والمعبودون؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩﴾.

❋ ❋ ❋

س: النصارى يعبدون المسيح، واليهود قبلهم يعبدون عزيرًا، وطوائف من أهل الشرك يعبدون الملائكة، ومعلوم أن المسيح عيسى عليه السلام نبي مرسلٌ مقربٌ من المقربين وجيهًا في الدنيا والآخرة، وكذا الملائكة المقربون، وكـذا غزيـر فكيـف يوجَّـه هـذا مـع قولـه تعـالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾.

ج: ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الله ﷻ استثنى من لم يرض بعبادته من أهل الصلاح إذ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾.

الثاني: أن قولـه: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ مـا لغيـر العاقـل فـالمراد بهـا الأصـنامن والحجارة والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم: لأهل النار، وهم في النار زفيرٌ، وهو الهواء الخارج من أنوفهم وأقوامهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ فالشهيق الهواء الداخل الزفير الهواء الخارج.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدهما: أنعم لا يسمعون شيئًا لأنهم يحشرون على وجوههم عميًا وبُكما وصُمًا.

الثاني: أنهم لا يسمعون شيئًا يسرهم.

الثالث: أنهم لا يسمعون عذاب بعضهم فكل يعذب ولا يظن أن أحدًا يعذب غيره، فقد وضح في تابوت، والتابوت وضع في تابوت آخر حتى لا يسمع.

أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾. فمعناه إن الذين سبق، وأن قضينا لهم بأنهم سيكونون من أهل الجنة، وكتبنا لهم ذلك قبل أن يخلقوا، ويدخل فيهم عزيزٌ والمسيح والملائكة هؤلاء عن النار مبعدون لا يسمعون حسيس النار، صوت لهيبها، وحركتها وقيل إذا دخل أهل الجنة لا يسمعون حسيس أهل النار، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝١٠٢﴾ أي وهم في النعيم الذي تشتهيه أنفسهم من مآكل ومشارب ومساكن ومناكح ومنازل باقون خالدون لا يتمولون ولا تردلون عنه ولا يخرجون منه وكذا:

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ أي لا يخافون الفزع الأكبر، ولا يحزنون عند حلوله بالناس بل هم آمنون مطمئنون، وقد خلف العلماء في الفزع الأكبر حتى يكون؟ فقيل إنه الفزع الكائن عند النفخ في الصور، وقيل إنه حلول الموت وقيل إنه البعث من القبور، وقيل إنه الأمر ببعض الناس أن يُدفع بهم إلى النار فالحاصل أن أهل الإيمان مطمئنون، من فضل الله عليهم ورحمته بهم؟ اذهب عنهم الحزن والفزع.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ أي وتلقاهم الملائكة يبشرونهم قائلين لهم هذا يومكم يا أهل الإيمان الذي كن لله ﷻ وعدكم به في دنياكم، فهذا هو يومكم الذي تكافؤن فيه وتكرمون فيه وتنزلون فيه أجمل المنازل أحسن المنازل.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيات المذكورة:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لَهُمْ﴾ المشركين وآلهتهم، والهاء، والميم في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ من ذكر كل التي في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾، يقول تعالى ذكره: لكلهم في جهنم زفير، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يقول: وهم في النار لا يسمعون.

وأورد الطبري من طريق المسعودي:

عن يونس بن خباب، قال: قرأ ابن مسعود هذه الآية ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ قال: إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى

فيها مسامير من نار ، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذّب غيره ، ثم قرأ ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

قلت (مصطفى): وأورد الحافظ ابن كثير من طريق عبد الرحمن المسعودي عن أبيه عن ابن مسعود بنحوه. عزاه لابن أبي حاتم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به ، فقال بعضهم: عني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبعد.

وقال آخرون: بل عني: مَنْ عبد مِن دون الله ، وهو لله طائع ولعبادة من يَعبد كاره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عني بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ ما كان من معبود ، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفّار ، لأن قوله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم ، على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس ، فكأن المشركين قالوا لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾: ما الأمر كما تقول ، لأنا نعبد الملائكة ، ويعبد آخرون المسيح وعُزَيرا ، فقال عزّ وجلّ ردا عليهم قولهم: بل ذلك كذلك ، وليس الذي سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون ، لأنهم غير معنيين بقولنا ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ، فأما قول الذين قالوا ذلك

استثناء من قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ فقول لا معنى له، لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جانٌ، وكلّ هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بمن، لا بما، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حَصَب جهنم بما، قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب، لا من كان من الملائكة والإنس، فإذا كان ذلك كذلك لما وصفنا، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ، وأما الحُسنى فإنها الفُعلى من الحسن، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ قال: الحسنى: السعادة، وقال: سبقت السعادة لأهلها من الله، وسبق الشقاء لأهله من الله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حَسيس النار، ويعني بالحسيس: الصوت والحسّ.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ يقول: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون فيها، لا يخافون زوالًا عنها، وال انتقالًا عنها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

واختلف أهل التأويل في الفزع الأكبر: أي: الفزع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا أطبقت على أهلها.

وقال آخرون: بل ذلك النفخة الآخرة.

وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعدَه أحرى أن لا يفزَع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.

وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ فيه الكرامة من الله والحِباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصَبون في الدنيا لله في طاعته.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ قال: هذا قبل أن يدخلوا الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾: قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسُله، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦]: وقال: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن:٦٠]، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله

مآلهم وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحَصَل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي: حريقها في الأجساد.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾، فسلمهم من المحذور ولمرهوب، وحصل لهم المطلوب والمحبوب.

هذا، وقد أورد ابن كثير أقوالًا نحوًا مما ذكرته في تفسير ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ ثم قال:

وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾. يعني: تقول لهم الملائكة، تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾. أي: قابلوا ما يسركم.

س: ما مدى صحة هذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾، فقال ابن الزبعرى: قد عُبدت الشمس والقمر والملائكة، وعُزَير وعيسى ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨]، ثم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾. رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه «الأحاديث المختارة».

ج: هذا يُحسن لشواهده، وانظر السؤال الآتي.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول، يصح لشواهده أخرج الطحاوي في مشكل الآثار من طريق عبيد بن رجال ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن أبي يحيى ، عن ابن عباس ، قال: آية في كتاب الله لا يسألني الناس عنها ولا أدري أعرفوها فلا يسألوني عنها أم جهلوها فلا يسألوني عنها؟ قيل: وما هي؟ قال: آية لما نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون شق ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم محمد آلهتنا فقام ابن الزبعرى فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد آلهتنا قال: وما قال؟ قالوا: قال: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال: ادعوه لي ، فدعي محمد ﷺ فقال ابن الزبعرى: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: « بل لكل من عبد من دون الله عز وجل » قال: فقال: خصمناه ورب هذه البنية ، يا محمد ألست تزعم أن عيسى عبد صالح وعزيرا عبد صالح ، والملائكة عباد صالحون ، قال: «بلى»، قال: فهذه النصارى يعبدون عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرا وهذه بنو مليح تعبد الملائكة ، قال: فضج أهل مكة فنزلت: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى وعزير والملائكة أولئك عنها مبعدون قال: ونزلت: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وهو الصحيح.

وله شواهد كثيرة يُحسن بها.

❋ ❋ ❋

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: واذكر يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب.

الثاني: لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب.

❀ ❀ ❀

س: هل ثبت شيء في أن السجل هذا صمٌ لملك أو اسمق لرجل؟ وما المراد بالسجل.

ج: لم يصح في ذلك خبرٌ عن رسول الله ﷺ، وقد أورد الطبري بعض الأثار، وفيها مقال، في ذلك وتعقبها بقوله:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجلّ ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟

قيل: ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه: يوم نطوي السماء كطيّ السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل نطوي مصدرا ، فقيل (كطي السجل للكتاب) واللام في قوله للكتاب بمعنى على.

قلت (مصطفى): والصحيح كما أشار الطبري رحمه الله من أن السجل هو الصحيفة والمراد بالكتب المكتوب فيها، فالمعنى كطي الصحيفة على المكتوب فيها، أو كطي الدفتر على الأوراق المكتوبة ولموضوعة فيه أو كطي الغلاف على ما فيه من أوراق مكتوب فيها الأول أظهر كطي الصحيفة على الكلام المكتوب فيها والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

فعلى هذا يكون معنى الكلام: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ أي:

على الكتاب، بمعنى المكتوب؛ كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٣] أي: على الجبين، وله نظائر في اللغة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل السموات تطوى يوم القيامة؟

ج: نعم تطوى السموات يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة. ويطوي السماء بيمنه، ثم يقلو أنا الملك، أي ملوك الأرض؟**».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: «جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ونعيدكم يا بني آدم كما بدأنا خلقكم أول مرة حفاة

عراةً غرلًا.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام ......» الحديث.

أما قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ أي وعدًا وعدنا العباد به وأخذناه على أنفسنا وكان وعدنا مفعولًا ل يتخلف.

قال الطبري رحمه الله:

ومعنى الكلام: نعيد الخلق عُراة حفاة غُرْلا يوم القيامة، كما بدأناهم أوّل مرّة في حال خلقناهم في بطون أمّهاتهم، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا، كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية، حتى لا يكون شيء سوانا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك. ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزبور، وما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالذِّكر اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه أعمال العباد التي سيعلمونها ومقادير العباد، والزبور الكتب التي أنزلها الله ﷻ عمومًا.

الثاني: أن المراد بالزبور الكتب التي أنزلها الله ﷻ على الأنبياء من بعد موسى عليه السلام، بالذكر التوراة التي أُنزلت على موسى كما قال تعالى في شأن التوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

القول الثالث: أن المراد بالذِّكر التوراة، وبالزبور الكتاب الذي أنزله الله عيل داود عليه السلام.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالزَّبور والذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني بالزَّبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم، وعُني بالذكر: أمّ الكتاب التي عنده في السماء.

وقال آخرون: بل عنيب الزبور: الكتب التي أنزلها الله على مَنْ بعد موسى من الأنبياء، وبالذكر: التوراة.

وقال آخرون: بل عني بالزبور: ربور داود، وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض،

وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال منه: زبرت الكتاب وذَبرته: إذا كتبته، وأن كلّ كتاب أنزله الله إلى نبيّ من أنبيائه، فهو ذِكْر. فإذ كان ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر، الدلالة البينَة أنه معنيّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم، فقد كان قبل زَبور داود.

فتأويل الكلام إذن، إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده، دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]. وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]. وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾، الآية [النور:٥٥]. وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأرض في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾.

ج: قال كثيرون من أهل العلم إن المراد بالأرض أرض الجنة، كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم: ٦٣].

وكقوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣].

وكقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ ولغير ذلك أيضًا.

فإن قال قائل وكيف ورثوا الجنة، عمن ورثوها؟ فجوابه أن لكل شخص مقعدين مقعدٌ في الجنة، ومقعدٌ في النار، فإذا دخل أهل الجنه الجنة؟ وأهل النار النار، ورث أهل الجنة مقاعد أهل النار التي كانت لهم في الجنة لو أنهم آمنوا وورث أهل النار مقاعد أهل الإيمان التي كانت لهم لو لم يؤمنوا.

هذا وقال آخرون من أهل العلم إن المراد بالأرض الأرض في الحياة الدنيا.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد أرض الدنيا وأرض الجنة معًا.

وهذه بعد الأقوال في ذلك.

أورد الطبري عدة آثار في أن الأرض أرض الجنة.

وقال:

وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

وقال آخرون: عني بذلك بنو إسرائيل، وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به.

واستشهد لقوله ذلك بقول الله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ﴾ وقد ذكرنا قول من قال: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أنها أرض الأمم الكافرة، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه عليّ بن أبي طلحة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالعلماء الصالحون.

ج: قيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل هم الصالحون عمومًا من كل الأمم، وهذا أظهر؟ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن في هذا القرآن الذي أنزل عليك يا رسول الله لإنذارًا لقوم عابدين الله ﷻ مطيعة له.

وقول آخر قول إن في هذا القرآن الكفاية ومنفعة وغنيةص لقوم عبدوا الله ﷻ وأما عدة واختار الطريق الموصل إليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغًا لمن عبد الهل بما فيه من الفرائض التي فرضها الله، إلى رضوانه، وإدراك الطلبة عنده.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم لَبَلاغًا: لَمَنْفعةَ وكفاية لقوم عابدين، وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ هل العالمين عموم الإنس والجن، أم عموم عموم الإنس أم أهل الإيمان من هؤلاء وأولئك؟ وكيف يكون رحمة للعالمين، والكافر معذبٌ يوم القيامة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وهو الذي اختاره أنه أرسل رحمة للعالمين كلهم إنسهم وجنِّهم مؤمنهم وكافرهم فمن اتبعه كان رحمة له ومن عصاه فهو الذي آخرَّ بنفسه واختار طريق الهلاك والعذاب.

وعلى سبيل المثال كما يكون القوم في حالة غرق وترسل إليهم فرق الإنقاذ؟ وتدلى لهم أطواق النجاة والحبال وبإمكانهم، ومن الله عليهم أن يأخذوها، فمن أخذها سلم، ومن تركها هلك.

القول الثاني: أنه رحمه للعالمين في الدنيا بإنقاذهم من الخسف والقذف ونحو ذلك، في الآخرة رحمة لمن اتبعه وسلك طريق والله أعلم.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية ، أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟ فقال بعضهم: عني بها جميع العالم المؤمن والكافر.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد ، في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ قال: العالمون: من آمن به وصدّقه ، قال: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ قال: فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة ، وقد جاء الأمر مجملا رحمة للعالمين ، والعالمون ههنا: من آمن به وصدّقه وأطاعه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب.القول الذي رُوي عن ابن عباس ، وهو أن الله أرسل نبيه محمدًا ﷺ رحمة لجميع العالم ، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به ، وأدخله بالإيمان به ، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله.

وورد من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري وغيره.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عُوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله [تعالى] : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾: يخبر تعالى أن الله جَعَل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشكَر هذه النعمةَ، سَعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩] ، وقال الله تعالى في صفة القرآن: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[فصلت: ٤٤].

وأورد حديث أبي هريرة ﵁ قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**». انفرد بإخراجه مسلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لمن أرسلت إليهم إنما يومي إليَّ كما يومي للأنبياء من قبلي، أن الله ﷻ المعبود الذي نعبده إلهٌ واحد لا شريك له فهل أنتم مستسلمون له خاضعون له مقرون له بأنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه.

فإن أعرضوا عن ذلك فقل أخبرتكم حتى استوى أنا وأنتم في العلم بأن بعضنا عدوٌ للآخر ما لم تفردوا بوحدانية الله ﷻ وما أدري أيعجل كلهم العذاب أم يؤخر وما أدري أتقوم الساعة قريبًا أم بعد حين، وربي سبحانه وتعالى يعلم ما تجهرون به من الأقوال والأعمال وما تكتمونه في صدوركم وتخفونه فيها، وما تكتمونه عن الخلائق فهو سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري ﵀:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ما يوحي إلي ربي إلا أنَّه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد ، لا تصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي ذلك لغيره.

يقول: فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك، ومتبرّئون من عبادة ما دونه من آلهتكم؟.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان، بأن لا إله لهم إلا إله واحد، فأعرضوا عنه، وأبوا الإجابة إليه، فقل لهم قد ﴿ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ يقول: أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب، لا صلح بينكم ولا سلم.

وقوله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل وما أدري متى الوقت الذي يحلّ بكم عقاب الله الذي وعدكم، فينتقم به منكم، أقريب نزوله بكم أم بعيد؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين، إن الله يعلم الجهر الذي يجهرون به من القول، ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به، سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته، إنه لا يخفى عليه منه شيء، فإن أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن يقول للمشركين: ﴿ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي: متبعون على ذلك، مستسلمون منقادون له.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: تركوا ما دعوتهم إليه، ﴿ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: أعلمتكم أني حَرْب لكم، كما أنكم حَرْبٌ لي، بريء منكم كما أنكم بُرآء مني، كقوله: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١]. وقال ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨]: ليكن علمك وعلمهم بنبذ العهود على السواء، وهكذا هاهنا، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: أعلمتكم ببراءتي منكم، وبراءتكم مني؛ لعلمي بذلك.

وقوله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ أي: هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده، ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: إن الله يعلم الغيب جميعه، ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون، يعلم الظواهر والضمائر، ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما العباد عاملون في أجهارهم وأسرارهم، وسيجزيهم على ذلك، على القليل والجليل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ فلا يجوز الإشراك به. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي منقادون لتوحيد الله تعالى؛ أي فأسلموا؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي إن أعرضوا عن الإسلام ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي أعلمتكم على بيان أنا وإياكم حرب لا صلح بيننا؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨] أي أعلمهم أنك نقضت العهد نقضا، أي استويت أنت وهم فليس لفريق عهد ملتزم في حق الفريق الآخر. وقال الزجاج: المعنى أعلمتكم بما يوحى إلي على استواء في

العلم به، ولم أظهر لأحد شيئا كتمته عن غيره. ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ ﴾ ﴿إِنْ﴾ نافيه بمعنى ﴿مَا﴾ أي وما أدري. ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ يعني أجل يوم القيامة لا يدريه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب؛ قاله ابن عباس. وقيل: آذنتكم بالحرب ولكني لا أدري متى يؤذن لي في محاربتكم.

وقال القرطبي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ أي من الشرك وهو المجازي عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما أدري ما سبب تأخير نزول العذاب عليكم، وم أدري ما سبب نزول العذاب عليكم، وما أدري ما سبب إمهالكم وترككم بلا عذاب، فهذا أمر موكولٌ إلى الله ﷻ، وما أنا إلا بشر ولكن لعلَّ هذا، لعلَّ تأخير نزول العذاب، ابتلاء لكم واختبار يريده الله ﷻ بكم، ولعله لمزيد من العذاب الذي يحل بكم لاستمراركم على الكفر وعدم انتفاعكم بالمواعظ، ولتزدادوا من الذنوب فيحل بكم أليم العقاب، ثم قال رسول الله ﷺ يا رب احكم بيني وبين هؤلاء وافصل بيني وبينهم بالحق الذي وعدتني به من نصر أوليائك والانتقام من أعدائك، وربنا الذي وسعت رحمته كل شيء الذي هو بي رحيم هو الذي أستعين في كل شيء وأستعين به للانتصار منكم فيما وصفتموني به من أنني ساحرًا وشاعرًا وكذاب أو مجنون لكوني دعوتكم إلى توحيد الله ﷻ وعدم الشرك به.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعلّ تأخيره ذلك عنكم مع وعده إياكم لفتنة يريدها بكم ، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه ، ثم ينزل بكم حينئذ نقمته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذّبني من مشركي قومي وكفر بك ، وعبد غيرك ، بإحلال عذابك ونقمتك بهم ، وذلك هو الحقّ الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به ، وهو نظير قوله جلّ ثناؤه ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته ، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] وفي كذبكم على الله جلّ ثناؤه وقيلكم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ [مريم: ٨٨، الأنبياء: ٢٦] فإنه هين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ﴾ أي لعل الإمهال ﴿فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ أي اختبار ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم. ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾﴾ قيل: إلى انقضاء المدة.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ ختم السورة بأن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إليه وتوقع الفرج من عنده، أي احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين وانصرني عليهم.

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ أي تصفونه من الكفر والتكذيب.

تفسير سورة الحج

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ
تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ
حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ
٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣
كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ
عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن
يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ
وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن
كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾

[الحج: ١-٧].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ -زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ -سُكَٰرَىٰ -يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ -مَّرِيدٖ -كُتِبَ عَلَيۡهِ -تَوَلَّاهُ -يُضِلُّهُۥ -وَيَهۡدِيهِ -ٱلۡبَعۡثِ -رَيۡبٖ -نُّطۡفَةٖ -عَلَقَةٖ -لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ -مُّضۡغَةٖ -مُّخَلَّقَةٖ -وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ -وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ -أَجَلٖ مُّسَمّٗى -أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ -هَامِدَةٗ -ٱهۡتَزَّتۡ -وَرَبَتۡ -زَوۡجِۭ -بَهِيجٖ -لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾	اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية
﴿زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾	الزلزلة التي تكون عند قيام الساعة
﴿سُكَٰرَىٰ﴾	(كأنهم) ذهبت عقولهم بسبب شرب الخمر
﴿يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾	يشكك في قدرة الله على البعث. ويشكك في توحيد الله
﴿مَّرِيدٖ﴾	متمرد – رافض للأمر أشد الرفض
﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾	قُدِّر على الشيطان
﴿تَوَلَّاهُ﴾	من جعل الشيطان وليًّا له وارتضاه
﴿يُضِلُّهُۥ﴾	يصرفه عن طريق الحق
﴿وَيَهۡدِيهِ﴾	يدله ويقوده
﴿رَيۡبٖ﴾	شك
﴿ٱلۡبَعۡثِ﴾	الإحياء بعد الموت
﴿نُّطۡفَةٖ﴾	المراد: قطرة المني

﴿عَلَقَةٍ﴾	المراد: الدم الذي تعلق بجدار الرحم
﴿مُّضۡغَةٍ﴾	قطعة اللحم
﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾	مصورة (صور سمعها وبصرها) – مكتملة
﴿وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ﴾	غير مصورة – غير مكتملة
﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾	لنوضح لكم قدرتنا على البعث
﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾	نثبت في الأرحام ونجعله مستقرًّا فيها
﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	وقد حدَّده الله
﴿أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾	أردأ العمر – أحسنه – أدونه
﴿هَامِدَةً﴾	يابسةً لا تنبت – ميتة
﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾	تحركت بالنبات
﴿وَرَبَتۡ﴾	انتفخت بالماء
﴿زَوۡجِۭ﴾	صنف
﴿بَهِيجٍ﴾	حسن المنظر
﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾	لا شك في قيامها وإتيانها

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بهذه الزلزلة (متى تكون)؟

ج: ذهب عدد من العلماء، وهو الذي تشهد له الأدلة .. إلى أن هذه الزلزلة تكون يوم القيامة إذا خرج الناس من قبورهم، وهي إحدى الأهوال يوم القيامة.

واستشهدوا لذلك بما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

يَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ! وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ؟ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ» قَالَ: فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ».

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الزلزلة كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة.

ووردت بذلك بعض الآثار منها:

أثر علقمة (بسند صحيح عنه) قال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ قال: قبل الساعة.

أخرجه الطبري ﵀، وأورد آثارًا أُخر وحديثًا فيه مقال في هذا الصدد.

ومن حجج أصحاب هذا القول أنه ليس ثَمَّ يوم القيامة حوامل ولا مُرضعات.

---

(١) البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (حديث ٢٢٢).

ولمزيد انظر السؤال الآتي وجوابه.

ورجَّح الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (أضواء البيان) أن هذه الزلزلة تكون يوم القيامة بعد البعث من القبور مستدلًّا بحديث: **يا آدم إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار من ذريتك**... الحديث، وقد تقدم، وقال بعد أن أورده:

فحديث أبي سعيد هذا الذي اتفق عليه الشيخان كما رأيت، فيه التصريح من النَّبي ﷺ بأن الوقت الذي تضع فيه كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، بعد القيام من القبور كما ترى، وذلك نص صحيح صريح في محل النزاع.

فإن قيل: هذا النص فيه إشكال، لأنه بعد القيام من القبور لا تحمل الإناث، حتى تضع حملها من الفزع، ولا ترضع، حتى تذهل عما أرضعت.

فالجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: هو ما ذكره بعض أهل العلم، من أن من ماتت حاملاً تبعث حاملاً، فتضع حملها من شدة الهول والفزع، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك، ولكن هذا يحتاج إلى دليل.

الوجه الثاني: أن ذلك كناية عن شدة الهول كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ ومثل ذلك من أساليب اللغة العربية المعروفة.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

تنبيه

اعلم أن هذا الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة التي ذكرنا بعضها يرد عليه سؤال، وهو أن يقال: إذا كانت الزلزلة المذكورة بعد القيام من القبور، فما معناها؟

والجواب: أن معناها: شدة الخوف، والهول، والفزع، لأن ذلك يسمى زلزالاً، بدليل قوله تعالى فيما وقع بالمسلمين يوم الأحزاب من الخوف ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١] أي وهو زلزال فزع وخوف، لا زلزال حركة الأرض، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ يدل على أن عظم الهول يوم القيامة موجب واضح للاستعداد لذلك الهول. بالعمل الصالح، في دار الدنيا، قبل تعذر الإمكان لما قدمنا مراراً من أن إن المشددة المكسورة تدل على التعليل، كما تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه، ومسلك النص الظاهر: أي اتقوا الله، لأن أمامكم أهوالاً عظيمة، لا نجاة منها إلا بتقواه جل وعلا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- يا أيها الناس احذروا غضب ربكم ﷻ وعذابه فإن غضبه شديد وعذابه أليم، فاجعلوا بينكم وبين ذلك وقاية بطاعتكم له، وامتثالكم أمره، واجتنابكم ما نهاكم عنه، فإن الزلزلة التي تكون يوم القيامة شأنها عظيم، وهي إحدى الأهوال في ذلك اليوم، فيومها، يوم تأتيكم وترونها تذهل كل مرضعة عن وليدها الذي ترضعه، تغفل عنه وتنساه وتنشغل عنه بما هي فيه من عظيم الهول وشدة البلاء، والحوامل يضعن

حملهن إذا كانت هناك حوامل، وترى الناس وكأنهم سكارى كأنهم – من شدة الهول– قد شربوا خمرًا فذهبت بعقولهم، وما شربوا خمرًا آنذاك وليست عقولهم بغائبة، ولكن عذاب الله آنذاك شديد تخدره جميع النفوس، ويحذره جميع العباد، وكل له شأن يُغنيه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد.

ثم وصف جلّ ثناؤه هول أشراط ذلك اليوم وبدوه، فقال: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾.

واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جلّ ثناؤه بالشدة، فقال بعضهم: هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، وأورد عددًا من الأخبار عن رسول الله ﷺ، منها حديث عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذين قدمت ذكرهما.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ يقول جلّ ثناؤه: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت، ويعني بقوله: ﴿تَذْهَلُ﴾ تنسى وتترك من شدّة كربها، يقال: ذَهَلْت عن كذا أذْهَلُ عنه ذُهُولا وذَهِلْت أيضا، وهي قليلة، والفصيح: الفتح في الهاء، فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين، لم يسمع غير ذلك.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة، تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت.

وأورد عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ قال: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قراءتين لقول: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ ﴾ وهما وتَرى، وتُرى وكذا وجهين في قوله: ﴿سُكَٰرَىٰ ﴾ وهما ﴿سُكَارى﴾ وسَكْرَى.

قال الطبري:

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان مستفيضتان في قَرَأة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، ومعنى الكلام: وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدّته سُكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر.

وأورد عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ﴾ قال: ما شربوا خمرًا ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله، مع علمهم بشدة عذاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا عباده بتقواه، ومخبرا لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها. وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة: هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عَرَصَات القيامة؟ أو ذلك عبارة

عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم؟ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ [الحاقة: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٤-٦].

فقال قائلون: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا، وأول أحوال الساعة.

وقال بعض أن أورد جملة أخبار:

والغرض منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة، وأضيفت إلى الساعة لقربها منها، كما يقال: أشراط الساعة، ونحو ذلك، والله أعلم.

وقال آخرون: بل ذلك هول وفزع وزلزال وبلبال، كائن يوم القيامة في العرصات، بعد القيامة من القبور. واختار ذلك ابن جرير.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جدا، لها موضع آخر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ أي: أمر كبير، وخطب جليل، وطارق مفظع، وحادث هائل، وكائن عجيب.

والزلزال: هو ما يحصل للنفوس من الفزع، والرعب كما قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١١].

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾: هذا من باب ضمير الشأن؛ ولهذا قال مفسرًا له: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: تشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه، تدهش عنه في حال إرضاعها له؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾، ولم يقل: «مرضع» وقال: ﴿عَمَّا

﴿أَرۡضَعَتۡ﴾ أي: عن رضيعها قبل فطامه.

وقوله: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا﴾ أي: قبل تمامه لشدة الهول، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ وقرئ: «سَكْرَى» أي: من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حسب أنهم سُكارى، ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾ .

ج: المعنى – والله أعلم – ومن الناس من يجادل في قدرة الله ﷻ، وفيما أخبر به من إحياء الأنفس بعد موتها فيقول إن الله ﷻ لن يحيي الموتى ولا يقدر على ذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: ٧٨] وهذا الذي يجادل في الله بغير حجة ولا بينة ولا علمٍ صحيح ويتبع كل شيطان متمرد، كُتب على هذا الشيطان وقدر أن من اتبع هذا الشيطان وقلَّده فإن الشيطان يضله ويقوده إلى عذاب السعير والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعني بقوله: ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ من يخاصم في الله، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي وصار ترابا، بغير علم يعلمه، بل بجهل منه بما يقول. ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ .

وقال في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾.

يقول تعالى ذكره: قضي على الشيطان، فمعنى ﴿كُتِبَ﴾ ههنا قُضِي، والهاء

التي في قوله عليه من ذكر الشيطان.

وقوله: ﴿ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ﴾ يقول: فإن الشيطان يضله، يعني: يضل من تولاه. والهاء التي في «يضله» عائدة على «من» التي في قوله: ﴿مَن تَوَلَّاهُ ﴾ وتأويل الكلام: قُضي على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ولا يهديهم إلى الحق.

وقوله: ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ يقول: ويَسُوقُ مَنِ اتَّبَعَهُ إلى عذاب جهنم الموقدة، وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصية الرحمن، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذامًا لمن كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، معرضا عما أنزل الله على أنبيائه، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد، من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلال والبدع، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رءوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، أي: علم صحيح، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴾ قال مجاهد: يعني الشيطان، يعني: كتب عليه كتابة قدرية ﴿ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ أي: اتبعه وقلده، ﴿ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾ أي: يضله في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير، وهو الحار المؤلم المزعج المقلق.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: استدلال على البعث الذي أنكره المشركون ونفوه، فاستُدل عليهم للبعث بأمرين، وإن شئت قلت بثلاث أمور وهي خلقهم أول مرة (أي خلق أبيهم آدم عليه السلام)، فالذي خلق الخلق أول مرة قادرٌ على إخراجهم من قبورهم أحياءً، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

واستدلوا أيضًا بما ورد من طريق الحسن عن عمران(١) بن حصين قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطِيَّ وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ! ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ

---

(١) وهناك خلاف في سماع الحسن من عمران بن حصين رضي الله عنه.

وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ» فَيَئِسَ الْقَوْمُ حَتَّى مَا أَبَدَوْا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ قَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ» قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ. فَقَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ»(١).

واستدلال أيضًا بتقلبهم في الخلق من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ مُخلقةٍ وغير مخلقةٍ، فهو سبحانه قادرٌ على أن يجعلها مخلقةً وقادر أن يسقطها قبل أن يخلقها، ويثبت في الأرحام ما يشاء إلى وقت محددٍ سماه الله ﷻ كما قال فجعلناه في قرار مكين إلى قدرٍ معلوم.

فاستقرار الجنين في بطن أمه بإذن الله ووقت استقراره هو الذي قدره الله.

أما قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: من المضغ مضغٌ خلقت فصورت شق الله سمعها وبصرها، وسائر أعضائها، ومنها مضغٌ لم تصور بل أُلقيت سقطًا ليبين الله ﷻ لخلقه قدرته على البعث، ويثبت في الأرحام أجنة إلى أن تكتمل أو إلى أجل يحدده هو سبحانه وتعالى ثم يخرج من أراد الله له الخروج من بطن أمه طفلًا ضعيفًا ، وقيل في معنى ﴿طِفۡلٗا﴾ أطفالًا ثم يقوي الطفل شيئًا بعد شيء حتى يبلغ أشده ويتمادى به تقدمه في العمر – إذ شاء الله ذلك – حتى تضعف قواه شيئًا بعد شيء كما قال تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ

(١) أحمد (٤/ ٤٣٥)، والترمذي (٣١٦٨).

ﵟٱلۡقَدِيرُ ٥٤ﵞ [الروم: ٥٤]، وهنا قال: ﵟثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡﵞ أي: منتهى قوتكم، ومن من يستوفي أجله فيموت قبل بلوغ أشده، ومنكم من يعمر حتى يرجع إلى العمر الذي يكون فيه أضعف ما يكون وأخس ما يكون وأردأ ما يكون فيفقد الذاكرة بعد اكتمالها ونموها فينسى بعد تذكرٍ، ويذهب عقله بعد اكتماله، وهذه حال الحياة الدنيا يرجع فيها الإنسان إذا قدَّر الله له أن يُعمِّر إلى حالٍ من الضعف شديدة فقدان ذاكرةٍ، وفقدان التحكم في نفسه فتراه يبول كما يبول الرضيع، ولا يكاد يضبط أمر نفسه ولا يستطيع وكذا يسيل لعابُه ويغيب عقله، ويأكل وهو صائم، ويتكلم وهو يصلي، ويجزم أنه صنع الشيء وما صنع، ويجزم أنه ما صنع الشيء وقد صنع فيُعذر بترك الصيام، ويُعذر (مع ذهاب العقل بترك الصلاة)، ويعذر وهو يصلي بلا وضوء بل بتيمم إن استطاع.

فهذا التقلب في الخلق والتطور فيه كما قال تعالى: ﵟوَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ﵞ [نوح: ١٤] طورًا بد تطور وحالًا بعد حال.

وكما قال تعالى: ﵟلَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ﵞ [الانشقاق: ١٩] أي: لتمرن بكم الأحوال حالًا بعد حال دال على قدرة الله ﻷ على البعث، وهو الدليل الثاني عليه في هذا المقام.

أما الدليل الثالث عليه في هذه المقام فهو الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها، إذ الله قال: ﵟوَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗﵞ ميتة لا نبات فيها ولا ثمر فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت بالنباتات فتشققت وخرج منها النبات ﵟوَرَبَتۡﵞ ارتفعت لسقياها بالماء وخروج النبات وأنتت من كل صنفٍ جميل حسن المنظر،

ذلك الذي حدث، والذي كان بتقدير الله فالله هو الإله الحق الذي يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد، وأنه وكم أحياء هذه الأرض بالنبات قادرٌ على إحياء الموتى بإذنه، إنه على كل شيء قدير.

وذلك أيضًا المذكور أمر الخلق ذكرنا به لتعلموا أن الساعة آتية، أي: أن القيامة لا بد فيها وأن الله يبعث من في القبور أحياء بعد أن أماتهم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم، اتباعا منه للشيطان المريد، وتنبيه له على موضع خطأ قيله، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه. قال: يا أيها الناس إن كنتم في شكّ من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم ﷺ من تراب ثم إنشائناكم من نطفة آدم، ثم تصريفناكم أحوالا حالا بعد حال، من نطفة إلى علقة، ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذّر عليه إعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مخلقة وغير مخلّقة، فقال بعضهم: هي من صفة النطفة. قال: ومعنى ذلك: فإنا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة مخلَّقة وغير مخلقة قالوا: فأما المخلقة فما كان خلقا سَوِيّا وأما غير مخلقة، فما دفعته الأرحام، من النطف، وألقته قبل أن يكون خلقا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إذا وقعت النطفة في

الرحم، بعث الله ملَكا فقال: يا ربّ مخلقة، أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلَّقة، مجّتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة، قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة، أذكر أم أنثى؟ ما رزقها ما أجلها؟ أشقيّ أو سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أمّ الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة! قال: فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها.

وقال آخرون: معنى ذلك: تامة وغير تامة.

وأورد بإسنادٍ يصحح عن قتادة مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك المضغة مصوّرة إنسانًا وغير مصوّرة، فإذا صورت فهي مخلقة وإذا لم تصوّر فهي غير مخلقة.

وأورد بإسناد صحيح عن عامر (الشعبي): أنه قال في النطفة والمضغة إذا نكست في الخلق الرابع، كانت نسمة مخلقة، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة.

وبإسناد صحيح عن أبي العالية قال: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ السقط.

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقا تاما، وغير مخلقة: السِّقط قبل تمام خلقه، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا إلا التصوير، وذلك هو المراد بقوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ خلقا سويا، وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوّر ولا ينفخ فيها الروح.

وقوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ يقول تعالى ذكره: جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام، لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداءنا

خلقكم.

وقوله: ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ يقول تعالى ذكره: من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية، فإنا نقرّه في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها، فلا تسقطه، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها، فيخرج.

وقوله: ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ووحد الطفل، وهو صفة للجميع، لأنه مصدر مثل عدل وزور.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ﴾ يقول: ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومنكم أيها الناس من يتوفى قبل أن يبلغ أشدّه فيموت، ومنكم من يُنْسَأ في أجله فيعمر حتى يهرم، فيردّ من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده، إلى أرذل عمره، وذلك الهرم، حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأوّل شيئا.

ومعنى الكلام: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر بعد بلوغه أشده ﴿ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ ﴾ كان يعلمه ﴿ شَيۡـٔٗاۚ ﴾.

وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع، وأصل الهمود: الدروس والدثور،

ويقال منه: همدت الأرض تهمد هُمودا ؛ ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسمَك شاحِبا وأرَى ثِيابَكَ بالِياتٍ هُمَّدَا

والهُمَّد: جمع هامد، كما الركع جمع راكع.

وقوله: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها ، المطر من السماء اهتزّت يقول: تحركت بالنبات، ﴿ وَرَبَتۡ ﴾ يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث.

وقوله: ﴿ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٥ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج، يعني بالبهيج ، البهج، وهو الحسن.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلك هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده، طفلا وكهلا وشيخا هرما وتنبيهناكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث، لتؤمنوا وتصدّقوا بأن ذلك الذي فعل ذلك الله الذي هو الحقّ لا شك فيه، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك، وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذّر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب، وأن فاعل ذلك على كلّ ما أراد وشاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء أراده، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لا محالة ﴿ لَّا رَيۡبَ فِيهَا ﴾ يقول: لا شك في مجيئها وحدوثها، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾ حينئذ

من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب، فلا تشكوا في ذلك ، ولا تمترُوا فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

لما ذكر تعالى المخالف للبعث، المنكر للمعاد، ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد، بما يشاهد من بدئه للخلق ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ ﴾ أي: في شك ﴿ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾ وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة ﴿ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ أي: أصل بَرْئه لكم من تراب، وهو الذي خلق منه آدم، عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ أي: ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ ﴾ ذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة، مكثت أربعين يوما كذلك، يضاف إليه ما يجتمع إليها، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله، فتمكث كذلك أربعين يوما، ثم تستحيل فتصير مضغة -قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط- ثم يشرع في التشكيل والتخطيط، فيصور منها رأس ويدان، وصدر وبطن، وفخذان ورجلان، وسائر الأعضاء. فتارة تُسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ أي: كما تشاهدونها، ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ أي: وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها، كما قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ قال: هو السقط مخلوق وغير مخلوق. فإذا مضى عليها أربعون يوما، وهي مضغة، أرسل الله تعالى إليها ملكا فنفخ فيها الروح، وسواها كما يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ ، من حسن وقبيح، وذكر وأنثى، وكتب رزقها وأجلها، وشقي أو سعيد، كما ثبت في الصحيحين، من حديث الأعمش، عن

زيد بن وهب، عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق-: «**إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات: بكتب عمله وأجله ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**» .

وأورد ابن كثير أيضًا ما أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد -يبلغ به النبي ﷺ- قال: «**يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين، فيقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقول الله، ويكتبان، فيقول: أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد على ما فيها ولا ينتقص**» .

ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة، ومن طرق أخر، عن أبي الطُّفَيل، بنحو معناه .

وقوله: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ أي: ضعيفًا في بدنه، وسمعه وبصره وحواسه، وبطشه وعقله. ثم يعطيه الله القوة شيئًا فشيئًا، ويلطف به، ويحنن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ أي: يتكامل القوى ويتزايد، ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر.

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ ، أي: في حال شبابه وقواه، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ ، وهو الشيخوخة والهَرَم وضعف القوة والعقل والفهم، وتناقص الأحوال من الخَرَف وضعف الفكر؛ ولهذا قال: ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤].

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ : هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة، وهي القحلَة التي لا نبت فيها ولا شيء .

وقال قتادة: غبراء متهشمة. وقال السدي: ميتة.

﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾ أي: فإذا أنزل الله عليها المطر ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ أي: تحركت وحييت بعد موتها، ﴿ وَرَبَتْ ﴾ أي: ارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون، من ثمار وزروع، وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها، وروائحها وأشكالها ومنافعها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾ أي: حسن المنظر طيب الريح.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الخالق المدبر الفعال لما يشاء، ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾، ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ [فصلت: ٣٩] فـ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ ﴾ [يس: ٨٢].

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: كائنة لا شك فيها ولا مرية، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾ أي: يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمما، ويوجدهم بعد العدم، كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾ [يس: ٧٨-٨٠] والآيات في هذا كثيرة .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ هذا احتجاج على العالم بالبداءة

الأولى. وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ متضمنة التوقيف. وقرأ الحسن بن أبي الحسن ﴿ٱلْبَعَثِ﴾ بفتح العين ؛ وهي لغة في ﴿ٱلْبَعْثِ﴾ عند البصريين. وهي عند الكوفيين بتخفيف ﴿بَعَث﴾. والمعنى : يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة. ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر، يعني آدم عليه السلام ﴿مِّن تُرَابٍ﴾. ﴿ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو المني ؛ سمي نطفة لقلته، وهو القليل من الماء، وقد يقع على الكثير منه ؛ ومنه الحديث «**حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا**». أراد بحر المشرق وبحر المغرب. والنطف : القطر. نطف ينطف وينطف. وليلة نطوفة دائمة القطر. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهو الدم الجامد. والعلق الدم العبيط ؛ أي الطري. وقيل : الشديد الحمرة. ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ؛ ومنه الحديث «**ألا وإن في الجسد مضغة**». وهذه الأطوار أربعة أشهر. قال ابن عباس : «وفي العشر بعد الأشهر الأربعة ينفخ فيه الروح»، فذلك عدة المتوفى عنها زوجها ؛ أربعة أشهر وعشر.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

لم يختلف العلماء أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس ؛ كما بيناه بالأحاديث. وعليه يعول فيما يحتاج إليه من الأحكام في الاستلحاق عند التنازع، وفي وجوب النفقات على حمل المطلقات ؛ وذلك لتيقنه بحركة الجنين في الجوف. وقد قيل : إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر، وهذا الدخول في الخامس يحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة إذا لم يظهر حمل.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قال الفراء: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ تامة الخلق، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ السقط. وقال ابن الأعرابي: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ قد بدأ خلقها، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ لم تصور بعد. ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ التي لم يخلق فيها شيء. قال ابن العربي: إذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق فإن النطفة والعلقة والمضغة مخلقة؛ لأن الكل خلق الله تعالى، وإن رجعنا إلى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فذلك ما قال ابن زيد. قلت: التخليق من الخلق، وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقا بعد خلق، وإذا كان نطفة فهو مخلوق؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] والله أعلم. وقد قيل: إن قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ يرجع إلى الولد بعينه لا إلى السقط؛ أي منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الأعضاء أجمع، ومنهم من يكون خديجا ناقصا غير تمام. وقيل: «المخلقة أن تلد المرأة لتمام الوقت». ابن عباس: المخلقة ما كان حيا، وغير المخلقة السقط. قال:

أفي غير المخلقة البكاء ... فأين الحزم ويحك والحياء

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي نقر في أرحام الأمهات ما نشاء إقراره فيها، من الأحمال، والأجنة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي معلوم معين في علمنا، وهو الوقت الذي قدره الله لوضع الجنين، والأجنة تختلف في ذلك حسبما يشاؤه الله جل وعلا، فتارة تضعه أمه لستة أشهر، وتارة لتسعة، وتارة لأكثر من ذلك. وما لم يشأ الله إقراره من الحمل مجته الأرحام وأسقطته، ووجه رفع: ﴿وَنُقِرُّ﴾ أن المعنى:

ونحن نقر في الأرحام ، ولم يعطف على قوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ لأنه ليس علة لما قبله ، فليس المراد : خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، لنقر في الأرحام ما نشاء ، وبذلك يظهر لك رفعه ، وعدم نصبه ، وقراءة من قرأ : ﴿وَنُقِرَّ﴾ بالنصب عطفًا على : ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ ، على المعنى الذي نفيناه على قراءة الرفع ، ويؤيد معنى قراءة النصب قوله بعده ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ أي وذلك بعد أن يخلق الله المضغة عظامًا ، ثم يكسو العظام لحمًا ، ثم ينشيء ذلك الجنين خلقًا آخر ، فيخرجه من بطن أمه في الوقت المعين لوضعه في حال كونه طفلاً : أي ولداً بشراً سويًا .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ أي لتبلغوا كمال قوتكم ، وعقلكم ، وتمييزكم بعد إخراجكم من بطون أمهاتكم في غاية الضعف وعدم علم شيء .

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ
عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ
٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ
وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢
يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ
فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ١٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ
وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨ ﴾

[العنكبوت: ٨-١٣]

س: وضِّح معنى ما يلي:
﴿بِغَيْرِ - عِلْمٍ - وَلَا هُدًى - وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ - ثَانِيَ عِطْفِهِۦ - خِزْيٌ - عَلَىٰ حَرْفٍ - فِتْنَةٌ - انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ - ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ - ٱلْمَوْلَىٰ - ٱلْعَشِيرُ - فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ - ثُمَّ لْيَقْطَعْ - كَيْدُهُۥ -بَيِّنَٰتٍ - وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ - وَٱلصَّٰبِـِٔينَ - وَٱلْمَجُوسَ - يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ - وَٱلدَّوَآبُّ - يُهِنِ -مُّكْرِمٍ﴾؟
ج:

الكلمة	معناها
﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	بجهل
﴿وَلَا هُدًى﴾	بدون بينة ولا برهان
﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾	بدون حجة من كتاب منير ينير للناس أنزله الله
﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾	لاوي عنقه – مستكبرًا – معرضًا
﴿خِزْيٌ﴾	ذلٌّ وإهانة – إذلال
﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾	على شك – على تردد – على شرط
﴿فِتْنَةٌ﴾	ابتلاء واختبار
﴿انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾	ارتد عن دينه
﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾	الانحراف الشديد عن طريق الحق والبُعد الشديد عن الصواب
﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾	الذي يتولى الشخص وينصره كابن العم ونحوه، وقيل الوثن الذي اتخذه عابدُه وليًّا يتولاه

﴿ٱلْعَشِيرُ﴾	المعاشر – الزوج
﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾	فليمدد بحبل، أي: فليتعلق بحبل نازل من السماء أو السقف
﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾	يقطع الحبل كي ينتحر
﴿كَيْدُهُۥ﴾	تدبيره
﴿بَيِّنَٰتٍ﴾	واضحات
﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾	اليهود
﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	قومٌ لا دين لهم، وقيل: قوم يعبدون الملائكة
﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾	قوم يعبدون النار ويعظمونها
﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾	يقضي بينهم – يفرق بينهم
﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾	ما يدب على الأرض عمومًا – الحيوانات
﴿يُهِنِ﴾	يُذل – يخزي
﴿مُّكْرِمٍ﴾	مُعز – شخص يكرم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ومن الناس من هو كافر، يجادل في وحدانية الله وقدرته، فيزعم أن الله تبارك وتعالى له شريك ويزعم أن الله ﷻ

لن يقدر على إحياء الأنفس بعد إماتتها، وكل ذلك منه، كل ذلك الجدل، جدلٌ بجهل، وبلا برهان، وبلا حجة، وبلا دليل نزل من عند الله، بلا كتاب مشرق موضح للحق من الباطل، إنما جداله كما بينت بجهل وغباء، وبلا برهان ولا حجة، وبلا دليل نزل في كتاب من عند الله ينير الطريق ويظهر الحق، يجادل بجهل مع كبر واستعلاءٍ وإعراض عن المتحدث معه، والإعراض عمن دعاه إلى الله ﷻ، لاوي عنقه تكبرًا وإعراضًا ليصرف الناس عن طريق الله، فيُظهر رفضه للحق والقرآن بكبر وتعالٍ وغبرور وإعراض حتى يصرف غيره أيضًا عن هذا الطريق، فهذا ولصنيعه السيء الذي يصنعه يجازى من جنس العمل فيُخزى ويذل ويهان يوم القيامة، ويُذيقه الله عذاب الحريق، ذلك الذي نالك أيها المتكبر المجادل المعاند المغرور، ذلك الذي نالك من العذاب بسبب ما اكتسبته يداك وما اجترمته من الآثام وأن الله ليس بظلام للعبيد، لا يبخص العبيد حقوقهم، بل جوزيته أيها الظالم المتكبر المتعالي المغرور بما كسبته يداك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ﴿وَلَا هُدًى﴾ يقول: وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان.

﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ يقول: وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول.

﴿مُّنِيرٖ﴾ يقول ينير عن حجته. وإنما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا، وذكر أن عني بهذه الآية والتي بعدها النضر بن الحارث من بني عبد

الدار.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠ ﴾

يقول تعالى ذكره: يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ ﴾.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه، وما المراد من وصفه إياه بذلك، فقال بعضهم: وصفه بذلك لتكبره وتبختره، وذكر عن العرب أنها تقول: جاءني فلان ثاني عطفه: إذا جاء متبخترا من الكبر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لاوٍ رقبته.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى إليه فلا يسمع له.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ قال: لاويا رأسه، معرضا موليا، لا يريد أن يسمع ما قيل له، وقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٥ ﴾ [المنافقون: ٥] ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا ﴾ [لقمان: ٧].

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولّي عنقه عنه والإعراض.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله، أعرض عن داعيه، لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا.

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ يقول تعالى ذكره: يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا، ليصدّ المؤمنين بالله عن دينهم الذي

هداهم له ويستزلهم عنه، ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ يقول جلّ ثناؤه: لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي، وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين، فقتله الله بأيديهم يوم بدر.

وقوله: ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾ يقول تعالى ذكره: ونحرقه يوم القيامة بالنار. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام، واكتسبته فيها من الإجرام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ يقول: وفعلنا ذلك لأن الله ليس بظلام للعبيد، فيعاقب بعض عبيده على جُرْم، وهو يغفر مثله من آخر غيره، أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب، فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب، ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرمه، ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلّدين في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾، ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رءوس الكفر والبدع، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ أي: بلا عقل صحيح، ولا نقل صحيح صريح، بل بمجرد الرأي والهوى.

وقوله: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ قال ابن عباس وغيره: مستكبراً عن الحق إذا دعي إليه. وقال مجاهد، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ أي: لاوي عنقه، وهي رقبته، يعني: يعرض عما يدعى إليه من الحق رقَبَته استكبارًا، كقوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ

سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الـذاريات: ٣٨ ، ٣٩]، وقـال تعـالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النسـاء: ٦١]، وقـال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنـافقون: ٥]: وقـال لقمـان لابنـه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] أي: تميله عنهم استكبارًا عليهم، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرًا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرًاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان: ٧].

وقوله: ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ : قال بعضهم: هذه لام العاقبة؛ لأنه قد لا يقصد ذلك، ويحتمل أن تكون لام التعليل. ثم إما أن يكون المراد بها المعاندين ، أو يكون المراد بها أن هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الذي يجعله ممن يضل عن سبيل الله.

ثم قال تعالى: ﴿ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ ﴾ وهو الإهانة والذل، كما أنه لما استكبر عن آيات الله لَقَّاه الله المذلة في الدنيا، وعاقبه فيها قبل الآخرة؛ لأنها أكبر هَمّه ومبلغ علمه، ﴿ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ﴾ أي: يقال له هـذا تقريعـا وتوبيخـا، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ كقولـه تعـالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الدخان: ٤٧ – ٥٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – ومن الناس يُعبد الله ﷻ على شكٍّ وتردد، فهو مترددٌ بين الإيمان والكفر، وبين الإسلام والشرك، فإن أصابه خير كأن رُزق مالًا أو أنجبت زوجته ذكورًا أو عُوفي البدن بعد سقمٍ أو أنتجت إبلهم ومواشيهم أو غير ذلك من صور الخير اطمأن لهذا الدين، اطمأن للإسلام، وقال هذا دين خير، ودينٌ طيبٌ، وإن أصابه ابتلاء واختبار من الله ﷻ بقلةٍ في المال أو الولد أو رزقت امرأته إناثًا ولم تنتج إبله ومواشيه ولم ينزل عليه الغيث أو أصيب بالضر في بدنه، أو الضر في أهله، قال: هذا ليس بدين طيب ويرتد عن الإسلام إلى الكفر قد خسر بهذا الصنيع، وذلك الارتداد الدنيا والآخرة، خسر مودة أهل الإيمان في الدنيا، وخسر جنات النعيم في الآخرة، وورث في الدنيا الذل والصغار وفي الآخرة الشقاء والهوان، ذلك هو الخسران الموضح أنه صاحبه قد خسر يقينًا بلا شكٍّ ولا افتراءٍ.

وهذا الذي انقلب على وجهه اتجه بعد أن كان يدعو الله ﷻ إلى دعاء صنم أو وثن لا يملك له نفعًا ولا يكشف عنه ضرًّا، ذلك هو الضلال البعيد، الانصراف الشديد عن الحق، يدعو وثنًا أو صنمًا أو أي شيء كان، وكل هذه ضرها أقرب إليه من نفعها، بل لا نفع لها على الإطلاق فلبئس ابن العم الذي عبد غير الله، ولبئس الصاحب والمُعاشر الذي عبد غير الله، ولبئس الوثن الذي عُبد من دون الله.

أما أهل الإيمان في المقابل، وهم الذين ثبتوا على دينهم وعبدوا الله على كل حال في السراء والضراء، وكانوا له شاكرين وبقضائه وقدره راضين فهو الذين صدقت قلوبهم وانقادت جوارحهم ونطقت ألسنتهم بالتوحيد والقول الصالح وترتيل الكتاب العزيز هؤلاء يدخلهم الله ﷻ جنات تجري من تحت

أشجارها الأنهار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ فيعطي أهل كرامته من واسع فضله ويثيبهم ويعذب أهل معصيته والشرك به لا يمنعه مما يريد مانعٌ ولا يحول بينه وبين ما يريد حائلٌ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جلّ ذكره بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدّوا على أعقابهم، فقال الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ﴾ على شك، ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأنّ به يقول: استقرّ بالإسلام وثبت عليه ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ يقول: ارتدّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله.

وأورد عن ابن زيد بسندٍ صحيح، في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ قال: هذا المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، ولا يقيم على العبادة إلا لما صَلَح من دنياه. وإذا أصابته شدّة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقوله: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ يقوله: غَبِن هذا الذي وصف جلّ ثناؤه صفته دنياه، لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة: يقول: وخسر الآخرة، فإنه معذّب فيها

بنار الله الموقدة. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ يقول : وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران : يعني الهلاك المبين : يقول : يبين لمن فكّر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة .

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتدّ عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضرّه إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة ، والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة لضرّها في الآخرة له، أقرب وأسرع إليه من نفعها. وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو مَنْ ضَرّه أقرب من نفعه.

وقوله: ﴿ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ ﴾ ، يقول: لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف. ﴿ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ يقول: ولبئس الخليط المعاشر والصاحب: هو.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ قال: العشير: هو المعاشر الصاحب.

وقد قيل: عني بالمولى في هذا الموضع: الولي الناصر.

وكان مجاهد يقول: عني بقوله: ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ الوثن.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا، وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعني بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ يقول: تجري الأنهار من تحت أشجارها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته، وما شاء من الهوان أهل معصيته.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ قال: كان الرجل يَقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاما، ونُتِجَت خيلُه، قال: هذا دين صالح. وإن لم تلد امرأته، ولم تُنتَج خيله قال: هذا دين سوء(١).

عن ابن عباس قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيُسْلِمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم، فإن وجدوا عام غَيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: «إن ديننا هذا لصالح، فتمسَّكُوا به» . وإن وجدوا عام جُدوبة وعام ولاد سَوء وعام قحط، قالوا: «ما في ديننا هذا خير» . فأنزل الله على نبيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ أي: فلا هو حصَل من الدنيا على شيء، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ أي: هذه هي الخسارة العظيمة، والصفقة الخاسرة.

---

(١) البخاري (٤٧٤٢).

وقولــه: ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ﴾ أي: مــن الأصــنام والأنـداد، يستغيث بهـا ويستنصـرها ويسـترزقها، وهـي لا تنفعـه ولا تضـره، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ ﴾ أي: ضـرره في الـدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن.

وقوله: ﴿ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ ﴾ : قال مجاهد: يعني الـوثن، يعنـي: بئس هذا الذي دعا به من دون الله مـولى، يعنـي: وليًا وناصـرًا، ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ ﴾ وهو المخالط والمعاشر.

واختار ابن جرير أن المراد: لبئس ابن العم والصـاحب مـن يعبـد الله علـى حرف، ﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾.

وقول مجاهد: إن المراد به الـوثن، أولـى وأقـرب إلـى سـياق الكـلام، والله أعلم.

ولما ذكر أهل الضلالة الأشقياء، عطف بذكر الأبرار السعداء، مـن الـذين آمنوا بقلوبهم، وصدّقوا إيمانهم بأفعالهم، فعملوا الصالحات من جميع أنـواع القربـات، وتركـوا المنكـرات فـأورثهم ذلـك سـكنى الـدرجات العاليـات، في روضات الجنات.

ولما ذكر أنه أضل أولئك، وهدى هؤلاء، قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح. فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝١٦﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – من كان يظن أن الله ﷻ لن ينصر نبيه محمدًا ﷺ، ويغتاظ إذا نصر الله نبيه محمدًا ﷺ، ويغتاظ إذا نصر الله نبيه محمدًا ﷺ، ويريد أن يفعل أي شيء لمنع النصر عن هذا النبي الكريم ﷺ وذلك حتى يُذهب عن نفسه الغيظ الذي يحصل له إذا انتصر هذا النبي الكريم، فليفعل ما استطاع فمهما فعل لمنع النصر عن هذا النبي ﷺ، ومن ثمَّ لإذهاب الغيظ عن نفسه، فلن يستطيع بحالٍ من الأحوال أن يُذهب الغيظ عن نفسه، ولن يستطيع بحالٍ من الأحوال أن يمنع نصرة هذا النبي، فليذهب ولينتحر وليشنق نفسه حتى يذهب عنه هذا الغيظ، ولو فعل أيضًا وشنق نفسه وذلك بحبل نزل من السماء أو من سقف البيت، فلن يتوقف نصر هذا النبي الكريم ﷺ، وكذا لن يمنعه الله من رزق كتبه له، فكما أنه لن يمتنع النصر ولن يمتنع الرزق فكذلك فلن يذهب هذا الغيظ ولو انتحر هذا المغتاظ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝١٦﴾ حاصل معناه: وكما بينت لكم حججي من قبلي، وقدرت على إحياء الأرض بعد موتها أنزلت هذا القرآن فيه آيات واضحات الدلالة ظاهرات المعاني، ولكن الله ﷻ هو الذي يوفق من أراد له الهداية والتوفيق.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالهاء التي في قوله: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾.

فقال بعضهم: عُنِي بها نبيّ الله ﷺ، فتأويله على قول بعض قائلي ذلك: من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل، وهو السبب إلى السماء: يعني سماء البيت، وهو سقفه، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به، فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك، وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ، يقول: هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ.

وأورد عن قتادة قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ يقول: بحبل إلى سماء البيت ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ يقول: ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ(١).

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ قال: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ، ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه ومنه: فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه، فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلى السماء، ثم ليقطع عن النبيّ ﷺ الوحي الذي يأتيه من الله، فإنه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه، فكايد ذلك حتى قطع أصله عنه. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ ما دخلهم من ذلك، وغاظهم الله به من نصرة النبي ﷺ، وما ينزل عليه.

قال الطبري: وقال آخرون ممن قال «الهاء» التي في قوله: ﴿يَنصُرَهُ﴾ من ذكر محمد ﷺ؛ معنى النصر هاهنا الرزق، فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام: من كان يظنّ أن لن يرزق الله محمدا في الدنيا، ولن يعطيه. وذكروا سماعا من العرب: من ينصرني نصره الله، بمعنى: من يعطيني أعطاه الله، وحكوا أيضا سماعا منهم: نصر المطر أرض كذا: إذا جادها وأحياها.

---

(١) وهو صحيح بمجموع طريقيه عن قتادة.

واستشهد لذلك ببيت الفقعسيّ:

وإنَّــكَ لا تُعْطِــي امْــرأً فَــوْقَ حَظِّــهِ ولا تَمْلِكُ الشَّــقَّ الَّذِي الغَيْثُ ناصِرُهُ

وقال آخرون: الهاء في ينصره من ذكر «مَنْ». وقالوا: معنى الكلام: من كان يظنّ أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ثم ليختنق، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ، أنه لا يرزق!

وأورد الطبري بسندٍ صحيح قال: سئل عكرمة عن قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: سماء البيت، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قال: يختنق.

قال الطبري:

وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبيّ الله ﷺ ودينه وذلك أن الله تعالى ذكره، ذكر قومًا يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدّون عن دينهم لشدّة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق. وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن، إذ كان كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا ﷺ وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سَني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبنّ كيده اختناقه كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه؛ حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يُؤَخِّر ما قضى

الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجَّل قبل حينه، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان، تباطئوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف أن لا ينصر محمد ﷺ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يُرَوُّوننا، فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد، فليمدد بسبب إلى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه، هل هو مُذْهِبٌ غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدّم نصره قبل حينه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما بيَّنت لكم حُججي على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه، فأوضحتها أيها الناس، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن آيات بيِّنات، يعني دلالات واضحات، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحقّ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحقّ من أراد، أنزل هذا القرآن آيات بيِّنات، فأن في موضع نصب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عباس: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ﷺ في الدنيا والآخرة، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أي: بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سماء بيته، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ يقول: ثم ليختنق به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وأبو الجوزاء، وقتادة، وغيرهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ليتوصل إلى بلوغ السماء، فإن النصر إنما يأتي محمدًا من السماء، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ذلك عنه، إن قدر على ذلك.

وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في التهكم؛ فإن المعنى: من ظن أن الله ليس بناصر محمدًا وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه، إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢]؛ ولهذا قال: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: واضحات في لفظها ومعناها، حجةً من الله على الناس ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أما هو فلحكمته ورحمته وعدله، وعلمه وقهره وعظمته، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال أبو جعفر النحاس: من أحسن ما قيل فيها أن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ﷺ وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه. ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء. ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ثم ليقطع النصر إن تهيأ له ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ وحيلته ما يغيظه من نصر النبي ﷺ. والفائدة في الكلام أنه إذا لم يتهيأ له الكيد والحيلة بأن يفعل مثل هذا لم يصل إلى قطع النصر. وكذا قال ابن عباس: «إن الكناية في ﴿يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ ترجع إلى محمد ﷺ، وهو وإن لم يجر ذكره فجميع الكلام دال

عليه ؛ لأن الإيمان هو الإيمان بالله وبمحمد ﷺ ، والانقلاب عن الدين انقلاب عن الدين الذي أتى به محمد ﷺ ؛ أي من كان يظن ممن يعادي محمدا ﷺ ومن يعبد الله على حرف أنا لا ننصر محمدا فليفعل كذا وكذا».

وعن ابن عباس أيضا «أن الهاء تعود على ﴿مَن﴾ والمعنى : من كان يظن أن الله لا يرزقه فليختنق ، فليقتل نفسه ؛ إذ لا خير في حياة تخلو من عون الله». والنصر على هذا القول الرزق.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

في هذه الآية الكريمة أوجه من التفسير معروفة عند العلماء ، وبعضها يشهد لمعناه قرآن .

الأول : أن المعنى : من كان من الكفرة الحسدة له ﷺ ، ﴿يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ ، أي أن لن ينصر الله نبيه محمداً ﷺ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أي بحبل إلى السماء : أي سماء بيته ، والمراد به السقف : لأن العرب تسمى كل ما علاك سماء كما قال:

وقد يسمى سماء كل مرتفع وإنما الفضل حيث الشمس والقمر

كما أوضحناه في سورة الحجر .

والمعنى : فليعقد رأس الحبل في خشبة السقف ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ليختنق بالحبل ، فيشده في عنقه ، ويتدلى مع الحبل المعلق في السقف حتى يموت ، وإنما أطلق القطع على الاختناق ، لأن الاختناق يقطع النفس بسبب حبس مجاريه ، ولذا قيل للبهر وهو تتابع النفس : قطع ، ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ إذا اختنق ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ أي هل يذهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله نبيه ﷺ ، في الدنيا والآخرة .

والمعنى : لا يذهب ذلك الذي فعله ذلك الكافر الحاسد ما يغيظه ويغضبه من نصر الله لنبيه محمد ﷺ .

قال الزمخشري : وسمي فعله كيداً ، لأنه وضعه موضع الكيد ، حيث لم يقدر على غيره ، أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده ، إنما كاد به نفسه ، والمراد : ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه ا ه منه .

وحاصل هذا القول : أن الله يقول لحاسديه ﷺ ، الذين يتربصون به الدوائر، ويظنون أن ربه لن ينصره : موتوا بغيظكم ، فهو ناصره لا محالة على رغم أنوفكم ، وممن قال بهذا القول : مجاهد ، وقتادة ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو الجوزاء ، وغيرهم . كما نقله عنهم ابن كثير ، وهو أظهرها عندي .

ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن : قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ﴾ .

الوجه الثاني: أن المعنى : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة ، والحال أن النصر يأتيه ﷺ من السماء ، فليمدد بسبب إلى السماء فيرتقي بذلك السبب ، حتى يصعد إلى السماء ، فيقطع نزول الوحي من السماء ، فيمنع النصر عنه ﷺ .

والمعنى : أنه وإن غاظه نصر الله لنبيه . فليس له حيلة ، ولا قدرة على منع النصر، لأنه لا يستطيع الارتقاء إلى السماء ومنع نزول النصر منها عليه ﷺ: وعلى هذا القول : فصيغة الأمر في قوله: ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ وقوله: ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ للتعجيز ﴿ فَلْيَنظُرْ ﴾ ذلك الحاسد العاجز عن قطع النصر عنه ﷺ : هل يذهب كيده إذا بلغ غاية جهده في كيد النَّبي ﷺ ، ما يغيظه من نصر الله لنبيه ﷺ .

والمعنى : أنه إن أعمل كل ما في وسعه ، من كيد النَّبي ﷺ ليمنع عنه نصر

الله ، فإنه لا يقدر على ذلك ، ولا يذهب كيده ما يغيظه من نصر الله لنبيه ﷺ .

ومما يشهد لهذا القول من القرآن قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [ص: ١٠-١١]

وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة الحجر .

وأورد قولًا ثالثًا وحكم عليه بالسقوط.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: إن الذين آمنوا والذين هادوا وهم اليهود، والصابئين، وهم قوم لا دين لهم، وقيل: هم قوم يعبدون الملائكة، والنصارى، والمجوس وهم قوم يعبدون النار ويخدمونها والذين أشكروا عن الله يفصل بينهم، يقضي بينهم يوم القيامة فيجازي كلًّا بعمله إن الله على كل شيء شهيد، شهيدٌ على الأقوال، وشهيدٌ على الأعمال، لا يخفى عليه شيء منها ولا يغيب، بل ويعلم خائنات الأعين وما تخفيه الصدور، وسيجازي كلًّا بعمله.

هذا، ومن أهل العلم من كان يحمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ في هذا المقام على أهل النفاق، كالذي يفهم من صنيع الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما الأكثرون فحملوها على أهل الإيمان الذين هم أهل التصديق والعمل والشهادتين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على

حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله، فذلك هو الفصل من الله بينهم.

وأورد من طريق معمر عن قتادة قال: الصابئون: قوم يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرءون الزبور. والمجوس: يعبدون الشمس والقمر والنيران. والذين أشركوا: يعبدون الأوثان. والأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد للرحمن.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ يقول: إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جلّ ثناؤه، وغير ذلك من الأشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين، ومن سواهم من اليهود والصابئين -وقد قدمنا في سورة «البقرة» التعريف بهم، واختلافَ الناس فيهم- والنصارى والمجوس، والذين أشركوا فعبدوا غير الله معه؛ فإنه تعالى ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ ، ويحكم بينهم بالعدل ، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تُكِن ضمائرهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولــه تعــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي بــالله وبمحمــد ﷺ. ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ اليهود، وهم المنتسبون إلى ملة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ هم قوم يعبدون النجوم. ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى. ﴿وَٱلْمَجُوسَ ﴾ هم عبدة النيران القائلين أن للعالم أصلين : نور وظلمة. قال قتادة : الأديان خمسة ، أربعة للشيطان وواحد للرحمن. وقيل : المجوس في الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات ؛ والميم والنون يتعاقبان كالغيم والغين ، والأيم والأين. وقد مضى في البقرة هذا كله مستوفى. ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ ﴾ هم العرب عبدة الأوثان . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ أي يقضي ويحكم ؛ فللكافرين النار ، وللمؤمنين الجنة.

وقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ أي من أعمال خلقه وحركاتهم وأقوالهم ، فلا يعزب عنه شيء منها ، سبحانه!

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: ألم تعلم أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض عمومًا، فكل من في السموات والارض يسجد لله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان الكافر يمتنع من السجود فظلُّهُ يسجد، وكذا فهو يخضع لأمر الله وأقدار الله تجري فيه وهو يريد أو لا يريد.

وكذا تسجد لله عَزَّوَجَلَّ الشمس والقمر مكا فيا لحديث عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في

شأن الشمس أنها تذهب فتسجد تحت العرش، وكذا تسجد لله ﷻ النجوم كما قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾ [الرحمن: ٦].

والجبال كذلك تسجد لله ﷻ، والشجر كذلك يسجد لله وكل ما يدب على وجه الأرض، وكثيرٌ من الناس يسجد لله طوعًا واختيارًا، وكثير منهم أبى أن يسجد لله ﷻ مختارًا، وإن كان ظله يسجد لله، فمن ثَمَّ ولكونه أبى أن يسجد، فحق عليه ما كتبه الله عليه من الشقاوة والعذاب، ومن يُهنه الله ﷻ ويذله فلن تجد له من يكرمه ويعزه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ۝١٨ ﴾ فيهين من يشاء ويذله، ويكرم من يشاء ويعزه وعمومًا يفعل ما يريد ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجنّ وغيرهم، والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدوابّ في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحولّ ظلّ كل شيء فهو سجوده.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي العالية الرياحي يقول: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعه.

وقوله: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ يقول: ويسجد كثير من بني آدم، وهم المؤمنون بالله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يهنه الله من خلقه فيُشْقِه، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾

بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفِّق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويُشقي من أراد، ويسعد من أحبّ.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] . وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرَمٍ﴾ بمعنى: فما له من إكرام، وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨﴾ [النحل: ٤٨]. وقال هاهنا: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من الملائكة في أقطار السموات، والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس والجن والدواب والطير، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ : إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عُبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وفي الصحيحين عن أبي ذر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدري أين تذهب هذه الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت**» .

ثم قال ابن كير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: الحيوانات كلها.

ثم قال:

وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يسجد لله طوعا مختارًا متعبدًا بذلك، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: ممن امتنع وأبى واستكبر، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

❊ ❊ ❊

س: هل هنا سجود في هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾؟

ج: الأحاديث الواردة في السجود عند هذه الآية بخصوصها كلها ضعيفة الأسانيد لكن نقل بعض العلماء الإجماع على مشروعية السجود فيها.

قال ابن عبد البر[(١)]: وأجمعوا على أن الأولى من الحج يُسجد فيها.

❊ ❊ ❊

(١) الاستذكار (٨/ ١٠٢)، ولمزيد انظر الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٥٩).

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن
نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ
٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ
أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ
مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ ﴾

[الحج: ١٩-٢٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿خَصۡمَانِ – ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ – قُطِّعَتۡ لَهُمۡ – ٱلۡحَمِيمُ – يُصۡهَرُ بِهِۦ – مَّقَٰمِعُ – مِنۡ غَمٍّ – يُحَلَّوۡنَ فِيهَا – أَسَاوِرَ – صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿خَصۡمَانِ﴾	فريقان بينهما خصومة
﴿ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾	تجادلوا في شأن الله ﷻ وتحاربوا من أجل ذلك فمن قائل إنه إله واحد وهم أهل الإيمان، ومنهم من جعل له شريك أو صاحبة أو ولد
﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ﴾	فصِّلت لهم – خيِّطت
﴿ٱلۡحَمِيمُ﴾	الماء المغلي الذي بلغ أعلى درجات غليانه
﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ﴾	يُذاب به
﴿مَّقَٰمِعُ﴾	مطارق من حديد
﴿مِنۡ غَمٍّ﴾	من شدة الغم والألم والعذاب
﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾	يلبسون فيها متحلين بها
﴿أَسَاوِرَ﴾	جمع أسورة، تُلبس في اليد
﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾	طريق الله ﷻ المحمود من أوليائه

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالخصمين المذكورين في قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم المتبارزون يوم بدر من أهل الإيمان حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ومن أهل الكفر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

أخرج البخاري من طريق قيس بن عباد قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ(١).

وعند البخاري أيضًا من طريق قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ قَيْسٌ (وَهُوَ أَحَدُ الرّوَاة): وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ، قَالَ: هُمْ الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَعُبَيْدَةُ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ(٢).

الثاني: أن المراد أهل الإيمان، وأهل الكتاب اليهود والنصارى.

الثالث: أن المراد أهل الإيمان، وأهل الكفر عمومًا.

الرابع: أن المراد الجنة والنار.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَحَاجَّتْ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ. فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،

---

(١) البخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٣٠٣).

(٢) البخاري (٤٧٤٤).

وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»(١).

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله، فقال بعضهم: أحد الفريقين: أهل الإيمان، والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر.

وأورد بعض الآثار بذلك ثم قال:

وقال آخرون: ممن قال أحد الفرقين فريق الإيمان، بل الفريق الآخر أهل الكتاب.

وقال آخرون منهم: بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أيّ ملة كانوا.

وقال آخرون: الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية: الجنة والنار.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أيّ أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حقّ عليه العذاب، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن

(١) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

نَارٖ﴾ وقال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ فكان بيِّنا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما رُوي عن أبي ذرّ إنَّ ذَلكَ نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: هذان فريقان يختصمون في الله ﷻ منهم من يقول إنه إلهٌ واحدٌ ومنهم من يقول معه شريك، منهم من يقول سنبعث بعد الموت، ومنهم من يقول الله غير قادر على هذا.

منهم من يقول إن الله ﷻ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ومنهم من يدعي لله ﷻ الولد، فاختصموا في الله ﷻ، وهذان الفريقان قدمنا ذكرهما منهم

المتبارزون يوم بدر، أهل الإيمان: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وأهل الكفر: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، تبارزوا بين يدي غزوة بدر، أي: قبيل المعركة خرجوا للمبارزة فكان النصر حليفًا لأهل الإيمان، ولا يقتصر الاختصام على هؤلاء، بل يمتد فيشمل كل كافر وكل مشرك.

ثم توعد الله ﷻ أهل الكفر فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ فصِّلت وخُيِّطت وحيكت لهم ثياب من نار على قدر أجسامهم ومع ذلك فالحميم، الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه يصب فوق رؤوسهم فيذاب به ما في بطونهم من أمعاء كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ فالذي في البطن من طعام وخلافه يُذاب وينصهر بسبب هذا الماء المغلي الذي يصب فوق رؤوسهم، وكذا تُصهر به الجلود وتذاب، ولهم أيضًا مقامع من حديد يضربون بها على رؤوسهم، فإذا رفعتهم النار على وجهها ضربوا بمطارق الحديد فردوا إلى أسفلها، فهذا قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ أرجعته مطارق الحديد التي يضرب بها على رأسه إلى النار مرةً ثانية، ويُقال لهم: ذوقوا عذاب النار المحرقة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن أورد الأقوال في الخصمين المختصمين في ربهم:

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما الكافر بالله منهما فانه يقطع له قميص من نحاس من نار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ يقول: يذاب بالحميم الذي يصبّ من فوق رءوسهم ما في بطونهم من الشحوم، وتشوى جلودهم منه

فتتساقط، والصهر: هو الإذابة، يقال منه: صهرت الألية بالنار: إذا أذبتها أصهرها صهرا؛ ومنه قول الشاعر.

تَـرْوِي لَقًـى أُلْقِـي فِي صَفْصَـفٍ   تَصْـهَرُهُ الشَّـمْسُ وَلا يَنْصَـهِر

ومنه قول الراجز:

شَـكَّ السَّـفافِيدِ الشَّـوَاءَ المُصْـطَهَرْ

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾ تضرب رءوسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم إليها.

وقوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ يقول: كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب، ردّوا إليها.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي ظبيان، قال: النار سوداء مظلمة، لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع، ويقولون لهم إذا ضربوهم بالمقامع: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

وقال:

وعني بقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ ويقال لهم ذوقوا عذاب النار، وقيل عذاب الحريق والمعنى: المحرق، كما قيل: العذاب الأليم، بمعنى: المؤلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ كقوله: ﴿ وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي

كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ٢٠] ومعنى الكلام: أنهم يهانون بالعذاب قولا وفعلا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني من الفرق الذين تقدم ذكرهم. ﴿ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ ﴾ أي خيطت وسويت ؛ وشبهت النار بالثياب لأنها لباس لهم كالثياب. وقوله ﴿ قُطِّعَتۡ ﴾ أي تقطع لهم في الآخرة ثياب من نار ؛ وذكر بلفظ الماضي لأن ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ١١٦] أي يقول الله تعالى. ويحتمل أن يقال قد أعدت الآن تلك الثياب لهم ليلبسوها إذا صاروا إلى النار. وقال سعيد بن جبير : ﴿ مِّن نَّارٖ ﴾ من نحاس؛ فتلك الثياب من نحاس قد أذيبت وهي السرابيل المذكورة في ﴿ قَطِرَانٖ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] وليس في الآنية شيء إذا حمي يكون أشد حرا منه. وقيل : المعنى أن النار قد أحاطت بهم كإحاطة الثياب المقطوعة إذا لبسوها عليهم ؛ فصارت من هذا الوجه ثيابا لأنها بالإحاطة كالثياب ؛ مثل ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ [النبأ: ١٠]. ﴿ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ أي الماء الحار المغلى بنار جهنم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يُصۡهَرُ ﴾ يذاب. ﴿ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ ﴾ والصهر إذابة الشحم. والصهارة ما ذاب منه ؛ يقال : صهرت الشيء فانصهر ، أي أذبته فذاب ، فهو صهير. قال ابن أحمر يصف فرخ قطاة :

تروي لقى ألقي في صفصف ... تصهره الشمس فما ينصهر

أي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك. ﴿ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي وتحرق الجلود ،

أو تشوى الجلود ؛ فإن الجلود لا تذاب ؛ ولكن يضم في كل شيء ما يليق به ، فهو كما تقول : أتيته فأطعمني ثريدا ، إي والله ولبنا قارصا ؛ أي وسقاني لبنا.

وقال الشاعر :

علفتهـــا تبنـــا ومـــاء بـــاردا

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ أي يضربون بها ويدفعون ؛ الواحدة مقمعة ، ومقمع أيضا كالمحجن ، يضرب به على رأس الفيل. وقد قمعته إذا ضربته بها. وقمعته وأقمعته بمعنى ؛ أي قهرته وأذللته فانقمع. قال ابن السكيت : أقمعت الرجل عني إقماعا إذا طلع عليك فرددته عنك. وقيل : المقامع المطارق ، وهي المرازب أيضا.

وقال القرطبي أيضًا:

وقيل : المقامع سياط من نار ، وسميت بذلك لأنها تقمع المضروب ، أي تذلله.

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ ﴾ أي من النار. ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ بالضرب بالمقامع. وقال أبو ظبيان : ذكر لنا أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش بهم وتفور فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان إليها بالمقامع. وقيل : إذا اشتد غمهم فيها فروا ؛ فمن خلص منهم إلى شفيرها أعادتهم الملائكة فيها بالمقامع ، ويقولون لهم ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ أي المحرق ؛ مثل الأليم والوجيع. وقيل : الحريق الاسم من الاحتراق. تحرق الشيء بالنار واحترق ، والاسم الحرقة والحريق. والذوق : مماسة يحصل معها إدراك الطعم ؛ وهو هنا توسع ، والمراد به إدراكهم الألم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾؟

ج: هذا –والله تعالى أعلم–: بيانٌ لما أعده الله ﷻ لأهل طاعته والإيمان به والعمل بما أمر واجتناب ما نهى عنه وجز فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ ﴾ حدائق وبساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا ﴾ يلبسون فيها حلية هي أساور من ذهب تلبس في أيديهم، ويحلون باللؤلؤ كذلك في الأيدي مع الأساور، وباللؤلؤ عمومًا في المواضع التي يُتزين فيها، أما عن الثياب المباشرة للأجسام فهي من حرير، ولكن شتان ما بين حرير الدنيا وحرير الآخرة، وهذا الحرير الذي كان محرمًا عليهم –على ذكورهم– في الدنيا أبيح لهم يوم القيامة. أما قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: وهداهم الله ﷻ إلى القول الطيب، وأطيب القول شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهدوا إلى طريق الله ﷻ المحمود من أوليائه الصالحين وعباده المطيعين، وهذا الطريق هو طريق الإسلام.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال، فإن الله يُدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، فيحليهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا.

وقوله: ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ يقول: ولبوسهم التي تلي أبشارهم

فيها ثياب حرير. قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال: هدوا إلى الكلام الطيب: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله؛ قال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الربّ الحميد، وطريقه: دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه؛ والحميد: فعيل، صرّف من مفعول إليه، ومعناه: أنه محمود عند أوليائه من خلقه، ثم صرّف من محمود إلى حميد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار، عياذًا بالله من حالهم، وما هم فيه من العذاب والنَّكال والحريق والأغلال، وما أعد لهم من الثياب من النار، ذكر حال أهل الجنة -نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة- فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أي: تتخرّق في أكنافها وأرجائها وجوانبها، وتحت أشجارها وقصورها، يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ من الحلية، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ أي: في أيديهم، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه(١): «**تبلغ الحِلْيَة من المؤمن حيث يبلغ الوُضُوء**».

وقوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾: في مقابلة ثياب أهل النار التي

---

(١) مسلم (٤٠/ ٢٥٠).

فصلت لهم، لباس هؤلاء من الحرير، إستبرقه وسُنْدُسه، كما قال: ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢ ﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢]، وفي الصحيح[(١)]: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**».

قال عبد الله بن الزبير: ومن لم يلبس الحرير في الآخرة، لم يدخل الجنة، قال الله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ ﴾

وقوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ كقوله ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣ ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وقوله: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وقوله: ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب، ﴿ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ ﴾ [الفرقان: ٧٥]، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يُرَوّعون به ويقرعون به، يقال لهم: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ ﴾

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ ﴾ أي: إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم، على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم، كما جاء في الصحيح: «**إنهم يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النَّفَس**».

وقد قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ أي: القرآن. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: الأذكار المشروعة، ﴿ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ أي: الطريق المستقيم في الدنيا. وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه، والله

(١) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣)، وانظر كذلك البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩).

أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي أرشدوا إلى ذلك. قال ابن عباس: «يريد لا إله إلا الله والحمد لله». وقيل: القرآن، ثم قيل: هذا في الدنيا، هدوا إلى الشهادة، وقراءة القرآن. ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٢٤﴾ أي إلى صراط الله. وصراط الله: دينه وهو الإسلام. وقيل: هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول، وهو الحمد لله؛ لأنهم يقولون غدا الحمد لله الذي هدانا لهذا، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن؛ فليس في الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو طيب القول. وقد هدوا في الجنة إلى صراط الله، إذ ليس في الجنة شيء من مخالفة أمر الله. وقيل: الطيب من القول ما يأتيهم من الله من البشارات الحسنة. ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٢٤﴾ أي إلى طريق الجنة.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ
عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي
شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن
فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ
٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨
ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ
٢٩ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ
لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ
ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن
يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي
مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١ ﴾

[الحج: ٢٥-٣١]

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - سَوَآءً - ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ - يُرِدْ فِيهِ - بِإِلْحَادٍ - بَوَّأْنَا - وَٱلْقَآئِمِينَ - وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ - رِجَالًا - ضَامِرٍ - فَجٍّ عَمِيقٍ - أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ - بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ - ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ - لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ - وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ - وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ - يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ - فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ - قَوْلَ ٱلزُّورِ - حُنَفَآءَ لِلَّهِ - خَرَّ - سَحِيقٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	ويصرفون الناس عن طريق الله ﷻ وعن دينه (عن الإسلام).
﴿سَوَآءً﴾	يستوي
﴿ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾	المقيم فيه والوافد إليه
﴿يُرِدْ فِيهِ﴾	ينوي فيه (شرًّا)
﴿بِإِلْحَادٍ﴾	إلحادًا، يعني ميلًا عن الحق إلى الباطل وعن الطاعة إلى المعصية
﴿بَوَّأْنَا﴾	أنزلنا – هيئنا – وضحنا – أظهرنا
﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾	القائمين في صلاتهم
﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾	نادِ في الناس أن الله كتب عليكم الحج
﴿رِجَالًا﴾	على أرجلهم

﴿ضَامِرٍ﴾	الإبل المضمرة هي التي أُعدت للسفر فأُطعمت طعامًا معينًا وحبست لتقوى على السير، وقيل: المراد الإبل الهزيلة من طول السفر
﴿فَجٍّ عَمِيقٍ﴾	طريق بعيد
﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾	المراد أيام العشر الأول من ذي الحجة، وقيل: هي يوم النحر وثلاثة أيام التشريق
﴿بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾	الأنعام الثمانية (الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز) (الأنعام التي لا تتكلم)
﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾	الفقير شديد الفقر، والمريض مرضًا مزمنًا
﴿لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾	ليتموا أعمال حجهم من حلق شعر وقص أظفار
﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾	ليفعلوا النذور التي أنذروها.
﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾	يطوفوا
﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾	الكعبة قديمة البناء إذ هي أول بيت وضع للناس
﴿يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾	لا يتركب المحرمات التي حرمها الله ولا ينتهك حرمًا الأماكن التي حرمها الله
﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾	فابتعدوا عن الأصنام النجسة والنجسة عبادتها كذلك
﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾	القول الذي فيه ميل عن الحق، ومنه الشرك، وشهادات الزور على العباد مائلين عن الشرك إلى
﴿خَرَّ﴾	سقط

﴿سَحِيقٍ﴾	عميق

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – إن الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ وأنكروها وجعلوا له شريكًا في الملك، هؤلاء من شأنهم أنهم يصرفون الناس عن طريق الله ﷻ وطريق جنته ومرضاته ويمنعونهم من الدخول في دينه الذي شرعه لعباده، وكذا يصدون أهل الإيمان، يمنعونهم من دخول المسجد الحرام وإقامة دينهم فيه، ويمنعونهم من الحج والاعتمار كالذي صدر عام الحديبية، إذ منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من الدخول للاعتمار.

فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ خبرٌ وجوابه أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، كما في الآية الأخرى في شأن أهل الإيمان الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله فمن الأقوال فيها.

الذين آمنوا شأنهم وخبرهم أن قلوبهم تطمئن بذكر الله ﷻ.

فهذا وجهٌ من الوجه.

ووجهٌ آخر أن يقال: إن الذين كفروا وصدوا الناس عن الإيمان ومنعوهم من الدخول في الإسلام، وكذا منعوا الناس من بيت الله الحرام والحج والاعتمار والصلاة فيه، عليهم أن يعلموا أن من يُرد فيه إلحادًا (ميلًا عن الحق إلى الباطل وعن الطاعة إلى المعصية، وعن العدل والاتصاف إلى الظلم والعدوان وميلًا عن الإيمان إلى الشرك وغير ذلك من صور الإلحاد) من يرد هذه الإلحاد، وهو ظالم نذقه من عذاب أليم.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ فحاصل معناه

أن الله ﷻ أخبر بأنه جعل المسجد الحرام للناس كلهم سواء أهل مكة والحرم وهم العاكفون فيها وسواء الوافدون على مكة.

فهؤلاء وأولئك سواء في المسجد الحرام يستوون فيه.

أما قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾ فمن العلماء من قال إن الناس (المسلمين) كلهم سواء في مكة، ينزلون فيها حيث شاءوا ويتنقلون فيها حيث أرادوا ويعبدون ربهم ﷻ موحدين وكلهم سواء في المنازل، ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ أي: أن أهله والوافدين عليه سواء في العبادة لا يُمنعون ولا يُصدون عنه، أما البيوت فيجوز تأجيرها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ فمن العلماء من قال: إن الباء في قوله تعالى: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ كالباء في قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والمعنى تنبت الدهن فبنحو هذا قالوا في قوله تعالى: ﴿بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ أي: إلحادًا بظلم.

ثم إن من العلماء من قال: إن إرادة السوء والعزم على فعله في الحرم يعذب صاحبه أشد من عزمه في أي مكان كان، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ ثم تعددت أقوال العلماء في بيان صورة الإلحاد الذي عناه الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ مع العلم بأن معنى الإلحاد الميل، فمن قائل من العلماء أن الإلحاد هو الشرك، ومنه الميل عن التوحيد.

فالمعنى ومن يرد فيه شركًا فعبد غير الله ﷻ، وهو لنفسه ظالم، قد بخسها حقها إذ أنزلها بشركه أسوأ المنازل.

ومن العلماء من قال: إن الإلحاد استحلال فعل المحرمات في الحرم.

ومنهم من قال: إنه يدخل فيه احتكار الطعام وظلم العباد.

ومنهم من قال: إن الإلحاد فعل المنهي عنه عمومًا.

من الشرك والكفر والمعاصي وظلم العباد والبدع وغير ذلك.

وهذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله، وكذّبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض؛ ﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام، وقضاء نسكه به، والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه، وهو المقيم به؛ والباد: وهو المنتاب إليه من غيره.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه؛ والباد، في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي حصين، قال: قلت لسعيد بن جُبير: أعتكف بمكة، قال: أنت عاكف. وقرأ: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ .

وبإسناد صحيح قال ابن زيد، في قوله: ﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ قال: العاكف فيه: المقيم بمكة؛ والباد: الذي يأتيه هم فيه سواء في البيوت.

وأورد بإسناد فيه مقال عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقولــه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ يقــول تعــالى ذكره: ومن يرد فيه إلحادا بظلم نذقه من عذاب أليم، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم، وأدخلت الباء في قوله بإلحاد، والمعنى فيه ما قلت، كما أدخلت في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والمعنى: تنبت الدهن.

واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام، أذاقه الله من العذاب الأليم، فقال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به: أي بالبيت.

وأورد بإسناد فيه مقالٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ يقول: بشرك.

وبإسناد صحيح عن سليمان بن طرفان: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ قال: هو الشرك، ومن أشرك في بيت الله عذبه الله.

قال الطبري: وقال آخرون: هو استحلال الحرم فيه أو ركوبه(١).

وأورد بإسناد حسن عن مُرة عن عبد الله (وهو ابن مسعود) قال: ما من رجل يهم بسيئةٍ فتكتب عليه ولو أن رجلًا بعدن أَبين هم أن يقتل رجلًا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم(٢).

ثم قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم: استحلال الحرم متعمدا.

وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة.

وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل، حتى قول القائل: لا والله، وبلى والله.

---

(١) معنى ركوبه أي: ركوب المعاصي والمحرمات، يعني: فعلها.

(٢) (عدن أبين) بلدة معروفة.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو، قال: كان له فسطاطان: أحدهما في الحلّ، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحلّ، فسئل عن ذلك، فقال: كنا نحدّث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله.

ثم قال أبو جعفر(١): وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس، من أنه معنيّ بالظلم في هذا الموضع كلّ معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على الكفار في صدّهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام، وقضاء مناسكهم فيه، ودعواهم أنهم أولياؤه: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ [الأنفال: ٣٤].

وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية، كما قال في سورة «البقرة»: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: هاهنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: ومن صفتهم مع كفرهم أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، أي: ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر، وهذا التركيب في هذه

(١) وهو الطبري.

الآيــة كقولــه تعــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] أي: ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله.

وقوله: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ ﴾ أي: يمنعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام، وقد جعله الله شرعا سواء، لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه البعيد الدار منه، ﴿ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ ﴾ ومن ذلك استواء الناس في رباع مكة وسكناها، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ ﴾ قال: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.

وقال مجاهد: ﴿ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ ﴾ : أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض وجوه الاختلاف في ذلك فقال:

وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهَويه بمسجد الخِيف، وأحمد بن حنبل حاضر أيضًا، فذهب الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر، واحتج بحديث الزهري، عن علي بن الحُسَين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، أتنزل غدًا في دارك بمكة؟ فقال: «**وهل ترك لنا عَقيل من رباع**» . ثم قال: «**لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر**»[١] . وهذا الحديث مُخَرّج في الصحيحين وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية دارا بمكة، فجعلها سجنا بأربعة آلاف درهم. وبه قال طاوس، وعمرو بن دينار.

وذهب إسحاق بن راهَويه إلا أنها تورث ولا تؤجر. وهو مذهب طائفة من

---

(١) البخاري (٤٢٨٢، ٤٢٨٣).

السلف، ونص عليه مجاهد وعطاء.

وأورد بعض الآثار والأحاديث فيها بعض المقال ثم قال:

«وتوسط الإمام أحمد فقال: تملك وتورث ولا تؤجر، جمعا بين الأدلة، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ قال بعض المفسرين من أهل العربية: الباء هاهنا زائدة، كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي: تُنْبِتُ الدهن، وكذا قوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ تقديره إلحادًا، وكما قال الأعشى:

ضَمِنَتْ برزق عيالنا أرْماحُنا ... بين المَرَاجِل، والصّريحَ الأجرد

وقال الآخر:

بوَاد يَمانٍ يُنْبتُ الشَّثّ صَدْرُهُ ... وَأَسْفَله بالمَرْخ والشَّبَهَان

والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى «يَهُمّ»، ولهذا عداه بالباء، فقال: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ أي: يَهُمّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار.

وقوله: ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي: عامدا قاصدا أنه ظلم ليس بمتأول.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقَب البادي فيه الشر، إذا كان عازما عليه، وإن لم يوقعه.

ثم قال ابن كثير بعد إيراد جملة من الآثار:

وهذه الآثار، وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد، ولكنْ هُو أعم من ذلك، بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها، ولهذا لما هم أصحاب الفيل

على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾ [الفيل: ٤ ، ٥]، أي: دمَّرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراده بسوء؛ ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**يغزو هذا البيت جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بأولهم وآخرهم**» الحديث(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ قيل: إنه المسجد نفسه، وهو ظاهر القرآن؛ لأنه لم يذكر غيره. وقيل: الحرم كله؛ لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه عام الحديبية، فنزل خارجا عنه؛ قال الله تعالى: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [الفتح: ٢٥] وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [الإسراء: ١]. وهذا صحيح، لكنه قصد هنا بالذكر المهم المقصود من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي للصلاة والطواف والعبادة؛ وهو كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ العاكف: المقيم الملازم. والبادي: أهل البادية ومن يقدم عليهم. يقول: سواء في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه الحاضر والذي يأتيه من البلاد؛ فليس أهل مكة أحق من النازح إليه. وقيل: إن المساواة إنما هي في دوره ومنازله، ليس المقيم فيها أولى من الطارئ عليها. وهذا على أن المسجد الحرام الحرم كله؛ وهذا قول مجاهد ومالك؛ رواه عنه ابن القاسم.

(١) انظر البخاري حديث (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨١).

وروي عن عمر (١) وابن عباس وجماعة «إلى أن القادم له النزول حيث وجد ، وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى». وقال ذلك سفيان الثوري وغيره ، وكذلك كان الأمر في الصدر الأول ، كانت دورهم بغير أبواب حتى كثرت السرقة ؛ فاتخذ رجل بابا فأنكر عليه عمر وقال : أتغلق بابا في وجه حاج بيت الله ؟ فقال : إنما أردت حفظ متاعهم من السرقة ، فتركه فاتخذ الناس الأبواب. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا أنه كان يأمر في الموسم بقلع أبواب دور مكة ، حتى يدخلها الذي يقدم فينزل حيث شاء ، وكانت الفساطيط تضرب في الدور. وروي عن مالك أن الدور ليست كالمسجد ولأهلها الامتناع منها والاستبداد ؛ وهذا هو العمل اليوم. وقال بهذا جمهور من الأمة.

﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ شرط ، وجوابه ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾.

والإلحاد في اللغة : الميل ؛ إلا أن الله تعالى بين أن الميل بالظلم هو المراد.

ثم قال: وهذا الإلحاد والظلم يجمع المعاصي من الكفر إلى الصغائر ؛ فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه. ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة. هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم. وقد ذكرناه آنفا.

❁ ❁ ❁

س: هل السيئات تضاعف بمكة؟

ج: أما كخبرٍ صريح عن رسول الله ﷺ فلا أعلم شيئًا ثابتًا، إما مستنبطًا فهنالك أدلة على أن جزاء السيئات بمكة أعظم من جزائها بغيرها.

ومن ذلك قوله تعالى في شأن الحرم: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ

(١) والسند إلى عمر فيه كلام.

عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فمعناه أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم، ومن مفهومه أن من ظلم انتهك حرمة النهي أيضًا.

وكذلك قوله ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذه...**»(١).

إلى غير ذلك من العمومات الواردة في هذا الصدد، وقد تقدمت بعض الآثار في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات، فتكون المعصية معصيتين، إحداهما: بنفس المخالفة، والثانية: بإسقاط حُرمة البلد الحرام؛ وهكذا الأشهر الحُرُم سواء.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر يا رسول الله إذ أنزلنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمكة عند المكان الذي فيه البيت الحرام، وأرشدناه إلى مكان البيت وبيّناه له وأذنّ له في بنائه، وعهدنا إليه عهدًا أن يبني البيت على اسم الله وحده، وكي يُعبد الله عَزَّ وَجَلَّ وحده، وحذرنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وغيره له تبع من الشرك وأمرناه أن يطهر هذا البيت، يطهره من الشرك والبدع والخرافات والمحدثات والقاذورات إن اعتراه شيء من ذلك.

طهراه ونظفاه للطائفين الذين يريدون الطواف بالكعبة إذ هي البيت كما

---

(١) انظر البخاري حديث (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

قال تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]، وكذا طهراه لمن يريد الصلاة فيه بما فيها من ركوع وسجود وقيام

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مُعْلِمَه عظيم ما ركب من قومه قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه، والبيت الذي أمر إبراهيم خليله ﷺ ببنائه وتطهيره من الآفات والرِّيَب والشرك: واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري، إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم، يعني بقوله: بوأنا: وطأنا له مكان البيت.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ، قال: لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة، فقام هو وإسماعيل، وأخذا المعاول، لا يدريان أين البيت، فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخَجُوج، لها جناحان ورأس في صورة حية، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأوّل، واتبعاها بالمعاول يحفران، حتى وضعا الأساس، فذلك حين يقول: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني بالبيت: الكعبة ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ في عبادتك إياي ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ ﴾ الذي بنيته من عبادة الأوثان.

قوله: ﴿لِلطَّآئِفِينَ ﴾ يعني اللطائفين به والقائمين بمعنى المصلين الذين هم قيام في صلاتهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ قال: القائم والراكع واساجد هو المصلي والطائف هو الذين يطوف به.

وقوله: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾. يقول: والركع السجود في صلاتهم حول البيت.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسسّتْ من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بَوأ إبراهيم مكانَ البيت، أي: أرشده إليه، وسلمه له، وأذن له في بنائه.

واستدل به كثير ممن قال: «إن إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هو أول من بنى البيت العتيق، وأنه لم يبن قبله»، كما ثبت في الصحيح (١) عن أبي ذر قلت: يا رسول الله، أي مسجد وُضعَ أول؟ قال: «**المسجد الحرام**». قلت: ثم أي؟ قال: «**بيت المقدس**». قلت كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**».

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقال تعالى هاهنا: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ أي: ابْنه على اسمي وحدي، ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ ﴾ قال مجاهد وقتادة: من الشرك، ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له.

فالطائف به معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة

---

(١) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠/٢٢١).

من الأرض سواها، ﴿ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾ أي: في الصلاة؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ فقرن الطواف بالصلاة؛ لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه في غالب الأحوال، إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب، وفي النافلة في السفر، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي واذكر إذ بوأنا لابراهيم، يقال: بوأته منزلا وبوأت له.

كما يقال: مكنتك ومكنت لك، فاللام في قوله: ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ ﴾ صلة للتأكيد، كقوله: ﴿ردف لكم﴾ [النمل: ٧٢]، وهذا قول الفراء.

وقيل: ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي أريناه أصله ليبنيه، وكان قد درس بالطوفان وغيره، فلما جاءت مدة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمره الله ببنيانه، فجاء إلى موضعه وجعل يطلب أثرا، فبعث الله ريحا فكشفت عن أساس آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فرتب قواعده عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقالت فرقة: الخطاب من قوله: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ ﴾ لمحمد ﷺ، وأمر بتطهير البيت والاذان بالحج.

والجمهور على أن ذلك لابراهيم، وهو الاصح.

وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء.

وقيل: عنى به التطهير عن الاوثان، كما قال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ [الحج: ٣٠]، وذلك أن جرهما والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت وحوله قبل أن يبنيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقيل: المعنى نزه بيتي عن أن يعبد فيه صنم.

وهذا أمر بإظهار التوحيد فيه.

س: الذي ييسر للناس أمر عبادتهم له في ذلك أسوة وهو مثاب في ذلك وضح ذلك.

ج: نعم الذي ييسر للناس أمر عبادتهم كأن ينشأ مسجدًا للصلاة فيه أو الاعتكاف أو يأتيهم بمصحف أو بكتاب علم يدارسونه أو ييسر لهم سبيل الحج والعمرة أو غير ذلك من صور تيسير العبادات له في ذلك سلف صالح وهو إبراهيم عليه السلام إذ الله أمره أن يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع والسجود.

وقد ثبتت عن النبي عليه السلام عدة أحاديث في فضل بناء المساجد وتطهرها وتظيفها فكل ذلك دالُ على ذُكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم أمرٌ من الله عز وجل الخليل إبراهيم عليه السلام أن يُنادى في الناس أن الله عز وجل قد فرض عليكم الحج فحجوا، وقد قال بعض العلماء إن المراد بالناس هنا أهل الإسلام، فنادى إبراهيم عليه السلام في الناس كما أمره ربُّه عز وجل فبلغ الله نداءه إلى الخلق فإن قيل، وكيف كان ذلك فالجواب الطريقة التي يريدها الله عز وجل والتي حصل بها البلاغ على ألسنة الرسل، وقد وصل بها إلينا

عن طريق سيدنا محمد ﷺ وبالقرآن الذي أنزل الله ﷻ عليه هذا، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يصح بمجموع طرقه، وحاصله أن إبراهيم عليه السلام أُمر بالبلاغ فقال يا رب وإلى أي مدى يبلغ صوتي؟ فأجيب بما حاصله أن عليك الأذان وعلى الله البلاغ فنادى في الناس بالحج فسمعه ما بين السماء والأرض..

قلت (مصطفى): والحاصل أن من على كل شيء قدير، وقد أمتثل الخليل عليه السلام الأمر وبلغ الله ﷻ نداءه واستجاب لذلك أهل الإيمان.

أن قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي يأتون بيت الله الحرام مشاة على أرجلهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ فحاصل معناه أنهم وكما أن منهم من يأت ماشيًا، فمنهم أيضًا من يأتون ركبانا على الإبل التي ضمرت أُعلفت علقًا معينًا وحبست بطريقة معينة حتى تقوى على المسير موصلة إلى البيت العتيق ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ من كل طريق بيعد، ومن كل مكان بعيد، وصلت وهي مهزولة مرهقة من طول السفر ووعثاءه إلى بيت الله الحرام.

وهنا قد أثار العلماء سؤالًا حاصله هل الحج ماشيًا أفضل أم الحج راكبًا فرجح بعضهم المشي لكون الماشي ذكرًا أولًا في قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ وحج آخرون الركوب لأن النبي ﷺ حج راكبًا والظاهر، والله أعلم أن هذا يختلف من شخصٍ على شخصٍ، ومن حال إلى حال.

أما قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي ليشهد هؤلاء الحجيج منافع لهم من وراء اجماعهم ومن قدومهم إلى الحج، ومن تلك المنافع اجتماعاتهم التي يجتمعون فيها ويتباحثون في أمورهم وما ينفعهم. ومن تلك المنافع تبادل

السلع والتجارات والأرباح من وراء تلك التجارات، فهذه الآية دليل لمن قال بجواز التجارة في موسم الحج، وكذا من الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨] فهي دالة أيضًا على جواز الإتجار في الحج، وقد فصلت فيه في سورة البقرة.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فقد اختلف العلماء في المراد بالأيام المعلومات فقال كثيرٌ من أهل العلم إنها العشر الأول من ذي الحجة، وقالوا وهي التي أقسم الله بها إذ قال ﴿وَٱلْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ②﴾ [الفجر: ١-٢].

وقال بعضهم إنها الأيام التي عناها الله بقوله: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٢] العشر وقد ورد في فصل العشر الأول من ذي الحجة بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ منها ما أخرجه البخاري (١) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: « **مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ** ». يَعْنِى أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَ: «**وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ**».

وفي رواية لأبي داود (٢) «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**». يَعْنِى أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَ «**وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ**».

وقد قدمت الحديث في ذلك في سورتي الفجر والبقرة.

---

(١) رواه البخاري (٩٦٩).

(٢) أبو داود (٢٤٣٨).

* أن القول الثاني: في المراد بالأيام المعلومات أنها يوم النحر وثلاث أيام من ذي الحجة، أي أيام التشريق الثلاثة، والله أعلم.

هذا ولهذه الآية الكريمة، وعند من ذهبوا إلى أن الأيام المعلومات هي أيام العشر الأول من ذي الحجة لهذا ذهب كثير من العلماء إلى استحباب بالإكثار من ذكر الله ﷻ فيها للآية ولما ذكرت من الحديث عن رسول الله ﷺ.

أم قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ أي يذكروا اسم الله عليها عند إرادة ذبحها أو نحرها.

فإن قال قائل، وما بصحبة الأنعا؟ فجوابه أن الأنعام كثيرًا ما تطلق ويراد بها الأنعام الثمانية التي عناها الله بطوله ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٨] وقال: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]. فهي الجل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة، والجدي من العز.

وأحيانًا تطلق الأنعام، ويراد بها الإبل خاصة (الجمل والناقة)

فإن قال قائل والذبائح التي تذبح في هذه الأيام العشر؟ وهي الأضاحي لا تكون إلا بعد صلاة العيد.

أما الذبائح التي تذبح فيمكن أن تحل على ذبائح تطوع يتطوع بها المحسنون في تلك الأيام من باب إطعام الطعام.

أما قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾.

﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨﴾ أي الفقير شديد الفقر والمسكين وقيل الفقير الزمي على الفقير المريض مرضًا مُزمنان فل مال عنده للإنفاقن ولا قدره له على العمل والكسب أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ أي ثم

ليتموا أعمال نسكم فيحلفوا رؤوسهم ولا يقصوا أظافرهم ويرزقوا وينتفوا آباطهم ويخلعوا ملابس أجسامهم ويتموا ما بقي من أعمال نسكهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ تلك النذور التي قطعوها على أنفسهم وأخذوها على أنفسهم، فمنهم من كان نذر أن ينحر عند الحرم أو يذبح عنده أو في منى أو في غيرها من الحرم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

أي ليطوفوا حول الكعبة، قال بعض أهل العلم أن المراد بالطواف طواف الإفاضة وقال آخرون إنه طواف الوداع بعد قضاء الحج وعد إرادة الانصراف، وقيل إنه طواف تطوع فالله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ فقيل إن معناه القديم، إذ الله قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وكما في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد سأله أبو ذر يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول قال المسجد الحرام قال ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى (١).

وقيل العتيق المعتق من الجبابرة لم يستطلوا عليه، والأول أظهر والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: عهدنا إليه أيضا أن أذّن في الناس بالحجّ: يعني بقوله: ﴿وَأَذِّن﴾ أعلم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام ﴿يَأْتُوكَ

(١) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

﴿رِجَالًا﴾ يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يقول: وركبانًا على كلّ ضامر، وهي الإبل المهازيل ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ يقول: تأتي هذه الضوامر من كل فجّ عميق: يقول: من كلّ طريق ومكان ومسلك بعيد. وقيل: يأتين. فجمع لأنه أريد بكل ضامر: النوق. ومعنى الكلّ: الجمع، فلذلك قيل: يأتين. وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب: مررت على كلّ رجل قائمين. قال: وهو صواب، وقول الله ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾ ينبيء على صحة جوازه. وذُكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحجّ، قام على مقامه فنادى: يا أيها الناس أن الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق.

وقد اختُلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك. فقال بعضهم: نادى بذلك.

وأورد من وجوه عن ابن عباس رضي الله عنهما تصح بمجموع طرقها أنه قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال: ربّ وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فحجوا- قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون.

وفي لفظٍ آخر عن ابن عباس قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذّن في الناس بالحجّ، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبَّيك اللهم لبَّيك.

وفي لفظ ثالث: قوله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كُتب عليكم الحجّ، فأسمع من في أصلاب

الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبَّيك اللهمّ لبَّيك.

وبالجملة فهذه تصح بمجموعها عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأورد بإسنادٍ حسن عن سعيد بن جُبير: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ قال: وقرت في قلب كل ذكر وأنثى.

وبإسنادٍ يصحح قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، قام على المقام، فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه، قال داود: فأرجو من حجّ اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام.

ثم قال: وقال آخرون في ذلك.

ثم أورد أثر مجاهد قال: قيل لإبراهيم، أذن في الناس بالحجّ، قال: يا ربّ كيف أقول؟ قال: قل لبيك اللهمّ. قالك فكانت أول التلبية.

وسنده صحيح إلى مجاهد وأورد آثار في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ يعني مشاة وعلى كل ضامر (الإبل).

و﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ من كل مكان بعيد.

ثم قال: قوله: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم: هي التجارة ومنافع الدنيا.

وقال آخرون: هي الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا.

وقال آخرون: بل هي العفو والمغفرة.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يَشْهَد له

الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت.

وقوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكي يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبُدْن التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم، في أيام معلومات، وهنّ أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل. وفي قول بعضهم أيام العَشْر. وفي قول بعضهم: يوم النحر وأيام التشريق.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يقول: كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك. وهذا الأمر من الله جلّ ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب، وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحُجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك، إن لم يأكل من هديه أو بدنته، أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب.

وأورد بإسناد صحيح: عن مجاهد، أنه قال: هي رخصة: إن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل، وهي كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] يعني قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

وقوله: ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾ يقول:

وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام من هديكم وبُدنكم البائس، وهو الذي به ضرّ الجوع والزمانة والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له.

وقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ يقول: تعالى ذكره: ثم ليقضوا ما عليهم من

مناسك حجهم: من حلق شعر، وأخذ شارب، ورمي جمرة، وطواف بالبيت.

وقوله: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ يقول: وليوفوا الله بما نذروا من هَدي وبدنة وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾ يقول: وليطوّفوا ببيت الله الحرام.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ٱلۡعَتِيقِ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: قيل ذلك لبيت الله الحرام، لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه.

وقال آخرون: قيل له عتيق، لأنه لم يملكه أحد من الناس.

وقال آخرون: سُمِّي بذلك لقدمه.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد في قوله: ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ قال العتيق: القديم، لأنه قديم، كما يقال: السيف العتيق، لأنه أوّل بيت وُضع للناس بناه آدم، وهو أوّل من بناه، ثم بوّأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق، فبناه إبراهيم وإسماعيل.

وعني بالطواف الذي أمر جلّ ثناؤه حاجٌ بيته العتيق به في هذه الآية طواف الإفاضة الذي يُطاف به بعد التعريف، إما يوم النحر وإما بعده، لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ أي: ناد في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه. فَذُكر أنه قال: يا رب، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقيل: ناد وعلينا البلاغ.

فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي

قُبَيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمَعَ مَن في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حَجَر ومَدَر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: «لبيك اللهم لبيك».

هذا مضمون ما روي عن ابن عباس وقوله: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ قد يَستدلّ بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا، لمن قدر عليه، أفضلُ من الحج راكبا؛ لأنه قدمهم في الذكر، فدل على الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم، والذي عليه الأكثرون أن الحج راكبا أفضل؛ اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه حج راكبا مع كمال قوته، عليه السلام.

وقوله: ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ ﴾ يعني: طريق، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقوله: ﴿ عَمِيقٍ ﴾ أي: بعيد.

وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبراهيم، حيث قال في دعائه: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار.

قال ابن عباس: ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ قال: منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدْن والربح والتجارات. وكذا قال مجاهد، وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة، كقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقوله: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾

قال شعبة وهُشَيْم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس: الأيام المعلومات: أيام العشر، وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به . ويروى مثله عن أبي موسى الأشعري، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وإبراهيم النَّخعي. وهو مذهب الشافعي، والمشهور عن أحمد بن حنبل.

وقال البخاري (١): حدثنا محمد بن عَرْعَرَة، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل، يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**».

وأورد آثارًا في هذا الباب.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال: سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة، فقال: «**أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآتية**» (٢) ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله .

وبالجملة، فهذا العشر قد قيل: إنه أفضل أيام السنة، كما نطق به الحديث، ففضله كثير على عشر رمضان الأخير؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك، من صيام وصلاة وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه.

وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم، كما

(١) البخاري (٩٦٩)، وأبو داود (١٤٣٨)، وأحمد (٢٢٤/١) بنحو ذلك.
(٢)مسلم (١١٦٢).

فصلها تعالى في سورة الأنعام وأنها ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٣].

وقوله ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ استدل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحي وهو قول غريب، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب، كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ، فأكل من لحمها، وحسا من مرقها (١).

وقوله: ﴿ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾، قال عكرمة: هو المضطر الذي عليه البؤس، الضعيف.

وقال مجاهد: هو الذي لا يبسط يده. وقال قتادة: هو الزّمِن. وقال مقاتل بن حيان: هو الضرير.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ ﴾: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظفار، ونحو ذلك.

وأورد آثارًا في قوله: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ ﴾ إنها الذبائح ونذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج.

وأورد في تفسير البيت العتيق نحوًا مما قدمته.

وأورد حديثًا ضعيفًا عن رسول الله ﷺ قال: «**إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار**» (٢).

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ

(١) انظر مسلم (٨/ ١٢).
(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣١٧٠) وهو ضعيف من وجوه.

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾.

ج: المعنى والله أعلم ذلك الذي أمرتكم به من الحج ومن نداء إبراهيم عليه السلام لكم به ومن قضاء التفث والوفاء بالنذر، هو الفرض الذي أوجبه الله عليكم في حجكم ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ أي ومن يعظم ما حرمه الله فلا يقترب من المحرمات التي حرمها الله، ويعظم مكة والحرم والناسك فلا ينتهك الحرمات ولا يرتكب المحرمات بل يعظم حدود الله وال يتعداها ولا يتخطاها فهذا التعظيم خير له عند الله عز وجل وله بذلك جميل الأجر وحسن الثواب.

ثم يبين الله عز وجل ما أحله لعباده المؤمنين.

فيقول تعالى: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي وقد أحللنا لكم الأنعام كي تأكلوها، وهي الأنعام الثمانية (الجمل والناقة، والثور والبقرة، والكبش والنعجة والجدي والمعز) إلا ما يُتلى عليكم من المحرمات ألا وهو المذكوره في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ...﴾.

أما قوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإن عبادتها نجاسة للمعتقد وكذا فالأوثان (الأصنام) هي نجسة نجاسة عينية. واجتنبوا قول الزور على الله عز وجل وعلى الخلق، فلا تقولوا على الله زورًا فالله عز وجل لا شريك له فلا تدعوا له الشريك، والله عز وجل لا ولد له فلا تدعو له الولد والله عز وجل لا صاحبة له ولا ندَّ له ولا مثيل فلا تدعوا له شيئا من

ذلك، ولا تقول على الله غير الحق.

وكذا لا تشهدوا على العباد زورًا وباطلًا فإن الشرك بالله وشهادة الزور أكبر الكبائر كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ في حديثين:

ففي الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - ثَلاَثًا - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ (١).

أما قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي مائلين عن الشرك والكفر إلى التوحيد مخلصين في ذلك لله عز وجل ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ في عبادته أحدًا سواه غير متخذين إلهًا معه ثم ضرب مثل للمشرك بالله وعقابهن فقال ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ يعبد معه غيره ويزعم أنه الله معه إله آخر ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ سقط من السماء وقبل وصوله إلى الأرض تخطفه النسور والصقور فأكلته في الجو قبل أن يصل إلى الأرض، وإن قدر وسلم من الصقور والنسور والجوارح هوت به الريح إلى مكان عميق جدًا في الأرض وفي هذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي أخرجه الإمام أحمد (٢) وغيره ...ففيه وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِى انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِىءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِى إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ - قَالَ - فَتُفَرَّقُ فِى جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِى يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِى تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ

(١) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٢) أحمد (٤/٢٨٧) بسندٍ صحيح.

وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِى كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِى الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] « فَيَقُولُ اللهُ ﷻ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِى سِجِّينٍ فِى الأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ « فَتُعَادُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ».

وبنحو م ذكرت قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالنذور، والطواف بالبيت العتيق، هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ يقول: ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحُرمَه أن يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ﴾ قال: الحرمات: المَشْعَر الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، هؤلاء الحرمات.

وقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يقول جل ثناؤه: وأحلّ الله لكم أيها الناس الأنعام أن تأكلوها إذا ذكَّيتموها، فلم يحرّم عليكم منها بحيرة، ولا سائبة، ولا وَصِيلة، ولا حاما، ولا ما جعلتموه منها لآلهتكم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله، وذلك: الميتة، والدم،

ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردّية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذُبح على النُّصب، فإن ذلك كله رجس.

وقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ يقول: فاتقوا عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس.

وقوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾ يقول تعالى ذكره: واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقولكم للملائكة: هي بنات الله، ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله.

وأورد بإسناد حسن موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: تعدل شهادة الزور بالشرك، وقرأ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾.

وقد ورد في ذلك حديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه مقال.

ألا وهو عدلت شهادة الزور والشرك بالله ثم قرأ ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾.

يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مَثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني

من بعيد، من قولهم: أبعده الله وأسحقه، وفيه لغتان: أسحقته الريح وسحقته، ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق؛ ومنه قول الشاعر:

كانَــتْ لنَــا جــارَةٌ فأزْعَجهــا ... قــاذُورةٌ تَسْــحَقُ النَّــوَى قــدُمَا

ويُروى: تسحق: يقول: فهكذا مَثَل المشرك بالله في بُعده من ربه ومن إصابه الحقّ، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء.

وقيل: ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ وقد قيل قبله: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وخرّ فعل ماض، وتخطفه مستقبل، فعطف بالمستقبل على الماضي، كما فعل ذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وقد بيَّنت ذلك هناك.

يقول تعالى: هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك، وما لفاعلها من الثواب الجزيل.

﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه، ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات و[اجتناب] المحظورات.

قال ابن جريج: قال مجاهد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال: الحرمة: مكة والحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. وكذا قال ابن زيد.

وقوله: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ أي: أحللنا لكم جميع الأنعام، وما جعل الله من بحيرة، ولا سائبة، ولا وصيلة، ولا حام.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ أي: من تحريم ﴿ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ

﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ الآية [المائدة: ٣]، قال ذلك ابن جرير، وحكاه عن قتادة.

وقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾: «من» هاهنا لبيان الجنس، أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. وقرن الشرك بالله بقول الزور، كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، ومنه شهادة الزور. وفي الصحيحين عن أبي بَكْرَة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين** -وكان متكئا فجلس، فقال:- **ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**». فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت(١).

وقوله: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مخلصين له الدين، منحرفين عن الباطل قصدا إلى الحق؛ ولهذا قال ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾

ثم ضرب للمشرك مثلا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقط منها، ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾، أي: تقطعه الطيور في الهواء، ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: بعيد مهلك لمن هوى فيه؛ ولهذا جاء في حديث البراء: (٢) «**إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت، وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرحا من هناك**». ثم قرأ هذه الآية، وقد تقدم الحديث في سورة «إبراهيم» بحروفه وألفاظه وطرقه.

(١) تقدم قريبًا.

(٢) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

وقد ضرب تعالى للمشرك مثلا آخر في سورة «الأنعام» ، وهو قوله: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٧١] الآية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي هـو يـوم القيامـة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه ضرا ولا عـذابا، فهـو بمنزلـة من خر من السماء، فهو لا يقدر أن يدفع عن نفسه.

ومعنى، ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ أي تقطعه بمخالبها.

وقيل: هذا عند خروج روحه وصعود الملائكة بها إلى سماء الدنيا، فلا يفتح لها فيرمى بها إلى الارض، كما في حديث البراء، وقد ذكرناه في التذكرة.

والسحيق: البعيد، ومنه قولـه تعالى: ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك: ١١]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «فسحقا فسحقا».

❁ ❁ ❁

مبحث في الحج

فرض الحج

س: اذكر ما يدل على فرضية الحج:

ج: الحج ركنٌ عظيم من أركان الإسلام، ثم هو حقٌّ مؤكدٌ لله تبارك وتعالى علينا، إن استطعنا إليه سبيلًا، ولقد قال تعالى لخليله إبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[الحج: ٢٧].

ولقد سُئل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله....**» فذكر الحديث، وقال فيه: «**وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلا**»(١).

ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه فيما أخرجه البخاري(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

❀ ❀ ❀

الحج مرة واحدة

س: كم حجة افترضت على المسلم؟

ج: لِيُعلم أن فرض الحج إنما هو مرة واحدة في العمر، وذلك لما أخرجه مسلم(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**». فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**

---

(١) مسلم .

(٢) البخاري (حديث ٨)، ومسلم بنحوه (حديث ١٦).

(٣) مسلم (١٣٣٧).

- ثُمَّ قَالَ - ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ ».

فضل الحج

س: اذكر شيئًا من فضل الحج.

ج: إن هذا الركن له فضلٌ عظيم:

فلقد قال النبي ﷺ: « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ » (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (٢).

وقال صلوات الله وسلامه عليه وقد سُئل: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ « إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ». قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « حَجٌّ مَبْرُورٌ» (٣).

ولقد حث النبي ﷺ (٤) على الحج ورغب فيه إذ قال: « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ».

ولقد قالت عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللهِ ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ قَالَ « لاَ ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ » (٥).

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثةٌ في ضمان الله عز وجل: رجُلٌ خرج إلى

---

(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٢) البخاري (١٥٢١).
(٣) البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).
(٤) البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).
(٥) النسائي (١١٥/٥) بسندٍ حسن.

مَسْـجد مـن مسـاجد الله ﷻ، ورجَـلٌ خَـرَجَ غَازِيًـا في سـبيل الله، ورجـل خـرج حاجًّا»(١).

❁ ❁ ❁

فضل العمرة

س: اذكر شيئًا عن فضل العمرة.

ج: من ذلك قول رسول الله ﷺ: «فإنَّ عُمْرَةٌ في رمضان تعدلُ حجَّة»(٢).

قول رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

❁ ❁ ❁

س: هل الحج على الفور أم يجوز فيه التراخي:

ج: الحج فرضُهُ على المستطيع كما سمعتم، ولكن هل ذلك علـى الفـور أم على التراخي؟ فلأهل العلم في ذلك قولان:

أحـدهما: أن ذلـك علـى الفـور لقولـه تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاًۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والثاني: أن ذلك على التراخي، بمعنـى أنـه قـد يسـوغ للرجـل المستطيع أن يؤجِّل حجَّه عامًا أو عامين، وذلـك لأن النبـي ﷺ وطائفـة مـن أصـحابه أخَّـرُوا الحجَّ عامًا أو عامين بعد فرضِه.

إلا أنه يلتمس لرسول الله ﷺ عذرٌ في ذلك، وهو حيلولـة الكفـار بينـه وبـين البيت العتيق، أو أي عذرٍ آخر.

---

(١) سنده صحيح، وأخرجه الحميدي في مسنده (١٠٩٠)، وأخشى من وجود علة به.

(٢) البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (١٢٥٦).

فعلى ذلك: فمن وَجَدَ سَعَةً ن وتيسَّرت له أسبابُ الحج فلْيُبَادِرُ بذلك، وقد قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

❁ ❁ ❁

أمور يراعيها الحاج

س: اذكر بعض الأمور التي يلزم الحج مراعاتها.

ج: الإخلاص لله:

فعلى مُريد الحج أن يُخْلِصَ في حَجِّه لله، فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وتعلمون أن الرياء يُحبطُ الأعمال.

وعليه فلا ينبغي أن تكون همة المرء أن يُقال عنه: حاجٌّ؛ بل عليه أن ينوي بذلك: امتثال أمر الله، والانقياد لشرعه، والترقي في أعالي الجنة، ومغفرة الذنوب والخطايا والأوزار.

وفي الحديث القدسي: قال تعالى: « قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » (١).

وفي الحديث النبوي: «إنما الأعمال بالنيات» (٢).

التحلل من المظالم:

فعلى من أراد الحجَّ أن يتحلَّلَ منا لمظالم فإن الحجَّ وإن كان من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، إلا أن ذنوب العباد لها مُطالبٌ يُطالِبُ بها، ولا يخفى عليكم في ذلك حديثُ المفلسِ، وقد أخرجه مسلم (٣) في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ

(١) مسلم (٢٩٨٥).

(٢) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) مسلم (٢٥٨١).

دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ».

وكذا قول رسول الله ﷺ(١): « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».

وكذا قوله(٢): « إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا ».

وأخرج البخاري(٣) من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

وفي الحديث: «أن الشهيد يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ ذَنْبٍ إلا الدين»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: « لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ »(٥).

التزود للسفر:

وعلى الحاج أن يتزود بالقدر الكافي من الطعام والشراب والملبس،

---

(١) البخاري (٢٤٤٩).
(٢) البخاري (٢٤٤٩).
(٣) البخاري (٢٤٤٠).
(٤) مسلم (١٨٨٦).
(٥) مسلم (٢٥٨٢).

والزاد الحلال، وقد أخرج البخاري (١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان أَهْلُ اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] (٢).

تحري الحلال الطيب:

فعليه أن يحج من نفقة اكتسبها من الحلال الطيب، وذلك حتى يُتقبل حجُّه،وتُتَقبل منه دعواته، وتُستَجابُ له.

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم (٣) في صحيحه عن أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]». ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

الرفقة الصالحة:

فيستحب للحاج أن يصطحب رفقةً صالحةً في سفره ومن هم على علم يذكرونه بالله، ويعلمونه ما جهل من أمر دينه وأمر حجته التي يحجها؛ فالجليسُ الصالحُ: إمَّا أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا

(١) البخاري (١٥٢٣).
(٢) وقد رُوي هذا الخبر مرسلًا.
(٣) مسلم (١٠١٥).

طيبة.

الوصية:

ويستحب للحاج أن يوصي، ولذلك لقول رسـول الله ﷺ: « **مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ ، يُوصِى فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ ، إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ** » (١).

المحرم للمرأة في السفر:

على المرأة أن تصطحب في حجِّها محرمًا إن استطاعت (٢) إلى ذلك سبيلًا، فإن لم تجد محرمًا فلأهل العلم قولان في المسألة: أحدهما: جواز السفر، والآخر: المنع، ولكل قولٍ أدلته، وقد لخَّص الترمذي هذا الاختلاف فقال:

واختلف أهل العلم في المرأة إذا كانت موسرة ولم يكن لها محرم هل تحج؟

فقال بعض أهل العلم: لا يجب عليها الحجُّ لأن المحرم من السبيل لقول الله ﷻ: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] فقالوا: إذا لم يكن لها محرم فلم تستطع إليه سبيلا، وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة.

وقال بعض أهل العلم: إذا كان الطريق آمنًا فإنها تخرجُ مع الناس في الحج،

---

(١) البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(٢) فقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تنهى المرأة عن السفر بلا محرم، منها حديث ابن عباس المتفق عليه (البخاري ٤/١٧٢)، ومسلم (ص ٩٧٨) عن رسول الله ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**». وحديث ابن عمر المتفق عليه أيضًا مرفوعًا: «**لا تُسافر المرأة ثلاثًا إلا مع ذي محرم**» أخرجه البخاري (مع الفتح٢/٥٦٦)، ومسلم (ص ٤٨٧) عن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة**». وأحاديث كثيرة جدًا في هذا الصدد.

وهو قول مالك بن أنس والشافعي. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

والأجر على قدر التعب والنفقة:

فليعلم الحجاج والمعتمرون أن الله ﷻ لن يَترهم أعمالهم، ولن يُنقصهم أجورهم، ولن يُضيع عليهم- إن شاء الله – ثواب نفقتهم وجهدهم.

وفي الأحاديث عن رسول الله ﷺ ما يفيد أن الأجر على قدر النفقة أو التعب، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما (١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ فَقِيلَ لَهَا: « انْتَظِرِى ، فَإِذَا طَهُرْتِ فَاخْرُجِى إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَأَهِلِّى ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا ، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ ، أَوْ نَصَبِكِ ».

لزوم السنة واتباعها:

هذا، وينبغي على الحاج أن يتأسى في حجته برسول الله محمد ﷺ في أعماله وحجته ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: « لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّى لاَ أَدْرِى لَعَلِّى لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِى هَذِهِ » (٢).

تعلُّم الحج وأحكامه:

فعلى الحاج أن يتعلم أحكام الحج، وأعماله، شأنه في ذلك الشأن في سائر العبادات، فالذي يريد الصلاة عليه أن يتعلم أحكامها، وكذا مُريد الصوم والصدقة والأضحية والاعتكاف وسائر العبادات، وذلك حتى يحظى بأجمل الثواب وأعظم الأجور، وحتى يتقي البدعة؛ فقد قال رسول الله ﷺ: « مَنْ

(١) البخاري (١٧٨٧)، ومسلم في طرق حديث (١٢١١).

(٢) مسلم (١٢٩٧).

عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، فَهْوَ رَدٌّ »(١). وقال: « مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَـذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ »(٢).

❁ ❁ ❁

س: اذكر أعمال الحج بشيء من التفصيل:

ج: أستعين بالله وأُبين أعمال الحج بشيء من التفصيل مُدلِّلا بالأدلة من كتاب الله ﷿ ومن سنة رسول الله ﷺ قد استطاعتي مُراعيًا – بإذن الله– ترتيبَ أعمال الحج(٣).

وأورد ابتداءً حديثًا شاملًا جامعًا في بيان حجة النبي ﷺ إجمالًا، ألا وهو حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في هذا الصدد.

فهذا حديثه في بيان حجة النبي ﷺ على وجه الإجمال، وهو أطول حديثٍ وأوضحه في ذلك، وعليه عوَّل كثيرون من أهل العلم.

أخرج مسلم(٤) في صحيحه من طريق محمد بن علي بن حسين أنه سأل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن حجة رسول الله ﷺ فقال له: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ثُمَّ أَذَّنَ فِى النَّاسِ(٥) فِى الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ

(١) مسلم (١٧١٨).
(٢) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٣) إلا ما لزم تأخيره أو تقديمه بعض الشيء.
(٤) مسلم (حديث ١٢١٨).
(٥) (ثم أذن في الناس): معناه: أعلمهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا بينهم ليتأهبوا للحج معه، ويتعلموا المناسك والأحكام ويشهدوا أقواله وأفعاله ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب وتشيع دعوة الإسلام.

فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ « **اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي (١) بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي** ». فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ (٢) حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي (٣) بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ (٤) «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ**». وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه لَسْنَا نَنْوِي إِلاَّ الْحَجَّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ (٥) فَرَمَلَ ثَلاَثًا (٦) وَمَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ (٧) إِبْرَاهِيمَ (٧) عليه السلام فَقَرَأَ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] فَجَعَلَ

---

(١) (واستثفري): الاستثفار، هو: أن تشد في وسطها شيئًا، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها، من قدامها ومن ورائها، في ذلك المشدود في وسطها. وهو شبيه بثفر الدابة الذي يجعل تحت ذنبها.

(٢) (ثم ركب القصواء): هي ناقته ﷺ: قال أبو عبيدة: القصواء المقطوعة الأذن عرضًا.

(٣) (ثم نظرت إلى مد بصري): معناه منتهى بصري.

(٤) (فأهل التوحيد): يعني قوله: لبيك لا شريك لك.

(٥) (استلم الركن): يعني الحجر الأسود. فإليه ينصرف الركن عند الإطلاق، واستلامه مسحه وتقبيله بالتكبير والتهليل، إن أمكنه ذلك من غير إيذاء أحد. وإلا يستلم بالإشارة من بعيد. والاستلام افتعال من السلام، بمعنى التحية.

(٦) (فرمل ثلاثا): قال العلماء: الرمل هو إسراع المشي مع تقارب الخطا، وهو الخبب.

(٧) (ثم نفذ إلى مقام إبراهيم) أي: بلغه ماضيًا في زحام.

الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَكَانَ أَبِى يَقُولُ وَلاَ أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِى الرَّكْعَتَيْنِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ (١) إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ « أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ ». فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِىَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ** ». ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ (٢) فِى بَطْنِ الْوَادِى سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا (٣) مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ «**لَوْ أَنِّى اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْىَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْىٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً** ». فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لأَبَدٍ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِى الأُخْرَى وَقَالَ « **دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِى الْحَجِّ - مَرَّتَيْنِ - لاَ بَلْ لأَبَدٍ أَبَدٍ** ». وَقَدِمَ عَلِىٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ (٤) النَّبِىِّ ﷺ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ - رضى الله عنها - مِمَّنْ حَلَّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاكْتَحَلَتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِى أَمَرَنِى بِهَذَا. قَالَ فَكَانَ عَلِىٌّ

---

(١) (ثم خرج من الباب): أي: من باب بني مخزوم، وهو الذي يسمى باب الصفا. وخروجه منه، لأنه أقرب الأبواب إلى الصفا.

(٢) (حتى إذا انصبت قدماه): أي: انحدرت. فهو مجاز من انصباب الماء.

(٣) (حتى إذا صعدنا): أي: ارتفعت قدماه من بطن الوادي.

(٤) (ببدْن): هو جمع بَدَنة، وأصله الضم. كخشْب في جميع خشبة.

يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا (١) عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِى صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّى أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ « **صَدَقَتْ صَدَقَتْ مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ** ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّى أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ. قَالَ « **فَإِنَّ مَعِىَ الْهَدْىَ فَلاَ تَحِلُّ** ».

قَالَ فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِى قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِى أَتَى بِهِ النَّبِىُّ ﷺ مِائَةً - قَالَ - فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا إِلاَّ النَّبِىَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْىٌ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلاً حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ (٢) فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلاَ تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلاَّ أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ (٣) كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِى الْجَاهِلِيَّةِ فَأَجَازَ (٤) رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ (٥) لَهُ فَأَتَى

---

(١) (محرشًا): التحريش: الإغراء، والمراد هنا أن يذكر له ما يقتضي عتابها.

(٢) (بنمرة)- بفتح النون وكسر الميم. هذا أصلها. ويجوز فيها ما يجوز في نظيرها. وهو إسكان الميم مع فتح النون وكسرها. وهي موضع بجنب عرفات. وليست من عرفات.

(٣) (ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام): معنى هذا: أن قريشًا كانت في الجاهلية تقف بالمشعر الحرام. وهو جبل في المزدلفة يقال له: قزح. وقيل: إن المشعر الحرام كل المزدلفة. وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبي ﷺ يقف في المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه. فتجاوزه النبي ﷺ إلى عرفات. لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩]. أي: سائر العرب غير قريش. وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم. وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه.

(٤) (فأجاز): أي: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، بل توجه إلى عرفات.

(٥) (فرحلت): أي: وضع عليها الرحل.

بَطْنَ الْوَادِى (١) فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا (٢) فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَىَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِى بَنِى سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللهَ فِى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ (٣) وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ (٤) . فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ (٥) وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ». قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ

---

(١) (بطن الوادي): هو وادي عُرَنة. وليست عرنة من أرض عرفات عند الشافعي والعلماء كافة، إلا مالكًا فقال: هي من عرفات.

(٢) (كحرمة يومكم هذا): معناه: متأكدة التحريم، شديدته.

(٣) (بكلمة الله): قيل: معناه قوله تعالى: (فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ) [البقرة: ٢٢٩]. وقيل: المراد كلمة التوحيد وهي لا إلا إلا الله محمد رسول الله ﷺ إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم. وقيل: قوله تعالى: (فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ) [النساء: ٣]. وهذا الثالث هو الصحيح.

(٤) (ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه): قال الإمام النووي: المختار أن معناه: أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم. سواء كان المأذون له رجلًا أجنبيًّا أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة. فالنهي يتناول جميع ذلك. وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا محرم ولا غيره، في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنّت أن الزوج لا يكرهه.

(٥) (فاضربوهن ضربًا غير مبرح): الضرب المبرح: هو الضرب الشديد الشاق. ومعناه: اضربوهن ضربًا ليس بشديد ولا شاق. والبرح: الشقة.

السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ (١) « اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ (٢) وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ (٣) وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلاً حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ (٤) وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ (٥) لِلْقَصْوَاءِ (٥) الزِّمَامَ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ (٦) وَيَقُولُ بِيَدِهِ بِيَدِهِ الْيُمْنَى (٧) « أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ » (٨). كُلَّمَا أَتَى حَبْلاً مِنَ

---

(١) (وينكتها إلى الناس): معناه: يقلبها ويردها إلى الناس مشيرًا إليهم. ومنه نكت كنانته إذا قلبها.

(٢) (الصخرات): هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة. وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات. فهذا هو الموقف المستحب.

(٣) (وجعل جبل المشاة بين يديه): رُوي حَبْل، ورُوي جَبَل. قال القاضي عياض رحمه الله: الأول أشبه بالحديث. وحبل المشاة أي: مجتمعهم. وحبل الرمل: ما طال منه وضخم. وأما بالجيم؛ فمعناه طريقهم، وحيث تسلك الرجالة.

(٤) (حتى غاب القرص): قيل: صوابه: حين غاب القرص. هذا كلام القاضي. ويحتمل أن الكلام على ظاهره. ويكون قوله: حتى غاب القرص. ويحتمل أن الكلام على ظاهره. ويكون قوله: حتى غاب القرص بيانًا لقوله: غربت الشمس وذهبت الصفرة. فإن هذه تطلق مجازًا على مغيب معظم القرص فأزال ذلك الاحتمال بقوله: حتى غاب القرص. والله أعلم.

(٥) (وقد شنق للقصواء): شنق: ضمَّ وضيَّق.

(٦) (مورك رحله): قال الجوهري: قال أبو عبيدة: المورك والموركة هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرجل إذا ملّ الركوب. وضبطه القاضي بفتح الراء قال: وهو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدم الرحل شبه المخدة الصغيرة.

(٧) (ويقول بيده): أي: مشيرًا بها.

(٨) (السكينة السكينة): أي: الزموا السكينة. وهي الرفق والطمأنينة.

الْجِبَالِ (١) أَرْخَى لَهَا (٢) قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ (٣) فَصَلَّى فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (٤) شَيْئًا (٤) ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَصَلَّى الْفَجْرَ – حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ – بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا (٥) جِدًّا (٥) فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَجُلاً حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا (٦) فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ (٧) فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ حَتَّى

---

(١) (كلما أتى حبلًا من الحبال): الحبال: جمع حبل. وهو التل اللطيف من الرمل الضخم.وفي النهاي: قيل: الحبال في الرمل كالجبال في غير الرمل.

(٢) (أرخى لها): أي: أرخى للقصواء الزمام وأرساه قليلًا.

(٣) (المزدلفة) معروفة. سميت بذلك من التزلف والازدلاف، وهو التقرب. لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها، أي: مضوا إليها وتقربوا منها. وقيل: سميت بذلك لمجيء الناس إليها في زلف من الليل، أي: ساعات.

(٤) (ولم يسبح بينهما شيئًا): أي: لم يصلّ بينهما نافلة.

(٥) (حتى أسفر جدًّا): الضمير في أسفر يعود إلى الفجر المذكور أولًا. وقوله: جدًّا، بكسر الجيم، أي: إسفارًا بليغًا.

(٦) (وسيمًا): أي: حسنًا.

(٧) (مرت به ظعن يجرين): الظُّعُن، بضم الظاء والعين، ويجوز إسكان العين، جمع ظعينة. كسفينة وسفن. وأصل الظعينة البعير الذي عليه امرأة. ثم تسمى به المرأة مجازًا لملابستها البعير.

أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ (١) فَحَرَّكَ قَلِيلاً ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِى تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى (٢) حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِى عِنْدَ الشَّجَرَةِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ (٣) رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِى ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلاَثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ (٤) وَأَشْرَكَهُ فِى هَدْيِهِ ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِى قِدْرٍ فَطُبِخَتْ فَأَكَلاَ مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ (٥) فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ فَأَتَى بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ « انْزِعُوا (٦) بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ (١) عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ

---

(١) (حتى أتى بطن محسِّر) سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه، أي: أعيا وكلَّ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٤].

(٢) (الجمرة الكبرى): هي جمرة العقبة، وهي التي عند الشجرة.

(٣) (حصى الخذف): أي: حصى صغار بحيث يمكن أن يُرمى بأصبعين، والحذف، في الأصل، مصدر سمي به. يقال: حذفت الحصاة ونحوها خذفًا من باب ضرب. أي: رميتها بطرفي الإبهام والسبابة. قال النوويّ: وأما قوله: فرماها بسبع حصيات مثل حصى الخذف. قال: وكذلك رواه غير مسلم، وكذا رواه بعض رواة مسلم. هذا كلام القاضي.

قلت: والذي في النسخ من غير لفظة: «مثل» هو الصواب. بل لا يتجه غيره ولا يتم الكلام إلا كذلك. ويكون قوله: حصى الخذف متعلقًا بقوله: حصيات. أي: رماها بسبع حصيات حصى الخذف، ويكبر مع كل حصاة. فحصى الخذف متصل بحصيات واعترض بينها يكبر مع كل حصاة. وهذا هو الصواب.

(٤) (ما غبر): أي: ما بقي.

(٥) (فأفاض إل البيت): فيه محذوف تقديره: فأفاض فطاف بالبيت طواف الإفاضة ثم صلى الظهر، فحذف ذكر الطواف لدلالة الكلام عليه.

(٦) (انزعوا): معناه: استقوا بالدلاء وانزعوها بالوشاء.

لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ ». فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ.

مواقيت الحج

قد وقت رسول الله ﷺ للحج مواقيت.

فكما أن الصلاة لها ميقات؛ فالحجُّ له ميقات.

فهذه المواقيت هي:

ذو الحليفة (٢): لأهل المدينة. وقرن المنازل (٣): لأهل نجد.

ولأهل الشام: الجحفة (٤). ولأهل اليمن: يلملم (٥).

أخرج البخاري (٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يُهِلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ الشَّأْمِ مِنَ الْجُحْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ**». وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَيُهِلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ**».

هذا وقد ورد أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق (٧): ذات عرق، لكن أعلَّ ذلك بعض العلماء، وبيَّنوا أن الذي وقت ذات عرق لأهل العراق هو عمر رضي الله عنه.

(١) (لولا أن يغلبكم الناس): أي: لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج، ويزدحمون عليه، بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم؛ لكثرة فضيلة هذا الاستقاء. (هذه التعليقات من حاشية مسلم- ترتيب محمد فؤاد- وكثير منها مأخوذ من النووي رحمه الله).

(٢) وهي المسماة الآن بأبيار علي، ولا أدري سبب هذه التسمية.

(٣) وهي في طريق السيل، ويحاذيها ميقات الهدي.

(٤) وهي قريبة جدًّا من بلدة رابغ.

(٥) وهو ميقات معروف لأهل اليمن.

(٦) البخاري (١٥٢٥)، ومسلم (١١٨٢).

(٧) انظر: سنن أبي داود (١٧٣٩).

أخرج البخاري (١) من حديث ابن عمر رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: لَمَّا فُتِحَ هَذَانِ الْمِصْرَانِ أَتَوْا عُمَرَ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّ لأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا ، وَهُوَ جَوْرٌ عَنْ طَرِيقِنَا ، وَإِنَّا إِنْ أَرَدْنَا قَرْنًا شَقَّ عَلَيْنَا . قَالَ فَانْظُرُوا حَذْوَهَا مِنْ طَرِيقِكُمْ . فَحَدَّ لَهُمْ ذَاتَ عِرْقٍ .

فهذه المواطن لا يجوز لمريد الحج أو العمرة أن يتجاوزها بلا إهلال، وكذا لا يتقدمها بالإهلال.

صحيح أنه يجوز له أن يرتدي الملابس قبلها، ولكن لا يهلُّ (قائلًا: لبيك اللهم لبيك...) إلا عندها.

فإن تجاوزها بلا إهلال لزمه- عند الجمهور- أن يُقدم دمًا (٢).

ما يفعل عند الميقات

هذا، وعند الميقات يفعل مريد الحج ما يأتي:

* **الاغتسال:** وهذا أمر مستحب، فيستحب لمريد الحج أن يغتسل عند

---

(١) البخاري (حديث ١٥٣١).

(٢) ولم أقف على دليل مرفوع إلى النبي □ في ذلك، ولكن ثَمَّ أمرٌ ألا وهو أن الذي يتخطى الميقات عامدًا عالمًا بلا إحرام يأثم لمخالفته أمرَ النبي □ بالإهلال من المواقيت، ثم كيف يرتفع هذا الإثم عنه، فالجمهور ذهبوا إلى أن هذا الإثم لا تكفيه كلمة «أستغفر الله» فقط، بل يُلزم معها بدم، فليست كلمة «أستغفر الله» بكافية ككفارة لكل الأعمال الخاطئة التي تُعمل، إلا إذا شاء الله فهناك مثلًا كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة قتل الخطأ...إلى غير ذلك، ولا تكفيها فقط أستغفر الله ثم إن من أهل العلم من يلحظ في فتياه قدر الذنب، وعلى إثر ذلك يُقدِّر الكفارة، وذلك لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، فيبحث المفتي حينئذٍ عن حسنات تكفي لتغطية السيئات، فتراه حينئذٍ يفتي بقدرٍ من الصدقة أو الصيام أو الذكر إلى غير ذلك، وذلك- إذا لم يكن في المسألة نصٌّ خاص- من باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، ومن باب إتباع السيئة بالحسنة إذا ارتكب السيئة، والله أعلم.

الميقات، وهذا الاغتسال عند الجمهور مستحب، وليس بواجب(١).

وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: من السنة أن يغتسل الرجل إذا أراد أن يُحرم(٢).

* **التطيب:** وذلك بعد الغسل، وقبل الإهلال(٣)، أي: قبل قوله: لبيك اللهم لبيك وذلك لحديث(٤) أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أُطيب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يُحرم، ولحلِه قبل أن يطوف بالبيت.

وفي رواية عنها(٥) قالت: كأنِّي أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى منع استدامة الطيب بع الإحرام، بل يزال ويُمحى أثره، وذلك لحديث يعلى بن أمية رضي الله عنه(٦) وفيه: فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ ، وَهْوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى يَعْلَى ، فَجَاءَ يَعْلَى ، وَعَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ ، وَهُوَ يَغِطُّ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: «**أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ الْعُمْرَةِ**» فَأُتِيَ بِرَجُلٍ فَقَالَ: «**اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِي**

---

(١) وقد نقل ذلك عنهم: ابن عبد البر في الاستذكار (١١/١١).

(٢) البزار (كشف الأستار ١٠٨٤) بسندٍ صحيح.

(٣) والمراد بالإهلال: رفع الصوت بالتلبية، لكن المراد هنا قبل التلبية عمومًا سواء رفع بها الصوت أم خفضه.

(٤) البخاري (١٥٣٩)، ومسلم (١١٨٩).

(٥) البخاري (١٥٣٧).

(٦) البخاري (١٥٣٦)، ومسلم (١١٨٠).

بِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، وَانْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ ».

إلا أنه وكما هو معلوم يلزمنا أن نجمع بين حديث يعلى وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن أمثل ما جُمع به بين الحديثين: أن النهي في حديث يعلى يُحمل على طيبٍ مخصوص ألا وهو الزعفران (١).

أما عن الثياب التي يرتديها: فقد سئل (٢) النبي ﷺ: مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لاَ يَلْبَسُ الْقُمُصَ وَلاَ الْعَمَائِمَ وَلاَ السَّرَاوِيلاَتِ وَلاَ الْبَرَانِسَ وَلاَ الْخِفَافَ ، إِلاَّ أَحَدٌ لاَ يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ ، وَلاَ تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ » .

والنهي عن لبس القمص (جمع قميص – وهو الثوب في زماننا الذي يطلق عليه أهل مصر الجلبية) هذا النهي خاص بالرجال كما هو معلوم وواضح.

فالمُحرم إذن يلبس إزارًا ورداءً ونعلين لا يغطيان الكعبين، والمراد بالكعبين هنا: الغظمتان الناتئتان اللتان هما منتهى الغسل عند الوضوء، وقد قال الله فيهما: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

فإذا لم يجد الشخص نعلين ووجد خفين فليقطع الخفين حتى يكونا أسفل الكعبين.

هذا، وإذا قُدِّر ولم يجد الشخص إزارًا يأتزر به جاز له أن يلبس السراويل.

ففي الحديث (٣) عن رسول الله ﷺ: « مَنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ

(١) وانظر الحديث الآتي.
(٢) البخاري (١٥٤٢)، ومسلم (١١٧٧).
(٣) البخاري (١٨٤٢)، ومسلم (١١٧٨).

، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارًا فَلْيَلْبَسْ سَرَاوِيلَ لِلْمُحْرِمِ» (١) .

أما عن تلبيد الشعر: أي: ضم الشعر بعضه إل بعض بما يشبه الصمغ، فقد فعله النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يهل ملبدًا (٢) .

وكما في حديث (٣) حفصة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا بِعُمْرَةٍ وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِكَ قَالَ: « **إِنِّى لَبَّدْتُ رَأْسِى ، وَقَلَّدْتُ هَدْيِى فَلاَ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ** » .

ولكن فيما يبدو لي أن النبي ﷺ إنما فعل ذلك لعلةٍ، وهي عدم تساقط الشعر أو تسرُّب القمل إليه أو تشعثه؛ وذلك لطول الزمان من الميقات إلى أن يرمي الجمرة مع ما كان يعتري ذلك من الغبار، فقد خرج النبي ﷺ في الخامس والعشرين من ذي القعدة، ووصل إلى مكة الرابع من ذي الحجة، ثم استمر على إحرامه إلى أن رمى الجمرة يوم العاشر من ذي الحجة، مع ما يعتريه في السفر من الغبار، فقد كان النبي ﷺ يحج على ناقته فلهذا كله كان يخشى على الحجيج من تسرب القمل إليهم.

وقد ورد ان كعب بن عجرة رضي الله عنه أُصيب بشيء من ذلك حتى إن القمل

---

(١) فمثلًا: إذا كان الشخص في الطائرة ونسي ملابس الإحرام فله أن ينزع ثيابه عنه ويُبقي البنطلون إلى أن يتيسر له الحصول على إزار عند نزوله والله أعلم. هذا، وقد اشترط بعض العلماء أن يفتق السراويل (أي: حتى لا تكون مخيطة بالجسم) قياسًا على قطع الخفين إلى أسفل الكعبين، لكن لم أقف على دليل يُلزم بفتق السراويل، والأولى عدمه؛ لعدم ورود النص فما علمت عن رسول الله ﷺ.

(٢) البخاري (١٥٤٠)، ومسلم في طرق حديث (١١٨٤).

(٣) البخاري (١٥٦٦)، ومسلم (١٢٢٩).

تساقط على وجهه من كثرته، فلذا كان يُلبِّد من يُلبِّد.

أما الآن فالزمن بين الإهلال والتحلل قصيرٌ، فلا يكاد يُحتاج إلى التلبيد، فعليه من احتاج إلى التلبيد فهو مسنون كما رأيتم، ومن لم يَحْتَجْ إلى التلبيد فلا شيء عليه، والله أعلم.

ركعتي الإحرام

أما عن الركعتين اللتين يُصليهما المرء قبل إحرامه فلا أحفظ فيهما شيئًا خاصًّا عن رسول الله ﷺ. أما ما أخرجه البخاري (١) من طريق فليح عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ ادَّهَنَ بِدُهْنٍ لَيْسَ لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، ثُمَّ يَأْتِي مَسْجِدَ الْحُلَيْفَةِ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْكَبُ، وَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً أَحْرَمَ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُ.

فلا أرى إلا أن فليحًا وهم فيه، وقد أخرجه البخاري (٢) من وجه آخر أثبت، وذلك من طريق أيوب عن نافع قال: كان ابنُ عمر رضي الله عنهما إِذَا صَلَّى بِالْغَدَاةِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَرُحِلَتْ ثُمَّ رَكِبَ، فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ قَائِمًا، ثُمَّ يُلَبِّي حَتَّى يَبْلُغَ الْمَحْرَمَ، ثُمَّ يُمْسِكُ حَتَّى إِذَا جَاءَ ذَا طُوًى بَاتَ بِهِ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ اغْتَسَلَ، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ.

فعلى كل حال إن صلى الشخص هاتين الركعتين كسنةٍ للوضوء فسنة الوضوء مستحبة، أما تخصيص ركعتين للإحرام، فكما سلف لا أحفظ فيهما شيئًا عن رسول الله ﷺ.

* **وهذا ويسن له أن يُهلَّ بالحج بعد ركوب دابته:** وذلك لأن رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري (١٥٥٤).

(٢) البخاري (١٥٥٣).

أهل حين استوت به راحلته (١) .

* **هذا ويستحب للحاج قبل الإهلال، إذا ركب دابته:** أن يحمد الله ويسبح ويكبر: وذلك لما أخرجه البخاري (٢) من حديث أنس ﵁، وفيه: صلى رسول الله ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظُّهْرَ أَرْبَعًا ، وَالْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، حَمِدَ اللهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ ، ثُمَّ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهِمَا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَ النَّاسَ فَحَلُّوا ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ أَهَلُّوا بِالْحَجِّ قَالَ وَنَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَدَنَاتٍ بِيَدِهِ قِيَامًا ، وَذَبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ .

* **ويستحب له عند الإهلال أن يستقبل القبلة:** وذلك لحديث ابن عمر ﵄ المتقدم، وفيه: ثُمَّ ركبَن فإذا استوت به استقبل القبلة قائمًا، ثُمَّ يُلبِّي حتى يبلغ الحرم (٣) .

* **ويستحب له أن يرفع صوته بالتلبية:** وذلك لقول النبي ﷺ: «**أتاني جبريل ﷺ فأمرني أن أمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية**» (٤) .

ولما ورد من أن الصحابة ﵃ كانوا يصرخون بالحج صراخًا (٥) .

* **أما عن صفة التلبية:**

فتلبية رسول الله ﷺ التي كان يداوم عليها هي: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ

---

(١) أخرج ذلك البخاري (١٥١٥).

(٢) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

(٣) تقدم قريبًا (عند البخاري ١٥٥٣) معلقًا.

(٤) أخرجه أبو داود (١٨١٤) بسندٍ حسن.

(٥) مسلم (١٢٤٧)، وانظر البخاري (١٥٤٨).

لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ» (١) .

أما الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فمنهم من كان يلزم تلبية رسول الله ﷺ ومنهم من كان يلبي مع زيادات أُخر؛ كقول القائل: لبيك حقًّا حقًّا تعبدًا ورقًا (٢) .

وورد عن رسول الله ﷺ بسندٍ مختلفٍ في تحسينه: «لبيك إله الحق» (٣) .

* أما عن فضل التلبية: ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّى إِلاَّ لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا** » (٤) .

أما عن معنى (لبيك اللهم لبيك): فالمعنى: استجابة لك يا رب بعد استجابة.

ويهلُّ جميع من أراد الحج من الميقات بهذا الإهلال المذكور مع تحديد النسك الذي يريد ويختار، فإن كان سيعتمر فليقولن مع الإهلال المذكور عند الميقات: «لبيك عمرة»، وإن شاء زاد: «لا رياء فيها ولا سُمعه».

وإن شاء اشترط فقال: «اللهم محلي حيث حبستني».

وفائدة هذا الاشتراط: أنه إذا مُنع من الحج أو العمرة لأي عُذر من الاعذار بعد أن أهلَّ جاز له التحلل ولا يلزم بدماء أما إذا لم يكن اشترط، وحال بينه وبين إتمام حجة وعمرته حائل فلم يتمها لزمه أن يذبح قبل أن يتحلل، لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

---

(١) البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤). وكان ابن عمر يزيد: « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ».

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٣/٢٢٣): رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا ولم يُسم شيخه في المرفوع.

(٣) أخرجه النسائي (٥/١٦١)، وابن ماجه (٢٩٢٠)،وقد أُعلَّ بالإرسال، وكأن الإرسال أصوب، و الله أعلم.

(٤) الترمذي (٨٢٨).

وهل يلزم أن يرسل الهدي إلى الحرم ولا يتحلل حتى يصل إلى هنالك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ولقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٣]. أم أنه يجوز له أن يذبح في المكان الذي أُحصر عنده، ثم يتحلل لأن النبي ﷺ لما أُحصر بالحديبية نَحَرَ هُنالك عند الحديبية؟!

ففي ذلك وجهان لأهل العلم، أرجحهما: الثاني.

وعلى كلٍّ؛ فهذا الاشتراط الذي قدمنا ذِكرَه: «**اللهم محلي حيثُ حبستني**» يستحب لمن خشي أن لا يُتمَّ حجَّه أو عمرته.

وقد ورد في هذا الصدد الحديث المتفق عليه [(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا « **لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ** » . قَالَتْ وَاللهِ لاَ أَجِدُنِي إِلاَّ وَجِعَةً . فَقَالَ لَهَا « **حُجِّي وَاشْتَرِطِي ، قُولِي اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي** » . وَكَانَتْ تَحْتَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ .

الأنساك الثلاثة (الإفراد- القِران- التمتع)

أما إذا كان يريد الحج، فيختار أحد الأنساك الآتية:

* **الإفراد**: وهو أن يحج فقط بلا عمرة؛ فيقول: «**لبيك اللهم لبيك...لبيك حَجًّا**».

* **القِرَان**: وهو أن يحج ويعتمر بلا تحلل بينهما؛ فيقول: «**لبيك اللهم لبيك...لبيك عمرةً في حجةٍ**».

ويستحب لمن يقرن أن يكون قد ساق الهدي معه.

* **التَّمَتُّع**: وهو أن يعتمر عمرةً متمتعًا بها إلى الحج؛ فيقول: «**لبيك عمرة**»،

---

(١) البخاري (٥٠٨٩)، ومسلم (١٢٠٧).

وإن شاء زاد: «**متمتعًا بها إلى الحج**».

وفي كل هذا يجوز له الاشتراط المذكور، وهو أن يقول: «**اللهم محلي حيث حبستني**» أي: يا رب سأتحلل في المكان الذي أُمنع فيه (لأي عارضٍ) من مواصلة الحج أو العمرة.

* **أما عن أيٍّ هذه الأنساك الثلاثة أفضل**: فبكلّ قد قال فريقٌ من أهل العلم.

فالذين قالوا: إن الإفراد أفضل، قالوا: لأنه لا يحتاج الحج معه إلى دمٍ، وأشار بعضهم إلى أن الدم يكون لإتمام ما حدث من جراء التمتع من استمتاع بالتحلل بين الحج والعمرة.

* **وقال آخرون**: إن القران أفضل؛ لأن النبي ﷺ حجَّ قارنًا.

* **وقال آخرون**: إن التمتع أفضل؛ لأن النبي ﷺ أمرَ به وقال: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً**».

والذي يبدو لي، والله أعلم، أن التمتع أفضل.

ما يتقيه المُحرِم

هذا، وبعد أن يُحرِم الشخص ويهل بالتلبية عليه أن يتقي أمورًا:

* **فمن ذلك**: لبس المخيط المُفَصَّل على قدر الجسم من الثياب؛ كالقميص ونحوه، وكذلك لا يغطي رأسه بشيء يباشرها كالعمامة ونحوها، ولا يلبس السراويلات (غلا مضطرًّا إليها) ولا البرانس ولا الخفاف (وهي التي تغطي الكعبين- وهما العظمتان الناتئتان عن يمين الرِّجْل وشمالها) إلا إذا اضطر إليها فليقطعها حتى تكون أسفل الكعبين.

* **وكذلك لا يمس طيبًا بعد إحرامه:**

ففي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١): أن رجلًا قال: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **لاَ تَلْبَسُوا الْقُمُصَ، وَلاَ الْعَمَائِمَ، وَلاَ السَّرَاوِيلاَتِ، وَلاَ الْبَرَانِسَ، وَلاَ الْخِفَافَ، إِلاَّ أَحَدٌ لاَ يَجِدُ النَّعْلَيْنِ، فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ، وَلاَ تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ وَلاَ الْوَرْسُ** ».

وعليه أن يعتزل النساء: فلا يخطب ولا ينكح ولا يجامع؛ فالجماع يفسد الحج، ولا يُباشر، ولا يتكلم في حضرتهن برفثٍ.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والرَّفَثُ هنا عام يشمل الجماع ومقدماته.

وكذا كما هو واضح في الآية الكريمة: أن لا جدال في الحج- اللهم لا جدالًا بالتي هي أحسن لإيصال ملعومةٍ، أو لإقرار حقٍّ، ونحو ذلك مما هو بالحسنى، والله أعلم.

وكذا فعليه أن يتقي السباب والشتم، ونحو ذلك مما يتسبب له في الوصف بالفسوق.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطِبُ**» (٢).

ومما يُلفت النظر إليه في هذا المقام: أنه قد ورد من حديث ابن عباس (٣)

---

(١) البخاري (١٥٤٢)، ومسلم (١١٧).

(٢) مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) البخاري (١٨٣٧).

عند البخاري أن النبي ﷺ تزوَّج ميمونة وهو مُحرمٌ.

ولا يحلق شعرًا، ولا يُقلِّم ظُفُرًا.

ولا يجوز للمحرم أن يصطاد، ولا أن يُعاونَ من يصطاد: وذلك لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة: ٩٥].

وأخرج البخاري ومسلم (١) في صحيحيهما من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ خَرَجَ حَاجًّا، فَخَرَجُوا مَعَهُ فَصَرَفَ طَائِفَةً مِنْهُمْ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ فَقَالَ «خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ حَتَّى نَلْتَقِيَ». فَأَخَذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلاَّ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَوْا حُمُرَ وَحْشٍ، فَحَمَلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى الْحُمُرِ، فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، فَنَزَلُوا فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهَا، وَقَالُوا أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِ الأَتَانِ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا أَحْرَمْنَا وَقَدْ كَانَ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ، فَرَأَيْنَا حُمُرَ وَحْشٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ، فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، فَنَزَلْنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهَا ثُمَّ قُلْنَا أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا».

وعند البخاري ومسلم (٢) أيضًا من حديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهْوَ بِالأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّا حُرُمٌ».

(١) البخاري (١٨٢٤)، ومسلم (١١٩٦).

(٢) البخاري (١٨٢٥)، ومسلم (١١٩٣).

وعند مسلم (١) كذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَذْكِرُهُ كَيْفَ أَخْبَرْتَنِى عَنْ لَحْمِ صَيْدٍ أُهْدِىَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ حَرَامٌ قَالَ قَالَ أُهْدِىَ لَهُ عُضْوٌ مِنْ لَحْمِ صَيْدٍ فَرَدَّهُ. فَقَالَ «**إِنَّا لاَ نَأْكُلُهُ إِنَّا حُرُمٌ**».

وعنده (٢) أيضًا من طريق مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ التَّيْمِىِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَنَحْنُ حُرُمٌ فَأُهْدِىَ لَهُ طَيْرٌ وَطَلْحَةُ رَاقِدٌ فَمِنَّا مَنْ أَكَلَ وَمِنَّا مَنْ تَوَرَّعَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ طَلْحَةُ وَفَّقَ مَنْ أَكَلَهُ وَقَالَ أَكَلْنَاهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا ويستحب لمن ساق الهدي أن يُقّلده، وأن يُشعره: كما ورد في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ.

أما في كتاب الله، فقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٢].

وقد قلد النبي ﷺ هديه وأشعر البدن.

* **أما عن تقليد الهدي**: فهو أن تُجعل في رقبته قلادة حتى يُعرف أن هدي (٣)، وأما عن إشعاره فهو أن يطعن في ظهر الناقة أو في فخذها طعنًا

---

(١) مسلم (١١٩٥).

(٢) مسلم (١١٩٧).

(٣) أخرج البخاري (١٧٠٢)، ومسلم (٩٥٩/٢) في طرق حديث (١٣٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَفْتِلُ الْقَلاَئِدَ لِلنَّبِىِّ ﷺ فَيُقَلِّدُ الْغَنَمَ، وَيُقِيمُ فِى أَهْلِهِ حَلاَلاً.

وقولها: يقيم في أهله حلالًا: أي: بالمدينة في السنوات التي لم يحج فيها كان يرسل هديًا إلى مكة أما الإشعار ففي صحيح مسلم (١٢٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ بِذِى الْحُلَيْفَةِ ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِى صَفْحَةِ سَنَامِهَا الأَيْمَنِ وَسَلَتَ الدَّمَ وَقَلَّدَهَا نَعْلَيْنِ....

خفيفًا فيسيل بعض الدم فيمسح بها المكان المحيط بالطعنة، فيُعلم بذلك أنها مهداة إلى البيت العتيق.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري (١) من حديث عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ قَالاَ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِى بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِى الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ النَّبِىُّ ﷺ الْهَدْىَ وَأَشْعَرَ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ.

وهذا الإشعار، وذلك التقليد (أي: القلائد التي في عنق الهدي) مستحبان، وليسا على الوجوب، والله تعالى أعلم.

ماذا تفعل الحائض والنفساء عند الميقات؟

والحائض والنفساء إذا وصلتا الميقات، وكانتا تريدان الحج والعمرة؛ فإنهما تهلان من الميقات شأنهما شأن سائر الحجيج في كل شيء إلا أنهما لا تطوفان بالبيت حتى تطهرا من الحيض أو النفاس، ويستحب لهما بين يدي هذا الإهلال أن تغتسلا تنظفًا وإن كانت الحيضة ما زالت باقية.

وذلك لم أخرجه مسلم (٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ نُفِسَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ بِالشَّجَرَةِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ يَأْمُرُهَا أَنْ تَغْتَسِلَ وَتُهِلَّ.

وعند مسلم (٣) من حديث جابر أيضًا..... فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِى بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ « اغْتَسِلِى وَاسْتَثْفِرِى بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِى ».

---

(١) البخاري (١٦٩٥).
(٢) مسلم (١٢٠٩).
(٣) مسلم (١٢/٨).

هذا ويستمر الحاج مُلبيًا إلى أن يصل إلى الحرم؛ فإذا بلغ الحرم، فللحرم آدابٌ وأحكامٌ فمكة بلدٌ حرام لها حرمتها التي يجب أن تُراعى، ففي الصحيحين(١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ « **لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا** » . قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ . إِلاَّ الإِذْخِرَ ، فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ . قَالَ قَالَ « **إِلاَّ الإِذْخِرَ** » .

ويجوز للمُحرم: أن يستعمل الشمسية، وأن يلبس الساعة، وأن يستظل بحائطٍ أو بخيمة أو بأي شيء لا يلامس رأسه، وإن استظل جاهلًا بما يلامس الرأس أو تطيب بجهل ونسيان فلا شيء عليه، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث يعلى بن أمية(٢): أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْخَلُوقِ أَوْ قَالَ صُفْرَةٍ فَقَالَ كَيْفَ تَأْمُرُنِى أَنْ أَصْنَعَ فِى عُمْرَتِى فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسُتِرَ بِثَوْبٍ وَوَدِدْتُ أَنِّى قَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ . فَقَالَ عُمَرُ تَعَالَ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْوَحْىَ قُلْتُ نَعَمْ . فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ كَغَطِيطِ الْبَكْرِ . فَلَمَّا سُرِّىَ عَنْهُ قَالَ « **أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعُمْرَةِ اخْلَعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ وَاغْسِلْ أَثَرَ الْخَلُوقِ عَنْكَ ، وَأَنْقِ الصُّفْرَةَ ، وَاصْنَعْ فِى عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِى حَجِّكِ** » .

---

(١) البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

(٢) البخاري (١٧٨٩).

ويجوز للمحرم (١) أن يغتسل وأن يدلك رأسه:

أخرج البخاري (٢) من طريق إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْعَبَّاسِ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ اخْتَلَفَا بِالأَبْوَاءِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ . وَقَالَ الْمِسْوَرُ لاَ يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ . فَأَرْسَلَنِى عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ ، وَهُوَ يُسْتَرُ بِثَوْبٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقُلْتُ أَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ حُنَيْنٍ ، أَرْسَلَنِى إِلَيْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ ، أَسْأَلُكَ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْسِلُ رَأْسَهُ ، وَهُوَ مُحْرِمٌ ، فَوَضَعَ أَبُو أَيُّوبَ يَدَهُ عَلَى الثَّوْبِ ، فَطَأْطَأَهُ حَتَّى بَدَا لِى رَأْسُهُ ثُمَّ قَالَ لإِنْسَانٍ يَصُبُّ عَلَيْهِ اصْبُبْ . فَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ وَقَالَ هَكَذَا رَأَيْتُهُ ﷺ يَفْعَلُ .

ما يُقتل من الدواب في الحرم

وهناك دوابٌّ تقتل في الحرم، وليس على المحرم جناح في قتلهن: ففي الصحيحين (٣) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَتْ حَفْصَةُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ لاَ حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ الْغُرَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ** » .

بل ويُشرع الاغتسال عند دخول مكة لمن استطاعه، ومن لم يفعل فلا شيء عليه.

أخرج البخاري ومسلم (٤) من طريق نافع قال: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما

(١) وليتق الصابون المطيب؛ احترازًا من الطيب الممنوع.
(٢) البخاري (١٨٤٠).
(٣) البخاري (١٨٢٨)، ومسلم (١١٩٩).
(٤) البخاري (١٥٧٣)، ومسلم (١٢٥٩).

إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحَرَمِ أَمْسَكَ عَنِ التَّلْبِيَةِ ، ثُمَّ يَبِيتُ بِذِي طُوًى ، ثُمَّ يُصَلِّي بِهِ الصُّبْحَ وَيَغْتَسِلُ ، وَيُحَدِّثُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ .

أبواب في الطواف

*** ويتوضأ لطواف:**

وذلك لأن النبي ﷺ توضأ لطوافه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّهُ أَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ قَدِمَ أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةً ، ثُمَّ حَجَّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ.....الحديث.

وقد رأى بعض أهل العلم أن الوضوء للطواف شرطٌ لصحةِ الطواف، واستدل بعضهم بحديث: «**الطواف بالبيت صلاةٌ إلا أنكم تتكلَّمون فيه، فمن تكلَّم فيه فلا يتكلَّمَنَّ إلا بخيرٍ**».

لكن الصواب فيه: الوقف على ابن عباس.

وعلى كلٍّ؛ فأدنى الأحوال استحباب الوضوء.

ثم يدخل الحرم من أيِّ باب شاء؛ ذاكرًا الله عز وجل بالأذكار الواردة عند دخول المسجد، كقول: «**اللهم افتح لي أبوابَ رحمتك**» (٢).

وكالوارد أيضًا عن رسول الله ﷺ عند دخول المسجد أيضًا: « **أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» (٣).

ويشرع لطائف أن يضطبع، والاضطباع هو تغطية الكتف الأيسر، وكشف

---

(١) البخاري (١٦٤١)، ومسلم (١٢٥٨).

(٢) مسلم (٧١٣).

(٣) إسناده حسن، وقد أخرجه أبو داود (٤٦٦) بسندٍ حسن.

الكتف الأيمن، وذلك لأن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم قد قذفوها على عواتقهم اليسرى (١).

وفيما يظهر لي: أن هذا الاضطباع أثناء الطواف فقط.

وذلك لما أخرجه أحمد في مسنده بسندٍ حسنٍ (٢) أيضًا وبإيضاح للحديث السابق ففيه: ثُمَّ أقبلَ رسولُ الله ﷺ حتى دخلَ المسجد وقعدت قريش نحو الحجر، فاضطبع بردائه...الحديث.

هذا، ويبتدئ الطائف طوافه باستلام الحجر الأسود وتقبيله إن استطاع، فإن لم يستطع أشار إليه وكبَّر.

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم (٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ يَقْدَمُ مَكَّةَ، إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الأَسْوَدَ أَوَّلَ مَا يَطُوفُ يَخُبُّ (٤) ثَلاثَةَ أَطْوَافٍ مِنَ السَّبْعِ.

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ، كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ (٥) أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ (٦).

ولحديث جابر (٧) رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى الحجر

---

(١) أخرجه أبو داود بسند حسن (١٨٨٤) ففي سنده: عبد الله بن عثمان بن خيثمة، وحديثه لا يرتقي للصحة، بل ينزل للحسن.

(٢) أحمد (١/٣٠٥).

(٣) البخاري (١٦٠٣)، ومسلم (١٢٦١).

(٤) ومعنى (يخب): أي: يرمل، والرمل هو المشي السريع المتابع.

(٥) والمراد بالركن: الركن الذي فيه الحجر الأسود.

(٦) البخاري (١٦١٣).

(٧) مسلم (١٢١٨).

فاستلمه، ثم مشى على يمينه فرمل ثلاثًا، ومشى أربعًا.

* **أما عن تقبيل الحجر:** ففي الصحيحين (١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحجر وقال: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك.

ولا ينبغي أن يزاحم ويؤذي الناس كي يقبل الحجر؛ فإن أذى المسلمين لا يجوز، والله يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* **أما عن الحجر الأسود نفسه:** فقد ورد بإسنادٍ يُحسَّن: أن رسول الله ﷺ قال: «**الْحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ حَتَّى سَوَّدَتْهُ خَطَايَا أَهْلِ الشِّرْكِ**» (٢).

وكذلك بإسنادٍ حسنٍ عند الترمذي في فضل استلام الحجر: «**وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ**» (٣).

وإذا كان مع الطائف عصًا واستطاع - بلا إلحاق ضرر بأحد - أن يستلم الحجر بالعصا استلمه بالعصا، وقبَّل العصار.

وقد أخرج مسلم (٤) في صحيحه من طريق أبي الطفيل قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوفُ بالبيتِ، ويستلمُ الرُّكن بمحجن معه، ويُقبلُ المحجن.

وعند مسلم أيضًا (٥) من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ مَا تَرَكْتُ

---

(١) البخاري (١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٧/١).
(٣) الترمذي (٩٦١).
(٤) مسلم (١٢٧٥).
(٥) مسلم (١٢٦٨)، والبخاري (١٦٠٦).

اسْتِلاَمَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ - الْيَمَانِيَ وَالْحَجَرَ مُذْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا فِي شِدَّةٍ وَلاَ رَخَاءٍ.

الرَّمَل في الحج

ثم يبدأ الطائف في طوافه، الذي هو طواف القدوم- بطريقة الرمل(١) - إن استطاع-، والرَّمَلُ: هو المشي السريع المتتابع، وذلك في طواف القدوم فقط(٢)، وفي الثلاثة أشواط الأُوَل فقط، ويكون مضطبعًا كما بينا، والاضطباع: أن يكشف الكتف الأيمن، ويغطى الكتف الأيسر.

هذا، ويستحب للطائف أن يدعو عند الملتزم (وهي المسافة بين الركن

---

(١) وليس على النساء رَمَلٌ.

وهذا وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال لِلرُّكْنِ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ ، وَلَوْلاَ أَنِّى رَأَيْتُ النَّبِيَّ □ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ . فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ قَالَ فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ . ثُمَّ قَالَ شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ □ فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ .

وأخرج مسلم في صحيحه (١٢٦٤) من طريق أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ قُلْتُ لاِبْنِ عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّمَلَ بِالْبَيْتِ ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشْىَ أَرْبَعَةِ أَطْوَافٍ أَسُنَّةٌ هُوَ فَإِنَّ قَوْمَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُنَّةٌ. قَالَ فَقَالَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا. قَالَ قُلْتُ مَا قَوْلُكَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ مَكَّةَ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ مِنَ الْهُزَالِ وَكَانُوا يَحْسُدُونَهُ. قَالَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلاَثًا وَيَمْشُوا أَرْبَعًا. قَالَ قُلْتُ لَهُ أَخْبِرْنِى عَنِ الطَّوَافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رَاكِبًا أَسُنَّةٌ هُوَ فَإِنَّ قَوْمَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُنَّةٌ.

قَالَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا. قَالَ قُلْتُ وَمَا قَوْلُكَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَقُولُونَ هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا مُحَمَّدٌ. حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنَ الْبُيُوتِ. قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يُضْرَبُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ وَالْمَشْيُ وَالسَّعْيُ أَفْضَلُ.

(٢) ومما يدل على أن الرمل في طواف القدوم فقط: ما أخرجه أبو داود (٢٠٠١) بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي □ لم يَرْمُلْ في السَّبْعِ الذي أفاضَ فِيهِ.

الذي به الحجر الأسود، وباب الكعبة).

أما ما ورد من لصق الخدود والصدور بالملتزم؛ فذاك ضعيف الإسناد.

هذا، ويجدر التنبيه على أمرٍ هو في غاية الأهمية: ألا وهو أن الطائف يجب عليه وجوبًا أن يطوف من خلف الحجر (الذي يسميه الناس حِجْر إسماعيل[(١)]) فالحجر من الكعبة، فالذي يختصر الطواف ويطوف من داخل الحِجْر فطوافه لهذا الشوط غير صحيح، وذلك لأنه لم يطف بالكعبة (التي منها الحِجْر).

* **وقصة ذلك الحِجْر:** أن قريشًا لما أرادوا الكعبة قصرت بهم النفقة (أي: لم يجدوا نفقة) عن بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، فبنوها من ثلاثة أركان على قواعد إبراهيم، الباقي صنعوا له ما يحيط به ليُعلم أنه من الكعبة، فعليه فصورة الكعبة التي يُطاف حولها كالتالي:

ومما يدل على ماذكر من عدم إتمام بناء الكعبة على قواعد إبراهيم: ما أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ قَالَ «نَعَمْ». قُلْتُ فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِى الْبَيْتِ قَالَ «إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ». قُلْتُ فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا قَالَ «فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِى الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ».

وقد أخرج مسلم[(٣)] في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: رَمَلَ

---

(١) ولا أعلم دليلًا صحيحًا على تسميته بحجر إسماعيل.

(٢) البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

(٣) مسلم (١٢٦٢).

رسولُ الله ﷺ من الحجر إلى الحَجَرِ ثلاثًا، ومَشَى أَرْبعًا.

هذا، وأما عن الأذكار في الطواف: فلم يصح ذكرٌ بعينه أثناء الطواف، اللهم إلا أن من العلماء من يُحسِّن حديثًا وفيه أيضًا- فيما أرى ضعف، وهو قول: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» بين الركن اليماني والحجر الأسود.

أما ما سوى ذلك فلم يصح أي دعاء عن رسول الله ﷺ أثناء الأشواط؛ وعليه فالكتب التي تباع حول الحرم فيها: ذكر الشوط الأول، وذكر الشوط الثاني، .....إلى غير ذلك؛ كل ذلك لا يصح عن النبي ﷺ.

ويجوز للطائف أن يطوف على بعير أو راكبًا عمومًا: قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي . قَالَ « طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ » (١).

وأخرج البخاري ومسلم (٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ طَافَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى بَعِيرٍ ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ .

وأخرج مسلم (٣) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيَرَاهُ النَّاسُ وَلِيُشْرِفَ وَلِيَسْأَلُوهُ فَإِنَّ النَّاسَ غَشُوهُ.

* **أما عن الركن اليماني:** فيستحب استلامه أيضًا عند كل مرورٍ عليه، ولكن إذا لم يستطع الطائفُ استلامه لم يُشر إليه، فالإشارة إلى الركن اليماني لم ترد

---

(١) البخاري (١٦١٩)، ومسلم (١٢٧٦).

(٢) البخاري (١٦٠٧)، ومسلم (١٢٧٢).

(٣) مسلم (١٢٧٣).

عن رسول الله ﷺ.

أما عن استلام الركن اليماني أيضًا: فقد أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ مَا تَرَكْتُ اسْتِلاَمَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ فِى شِدَّةٍ وَلاَ رَخَاءٍ ، مُنْذُ رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا . قُلْتُ لِنَافِعٍ أَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَمْشِى بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ قَالَ إِنَّمَا كَانَ يَمْشِى لِيَكُونَ أَيْسَرَ لاِسْتِلاَمِهِ .

ولا استلام للأركان غير الركنين اليمانيين (الركن اليمانن والركن الذي به الحَجَر الأسود).

وعند البخاري (٢) من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله قال لها: « **أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ**». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ «**لَوْلاَ حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ**».

فقال عبد الله (٣) رضي الله عنه لئن كانت عائشة رضي الله عنها سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ما أُرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

أما عن الأجر في مسح الحجر الأسود والركن اليماني: فقد أخرج النسائي (٤) وغيره من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير: أن رجلًا قال: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَاكَ تَسْتَلِمُ إِلاَّ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ قَالَ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -

---

(١) البخاري (١٦٠٦)، ومسلم (١٢٦٨).

(٢) البخاري (١٥٨٣).

(٣) عبد الله هو ابن عمر، كما هو واضح في سياق الأحاديث.

(٤) أخرجه النسائي (٥/٢٢١)، و الترمذي (٣/٣٨٢)، و عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٨٣٠) وفي سنده بعض الكلام.

ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ مَسْحَهُمَا يَحُطَّانِ الْخَطِيئَةَ ». وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ « مَنْ طَافَ سَبْعًا فَهُوَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ ».

ويجوز للطائف أن يتكلم؛ فلا مانع للطائف من الكلام، ولكن إذا تكلَّم يتكلَّم بخير، ولا يشوش على داعٍ وسائلٍ وتالٍ، والله أعلم.

وقد ورد أن النبي ﷺ تكلم أثناء الطواف فعند البخاري (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ بِإِنْسَانٍ رَبَطَ يَدَهُ إِلَى إِنْسَانٍ بِسَيْرٍ، أَوْ بِخَيْطٍ، أَوْ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَطَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ « قُدْهُ بِيَدِهِ».

ولا يمنع الطائف من الطواف في أي وقتٍ شاء: ولك لقول النبي ﷺ: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا تَمْنَعُنَّ أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَصَلَّى أَيَّ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ» (٢).

فإذا انتهى الطائف من طوافه اتجه إلى مقام إبراهيم (٣) تاليًا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. فيصلي خلف المقام ركعتين (٤) يقرأ في الأولى- بعد الفاتحة- سورة الكافرون، وفي الركعة الثانية- بعد الفاتحة- سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فإذا لم يستطع الصلاة خلف المقام مباشرة ويجعل المقام بينه وبين الكعبة؛ صلى في أي مكان خلف المقام، وإلا ففي أي مكان في المسجد.

---

(١) البخاري (١٦٢٠).

(٢) النسائي (٥/٢٢٣)، وأبو داود (١٨٩٤).

(٣) وهل يشير إلى الحَجر أم لا في الشوط الأخير، ففي ذلك وجهان للعلماء والأمر واسعٌ، والله أعلم.

(٤) مسلم (١٢١٨).

ويستحب للمرء (١) بعد صلاة الركعتين خلف المقام أن يتجه إلى زمزم (٢) فيشرب منها ويصب على رأسه، ثم يرجع فيستلم الحجر ثانيةً، ثم يتجه إلى الصفا.

الصفا والمروة

ثم يتجه المُحْرِمُ إلى الصفا تاليًا –إذا دنا منها– قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ثم يقول: أبدأ بما بدأ الله به، أي: أبدأ عملي في السعي بالوقوف على الصفا.

ثم إذا صعد الصفا– ولا يلزم أن يكون على الأحجار التي هنالك في أعلاها، إنما يكفي الصعود– شُرع له إذا صعد أن يتجه إلى القبلة ويذكر الله بهذا الذِّكْرِ الذي سنورده قريبًا جدًّا إن شاء الله، ويرفع يديه، ويدعو بما شاء، ويكثر جدًّا من الدعاء والذِّكر إن استطاع؛ فقد جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة رمي الجمار؛ لإقامة ذكر الله ﷻ، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاثًا.

أما عن هذا الذِّكر المستحب فعله على الصفا: فهو ما أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في بيان حجة النبي ﷺ ففيه: «ثُمَّ خَرَجَ –أي: رسول الله ﷺ– مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾ « **أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ** ». فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِىَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ**

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١٢١٨)، وأحمد (٣/٣٩٤).

(٢) وقد ورد في فضل ماء زمزم قول رسول الله ﷺ: «**إنَّها مُبَارَكَة، إنَّها طعَامٌ طُعْمٍ**» (مسلم ٢٤٧٣).

وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كَلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ أَنْجزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ». ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِى بَطْنِ الْوَادِى سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا».

أما عن استحباب رفع اليدين والدعاء مستقبل القبلة: فلما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﵁، وفيه: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا فَعَلاَ عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ (١).

* **أما عن السعي بين الصفا والمروة:** فإن الساعي يسعى داعيًا الله بما شاء من دعاءٍ، ذاكرًا أو تاليًا ما شاء من ذِكْرٍ أو تلاوةٍ، ما دام الشرع يقرها.

أما عن تخصيص كل شوط بدعاء معين؛ فهذا غير وأرد ولا مأثور عن النبي ﷺ.

هذا، ويُسرع الساعي (٢) في مسيرة، بل يجري جريًا خفيفًا بين العلامتين الخضراوين المشار بهما إلى الوادي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ في هذا المكان.

وفي سنن النسائي (٣) من طريق صفية بنت شيبة عن امرأة قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ يسعى في بطن المسيل ويقولُ: «**لا يُقطعُ الوادي إلا شدًّا**».

ويجوز للساعي بين الصفا والمروة أن يسعى راكبًا: وقد تقدم ذلك في أبواب الطواف.

هذا، وليُعلم أن الشوط الأول يكون من الصفا إلى المروة، والشوط الثاني

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠).

(٢) لكن النساء ليس عليهن إسراع في الوادي.

(٣) سنن النسائي (٥/٢٤٢).

يكون من المروة إلى الصفا، والثالث من الصفا إلى المروة، وهكذا حتى ينتهي على المروة بعد الشوط السابع.

وكثيرًا ما يُخطئ الناس في ذلك فيجعلون الذهاب والإياب شوطًا واحدًا، والصحيح أن الذهاب (أي: من الصفا إلى المروة) شوط، والإياب (الذي هو من المروة إلى الصفا) شوط ثانٍ من الأشواط السبعة.

وكما هو واضح فإنه كلما أتى إلى بداية العلامتين الخضراوين أسرع في السعي، وذلك للحديث المتقدم: «**لا يُقطعُ الوادي إلا شَدًّا**».

أما النساء فليس عليهن هذا الشَّد.

فإذا انتهى من أشواطه السبعة، وسيكون حينئذ على المروة فحينئذ يكون قد قضى عمرته، وله حينئذ أحوال:

إما أن يكون معتمرًا فقط، وليس هنالك حجٌّ؛ فحينئذس تكون عمرته قد انقضت تمامًا، فليتحلل بحلق شعر رأسه، وإن قصَّره فقط جاز له؛ لكن الحلق في حقه أفضل. أما النساء فتأخذ من الشعر قدر أنملة (عقلة إصبع).

وإما أن يكون معتمرًا عمرةً متمتعًا بها إلى الحج، وهذه العمرة- يلزم أن تكون بدايتها في أشهر الحج التي هي شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة- فأيضًا سيكون قد أنهى عمرته تمامًا، ولكن يستحب في حقه التقصير؛ لأنه سيحلق يوم النحر.

وهذا المتمتع الذي قد تحلل بعد عمرته يحل له كل شيء كلبس الثياب، وجماع النساء، وتقليم الأظافر، وفعل كل شيء يفعله الحلال، وذلك حتى يُهل بالحج ثانيةً فيما بعد، إما يوم التروية، وإما يوم عرفة.

وإما أن يكون قارنًا (أي: قد قال عند إهلاله: لبيك عمرةً في حجة) ويكون

قد ساق الهدي: فهذا لا يتحلل بل يبقى على إحرامه على ما سيأتي بيانه. وهذا القارن كان له أن يؤخر السعي بين الصفا والمروة مع طواف الحج (الذي هو طواف الإفاضة) وله أن يقدمه كالذي أشرنا إليه، والحاصل: أن عليه سعيًا واحدًا بين الصفا والمروة، إن سعاه مع طواف القدوم أجزأ عنه ولم يسع ثانية، وإن لم يَسْعَ مع طواف القدوم سعى مع طواف الإفاضة.

أما عن الحال الأخيرة للحاج: فهي أن يكون مُفردًا بالحج (أي: نوى الحج فقط، وأهلَّ به) دون عمرة فهذا يبقى على إحرامه أيضًا إلى يوم النحر على ما سيأتي بيانه إن شاء الله. وليس عليه سعيٌ للحج فيما بعد ما دام قد سعى لعمرته التي قدمنا ذكرها، أما إذا لم يكن سعى السعي الذي قدمناه فيُلزم بسعي مع طواف الإفاضة على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وهذا الطواف الذي فعله فيما سبق يُعَدُّ سُنَّة في حقه، بمعنى أنه- أي: المفرد- إذا أهل من الميقات وجاء مباشرةً إلى منى أو عرفات فليس عليه شيء إلا أن أجره بنقص عن الذي طاف طواف القدوم بلا شك.

فهذا بالنسبة للأنساك المذكورة (أعني: صور الحج التي اختار الحاج إحداها)، وقد قدمنا أيها أفضل مع تعليل ذلك، وهذا مزيد بيان لبعض ما ذُكر.

نسك النبي ﷺ في حجته (القِرَان)

ولنسأل أولًا عن الذي صنعه النبي ﷺ ثم لنقف على ما أمر به أصحابه رضي الله عنهم.

لقد بقي النبي ﷺ على إحرامه لكونه قد ساق الهدي معه، ولقد أمر أصحابه الذين لم يسوقوا الهدي أن يجعلوها عمرة، ولكن فيما يبدو لي أن هذا الأمر لم يكن أمر إلزام شديد، ولا إيجاب أكيد، إنما هو دائر بين الإباحة

والاستحباب، والذي حملني على ذلك قولُ جابر ﵁....ولم يعزم عليهم، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم (١) من طريق عطاء عن جابر وفيه: أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمْرَةٌ - قَالَ عَطَاءٌ قَالَ جَابِرٌ - فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ وَقَالَ « **أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ** » . قَالَ عَطَاءٌ قَالَ جَابِرٌ وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلاَّ خَمْسٌ أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِيرُنَا الْمَذْىَ قَالَ وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ هَكَذَا وَحَرَّكَهَا فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ « **قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّى أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ وَلَوْلاَ هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ فَحِلُّوا فَلَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ** » . فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

هل التمتع واجب؟

* **وهنا وقفة، عند أمر مُعين، ألا وهو:** هل يجب على كل من طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يكن ساق الهدي أن يجعل ما سبق من الطواف والسعي عمرةً، ومن ثَمَّ يجب عليه التحلل من عمرته ويصبح متمتعًا أم أن الأمر على غير هذا؟

فلأهل العلم وجوه في ذلك، منها طرفان ووسط، ولا شك أن الوسط أفضلها، والله تعالى أعلم.

أما الطرفان: فأولهما: قول من قال بعدم جواز التحلل من هذه العمرة، وحملوا أمر النبي ﷺ بالتحلل على أن هذا كان لعامه الذي حج فيه فقط، ومن ثمَّ منع هذا الفريق من أهل العلم الناس من التحلل من العمرة ومنعوهم من

(١) البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢٤٠).

التمتع عمومًا.

وهذا القول قد قال به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه، وكذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وفريق آخر من الصحابة رضي الله عنهم.

أما إنكار عمر رضي الله عنه على من تمتع بالعمرة إلى الحج.

فقد أخرج مسلم (١) في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ قَالَ إِنَّ اللهَ كَانَ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ وَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ مَنَازِلَهُ فَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ.

وفي صحيح مسلم (٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ. فَقَالَ « **أَحَجَجْتَ** » . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ «**بِمَا أَهْلَلْتَ**». قُلْتُ لَبَّيْكَ بِإِهْلاَلٍ كَإِهْلاَلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. قَالَ « **أَحْسَنْتَ ، انْطَلِقْ فَطُفْ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ** ». ثُمَّ أَتَيْتُ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ بَنِى قَيْسٍ ، فَفَلَتْ رَأْسِى، ثُمَّ أَهْلَلْتُ بِالْحَجِّ، فَكُنْتُ أُفْتِي بِهِ النَّاسَ ، حَتَّى خِلاَفَةِ عُمَرَ رضي الله عنه فَذَكَرْتُهُ لَهُ . فَقَالَ إِنْ نَأْخُذْ بِكِتَابِ اللهِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِالتَّمَامِ ، وَإِنْ نَأْخُذْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَحِلَّ حَتَّى بَلَغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُ .

وقد أخرج البخاري (٣) أيضًا من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل القرآنُ، قال رجلٌ برأيه ما شاء.

وكذا إنكار عثمان رضي الله عنه ومعارضة عليٍّ رضي الله عنه له في ذلك: ففي

---

(١) مسلم (١٢١٧).

(٢) مسلم (١٢٢١)، وانظر البخاري أيضًا (١٧٢٤).

(٣) البخاري (١٥٧١).

الصحيحين [(١)] من طريق عبد الله بن شقيقٍ قال: كَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَكَانَ عَلِيٌّ يَأْمُرُ بِهَا فَقَالَ عُثْمَانُ لِعَلِيٍّ كَلِمَةً ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّا قَدْ تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَجَلْ وَلَكِنَّا كُنَّا خَائِفِينَ.

وفيهما أيضًا [(٢)] من طريق سعيد بن المسيب قال: اجْتَمَعَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ رضي الله عنهما بِعُسْفَانَ فَكَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ أَوِ الْعُمْرَةِ فَقَالَ عَلِيٌّ مَا تُرِيدُ إِلَى أَمْرٍ فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَنْهَى عَنْهُ فَقَالَ عُثْمَانُ دَعْنَا مِنْكَ. فَقَالَ إِنِّى لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَكَ فَلَمَّا أَنْ رَأَى عَلِيٌّ ذَلِكَ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا.

وكان هذا الرأي- أعني أن المتعة خاصة بأصحاب النبي ﷺ رأيٌ لأبي ذر كذلك؛ ففي صحيح مسلم [(٣)] من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد ﷺ خاصة [(٤)].

وقد حدث أيضًا بين أنس وابن عمر رضي الله عنهم ما يدل على أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يرى منع التمتع في الحج، وعارضه أنسٌ بشدةٍ في هذا؛ ففي صحيح مسلم [(٥)] من طريق بكرٍ عن أنس رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يُلَبِّى بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ جَمِيعًا. قَالَ بَكْرٌ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ لَبَّى بِالْحَجِّ وَحْدَهُ. فَلَقِيتُ أَنَسًا فَحَدَّثْتُهُ بِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ أَنَسٌ مَا تَعُدُّونَنَا إِلاَّ صِبْيَانًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « **لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا** ».

وهذا القول بلا شك أراه مُجانبًا للصواب، وذلك لأن الله تعالى قال في

---

(١) مسلم (١٢٢٣)، والبخاري (١٥٦٣).
(٢) مسلم (١٢٢٣)، والبخاري (١٥٦٩).
(٣) مسلم (١٢٢٤).
(٤) وهو مجموع بحديث رسول الله □: «».بَلْ لأَبَدٍ. بَلْ لأَبَدٍ أَبَدٍ».
(٥) مسلم (١٢٣٢)، وانظر البخاري أيضًا (٤٣٥٣).

كتابه: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فدل هذا على أن هناك من يتمتع، وقد أباح الله له ذلك.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر الصحابة ﵃ الذين لم يسوقوا الهدي بالتمتع، ولما سئل رسول الله ﷺ عن هذا الأمر بالتحلل، فقال له سراقة بن مالك بن جُعْشُم: يا رسول الله ألعامِنَا هذا أم لأبدٍ؟ قال: «**بل لأبدٍ أبد**».

فدل ذلك على أن التمتع لم يكن خاصًّا بزمن رسول الله ﷺ فحسب.

أما الطرف الثاني، ألا وهو الطرف القائل بوجوب هذا التمتع لمن لم يسق الهدي، ووجهه هذا القول: أن النبي ﷺ أمرَ من لم يَسُقش الْهَدْيَ بأن يتحلل وبجعل ما سبق من أمره عُمرةً، قالوا: فما دام النبي قد أمر، فأمره واجب ولزامًا أن يتبع.

أما الجواب على هذا فمن وجوه:

أولًا: لا شك أن اتباع أمر رسول الله ﷺ واجب؛ لكن إذا علمنا من سائر أقواله ﷺ أو أُخبرنا عن بعض صحابته عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه لا يريد تشديدًا في الأمر علمنا أن أمرَه أمرُ استحباب ونَدْبٍ وإرشاد، وقد يكون حسب القرائن- أمرَ إباحة.

فبالنظر إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦]. علمنا أن هناك من لا يتمتع، فمن ثَمَّ فالتمتع على الجواز.

ثم بالنظر إلى قول جابر ﵁ لما قال: فَقَدِمَ النَّبِىُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ فَأَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ. قَالَ عَطَاءٌ قَالَ « **حِلُّوا وَأَصِيبُوا النِّسَاءَ** ». قَالَ عَطَاءٌ وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ...

نرى من قوله: ولم يعزم عليهم: أن الأمر ليسَ أمرَ إيجاب وإلزام.

ثم بالنظر إلى ما رواه مسلم (١) من طريق مُسْلِمٍ الْقُرِّيِّ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ فَرَخَّصَ فِيهَا وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَنْهَى عَنْهَا فَقَالَ هَذِهِ أُمُّ ابْنِ الزُّبَيْرِ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَخَّصَ فِيهَا فَادْخُلُوا عَلَيْهَا فَاسْأَلُوهَا قَالَ فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَإِذَا امْرَأَةٌ ضَخْمَةٌ عَمْيَاءُ فَقَالَتْ قَدْ رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهَا.

فنرى من هذا الحديث: أن رسول الله ﷺ رخَّص فيها، وفرقٌ بين الترخيص في الشيء وإيجاب هذا الشي.

فكلُّ هذا الذي ذُكر دالٌّ على أن الأمر ليس أمرَ إيجاب، وإنما أمر إباحةس أو استحباب، وذلك، والله أعلم، لكون الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم يعهدوا من قبل هذه الصورة من صور الحج التي هي التمتع في الحج، ولذلك فقد أنكر منهم من أنكر على الآخر، فأنكر عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلى أن استثبت من رسول الله ﷺ كما في حديث جابر الطويل (٢) ففيه: وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاكْتَحَلَتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ «صَدَقَتْ صَدَقَتْ».

وقال بعضهم كما في حديث جابر في الصحيحين (٣): فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلاَّ خَمْسٌ أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِيرُنَا الْمَذْىَ.

---

(١) مسلم (١٢٣٨).

(٢) مسلم (١٢١٨).

(٣) البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢١٦).

وفي صحيح مسلم (١): أن رجُلًا مِنْ بَنِي الْهُجَيْمِ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا هَـٰذِهِ الَّتِي قَدْ تَشَغَّفَتْ أَوْ تَشَغَّبَتْ بِالنَّاسِ أَنَّ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلَّ فَقَالَ سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَإِنْ رَغِمْتُمْ.

فهذا، وغيره، دالٌّ على أنهم كانوا يستنكرون التحلل من العمل فأكد لهم رسول الله ﷺ جوازها؛ بل، وأمرهم بها أمرَ ندبٍ وإرشادٍ كما أشرنا.

أما قوله ﷺ: «**دَخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**»؛ فهذا دالٌّ على جواز هذا الصنيع إلى الأبد، ليس لعامِ رسول الله ﷺ فحسب، وليس بدالٍّ على وجوب العمرة مع الحج إلى الأبد، ولذا فقد حج بعض الصحابة مفردين، وكان من هؤلاء عروة بن مضرسٍ رضي الله عنه.

فالحاصل: أن الأفضل في حق مَن لم يَسُقِ الْهَدْيَ: أن يتمتع (أي: يحج مُتمتعًا)، ومن ساقه فالأفضل في حقه القِرَان، وإن حجَّ شخصٌ مُفردًا فحجه صحيح، وليس بآثم، وقد حج عدد كبير من الصحابة مُفردين (أي: بلا عمرة).

وهذا رأي الجمهور، أعني: جواز الإفراد، والقِرَان، والتمتع، والله تعالى أعلم.

هذا، وحاصل الأمر فيما ذُكر:

أن من طاف وسعى، وبقي على إحرامه كقارِنس أو مفردٍ فله ذلك، ومن طاف وسعى وتحلَّل كمتمتع فله ذلك.

ماذا يصنع يوم التروية؟

ثم يبقى المُحرم على إحرامه، ومن تمتع فيبقى حلالًا إلى أن يأتي يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، فإذا جاء اليوم الثامن من ذي الحجة

(١) مسلم (١٢٤٤).

عاد المتمتع إلى الإهلال بالحج، فيهل بالحج من مكانه الذي هو فيه (١) قائلًا: « **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ. لبيك حجًّا**»، وإن شاء قال: «**لبيك حجةً لا رياءَ فيها ولا سمعة**».

ثم يتجه الجميع (المفرد، والقارن، والمتمتع) وهم محرمون إلى منى يلبون ويكثرون من التلبية، ويرفعون أصواتهم بها إذ هي من شعار الحج كما بَيَّنا.

ويشرع للحاج أن يصلي بمنًى الظهر في وقته ركعتين (أعني: قصرًا) والعصر في وقته ركعتين (٢) (قصرًا) (٣) والمغرب في وقته (ثلاث ركعات) والعشاء في وقتها ركعتين (قصرًا) ثم يبيت.

ماذا يصنع يوم التاسع (يوم عرفة)؟

ويصبح فيصلي الصبح ركعتين، ويمكث بعد صلاة الصبح- يوم التاسع من ذي الحجة- قليلًا حتى تطلع الشمس، كما فعل رسول الله ﷺ (٤) فقد مكث النبي ﷺ قليلًا حتى طلعت الشمس.

ثم يتجه الحاج إلى عرفات، وإن تمكَّن أن ينزل بنَمِرَةَ وهي على حدود

---

(١) وذلك لما أخرجه مسلم (١٢١٤) من حديث جابر ‌ؓ قال: «أمرنا النبي ﷺ لما أحللنا أن نُحْرِمَ إذا توجّهنَا إل منًى، قال: فأهللنا من الأبْطَح». وقد كانوا نازلين فيه.

(٢) سئل أنس ؓ: اين صلى رسول الله ﷺ الظهرَ والعصر يوم التروية؟ قال: بمنًى. (البخاري: ١٦٥٣)، ومسلم (١٣٠٩).

(٣) أخرج البخاري (٢٦٢) ومسلم (٦٩٤) من حديث ابن عمر ؓ قال: صلى رسول الله ﷺ بمنًى ركعتين.

(٤) انظر حديث جابر الطويل.

عرفات (قبيل عرفات) وفيها المسجد المسمى بمسجد نَمِرَةَ، ونصفه المُقدم في نمرة (خارج عرفات) ونصفه المؤخَّر (تقريبًا) في عرفات، فإذا تمكن الحاج أن يبقى بنمرة إلى أن تزول الشمس، ومعنى زوالها: زوالها عن منتصف السماء، أي: قبيل الظهر بما يقارب نصف ساعة، استحب له ذلك، وذلك لأن النبي ﷺ لما توجَّه إلى عرفة وجد القبة قد ضُربت له بنمرةَ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء (ناقته) فرُحِّلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس...ثم أذَّن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يُصَلِّ بينهما شيئًا (٢) ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات... (١)

فالحاصل: أن الشخص إذا أمكنه أن ينزل بنمرة إلى أن تزول الشمس، (وذلك قبيل الظهر بنصف ساعة تقريبًا) نزل بنمرة ثم يتجه إلى عرفات بعد زوال الشمس. وإذا لم يمكنه النزول بنمرة، ونزل مباشرة من منًى إلى عرفات فلا جناح عليه.

وفي طريقه من مِنًى إلى عرفات يُكبر إن شاء، ويلبِّي إن شاء، ويُهَلِّل إن شاء (٣).

وليتقِّ الشخص النزول بعُرنةَ (بالنون): وهي موضع بين عرفة (بالفاء) ومزدلفة، وذلك لقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان يُقالُ: ارْتَفِعُوا عَنْ مُحَسِّرٍ،

---

(١) لحديث جابر الطويل.

(٢) أي: ليست هناك نافلة بين الظهر والعصر.

(٣) وذلك لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٦٥٩)، ومسلم (١٢٨٥)، وقد سئل وهو في طريقه من منًى إلى عرفة: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ كَانَ يُلَبِّى الْمُلَبِّى لاَ يُنْكَرُ عَلَيْهِ، وَيُكَبِّرُ الْمُكَبِّرُ فَلاَ يُنْكَرُ عَلَيْهِ.

وارْتَفِعُوا عَنْ عُرَنَاتٍ.

ومعنى قوله: ارتفعوا، أي: لا تنزلوا، ففي هذا نهي للحجيج عن الإقامة في عُرنة، أو الإقامة في وادي مُحسِّر؛ إنما إذا مروا بهما يمرون مرورًا سريعًا، والله أعلم.

ثم إنه يصلي في عرفات في وقت الظهر الظهرَ والعصرَ جمعًا وقصرًا، وإن كان هناك من يخطب خطب قبل الصلاة (١)، وإن كان الحاج في خيمته وليس هناك من يخطب له في خيمته وليس هناك من يخطب له في خيمته فحضور الخطبة ليس بواجب.

ولكن يستحب له كما أسلفنا أن يجمع بين الظهر والعصر ويصلي كلًّا منهما ركعتين اقتداءً بالنبي ﷺ، وذلك حتى يتفرغ للعبادة بعرفات.

ويبقى في عرفات إلى أن تغرب الشمس وتذهب الصفرة قليلًا.

أما عن أعماله في عرفات، بعد صلاتي الظهر والعصر اللتين قد صلاهما جمعًا وقصرًا؛ فإنه يقف في أي مكان من عرفات، ولا يُلزم بالوقوف عند الصخرات التي وقف عندها النبي ﷺ، ولا يُلزم بصعود جبل الرحمة هنالك، وذلك لأن النبي ﷺ قال: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»، فلا يتوهم أن صعود الجبل أو الوقوف عند الصخرات واجب من الواجبات، بل الوقوف في أيِّ مكانٍ من عرفات مجزئ ولله الحمد، لما تقدم من الحديث..

(١) وليُعلم أنه يُسَنُّ تقصير الخطبة، والسنة أيضًا تعجيل الصلاة، وذلك حين تزول الشمس، ويسنُّ أيضًا التعجيل بالوقوف، أي: أنه ينبغي ويُسَنُّ ويستحب للإمام ولغيره أن يصلي الظهر والعصر جمعًا وقصرًا في أول وقت الظهر، وذلك بعد خطبةٍ قصيرةٍ، ثم يتوجه للدعاء والذكر. ففي الأثر عن سالم بن عبد الله بن عمر ﭬ، وأقره أبوه عبد الله بن عمر على ذلك كما في البخاري (١٦٦٠) أنه: للحَجَّاج: إن كنتَ تريدُ السُّنَّة فاقصُر الخُطْبَة وعَجِّل الوُقُوفَ.

وليُعلم أن الوقوف بعرفات أعظم ركن من أركان الحج على الإطلاق لقول النبي ﷺ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»، فإذا لم يقف الحاج بعرفات؛ فلا حجَّ له.

وليُكثر من هذا اليوم من التهليل والتكبير والتلبية، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مِنًى إلى عرفات، منَّا المُلبِّي، ومَنَّا المُكَبِّرُ. أخرجه مسلم في صحيحه (١)، وتقدم حديث أنس في الصحيحين: كان يُهلُّ مِنَّا المُهِلُّ (٢) فلا يُنكَر عليه، ويكبر منا المكبر فلا ينكر عليه.

وليكثر من قول: لا إله إلا الله، فمن أعظم ما يُقال في هذا اليوم: لا إله إلا الله، بل هي أعظم قولٍ على الإطلاق.

وليُكثر كذلك من الدعاء، وليجتهد فيه ملتزمًا بآدابه (٣).

ويستحب لمن وقف بعرفات أن يُفطر، ولا يصومه: وذلك اقتداء بالنبي ﷺ، ففي الصحيحين (٤) من حديث ميمونة رضي الله عنها: أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة؛ فأرسلت إليه بحلاب وهو واقفٌ في الموقف؛ فشرب منه، والناس ينظرون.

وفيهما من حديث أم الفضل (٥) أيضًا: شك الناس يوم عرفة في صوم النبي ﷺ؛ فبعثت إلى النبي ﷺ بشراب فشربه.

وأيضًا ففي الفطر عونٌ على كثرة الذكر وكثرة الدعاء، وهذا اليوم العظيم محلٌّ لهما.

---

(١) مسلم (١٢٨٤).

(٢) والإهلال: رفع الصوت بالتلبية.

(٣) وسنورد في آخر الكتاب-إن شاء الله- طائفة من الأدعية من الكتاب والسنة.

(٤) البخاري (١٩٨٩)، ومسلم (١١٢٤).

(٥) البخاري (١٦٥٨)، ومسلم (١١٢٣).

فعلى ذلك، فالحثُّ الوارد على صوم يوم عرفة لغير الحجيج، والحاجُّ إن شاء الله مأجورٌ أيضًا إذا أفطر، وذلك لاتباعه لسنة رسول الله ﷺ.

وقد سُئل ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن صوم يوم عرفة بعرفة فقال (كما عند الترمذي ٧٥١) بسندٍ صحيح فقال: «حججت مع النبي ﷺ فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه ومع عثمان فلم يصمه، وأنا لا أصومه، ولا آمر به ولا أنهى عنه.

أما عن فضل يوم عرفة، وفضل الحجيج الواقفين فيه، فقد صحَّ فيه من الأحاديث ما يلي:

ما أخرجه مسلم (١) في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: إن رسول الله ﷺ قال: « **مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِى بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ** ».

وعند أحمد (٢) بإسناد صحيح لشواهده- عن النبي ﷺ: «**إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **ليباهي الملائكة بأهل عرفات يقول: انظروا إلى عبادي شُعثًا غُبْرًا**».

وأخرج البخاري ومسلم (٣) من طريق طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِى كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا . قَالَ أَىُّ آيَةٍ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]. قَالَ عُمَرُ قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِى نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ

(١) مسلم (١٣٤٨).
(٢) أحمد (٢/٣٠٥).
(٣) البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

يَوْمَ جُمُعَةٍ .

هذا وكما سلف يستمر الحاج واقفًا في عرفة داعيًا سائلًا راجيًا خاشعًا مستغفرًا مهللًا مُكبرًا مُكبرًا من قول: لا إله إلا الله، ومُكثرًا من ذكر الله عمومًا، ويستحب له أن يتأدب عند الدعاء بآداب الدعاء الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

وعليه أن يَغُضَّ البصر، ويتقي الجَدَل، ويحفظ السَّمْع واللِّسان، بل ويجتهد في حفظ الفؤاد، وإن عاون حاجًّا وأرشد ضالًّا، وباع شيئًا أو اشتراه (١) بلا جدلٍ ولا رَفَثٍ ولا فسوقٍ فجائز له ما يصنع، وكذا إذا رأى منكرًا فغيَّره بلا مفسدة جاز له ذلك.

ويستمر الحاجُّ في وقوفه بعرفات حتى تغرب الشمس (٢)، وتذهب الصفرةُ قليلًا، ويؤخر المغرب كي يصليها مع العشاء في مزدلفة.

ثم يتجه من عرفات إلى مزدلفة راكبًا (وقد ركب رسول الله ﷺ) أو ماشيًا؛ فقد مشى قومٌ كثيرون في زمن رسول الله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

وعليه أن يدفع من عرفة إلى مزدلفة بسكينة ووقار فقد كان النبي ﷺ يحث

---

(١) قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

(٢) أما عن القدر المجزئ الذي إذا وقفه الشخص بعرفات أجزأ عنه، وأصبح حاجًّا (مع سائر الأركان) فيوضحه حديث عروة بن مضرس الطائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه أبو داود (١٩٥٠) وفيه: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْمَوْقِفِ - يَعْنِي بِجَمْعٍ قُلْتُ جِئْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ جَبَلِ طَيِّئٍ أَكْلَلْتُ مَطِيَّتِي وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي وَاللهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ جَبَلٍ إِلاَّ وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ أَدْرَكَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلاَةَ وَأَتَى عَرَفَاتٍ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ وَقَضَى تَفَثَهُ ».

الناس على السكينة- كما تقدم في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأيضًا فقد قال النبي ﷺ: «أيها الناسُ! عليكم بالسكينة؛ فإن البر ليس بالإيضاع»[١].

أي: ليس البر في إسراع المسير، ذلكم التزاحم المفضي إلى الإضرار بالنفس والآخرين.

وإذا وجد الحاج أمامه فرصة للإسراع بلا إضرار أسرع وذلك لأن النبي ﷺ كان كلما أتى حبلًا من الحبال أرخى لناقته قليلًا، كما تقدم في حديث مسلم، وكذلك فقد كان النبي ﷺ يَسيرُ العنق، فإذا وجد فجوة نص[٢]، أي: أنه كان يسير سيرًا متوسطًا بين الإبطاء والإسراع، فإذا وجد مكانًا متسعًا فارغًا أسرع فيه.

ثم إذا وصل مزدلفة صلى بها المغرب والعشاء جمعًا بإذان واحدٍ وإقامتين[٣] ولا سنة بينهما ولا قبلهما ولا بعدهما.

فقد أخرج بالبخاري ومسلم[٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا وَلاَ عَلَى إِثْرِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا .

وكما هو معلوم: فإنه يصلي المغرب ثلاث ركعات والعشاء ركعتين[٥]

---

(١) أخرج البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ □ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النَّبِيُّ □ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلإِبِلِ فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ وَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ».

(٢) البخاري (١٦٦٦)، ومسلم (١٢٨٦).

(٣) كما تقدم في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) البخاري (١٦٧٣)، ومسلم (١٢٨٨).

(٥) كما في صحيح مسلم (١٢٨٨) ففيه: وصلَّى المَغْربَ ثَلاثَ رَكَعَاتٍ، وَصلَّى العِشَاءَ رَكْعَتَيْن.

بمزدلفة.

ولم أقف على خبر يفيد أن النبي ﷺ أوتر تلك الليلة، ومن ثم قال بعض أهل العلم: هذه الليلة الواحيدة التي لم يرد أن النبي ﷺ أوتر فيها. فالله أعلم.

فإن ترك شخص الوتر لعدم ورود النص به في تلك الليلة فله ذلك. وإن أوتر شخص للعمومات الواردة في فضل الوتر والحث عليه فله ذلك، والله أعلم.

هذا، وإن وقف في أيِّ مكان في مزدلفة، جاز له ذلك، وأجزأ عنه، (ومزدلفة يطلق عليها مزدلفة، ويطلق عليها جمعٌ، ويطلق عليها: الْمَشْعَر الحرام)، ولقد قال النبي ﷺ لما وقف في مزدلفة (التي هي جَمْعٌ): «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وجَمْعٌ كُلُّها موقف**»(١)، ولقد قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة: ١٩٨].

ويستحب للحجيج أن يُعجِّلوا بالنوم بعد الصلاة.

هذا، وليحرص الحاج على المبيت بمزدلفة فهو واجب من الواجبات(٢) وليتنبه إلى حملات الحجيج وشركات السياحة التي لا يتقي كثيرون من القائمين عليها ربهم في أعمال الحج، فلا يقفون بمزدلفة إلا لالتقاط الجمرات والصلاة، وإن فعلوا، ولا يبتون؛ فإن فعلهم هذا لا يجوز، إنما المسنون والمشروع المبيت وصلاة الفجر بمزدلفة.

وليتأكد الحاجُّ أنه يبيت في مزدلفة، فكثيرون من الحجيج يبتون خارج

---

(١) تقدم، وهو في بعض طرق حديث جابر عند مسلم.

(٢) إلا ما سيأتي فيه الاستثناء.

مزدلفة وهم لا يشعرون.

هذا، ويستثنى الضعفة والنساء والصبية الصغار من المبيت بمزدلفة، فلهم أن يمضوا شطرًا من الليل بمزدلفة يصلون بها المغرب والعشاء ثم ينصرفون منها متجهين إلى مِنًى قبل صلاة الفجر، ويرمون الجمرة إذا قدموا مِنًى.

وهذه بعض الأحاديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم [(١)] من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ عِنْدَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَقَامَتْ تُصَلِّي، فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ يَا بُنَيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ قُلْتُ لاَ. فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ قُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ فَارْتَحِلُوا. فَارْتَحَلْنَا، وَمَضَيْنَا حَتَّى رَمَتِ الْجَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَتْ فَصَلَّتِ الصُّبْحَ فِي مَنْزِلِهَا. فَقُلْتُ لَهَا يَا هَنْتَاهْ مَا أُرَانَا إِلاَّ قَدْ غَلَّسْنَا. قَالَتْ يَا بُنَيَّ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَذِنَ لِلظُّعُنِ.

وأخرج البخاري ومسلم [(٢)] أيضًا من طريق سالم قال: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ، فَيَقِفُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِلَيْلٍ، فَيَذْكُرُونَ اللهَ مَا بَدَا لَهُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الإِمَامُ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ مِنًى لِصَلاَةِ الْفَجْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا قَدِمُوا رَمَوُا الْجَمْرَةَ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ أَرْخَصَ فِي أُولَئِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وفي الصحيحين [(٣)] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله.

---

(١) البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١).

(٢) البخاري (١٦٧٦)، ومسلم (١٢٩٥).

(٣) البخاري (١٦٧٨)،ومسلم (١٢٩٣).

وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: نَزَلْنَا الْمُزْدَلِفَةَ فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَطِيئَةً، فَأَذِنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ، ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ، فَلأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ.

وعند مسلم[(٢)] من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث بها من جَمْعٍ بليل.

هذا، ومتى يدفع الضعفة من مزدلفة إلى منًى؟

ورد في حديث أسماء السابق أنها سألت: هل غاب القمر فقال لها مولاها: نعم، قالت: فارتحلوا.

وتقدم من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: أن النبي بعث بها من جَمْعٍ بليل، ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وانظر حديث ابن عمر السابق أيضًا.

فالظاهر، والله أعلم، أن الترخيص بعد مضي وقت من الليل، أما أسماء فكانت تنتظر حتى يغيب القمر، فإن فعل شخص فعلها وانتظر حتى يغيب القمر فهذا أفضل، وإن اختار شخصٌ رأيًا آخر وهو مُضيُّ قَدْرٍ من الليل، فله ذلك أيضًا.

أما متى يرمي هؤلاء الذين قد تقدموا جمرة العقبة: فالظاهر، والله أعلم أن له أن يرميها بمجرد وصوله، فلما وصلت أسماء رمت الجمرة ثم رجعت

(١) البخاري (١٦٨١)، ومسلم (١٢٩٠).
(٢) مسلم (١٢٩٢).

فصلَّت الصبح في منزلها[(١)].

وفي رواية لابن خزيمة: أنه قيل لها: لقد رمينا الجمرة بليلٍ، قالت: كُنَّا نصنعُ هذا مع رسُول الله ﷺ.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم: فمنهم من يقدم منًى لصلاة الفجر، ومنهم من يقدم بعد ذلك، فإذا قدموا رموا الجمرة.

أما ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)] ويصحح بمجموع طرقه من أن النبي ﷺ قدمه مع الضعفة من أهله وأمرهم ألا يرموا الجمرة إلا مصبحين. وفي بعض الطرق: حتى تطلع الشمس، فهذا- إن علم من العلل- محمولٌ على أن النبي ﷺ اختار لأهله الأفضل، وليس بمانع من الرمي عند الوصول، وذلك لما تقدم من الأدلة، أو يحمل عمومًا على الندب والإرشاد، فيكون الرمي بمجرد الوصول جائزًا، ولكن الأفضل (لمَنْ لم يَشُقَّ عليه) عدم الرمي إلا بعد طلوع الشمس، وذلك جمعًا بين الأدلة، والله أعلم.

الذين يصحبون أصحاب الأعذار فيفيضون من مزدلفة إلى منى قبل الفجر، لهم أن يأخذوا بالرُّخَص التي أخذها أصحاب الأعذار، والله تعالى أعلم.

ويبيت- كما أسلفنا- مَن ليس لهم عذرٌ من الحجيج بمزدلفة حتى الفجر ويستحب لهم المبادرة إلى صلاة الفجر في أول وقتها، وذلك إذا تبين له الصبح[(٣)].

---

(١) البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١).

(٢) أبو داود (١٩٤١)، والنسائي (٥/٢٧٢)، وأحمد (١/٢٧٧)، والترمذي (٣/٢٣١)، والطحاوي (٢/٢١٦) وغيرهم.

(٣) كما في حديث جابر رضي الله عنه.

أما الوارد من حديث ابن مسعود ﵁ قال: ما رأيت النبي ﷺ صلى صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين: جمع بين المغرب والعشاء، وصلى الفجر قبل ميقاتها (١).

فقوله: قبل ميقاتها: أي: قبل ميقاتها الذي كان يصليها فيه كل يوم، وليس المعنى: قبل دخول وقتها.

وقد أوضح ذلك قول عبد الله بن مسعود: هُمَا صلاتان تحولان عن وقتهما: صلاة المغرب بعد ما يأتي الناسُ المزدلفة، والفجر حين يبزغ الفجرُ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يفعله (٢).

وكذا الوارد عن ابن مسعود ﵁ ثم صلى الفجر، حين طلع الفجر، قائل يقول: طلع الفجر، وقائل يقول: لم يطلع الفجر (٣). فهذا محمولٌ على التبكير أيضًا.

هذا، وبعد أن يصلي الفجر يقف داعيًا مكبرًا مُهلِّلًا مجتهدًا في دعائه وذكره، وإن اتجه إلى المشعر الحرام بعد صلاة الفجر، ودعا هنالك فله ذلك، وقد فعل ذلك النبي ﷺ، وذلك كما في حديث جابر الطويل ففيه: وَصَلَّى الْفَجْرَ - حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ - بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

وإن دعا في مكانه الذي صلى فيه الفجر، أو في أيِّ موطن من مزدلفة جاز

(١) البخاري (١٦٨٢)، ومسلم (١٢٨٩).
(٢) البخاري (١٦٧٥).
(٣) البخاري (١٦٨٣).

له ذلك، لقول النبي ﷺ: «**وقفت هاهنا وجمعٌ كلها موقفٌ**».

ويستمر داعيًا- كما بيَّنا- حتى يُسفر الصبحُ جدًّا، أي: يظهر بياض الصبح جدًّا وينتشر جدًّا، ثم يبدأ في التحرك (الدفع) من مزدلفة إلى مِنًى قبل أن تطلع الشمس مُخالفًا في ذلك المشركين فقد كان المشركون ينتظرون حتى تطلع الشمس فلا يتحركون من مزدلفة حتى تطلع الشمس، ففي الصحيح (١) من طريق عمرو بن ميمون رحمة الله قال: شهدت عمر رضي الله عنه صلَّى بجمع الصبح، ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير. وأن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس.

التقاط الحصيات التي تُرمى بها جمرة العقبة

هذا، وللحاج أن يلتقط الحصيات التي سيرمي بها جمرة العقبة يوم النحر من مزدلفة، أو من طريقه من مزدلفة إلى مِنًى أو مِنًى ، فكلُّ ذلك مجزئ إن شاء الله، وإن كان الوارد عن رسول الله ﷺ يُشعر بأنه أمر أن يُلتقط له الحصى إما من مزدلفة، وإما من الطريق من مزدلفة إلى مِنًى، وذلك لما أخرجه النسائي (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «**هات اللقُط لي**»، فلقطت له حصيات، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ».

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ فِي عَشِيَّةِ عَرَفَةَ وَغَدَاةِ جَمْعٍ لِلنَّاسِ حِينَ دَفَعُوا « عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ». وَهُوَ كَافٌّ نَاقَتَهُ حَتَّى دَخَلَ مُحَسِّرًا - وَهُوَ مِنْ مِنًى - قَالَ

(١) البخاري (١٦٨٤).
(٢) النسائي (٥/٢٦٨).

« عَلَيْكُمْ بِحَصَى الْخَذْفِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ الْجَمْرَةُ ». وَقَالَ لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُلَبِّي حَتَّى رَمَى الْجَمْرَةَ(١).

هذا، وإذا مرَّ الحاجُّ في طريقه من مزدلفة إلى منًى بوادي مُحسِّر استُحِبَّ له أن يُسرع قليلًا حتى يتجاوز ذلك الوادي، وقد تقدَّم في حديث جابر رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ أتى بطن مُحَسِّرٍ فَخَرَّك قليلًا(٢).

وقد تقدم أن الحاج يلتقط الحصيات التي يرمي بها الجمرة في طريقة من مزدلفة إلى منًى، والحصيات تكون مثل حصى الخّذْف(٣)، وهي أكبر من حَبَّة الحُمُّص قليلًا، أو نحو هذا الحجم.

ومن أطيب التوجيه هنا: أن النبي ﷺ لما أمر بالتقاط الحصى له حذَّر من الغلو في الدِّين، هذا الغلو الذي قد يحمل على الوسوسة أحيانًا، وعلى الخروج عن الشريعة أحيانًا، فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس(٤) غداة العقبة وهو على راحلته: «**هات القُطْ لي**» فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: «**بأمثال هؤلاء. وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**».

أعمال يوم النحر

تقدم أن الحاج يصلي الفجر في مزدلفة (باستثناء الضعفة) ويدعو كثيرًا إلى أن يسفر الصبح جدًّا ثم يتجه إلى مِنًى، ويستمر في طريقه مُلبِّيًا مُهلِّلًا مكبرًا

(١) مسلم (١٢٨٢)، وهذا أقرب إلى الصواب، أنه قال ذلك في الطريق، وليس من مزدلفة، والله أعلم.

(٢) أي حرّك دابته قليلًا.

(٣) تقدم ذلك في حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) النسائي (٥/٢٦٨) بسندٍ حسن.

حتى يصل إلى مِنًى ويرمي جمرة العقبة. ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد والفضل بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالا: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة(١).

وعند أحمد في المسند بسندٍ حسن(٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد خرجتُ مع رسول الله ﷺ فما ترك التلبية حتى رمى جمرة العقبة إلا أن يخلطها بتكبير أو تهليل.

فإذا وصل مِنًى اتجه إلى الجمرة (جمرة العقبة) ليرميها، ويُسنُّ له عند رمي الجمرة- إن استطاع- أن يجعل البيت (الكعبة، أي: مكة) عن يساره، ومِنًى عن يمينه، ثم يرميها بسبع حصيات، حصاةٍ بعد حصاةٍ بعد حصاةٍ، حتى ينتهي من السبع، ويُكبر مع كل حصاةٍ، كما في الصحيحين وغيرهما(٣).

ومما يجدر بنا التنبيه عليه: أن هذه الجمرة هي التي بايع الرسول صلوات الله وسلامه عليه عندها الأنصار، البيعة المشهورة ببيعة العقبة.

هذا، ويجوز للحاج أن يرمي الجمرة راكبًا أو واقفًا، وقد ثبت أن النبي ﷺ رماها راكبًا، وذلك في صحيح مسلم(٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففيه: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَرْمِى عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّى لاَ أَدْرِى لَعَلِّى لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِى هَذِهِ**».

وأخرج عبد بن حميد في المنتخب من حديث عن قدامة بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة يوم النحر على ناقة له صهباء، لا

---

(١) البخاري (١٦٨٦، ١٦٨٧)، ومسلم (١٢٨٠، ١٢٨١).

(٢) أحمد في المسند (٤١٧/١).

(٣) انظر البخاري (١٧٥٠)، ومسلم (١٢٩٦).

(٤) مسلم (١٢٩٧).

ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليك» (١).

ثم إن التلبية تنقطع بعد رمي جمرة العقبة الكبرى يوم النحر -كما أسلفنا-، وهذا اليوم يوم النحر له فضيلة عظمى، وقد قيل: إنه يوم الحج الأكبر.

وفي هذا اليوم يوم النحر أعمال للحاج تنبني هذه الأعمال على نوع النسك (نوع الحج) الذي أهلَّ به، فإن كان متمتعًا أو قارنًا فعليه أن يذبح أو ينحر (٢)، وإن كان مفردًا فليس عليه دم.

وفي هذا اليوم أيضًا: الحلق أو التقصير.

وفيه أيضًا: طواف الإفاضة (٣)، والسعي لمن عليه سعيٌ.

ونورد تفصيلًا لهذا كله إن شاء الله.

وبين يدي هذا التفصيل: فأُذكِّر بفعل النبي ﷺ أي: الترتيب الذي سلكه رسول الله ﷺ في هذا اليوم-: فهو أن النبي ﷺ رمي الجمرة ثم نَحَرَ، ثم حَلَق، ثم ذهب إلى مكة فطاف طواف الإفاضة.

ففي حديث جابر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر. فنحر ثلاثًا وستين بيده...ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت. فصلى بمكة الظهر.

وفي حديث أنس عند مسلم (٤) قال: لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة

---

(١) أي: أن الناس لا يُضربون ولا يُطردون من أجل التوسعة لرسول الله ﷺ كي يمرَّ ويرمي الجمرة.

(٢) ويجوز له تأجيل الذبح أو النحر ليوم أو ليومين على ما سيأتي إن شاء الله.

(٣) ويجوز أيضًا تأجيل طواف الإفاضة ليوم آخر أو لجَمْعه مع طواف الوداع، وذلك لأصحاب الأعذار.

(٤) مسلم (١٣٠٥).

ونحر نسكه وحلق، ناول الحالق شِقهُ الأيمن فحلقَهُ....الحديث.

ولكنه صلوات الله وسلامه عليه رخَّص لأصحابه وأمته في تقديم أي شيء أو تأخيره من أعمال يوم النحر.

ففي الصحيحين (١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ . قَالَ « اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ » . فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِىَ . قَالَ « ارْمِ وَلاَ حَرَجَ » . فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَىْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ .

وفي الصحيحين (٢) أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قيل له في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير، فقال: «**لا حرج**».

وعند البخاري (٣) أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل النبي ﷺ فقال: رميت بعد ما أمسيتُ؟، فقال: «**لا حرج**»، قال: حلقتُ قبل أن أنحر؟ قال: «**لا حرج**».

والروايات في هذا الباب كثيرة جدًّا تفيد هذا المعنى، فعليه يجوز للحاج يوم النحر أن يؤخر الرمي فيرمي بعد الحلق، ويجوز له أن يحلق قبل النحر، وينحر قبل الرمي، ويطوف قبل الحلق، ويطوف قبل النحر، وقبل الرمي، إلى غير ذلك فكل ذلك لا حرج فيه.

هذا، وليُعلم أن الحاج إذا رمى جمرة العقبة يوم النحر، فقد حلَّ له كل

---

(١) البخاري (١٧٣٦)، ومسلم (١٣٠٦).

(٢) البخاري (١٧٣٤) ومسلم (١٣٠٧).

(٣) البخاري (١٧٢٣).

شيء كان قد حرم عليه إلا النساء، وذلك لم أخرجه ابن خزيمة(١) في صحيحه من حديث ابن الزبير قال: من سُنَّة الحَجِّ أن يصلي الإمام الظهر والعصر....فإذا رمى الجمرة الكبرى حلَّ له كلُّ شيءٍ حُرِّم عليه إلا النساءض والطيبَ حتى يزور البيت.

وفي بعض الروايات...فقد حلَّ له ما حرم عليه إلا النساءَ حتى يطوف بالبيت.

والرواية الأولى تبين أن النساء والطيبَ ممنوعان إلا بعد الطواف بالبيت، لكن هناك من الأدلة ما هو أقوى يفيد أن الطيب مباح قبل طواف الإفاضة، ومن ذلك ما في الصحيحين(٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: طيبتُ النبي ﷺ بيدي لِحُرمه(٣) وطيبتهُ بمنًى قبلَ أن يُفيض(٤) وفي رواية: قبل أن يطوف بالبيت.

بشيء من التفصيل

أما عن سائر الأعمال: فبالنسبة للنحر، فكما بيَّنا أن القارن والمتمتع عليهما دمٌ، وأما المفرد فلا.

أما المتمتع فقد قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة: ١٩٦].

أما القارن؛ فأن النبي ﷺ كان قارنًا وقد ساقَ الهدي.

---

(١) ابن خزيمة (٤/٢٤٧).

(٢) البخاري (٥٩٢٢)، ومسلم (١١٨٩).

(٣) أيك لإحرامه.

(٤) أي: قبل أن يطوف طواف الإفاضة.

أما بالنسبة لدم التمتعُ، فعلى ما تيسر (١)، لكن أقله شاة (والشاة تطلق على الكبش (الخروف) وعلى النعجة، وعلى الجدي، وعلى المعز).

وليس لهذه المذكورات شروط، إنما على المستيسر (أي: أنه لا يلزم في دماء التمتع ما يلزم في الأضاحي من الشروط) ويجوز للمتمتع أن يشترك مع ستة آخرين في بقرة، أو في ناقةٍ، أي: أنه يجوز للسبعة الاشتراك في بقرة، أو في جَمَلٍ أو ناقةٍ، وذلك لحديث جابر ﵁: خرجنا مع رسول الله ﷺ مهلين بالحج، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر: كل سبعة منَّا في بدنة، وفي رواية عند مسلم أيضًا: فنحرنا البعير عن سبعة والبقرة عن سبعة (٢).

والهدي وإن كان بما استيسر، وليست هناك شروط له، إلا ما ذُكر من اشتراط سبعة في بقرة أو في بدنة أو أن كل واحد يذبح شاة، إلا أنه يستحب تعظيمه واستسمانه، وفكلما عظمت الهدي، وبحثت عن شاة سمينة، وعظيمة، أو بقرة سمينة وعظيمة، أو بدنة كذلك؛ فأجرك أعظم، وهذا دليل على تقواك، إذ الله سبحانه وتعالى قد قال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]. فالمراد بشعائر الله هنا، والله أعلم، البُدن التي تقدم كأضاحي أو دماء للتمتع والقِرَان، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦] (٣). فكلما

(١) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يُمنع في دم التمتع ما يُمنع في الأضاحي من ذوات العيوب فلا يصلح عندهم الهدي بالعوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين عرجها، والكسيرة التي لا تُنقي، لكن ظاهر الآية يفيد الجواز والعيوب المذكورة تقتصر على الأضاحي كما وردت، و الله أعلم.

(٢) مسلم (١٣١٨).

(٣) وقوله: صواف، أي: قائمة على ثلاثة أرجل معقولة (مربوطة) الرجل الرابعة اليسرى.

استعظمت البدن كلما عظم أجرك.

أما عن صنع رسول الله ﷺ فقد انصرف بعد رمي الجمرة إلى المنحر، فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غَبَر (١)، وأشركه في هديه، ثم أمر من كُلِّ بدنةٍ ببضعةٍ فجُعلت في قدر فطُبخت فأكلا من لحمها وشربًا من مَرَقِها (٢)....الحديث.

فيستفاد منه تعظيم الهدي لمن استطاع ذلك وأطاقه، ويستحب الأكل منه أيضًا، وقد قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦] (٣).

وقال النبي ﷺ: «كُلُوا وتزودوا» (٤).

ويستحب أيضًا أن ينحر بيده إن استطاع، وله أن يُوكل أيضًا، فقد أمر النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه أن ينحر ما تبقى.

وعليه ولكون النبي ﷺ أعطى عليًّا فنحر ما بقي: يجوز توكيل الشركات المختصة بالذبح واستنابتها في ذلك، والله أعلم. لكن على كل حال يستحب الأكل منها من غير إيجاب، والله أعلم.

هذا، ومما يُلفت النظر إليه في أمر الهدي أن الجازر لا يأخذ من الهدي شيئًا؛ إنما يأخذ أُجرتَه مالًا أو نحوه، أما من الهَدْي فلا ، وذلك لأن النبي ﷺ: «أمرَ عليًّا رضي الله عنه أن يقوم على بدنة (٥) وأن يقسم بدنة كلها» (١)، لحومها

---

(١) وكان المجموع مائة كما ورد في طرق الحديث.

(٢) وذلك كما تقدم في حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) القانع: الذي لا يَسأل. والمعتر: هو المعترض بالسؤال.

(٤) أخرجه البخاري (١٧١٩)،ومسلم (١٩٧٢).

(٥) البُدن: أي: الإبل.

وجلودها وجلالها، ولا يعطي في جزراتها شيئًا(٢)» (٣).

هذا، وليعلم أنه يستحب النحر أو الذبح بمنى، وإن ذبح في أي مكان في الحرم أجزأ ذلك عنه (وأعنى بالحرم: عموم ما أطلق عليه حرم) (٤).

أما الذبح والنحر بمنى؛ فلقوله ﷺ: «نحرتُ هاهنا ومنًى كلها منحر، فانحروا في رحالكم» (٥).

أما عن سائر الحَرَم فلقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ [الحج: ٣٣].

والمراد بالبيت العتيق عموم الحَرَم هنا، وذلك لأنه لا يتصور أن يذبح شخص في المسجد الحرام نفسه؛ لأن ذلك سيؤدي حتمًا إلى تلوث المسجد، والله أعلم.

أما عن صيام المتمتع الذي لم يجد هديًا، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ولكن ما هي هذه الأيام بالتحديد؟

لم يرد في ذلك نص عن النبي ﷺ، ولذلك تكاثرت أقوال العلماء في ذلك، فمنهم من قال: إن جوازها يبدأ من حين الإحرام بالعمرة (٦) وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر.

---

(١) أي: يقسمها على الفقراء والمساكين وغيرهم.

(٢) أي: لا يعطي الجزَّار شيئًا منها.

(٣) أخرجه البخاري (١٧١٧)، ومسلم (١٣١٧).

(٤) وهذا يشمل مكة بكاملها، وحدودها معروفة مُعلَّمة ويشمل منًى بكاملها، وجزءًا من مزدلفة.

(٥) مسلم (١٢١٨) من حديث جابر الطويل المتقدم.

(٦) أي: العمرة التي في أشهر الحج (التي تمتع بها المتمتع إلى الحج).

ومن العلماء من قال: إنها يوم السادس والسابع والثامن من منًى، ومنهم من قال: إنها السابع والثامن التاسع، ومنهم من قال: تبدأ من الإهلال بالحج وتنتهي إلى يوم عرفة إلى غير ذلك من الأقوال.

وأولاها بالصواب عندي –والله أعلم-: أنها تبدأ من وقت الإحرام بالحج إلى نهاية أيام التشريق، فإن قال قائل: إن النبي ﷺ قد نهى عن صيام أيام التشريق(١)، فيجاب على هذا بأن صومها مستثنى للمتمتع الذي لا يجد الهدْي، وذلك لما أخرجه البخاري(٢) من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يُصمن إلا لمن لم يجد الهدي.

وأخرج البخاري(٣) أيضًا عن ابن عمر قال: الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة، فإن لم يجد هديًا صام أيام منًى.

وأخرج البخاري أيضًا بإسناده إلى عروة قال: كانت عائشة رضي الله عنها تصوم أيام منًى، وكان أبوه يصومها(٤). والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]. رجعتم إلى أهاليكم وبلادكم، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(٥) من حديث عبد الله بن عمر عمر رضي الله عنهما وفيه: ... فمن لم يجد هديًا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا

---

(١) أخرج مسلم (١١٤١) من حديث نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله □: «أَيَّامُ التَّشْرِيق أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ».

ونحوه عند مسلم أيضًا (١١٤٢) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه وأوس بن الحَدَثان أيام التشريق فنادى: «أنه لا يدخل الجنة إلا مُؤمن وأيام منًى أيامُ أكلٍ وشربٍ».

(٢) أخرجهما البخاري (١٩٩٧، ١٩٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (١٦٩١)، ومسلم (١٢٢٧).

رجع إلى أهله.

هــذا، ويُشــرع للإمــام أن يخطــب النــاس يــوم النحــر، وأن يــذُكرهم ويعلمهم،ومـن ثَـمَّ فبعض الخطـب التي تلقـى في المخيمـات والتَّجَمُّعـات لا بأس بها؛ بل هي مشروعة، وذلك لما أخرجه البخاري (١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ خطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فقَالَ « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ . أَيُّ يَوْمٍ هَذَا** » . قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ . قَالَ « **فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا** » . قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ . قَالَ « **فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا** » . قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ . قَالَ « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا** » . فَأَعَادَهَا مِرَارًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ** » . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ - « **فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** ».

ولهذا الحديث عدة طرق عن النبي ﷺ في الصحيحين وفي غيرهما:

فمن ذلك: حديث بكرة المتفق عليه (٢): وفيه: خَطَبَنَا النَّبِىُّ - ﷺ - يَوْمَ النَّحْرِ ، قَالَ « **أَتَدْرُونَ أَىُّ يَوْمٍ هَذَا** » . قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ « **أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ** » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ «**أَىُّ شَهْرٍ هَذَا**». قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . فَقَالَ « **أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ** » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « **أَىُّ بَلَدٍ هَذَا** » . قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ « **أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ** » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِى**

---

(١) البخاري (١٧٣٩).

(٢) البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

بَلَدِكُمْ هَذَا ، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ . أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ » . قَالُوا نَعَمْ . قَالَ « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ، فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

ومن ذلك: حديث ابن عمر (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنًى: « أَتَدْرُونَ أَىُّ يَوْمٍ هَذَا » . قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَقَالَ « فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ ، أَفَتَدْرُونَ أَىُّ بَلَدٍ هَذَا » . قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « بَلَدٌ حَرَامٌ ، أَفَتَدْرُونَ أَىُّ شَهْرٍ هَذَا » . قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « شَهْرٌ حَرَامٌ - قَالَ - فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا ».

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِ أَخْبَرَنِى نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَفَ النَّبِىُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِى الْحَجَّةِ الَّتِى حَجَّ بِهَذَا ، وَقَالَ « هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ »، فَطَفِقَ النَّبِىُّ ﷺ يَقُولُ « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » . وَوَدَّعَ النَّاسَ . فَقَالُوا هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ .

أما عن الحلق والتقصير، فقد حلق النبي ﷺ، والمراد بالحلق إزالة شعر الرأس تمامًا بالموسى.

أما عن الأفضل، فبلا شك أن الحلق أفضل في هذا المقام، لأمرين:

أولهما: أن النبي ﷺ حلق ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حَلَقَ رسول الله ﷺ في حَجَّته (٢).

والثاني: لكون النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثًا ودعا للمقصرين مرةً واحدةً، ففي الصحيحين (٣) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « اللَّهُمَّ ارْحَمِ

(١) البخاري (١٧٤٢).
(٢) البخاري (١٧٢٦).
(٣) البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١).

الْمُحَلِّقِينَ » . قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « **اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ** » . قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « **وَالْمُقَصِّرِينَ** » . وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِى نَافِعٌ «**رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ** » مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ . قَالَ وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ حَدَّثَنِى نَافِعٌ وَقَالَ فِى الرَّابِعَةِ « **وَالْمُقَصِّرِينَ** » .

وقد يضاف وجه ثالثٌ؛ ألا وهو: أن الله ﷻ ذَكَر المحلقين أولًا في قوله تعالى: ﴿ الفتح: ٢٧ ﴾ [الفتح: ٢٧]، لكن على كلِّ حال فالتقصير (وهو تعميم الرأس بأخذ بعض الشعر منها سواء بالآلة (الماكينة) أو بالمقص) جائز بلا خلاف، والله أعلم.

هذا، ومما يُلفت النظر إليه أن النساء ليس عليهن حَلْقٌ، ولا يجوز لهن الحلق، بل يلزمهن التقصير فقط، وهو أخذ شيء يسير من شعورهن، قَدْر الأنملة (أنملة الإصبع) فحسب.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ على النساء الحلق، إنما على النساء التقصير**».

ثم يتجه الحاج إلى مكة لطواف الإفاضة، بعد أن تحلل التحلل الأصغر، برمي الجمرة، عند فريق من العلماء، وبالرمي مع شيء آخر (إما الحلق وإما النحر) عند آخرين، وكما سلف فقد حلَّ له كلُّ شيء إلا النساء، وذلك إلى أن يطوف بالبيت فيذهب للطواف بالبيت، وهذا الطواف هو طواف الإفاضة، وهو ركنٌ من أركان الحج، ويستحب فعله يوم النحر لمن أطاق ذلك، وذلك لأن النبي ﷺ طاف طواف الإفاضة يوم النحر، ولكن من لم يستطع أن يطوف طواف الإفاضة يوم النحر جاز له أن يؤخره إلى وقتٍ آخر، وله أن يجمعه مع

طواف الوداع إن اضطر إلى ذلك (١).

وطواف الإفاضة هذا، ليس في رَمَلٌ ولا اضطباع؛ بل يجوز للحاج أن يطوف بثيابه ما دام قد تحلل التحلل الأصغر، وما سوى ذلك من أعمال الطواف، فكما أوردنا في طواف القدوم، وبعد أن يطوف طواف الإفاضة يُصلي ركعتين خلف المقام على ما سلف بيانه في شأن الطواف، ويستحب له – على ما ورد في حديث جابر الطويل – أن يشرب من زمزم بعد طواف الإفاضة.

ثم بعد الشرب من زمزم: ينظر هل للحاج متمتعٌ أو قارنٌ أو مفردٌ؟ وهل سبق له أن سعى مع طواف القدوم؟ أم لم يسبق له السعي؟

فإذا كان الحاج متمتعًا؛ فعليه في الجملة سعيان بين الصفا والمروة، أما السعي الأول فقد سعاه مع طواف القدوم، وأما الثاني فيسعى بعد طواف الإفاضة (٢).

أما إذا كان الحاج قد أهلَّ قارنًا أو مُفردًا وكان قد سعى مع طواف القدوم بين الصفا والمروة، فلا سعي عليه مرة ثانية، وأما إذا لم يكن سعى مع طواف القدوم فعليه سعيٌّ يفعله بعد طواف الإفاضة.

---

(١) أما تعمد تأخيره مع طواف الوداع بلا عذر، فإنه وإن كان جائزًا إلا أنه أقلَّ أجرًا ممن طاف يوم النحر. ثم طاف الوداع عند مغادرة مكة.

(٢) وإن تأخر عنه بعض الوقت يومين أو ثلاثة ونحو ذلك جاز، ويؤيد ما ذُكر من كون المتمتع عليه سعيان: ما أخرجه البخاري (١٦٣٨)، ومسلم (١٢١١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَطَافَ الَّذِينَ أَهَلُّوا بِالْعُمْرَةِ، ثُمَّ حَلُّوا، ثُمَّ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ، بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى، وَأَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا.

قلت: والمراد بالطواف هنا السعي بين الصفا والمروة.

هذا، ولكون النبي ﷺ كان قارنًا، فلذلك لم يسعَ ثانيةً بين الصفا والمروة، إنما اجتزأ بسعيه الأول الذي سعاه مع طواف العمرة (الذي هو طواف القدوم).

أخرج مسلم (١) في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لم يطف النبي ﷺ ولا أصحابه (٢) بين الصفا والمروة إلا طوافًا واحدًا.

ثم يرجع الحاج بعد ما ذُكر من الطواف، والسعي إن كان عليه سعيٌ (٣) إلى منى فيصلي بها ما أدركه من صلوات كل صلاة في وقتها مع قصر الظهر ركعتين، وصلاة العصر في وقتها أيضًا ركعتين، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، والعشاء ركعتين، والصبح ركعتين، ويجوز له أن يجمع بين الظهر والعصر إن احتاج إلى ذلك، وكذا بين المغرب والعشاء.

ثم نشير هنا إلى رأي ليس عليه العمل، وهو رأي من قال: إن الحاج إذا لم يطف طواف الإفاضة يوم النحر حتى غربت عليه الشمس فإنه يرجع إلى إحرامه كما كان، فنقول: إن الخبر الوارد في ذلك لا يصح عندي سندُه، ثم العمل ليس على هذا الخبر، فالجماهير على خلافه والله تعالى أعلم.

ثم يبقى هنا تساؤل: ألا وهو: أين صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر، هل صلاه بمكة؟ أم بمنىً؟

فقد ورد خبران ظاهرهما التعارض، أولهما: حديث جابر المتقدم وفيه: فصلى بمكةَ الظهرَ، والثاني: حديث ابن عمر في صحيح مسلم وفيه: أنه كان يفيض يوم النحر ثم يرجع فيصلي الظهرَ بمنًى (٤).

(١) مسلم (١٢٧٩).

(٢) يعني: أصحابه الذين أهلوا بحج مفرد، أو قارن.

(٣) وجائز أيضًا تأجيل السعي.

(٤) مسلم (١٣٠٨).

فإما أن نصير إلى ترجيح رواية على الأخرى، وإما أن نجمع بنيهما، فمن ناحية الصحة كلاهما صحيح فالترجيح أمرٌ شاق.

أما من ناحيةم الجمع، فيمكن الجمع بأن يُقال: إن الرسول ﷺ صلى الظهر مرتين، مرةً بمكةً، ومرةً بمنًى، والله أعلم.

العمل ليالي التشريق وأيامها

ثم يبيت الحاج في منًى ليلة الحادي عشر من ذي الحجة، وليلةم الثاني عشر، وهذه الليالي مع ليلة الثالث عشر هي التي يسميها العلماء: ليالي التشريق فيصبح في يوم الحادي عشر آكلًا شاربًا ذاكرًا لله ﷻ ولا يستحب له الصوم، بل قد ذهب بعض العلماء على تحريم الصيام في أيام التشريق، وهو رأي أكثر أهل العلم، أن الصوم يحرم في أيام التشريق (إلا إذا كان عليه هدي ولم يستطع تقديمه).

وذلك لقول النبي ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله ﷻ**»(١).

وفي حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم: قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي(٢).

بل قد بعث رسول الله ﷺ كعب بن مالك وأوس بن الحدثان يناديان أيام التشريق: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمنٌ، وأيام منى أيام أكل وشرب(٣).

وعند أبي داود بسندٍ صحيح لشواهده: أن رسول الله ﷺ قال: «**يوم عرفة،**

---

(١) مسلم (١١٤١).
(٢) البخاري (١٩٩٧، ١٩٩٨).
(٣) مسلم (١١٤٢).

ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب» (١).

وهذا الإفطار ليس خاصًّا بالحجيج، بل على المسلمين عمومًا أن يفطروا أيام التشريق، والله أعلم.

وكما سلف يستحب الإكثار من ذِكْر الله ﷻ أيام التشريق، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وأيام التشريق هي الأيام المعدودات.

هذا، وليُعلم أن الحاج يجب عليه المبيت بمنًى أيامَ التشريق ويُصلي كلَّ صلاة في وقتها (٢) قصرًا (باستثناء المغرب والصبح فليس فيهما قَصْرٌ)، والله أعلم.

ورمي الجمار أيام التشريق (وهي: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة) يكون بعد الزوال:

وذلك لما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: رَمَى رسولُ الله ﷺ الجمرةَ يوم النحر ضُحى، وأما بعدُ فإذا زالت الشمس (٣).

أما عن صفة الرمي أيام التشريق وكيفيته: فإن الجمار الثلاث (الصغرى، والوسطى، وجمرة العقبة) كلها ترمى أيام التشريق فيبدأ الرمي يرمي الجمرة الصغرى التي هي ناحية مسجد الخيف والقريبة منه، فيرميها من أي مكان كان

---

(١) أبو داود (٢٤١٩).

(٢) وإن جمع بين الظهر والعصر جاز له ذلك، وكذا المغرب والعشاء، ولكن الأولى صلاة كلٍّ صلاةٍ في وقتها.

(٣) مسلم (١٢٩٩)، وعند أبي داود (١٩٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .... ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَيَقِفُ عِنْدَ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ وَيَتَضَرَّعُ وَيَرْمِي الثَّالِثَةَ وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا.

بسبع حصيات، يُكبر مع كل حصاةٍ، ثم بعد رمي الحصيات السبع يتقدم قليلًا، ويجعل الجمرة الصغرى عن يمينه ويتجه إلى القبلة رافعًا يديه داعيًا سائلًا ويطيل الدعاء قدر استطاعته ثم يتجه إلى الجمرة الوسطى فيرميها كذلك من أي اتجاه كان بسبع حصيات مُكبرًا مع كل حصاة (١)، ثم يتقدم قليلًا ويجعل الجمرة الوسطى عن يساره، ويتجه للقبلة ثم يرفع يديه داعيًا سائلًا راجيًا، ويطيل الدعاء (٢) أيضًا قدر استطاعته، ثم يتقدم فيرمي جمرة العقبة (التي رماها يوم النحر) بسبع حصيات مُكبرًا مع كل حصاة ثم ينصرف، أي: أنه لا يدعو بعد رمي جمرة العقبة الكبرى، ومن الدليل على ذلك: ما أخرجه البخاري (٣) من طريق سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كَانَ يَرْمِى الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيُسْهِلُ ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلاً ، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يَرْمِى الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى كَذَلِكَ ، فَيَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيُسْهِلُ ، وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلاً ، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يَرْمِى الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِى ، وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا ، وَيَقُولُ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَفْعَلُ.

هذا، وقد جوَّز عددٌ من أهل العلم، بل جمهورهم الرَّمي عمَّن لم يستطع الرَّمي من النساء الضعيفات، أو كبار السن والطاعنين فيه، أو المرضى وأصحاب الاعذار، أو الصبية الصغار.

(١) ولا يرميها دفعة واحدة، بل يرمي حصاة مكبرًا ثم حصاةٍ مكبرًا...وهكذا.

(٢) ما لم يكن هناك أذى لمسلم من المسلمين، ويدعو الله بما شاء ما لم يعتدٍ في الدعاء، وما لم يدعُ بإثمٍ ولا بقطيعة رحم.

(٣) البخاري (١٧٥٢).

هذا، وإن استطاع الحاج -ليالي التشريق- أن يذهب من منى إلى مكة لزيارة البيت والطواف حوله، فعل، فالطواف فعلٌ حسنٌ، على أن يبيت بمنًى، وقد قال بهذا بعض أهل العلم، وإن كانت الأخبار التي وردت عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك لا تخلو من مقال (١).

وللحاج أن يبيع ويشتري ما دام يؤدي ما افترضه الله عليه، وما دام يتقي الجدال والفسوق، ولقد قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

[البقرة: ١٩٨]

وقد أخرج البخاري في صحيحه (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ ذُو الْمَجَازِ وَعُكَاظٌ مَتْجَرَ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]. فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ.

ويجوز أيضًا: أن تتخلل أيام التشريق خطبٌ ومواعظ: فقد أخرج (٣) أبو داود وغيره من حديث رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي بَكْرٍ قَالاَ رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ بَيْنَ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَنَحْنُ عِنْدَ رَاحِلَتِهِ وَهِيَ خُطْبَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي خَطَبَ بِمِنًى.

(١) انظر لذلك إن شئت ما أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٤/٤) بسندٍ مرسل وكذا فانظر ما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٦/٥).
فَثَمَّ أخبارُ مفادها أنه ﷺ كان يفيض كل ليلة يعني: ليالي منى.

(٢) البخاري (١٧٧٠).

(٣) صحيح: وله شواهد أخرج أبو داود (١٩٥٢) وغيره.

هذا، وليُعلم أنه يجب على الحاج أن يرمي الجمرات في يومين من أيام التشريق الثلاثة على الأقل: أي: أنه يجب عليه الرمي في اليوم الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، ثم إن أراد أن يتعجل وينصرف إلى مكة تعجل وانصرف وإن أراد أن يتأخر إلى اليوم الثالث عشر تأخر، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه**»(١).

ولقد كان عمر رضي الله عنه يكبر في خيمته في منى فيكبر أهل خيمته بتكبيره، ويكبر أهل منى بتكبيرهم فيسمع لمنى رجة.

هذا ومن أراد التعجل فلينصرف من منًى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر، كذا قال بعض أهل العلم محتجين بقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. قالوا: واليوم ينتهي بغروب الشمس، كذا قالوا.

هذا، ومن أراد التعجُّل وركب دابته، ولكنه حُبس عن الخروج بمنًى لازدحام الطرقات حتى غربت الشمس يوم الثاني عشر، فليخرج ولا شيء عليه، والله تعالى أعلم.

وإذا تأخر الحاج بمنًى إلى يوم الثالث عشر فليفعل في اليوم الثالث عشر ما فعل في الحادي عشر والثاني عشر، ثم ينصرف إلى مكة فيبقى بها ما شاء الله أن يبقى.

طواف الوداع

فإذا أراد الانصراف طاف طواف الوداع، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «لا

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٩٤٩).

ينفرن أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت» (١).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا قال: أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خُفِّفَ عن الحائض (٢).

هذا، وبالنسبة للحائض التي طافت طواف الإفاضة أثناء طهرها ثم حاضت بعد ذلك؛ فقد سقط عنها طواف الوداع، فلها حينئذٍ أن تنصرف ولا تُلزم بالانتظار لطواف الوداع، لما تقدم قريبًا من الحديث.

ولما أخرجه البخاري ومسلم (٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَلاَ نُرَى إِلاَّ الْحَجَّ فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَلَمْ يَحِلَّ وَكَانَ مَعَهُ الْهَدْىُ ، فَطَافَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَحَلَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ الْهَدْىُ ، فَحَاضَتْ هِىَ، فَنَسَكْنَا مَنَاسِكَنَا مِنْ حَجِّنَا ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ لَيْلَةُ النَّفْرِ ، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّ أَصْحَابِكَ يَرْجِعُ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ غَيْرِى . قَالَ «**مَا كُنْتِ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ لَيَالِيَ قَدِمْنَا**» . قُلْتُ لاَ . قَالَ «**فَاخْرُجِي مَعَ أَخِيكِ إِلَى التَّنْعِيمِ فَأَهِلِّي بِعُمْرَةٍ ، وَمَوْعِدُكِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا** » . فَخَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ ، وَحَاضَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىٍّ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ «**عَقْرَى حَلْقَى ، إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا ، أَمَا كُنْتِ طُفْتِ يَوْمَ النَّحْرِ**». قَالَتْ بَلَى . قَالَ « **فَلاَ بَأْسَ . انْفِرِى** » . فَلَقِيتُهُ مُصْعِدًا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَنَا مُنْهَبِطَةٌ ، أَوْ أَنَا مُصْعِدَةٌ ، وَهْوَ مُنْهَبِطٌ .

هذا، وبالنسبة لطواف الوداع، فهو سبعة أشواط كسائر أنواع الطواف،

---

(١) مسلم (١٣٢٧).

(٢) البخاري (١٧٥٥).

(٣) البخاري (١٧٦٢) ومسلم (٢/٨٧٧) في طرق حديث (١٢١١).

وليس فيه رَمَلٌ ولا اضطباع، بل يجوز في ثيابه، وبعد الطواف يُصلي ركعتين كتلك الركعتين اللتين يصليهما مع أي طوافٍ، يقرأ في الأولى - بعد الفاتحة- ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم ينصرف راشدًا راجعًا إلى أهله، مغفورًا ذنبه إن شاء الله، مثبتًا أجره بإذن الله، وليسأل ربه القبول كما هو شأن أهل الفضل والصلاح يعملون صالحًا ويرجون من الله القبول.

هذا، ولا يجوز له أن يبيت بعد طواف الوداع، ولكن إن اشترى شيئًا على وجه السرعة فلا بأس بهذا الشراء اليسير، ولا بذاك الزمن اليسير.

دعاء الرجوع من السفر

ثم إذا اقترب الحاج من بلاده فليقل: تائبون آيبون عابدون لربنا حامدون، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ فقد كان إِذَا قَفَلَ مِنَ الْجُيُوشِ أَوِ السَّرَايَا أَوِ الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ إِذَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلاَثًا ثُمَّ قَالَ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ** »(١).

وهذه مسائل متفرقة- فضلا عما سبق-تتعلق بالنساء وغيرهن في الحج:

ليُعلم أن الحج أفضل جهاد النساء، وذلك لما أخرجه البخاري(٢) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نُجاهد؟ قال: **لا ولكن أفضل الجهاد حج مبرور**».

(١) مسلم (١٣٤٤)، والبخاري (٦٣٨٥).
(٢) البخاري (١٥٢٠).

هل تستأذن المرأة زوجها للحج؟

الحج إما أن يكون حج تطوع أو فريضة أو نذر أو حج عن الغير.

أما حج التطوع والحج عن الآخرين فيجب فيه الاستذان؛ قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ كما سيأتي عنه: أجمع كل من نحفظ قوله من أهل العلم على أن للرجل منع زوجته من الخروج إلى حج التطوع.

أما الحج المنذور فإن كانت نذرته بإذن زوجها فليس له منعها، وكذلك لو كانت نذرته قبل الزواج وأخبرته به فأقرَّه ووافقها عليه، فليس له منعها أيضًا.

أما إذا نذرته رغمًا عنه فله منعها، إذ هو صاحب حقٍّ في الاستمتاع بها.

أما حج الفريضة فليس له منعها منه، وهل تستأذنه أم لا؟

ذهب فريق من أهل العلم إلى أنها لا تستأذنه أصلًا بينما ذهب آخرون إلى أنها تستأذن، وذلك لأن الحج على التراخي، والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم -: أنه إذا توفَّر للمرأة ما تحج به من الزاد والراحلة والْمَحْرَم وأمن الطريق والصحة ونحو ذلك فتستأذن زوجها، فإن أذن فالحمد لله، وإن لم يأذن نظرت فإن علمت من حاله أنه لا يأن لها في الحج من غير مبرر مقبول خرجت بغير إذنه، وإن كان المبرر للمنع مقبولًا أجَّلت لعام قادم، ونرجو لها العذر في تأخير الحج من الله سبحانه وتعالى، وإن كان المبرر قد يوجد ويستمر في كل عام، حجَّت ولا تؤخِّر لعام قادم، والله تعالى أعلم، ومنه العون والتوفيق والسداد (١).

وهل يجوز للمعتدة أن تخرج للحج؟

وجوابه: أن المعتدة لها أحوال:

---

(١) ولمزيد راجع كتابي «جامع أحكام النساء».

إما معتدة عدة طلاق رجعي (لزوجها فيه رجعة) فهذه لا تخرج للحج، وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ①﴾ [الطلاق: ١].

أما المطلقة المبتوتة؛ فلها أن تخرج، إذ لا دليل على منعها من الخروج، فالمطلقة المبتوتة لا نفقة لها ولا سكنى.

أما المعتدة عدة الوفاة؛ ففي شأنها نزاع مبني على القول في مكان اعتدادها، هل يجب عليها أن تعتد في بيت زوجها أو تعتد حيث شاءت؟، وقد رجحنا في كتابنا جامع أحكام النساء، أن لها أن تعتد حيث شاءت وأوردنا أقوال عددٍ من العلماء القائلين بذلك، وعليه فيجوز للمتوفَّى عنها زوجها أن تحج في عدتها، والله تعالى أعلم.

وهل يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة؟

وجواب ذلك: نعم يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة إذ لم يرد دليلٌ صحيح ينهى عن ذلك، وغاية ما ورد في هذا الباب من المرفوع إلى النبي ﷺ زيادة في حديث عائشة رضي الله عنها إذ قال لها النبي ﷺ: «**افعلي كل ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري**».

وهذه الزيادة هي: «**ولا بين الصفا والمروة**» وهي زيادة شاذة (١).

أما هل ترفع المرأة صوتها بالتلبية أم لا؟

ففي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، فمنهم من ذهب إلى أنها لا ترفع صوتها بالتلبية، واستدلوا على ذلك بأن المرأة مأمورة بالستر؛ فكيره لها رفع

---

(١) وذلك كما حررناه في كتابنا جامع أحكام النساء أبواب الحج.

الصوت مخافة الافتتان بها أو افتتانها هي، واستدلوا أيضًا بأن النبي ﷺ قال: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء» فدل ذلك على أنها لا ترفع صوتها بالتلبية إلحاقًا بحالها في الصلاة.

ويجوز للمحرمة أن تلبس الحُلي:

أخرج الإمام الشافعي بسندٍ صحيح (١) من طريق صفية بنت شيبة أنها قالت: كُنتُ عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ جاءتها امرأة من نساء بني عبد الدار يقال لها: تملك. قالت لها: يا أم المؤمنين فلانة حلفت ألا تلبس حليها في الموسم فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قولي لها: إن أم المؤمنين تقسم عليك ألا لبست حليك كله.

والمرأة المحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين:

وذلك للحديث: «**لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين**» (٢).

ولكن لها أن تعطي وجهها عن الرجال بالسدل الخفيف على وجهها، وذلك لما صحَّ عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام (٣).

ولأثر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على

---

(١) المسند (١١٩).

(٢) هذا الخبر اختلف في رفعه إلى رسول الله ﷺ ووقفه على ابن عمر ﭬ وانظر صحيح البخاري (١٥٤٢) وكتابي جامع أحكام النساء، ولكن عليه علم الأكثرين.

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٤٥٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وجهها (١).

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أثر آخر في سنده بعض الضعف، لكنه يصحُّ لما قبله، ألا وهو قولها: كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حاذوا بن سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه (٢).

وأهل مكة: هل لهم أن يتمتعوا أم أنه لا يجوز لهم التمتع؟

فقد رأى بعض العلماء منعهم من التمتع، ورأى آخرون جوازه والسبب في ذلك راجع إلى المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فمن العلماء من قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائد على التمتع المذكور من قبل في الآية الكريمة.

ومنهم من قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائدٌ على صيام السبعة أيام إذا رجع إلى بلده، فهذا فحوى الخلاف، والمسألة - كما أسلفنا - فيها الوجهان للعلماء، وإن كان الأولى لأهل مكة أن يتركوا التمتع، والله أعلم.

ويجوز أن يحج الرجل عن والده وأن يحج بولده. وكذا المرأة.

أخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ فَقَالَتْ

(١) صحيح أخرجه سعيد بن منصور (نقلًا عن الحافظ في الفتح ٣/٤٠٦).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/٣٠) وأبو داود (١٨٣٣).
(٣) البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤).

يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِى الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِى شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ « نَعَمْ » . وَذَلِكَ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

وعند البخاري أيضًا (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَتَى رَجُلٌ النَّبِىَّ - ﷺ -فَقَالَ لَهُ إِنَّ أُخْتِى نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ وَإِنَّهَا مَاتَتْ . فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « **لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ** » . قَالَ نَعَمْ . قَالَ « **فَاقْضِ اللهَ ، فَهْوَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ** ».

وكذا تحج عن الصبي:

ففي صحيح مسلم (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ لَقِىَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ « **مَنِ الْقَوْمُ** ». قَالُوا الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا مَنْ أَنْتَ قَالَ « **رَسُولُ اللهِ** ». فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ « **نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ** ».

وكذا يجوز أن يحج عن آخرين:

أخرج أبو داود من حديث ابن عباس (٣) رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ. قَالَ « **مَنْ شُبْرُمَةُ** ». قَالَ أَخٌ لِى أَوْ قَرِيبٌ لِى. قَالَ « **حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ** ». قَالَ لاَ. قَالَ « **حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ** ».

وليحرص الشخص على الإكثار من الصلاة في المسجد الحرام؛ فصلاةٌ فيه تعدل مائة ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجدِ (٤).

زيارة مسجد رسول الله ﷺ:

---

(١) البخاري (٦٦٩٩).

(٢) مسلم (١٣٣٦).

(٣) أبو داود (١٨١١).

(٤) وقد ورد هذا من طرق تصح بمجموعها بلا شك منها ما أخرجه أحمد (٥/٤) من حديث ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: « صَلاَةٌ فِى مَسْجِدِى هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلاَةٌ فِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلاَةٍ فِى هَذَا ».

س: هل يجب على الحاج أن يزور مسجد رسول الله ﷺ؟

أما عن زيارة مسجد رسول الله ﷺ فليس لها تعلُّق ويستحب لا من قريب ولا من بعيد، ولكن يفضل ويستحب للحاج أن يزوره وأن يكثر من الصلاة فيه، لقول رسول الله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجد»(١).

س: معلوم أن الحاج يستحب الإكثار ومن الدعاء اذكر شيئًا من آداب الدعاء وبعض آدابه.

ج: هذه بعض آداب الدعاء تعقبها طائفة من الأدعية:

أخلص في دعائك وأحسن لجوءك إلى الله وأحسن التضرع:

قال الله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه»(٢).

وفي رواية عند مسلم أيضًا: «من سأل الله الشهادة بصدق؛ بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»(٣).

وأكثر من الدعاء وألح على ربك فيه وعظم الرغبة فيما عنده.

وذلك لقول النبي ﷺ: « ما مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِى الآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ». قَالُوا إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ « اللهُ أَكْثَرُ

(١) البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٠١٣).
(٢) مسلم مع النووي (١٣/٥٥).
(٣) مسلم مع النووي (١٣/٥٥).

»(١) .

وعليك بمواصلة الدعاء وعدم اليأس من رحمة الله:

فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

فواصل الدعاء، ولا تدع بإثم ولا بقطيعة رحم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي**»(٢).

وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: « **لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ** ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الاِسْتِعْجَالُ قَالَ « **يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِى فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ** »(٣).

إخفاء الدعاء قدر الاستطاعة(٤) مع التضرع والمبالغة فيه:

قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٢].

س: اذكر بعض الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ التي يمكن أن يدعو بها الحاج وغيره.

ج: هذه طائفة من الدعوات من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الثابتة

---

(١) أحمد بسندٍ حسن (١٨/٣).

(٢) البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي١٧/٥١).

(٣) مسلم مع النووي (٥٢/١٧).

(٤) إلا المواطن التي ثبت أن النبي ﷺ جهر فيها وما على شاكلتها.

الصحيحة لعلَّ داعيًا أن يدعو بها: فخير الدعاء ما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولنسأل الله القبول.

كانت أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ: « اللَّهُمَّ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (١).

طلب الهداية:

عن ابن مسعود رضي الله عنه (٢) عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

وعن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قل: اللهم اهدني وسددني» (٣).

سؤال الله الثبات على الإيمان:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ⑧﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ⑭⑦﴾. [آل عمران: ١٤٧]

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ②⑤⓪﴾ [البقرة: ٢٥٠].

«يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» (٤).

«اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» (١).

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٩١) ومسلم من حديث أنس، ولفظه: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: « اللَّهُمَّ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »، وفي بعض الألفاظ: «اللَّهُمَّ آتِنَا...».

(٢) مسلم (مع النووي ١٧/٤٣).

(٣) مسلم (مع النووي ١٧٤٣).

(٤) أحمد في المسند (٤/١٨٢).

طلب المغفرة من الله ﷻ:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم: ٨].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] (٢).

«اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» (٣).

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فِى أَمْرِى وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى جِدِّى وَهَزْلِى وَخَطَئِى وَعَمْدِى وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (٤).

عن النبي ﷺ: « سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِى ، اغْفِرْ لِى ، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ

---

(١) مسلم (٢٦٥٤).

(٢) وأخرج الحاكم (٥٠٥/١) بإسنادٍ صحيح لشواهده من حديث سعد بن أبي وقاص ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا و هو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له.

(٣) مسلم (مع النووي ٢٠/١٧).

(٤) البخاري (١٩٦/١١)، ومسلم (٢٧١٩).

أَنْتَ » . قَالَ « وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِىَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهْوَ مُوقِنٌ بِهَا ، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ، فَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » (١) .

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ - أَوْ لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ - » (٢) .

« إِنَّ أَوْفَقَ الدُّعَاءِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِى وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِى يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِى ذَنْبِى إِنَّكَ أَنْتَ رَبِّى إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ» (٣) .

طلب الذرية وسؤال الله صلاحها:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/٩٧).

(٢) البخاري (١١٢٠)، ومسلم (مع النووي ٦/٥٤) وعندهما أن النبي ﷺ كان يقوله إذا قام من الليل يتهجد.

(٣) أحمد في المسند (٢/٥١٥).

«اللهم أكثر مالي وولدي وبارك لي فيما أعطيتني» (١).

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٣- ٨٥].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

سؤال العلم النافع:

﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

التعوذ من علم لا ينفع:

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا» (٢).

طائفة أخرى من الدعوات

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٠].

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

---

(١) عند البخاري (مع الفتح ١١/١٨٢)، و مسلم (١٦/٣٩) أن النبي ﷺ دعا لأنس رضي الله عنه فقال: « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ ».

(٢) مسلم (مع النووي ١٧/٤١).

وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.
[يونس: ٨٥، ٨٦]

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة: ٥].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.
[آل عمران: ٥٣]

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾.
[الأعراف: ١٥١]

﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.
[المؤمنون: ٩٣، ٩٤]

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾.
[المؤمنون: ٩٧، ٩٨]

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِى دِينِىَ الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى وَأَصْلِحْ لِى دُنْيَاىَ الَّتِى فِيهَا
مَعَاشِى وَأَصْلِحْ لِى آخِرَتِى الَّتِى فِيهَا مَعَادِى وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِى فِى كُلِّ خَيْرٍ

وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »(١).

وختامًا: فليسأل الحاج ربَّه ﷻ أن يتقبل منه؛ فهذا شأن أهل الصلاح دائمًا يعملون الصالحات ويسألون ربَّهم القبول، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقال تعالى في شأن خليله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ومع ذلك يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥].

وها هو القانت آناء الليل يصلي ويدعو ويرجو، يسأل ربه أن يتقبل منه.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (٢٧٢٠).

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ
لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ
ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن
يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي
مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢
لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣
وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ
فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ
وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا
دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧ ﴾

[الحج: ٣٠-٣٧].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ - أَجَلٍ مُّسَمًّى - مَحِلُّهَآ - ٱلْعَتِيقِ - مَنسَكًا - أَسْلِمُوا۟ - ٱلْمُخْبِتِينَ - وَجِلَتْ - وَٱلْبُدْنَ - شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ - صَوَآفَّ - وَجَبَتْ جُنُوبُهَا - ٱلْقَانِعَ - وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾	يوقِّر حرمات الله- لا يتعدى على حرمات الله ولا ينتهكها ومن ذلك تعظيم البلد الحرام وأيضًا من المعاني: يعظم الهدي الذي يتوب به إلى الله فيستحسن الهدي والأضاحي ويختار الجيد السمين
﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	وقت محدود
﴿مَحِلُّهَآ﴾	مكان نحرها
﴿ٱلْعَتِيقِ﴾	القديم- الذي أعتق من الجبابرة
﴿مَنسَكًا﴾	ذبحًا- مكانًا للذبح ووقتًا للذبح
﴿أَسْلِمُوا۟﴾	اخضعوا – استمسكوا له مطيعين
﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾	الخائفين المتواضعين لله الخاشعين له المتأثرين عن سماع ذِكره
﴿وَجِلَتْ﴾	خافت
﴿وَٱلْبُدْنَ﴾	الإبل العظيمة التي تهدى وأيضًا التي يُضحى بها، والبقر كذلك على قولٍ

﴿شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾	أعلام الدين الظاهرة وأعماله الظاهرة
﴿صَوَآفَّ ﴾	قائمة على ثلاثة أرجل معقولة الرجل الرابعة
﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾	سقطت بعد نحرها وقد زهقت روحها
﴿ٱلْقَانِعَ ﴾	الذي قنع بما أتاه الله فلم يسأل الناس
﴿وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾	المتعرض بالسؤال

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ ﴿شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ في الآية الكريمة.

ج: المـراد: والله تعـالى أعلـم بشـعائر الله في هـذه الآيـة الكريمـة ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ البدن التي يتقرب بها إلى الله في الحج فتساق إلى البيت الحرام.

أي الإبل، وأدخل معها قوم البقر والمعز.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن المراد بشعائر الله كل أعمال الحج الظاهرة، وكذا أماكن الحج.

والقول الأول هو قول أكثر أهل العلم والقول الثاني هو قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ (تعظيم شعائر الله)

ج: المراد عند أكثر العلماء استحسان الإبل التي سيدفع بها إلى الحج كي تنحر هنالك واستسمانها واختيار الجيد منها.

أما الذين قالوا إن شعائر الله هي أماكن الحج وأعماله فحملوا ذلك على تعظيم البلد الحرام والتأدب بآدابه اللازمة له وتوقير حرماته، وكذا الاهتمام بأعمال الحج والحرص على أدلتها على الوجه الأكمل المسنون المشروع.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالنافع في قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾.

ج: المراد والله أعلم لكم في الإبل منافع تركبونها وتحلبونها وتستفيدون بها.

والذين قالوا هي أماكن الحج وأي له حملوا المنافع على ما ينتفع بـه أثناء الحج من التجارات ففي الحج أسواق في مكة ومنى وعرفة، تنتهي أسواق عرفة بانتهاء الحج فلا ترى فيها أحدًا، وكذا منى.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأجل المسمى:

ج: المراد، والله أعلم فيه أقوال:

أحدها: إلى أن تطلقوا عليها بدنة فتدفعونها إلى البيت الحرام، أي أنكم تستمتعون بالإبل إلى أن توجبوها على أنفسكم وتقلدونها وتدفعون بها إلى البيت الحرام (كشيء ينحر هنالك).

وتقليدها أن يوضع ي رقبتها ما يدل على أنها مهداة إلى البيت الحرام.

فإنها إذا فُعل بها ذلك أطلق عليها بدنة.

والثاني: أن المراد بالأجل المسمى إلى أن تُنحر أي تستفيدوا منها إلى أن تنحرها.

هذا، والذين قالوا إن المراد (بالشعائر الأماكن وأعمال الحج قالوا الأجل المسمى انقضاء الحج.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٣٣﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان أيضًا:

أحدهما: ثم محل البدن هذه مكة، وقال بعض أهل العلم الحرم كله.

والمراد بمحلها إلى البيت العتيق أنها تنحر هنالك في الحرم أي في مكة وعموم ما يطلق عليه حرم).

أما الدين قالوا: إن المراد بشعائر الله أعمال الحج وأماكنم، فقالوا ثم محلها إلى البيت العتيق أي انقضاء أعمال المناسك بالطواف بالبيت العتيق.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ذلك الذي بينه لكم وفرضيته عليكم وأوصيتكم به، أردت منكم الالتزام به وإضافة إليه أن من يعظم شعائر الله فإن ذلك دليلٌ على تقوى قلبه فالذي إذا جاء الهدي إلى بيت الله الحرام أو يذبح وينحر من الدماء للتمتع، إن عظَّم ما ينحره وما يذبحه، وما يسوقه من الهدي وتعظيمه استحسان واستحسانه.

فيأتي بناقة عظيمة كي ينحرها أو ببقرة عظيمة يذبحها، أو بكبش عظيم ونعجة عظيمة أو جدي عظيم جيد أو غير جيدة كذلك فإن هذا الاستحسان والاستعظام دليل على تقوى قلبه، ومن تقوى قلبه.

ثم إن الله ﷻ أباح الانتفاع بهذه البدن المساقة كهدي إلى أجل مسمى، فلنا أن ننتفع بها إلى أن تسمى هديًا، ويرى فريق من العلماء وجواز الانتفاع بها إلى تنحر، فيرى جواز ركوبها في السفر.

ويرى جواز الاستفادة من ألبانها وأشعارها إلى أن تنحر.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ أي مكان ذبحها عن الحرم (مكة وما يطلق عليه حرم من منًى وجزء من مزدلفة)

أي العتيق فمعناه القديم، إذ هو أول بيت وضع للناس، وقيل العتيق الذي أعتقه الله من الجبابرة.

وبنحو الذي قلت قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور، حنفاء لله، وتعظيم شعائر الله، وهو استحسان البُدن واستسمانها وأداء مناسك الحجّ على ما أمر الله جلّ ثناؤه، من تقوى قلوبكم.

وأورد عدة آثار معناها أن تعظيم البدن استحسانها واستعظامها، واستسمانها:

وأورد عن ابن زيد بسندٍ صحيح في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ قال: الشعائر: الجمار، والصفا والمروة من شعائر الله، والمَشْعَر الحرام والمزدلفة، قال: والشعائر تدخل في الحرم، هي شعائر، وهي حرم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما حمله أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم؛ لم يخصص من ذلك شيئا، فتعظيم كلّ ذلك من تقوى القلوب، كما قال جلّ ثناؤه؛ وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك. وقال: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ وأنّث ولم يقل: فإنه، لأنه أريد بذلك: فإن تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان

من تقوى القلوب، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣]. وعنى بقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده.

وقال في قوله تعالى: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ فقال الذين قالوا عنى بالشعائر البدن. معنى ذلك: لكم أيها الناس في البدن منافع. ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع، وفي الأجل الذي قال عزّ ذكره: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ فقال بعضهم: الحال التي أخبر الله جلّ ثناؤه أن لهم فيها منافع، هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها. قالوا: ومنافعها فى هذه الحال: شرب ألبانها، وركوب ظهورها، وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها. قالوا: والأجل المسمى الذي أخبر جلّ ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليه، هو إلى إيجابهم إياها، فإذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شيء.

وأورد عدة آثار أيضًا في الباب مفادها أنه يستمع بها إلى أن تسمي بدنة، وصور الاستمتاع منها ركوبهم عليها واستفادتهم من ألبانها وأدبارها.

وقال الطبري:

وقال آخرون ممن قال الشعائر البدن في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ والهاء في قوله: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا ﴾ من ذكر الشعائر، ومعنى

قولــه: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ لكــم في الشــعائر التــي تعظمونهــا لله منــافع بعــد اتخاذكموهـا لله بـدنا أو هـدايا، بـأن تركبـوا ظهورهـا إذا احتجـتم إلـى ذلـك، وتشـربوا ألبانهـا إن اضـطررتم إليهـا.قـالوا: والأجـل المسـمى الـذي قـال جـلّ ثناؤه: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى أن تنحر.

وقـال: وأمـا الـذين قـالوا: معنـى الشـعائر في قولـه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾. شعائر الحجّ، وهي الأماكن التي يُنْسك عندها لله، فإنهم اختلفوا أيضـا في معنـى المنافع التي قال الله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ فقال بعضهـم: معنى ذلك: لكم في هـذه الشـعائر التي تعظمونها منافع بتجـارتكم عنـدها وبيعكم وشـرائكم بحضـرتها وتسوقكم. والأجل المسمى: الخروج من الشعائر إلـى غيرهـا ومـن المواضـع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهـم.

وقال آخرون منهم: المنافع التي ذكرها الله في هـذا الموضـع: العمـل لله بمـا أمر من مناسك الحجّ. قـالوا: والأجـل المسمَّى: هـو انقضـاء أيـام الحـجّ التـي يُنْسَك لله فيهنّ.

وأورد بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيـد في قولـه: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ فقـــرأ قـــول الله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ لكم في تلك الشعائر منافع إلى أجل مسمى، إذا ذهبـت تلـك الأيـام لـم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها يبتغي الأجر، ولا المزدلفة، ولا رمي الجمار، وقـد ضربوا من البلدان لهذه الأيام التي فيها المنافع، وإنما منافعها إلى تلك الأيـام، وهي الأجل المسمى، ثم محلها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق.

قال أبو جعفـر: وقـد دللنـا قبـل علـى أن قـول الله تعـالى ذكـره: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ معنّي به: كلّ ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج

خلقه، إذ لم يخصص من ذلك جلّ ثناؤه شيئا في خبر ولا عقل. وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى، فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا، فمنافعها لكم من حين تملكون إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا، وما كان منها أماكن ينسك لله عندها، فمنافعها التجارة لله عندها والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها، وما كان منها أوقاتا بأن يُطاع الله فيها بعمل أعمال الحجّ وبطلب المعاش فيها بالتجارة، إلى أن يطاف بالبيت في بعض، أو يوافي الحرم في بعض ويخرج عن الحرم في بعض.

وقال اختلف الذين ذكرنا اختلافهم في تأويل قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ فقال الذين قالوا عني بالشعائر في هذا الموضع: البُدْن معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تبلغ مكة، وهي التي بها البيت العتيق.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن محمد بن أبي موسى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ قال محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها:

قال الطبري:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محلّ

الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الشعائر جمع شعيرة، وهو كل شئ لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم، ومنه شعار القوم في الحرب، أي علامتهم التي يتعارفون بها.

ومنه إشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الايمن حتى يسيل الدم فيكون علامة، فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة.

فشعائر الله أعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك.

وقال قوم: المراد هنا تسمين البدن والاهتمام بأمرها والمغالاة بها، قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة.

وفيه إشارة لطيفة، وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه، فلا يدل على الاخلاص فإذا عظمها مع حصول الاجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع، وهو من تقوى القلوب. والله أعلم.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ يريد أنها تنتهي إلى البيت، وهو الطواف. فقوله: ﴿مَحِلُّهَآ﴾ مأخوذ من إحلال المحرم. والمعنى أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي إلى طواف الافاضة بالبيت العتيق. فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه، قاله مالك في الموطأ. وقال عطاء: ينتهي إلى مكة. وقال الشافعي: إلى الحرم. وهذا بناء

على أن الشعائر هي البدن، ولا وجه لتخصيص الشعائر مع عمومها وإلغاء خصوصية ذكر البيت. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على استحباب تحسين الهدي واستعظامه، وكذا الأضاحي.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

وقول النبي ﷺ لما سُئل أي الرقاب أفضل قال «أغلاها ثمنا وأنفسها عن أهلها»(١).

وقول النبي ﷺ «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة.... الحديث».

وقول النبي ﷺ «لا تذبحوا إلا مسنةً إلا أن يُعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن»(٢).

وقوله ﷺ: « أَرْبَعٌ لَا يَجُزْنَ الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي»(٣).

س: هل يجوز ركوب الناقة المهداة إلى بيت الله الحرام.

ج: الظاهر جواز ذلك لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ على أحد الوجوه في تفسير الآية الكريمة.

---

(١) البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٨٤).

(٢) مسلم (١٩٦٣).

(٣) صحيح أخرجه النسائي (٢١٥/٧) وغيره.

وأيضًا لما في الصحيحين (١) عن أنس: أن رسول الله ﷺ: رأى رجلًا يسوق بدنة قال: «**اركبها**». قال: إنها بدنة! قال: «**اركبها ويحك!**». في الثانية أو الثالثة.

وفي رواية لمسلم: عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «**اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ولكل أمة من الأمم جماعة من الناس من أهل الإيمان، جعلنا لهم ذبحًا يذبحون، وقيل عيدًا من الأعياد يذبحون فيه، وقيل مكانًا من الأماكن يذبحون عنده ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ﴾ عند ذبح شيء من الأنعام وقيل عنها بها ثم لأنها ....والأنعام ثمانية، قدمنا ذكرها، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فمعبودكم الذي تعبدونه واحد لا شريك له ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾ فله اخضعوا بالطاعة واستسلموا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ المطمئنين به كرامة المتواضعين لله الطائعين لله المذعنين له بالعبود به المنيبين له بالطاعة ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ خشعت قلوبهم وتأثرت عند ذكر الهل ﷻ وعند تذكيرهم بالله ﷻ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من أقدار الله ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الحافظون على الصلاة بأركانها في أوقاتها وكذا المؤدون للزكاة والمنفقون في الطاعات ووجوه الخير وأعمال البر.

---

(١) البخاري (١٦٩٠)، ومسلم (١٣٢٣).

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ ولكلّ جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، ﴿جَعَلْنَا ﴾ذبحا يُهَرِيقون دمه ﴿مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ ﴾ بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.

وقوله: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فإلهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾ يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية. وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بيَّنا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

فهذا من نعت المخبتين؛ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وبشّر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قال: لا تقسو قلوبهم. ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من شدّة في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ المفروضة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاه ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ قولــــه تعـــالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة، والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا.

والمنسك الذبح وإراقة الدم، قاله مجاهد.

يقال: نسك إذا ذبح ينسك نسكا.

والذبيحة نسيكة، وجمعها نسك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

[البقرة: ١٩٦]

والنسك أيضا الطاعة.

وقال الازهري في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾: إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع، أراد مكان نسك.

ويقال: منسك ومنسك، لغتان، وقرئ بهما.

قرأ الكوفيون إلا عاصما بكسر السين، الباقون بفتحها.

وقال الفراء: المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر.

وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي.

وقال ابن عرفة في قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾: أي مذهبا من طاعة الله تعالى، يقال: نسك نسك قومه إذا سلك مذهبهم.

وقيل: منسكا عيدا، قاله الفراء.

وقيل: حجا، قاله قتادة.

والقول الاول أظهر، لقوله تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ أي على ذبح ما رزقهم.

فأمر تعالى عند الذبح بذكره وأن يكون الذبح له، لانه رازق ذلك.

ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم، فكذلك الامر في الذبيحة إنما ينبغي أن تخلص له.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ معناه لحقه ولوجهه وإنعامه آمنوا وأسلموا.

ويحتمل أن يريد الاستسلام، أي له أطيعوا وانقادوا.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ المخبت: المتواضع الخاشع من المؤمنين.

والخبت ما انخفض من الارض، أي بشرهم بالثواب الجزيل.

قال عمرو بن أوس: المخبتون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

وقال مجاهد فيما روى عنه سفيان عن ابن أبي نجيح: المخبتون المطمئنون بأمر الله عزوجل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه لم يَزَل ذبحُ المناسك وإراقةُ الدماء على اسم الله مشروعًا في جميع الملل.

قال علي بن أبي طلحة (١)، عن ابن عباس: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ قال: عيدًا.

وقال عكرمة: ذبحا. وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا

(١) في رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلام.

مَنسَكًا ﴾، إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.

وقوله: ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ﴾، كما ثبت في الصحيحين (١) عن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، فسمَّى وكبر، ووضع رجله على صِفَاحهما .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سَلام بن مسكين، عن عائذ الله المجاشعي، عن أبي داود -وهو نُفَيْع بن الحارث- عن زيد بن أرقم قال: قلت -أو: قالوا-: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: ﴿سنة أبيكم إبراهيم﴾. قالوا: ما لنا منها؟ قال: «**بكل شعرة حسنة**» قالوا: فالصوف؟ قال: «**بكل شعرة من الصوف حسنة**».

وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه، من حديث سلام بن مسكين، به .

وقوله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾ أي: معبودكم واحد، وإن تَنوّعَت شرائع الأنبياء ونَسخَ بعضها بعضًا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]. ولهذا قال: ﴿ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحُكْمه وطاعته.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ﴾ : قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك، وقتادة: المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس : المخبتون : الذين لا يَظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا.

وقال الثوري: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ﴾ قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله،

(١) البخاري (٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦).

المستسلمين له.

وأحسن ما يفسّر بما بعده وهو قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خافت منه قلوبهم، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ أي: من المصائب.

قال الحسن البصري: والله لتصبرنّ أو لتهلكنّ.

﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ : قرأ الجمهور بالإضافة. السبعةَ، وبقيةَ العشرة أيضا.

وقرأ ابن السَّمَيْقَع: «والمقيمينَ الصلاة» بالنصب.

وقال الحسن البصري: ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، وإنما حذفت النون هاهنا تخفيفا، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة، ولكن على سبيل التخفيف فنصبت.

أي: المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأرقائهم وقراباتهم، وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله. وهذه بخلاف صفات المنافقين، فإنهم بالعكس من هذا كله، كما تقدم تفسيره في سورة «براءة».

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وهذه الإبل العظيمة البدنية السمينة وكذا البقر البدينة العظيمة جعلناها من أعمال دينكم الظاهرة وأعماله الظاهرة وذلك أنكم تقلدونها وتشعرونها، تجعلون في رقابها القلائد كعلاقات على أنها مُهداة

إلى الله في بيته الحرام، وكذا فإنكم تشعرونها، والشعار البدن أن تجرح جرحًا خفيفًا في فخذها أو في بعض جسمها فيسيل منها الدم ويمسح به ما حوله حتى يُعلم أنها مُهداة إلى بلد الله الحرام، وكذا جعلناه لكم إذا ذبحتوها يوم العيد كأضاحي جعلناها من أعمال دينكم الظاهرة، ففي يوم العيد (النحر) أيام التشريق تذبح الذبائح ويُذكر اسم الله عليها، فهذه بهذه المثابة من شعائر الله من أعمال دينه وأعلام دينه الظاهرة.

أما قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ في الدنيا أكل وشرب وتصدق وإهداء وفي الآخرة أجرٌ وثوابٌ.

وفي الدنيا كذلك قيل ذبحها ونحرها لكم فيها خير في الانتفاع بها وركوبها كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

وكما قال في بعضها: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ⁽٨⁾﴾ [النحل: ٨].

وأما قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾.

فحاصل معناه فاذكروا اسم الله عند نحرها وعند ذبحها وهي قائمة على أرجلٍ ثلاثة معقولة الرجل اليسرى الرابعة أن الرجل الرابعة مضموم ساقها إلى فخذها ومربوطة فهذا في الصواب قائمة على ثلاثة أرجل معقولة الرجل اليسرى الرابعة وقيل في معنى صواف أي صوافي أي اذبحوها خالصةً لوجه الله ﷻ لا لأجر سواه.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾. أي إذا نحرتموها أمر نحرها للأكل منها فكلوا منها استحبابًا وأطعموا القانع وهو الذي يقنع بما أعطيتموه، ولا يسأل ﷻ ولمعترَّ وهو المتعرض بالسؤال.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ هكذا سخرناها لكم فسبحان من سخرها فالناقة

العظيمة الهائلة يقودها طفلٌ صغير بإذن الله ولا يستطيع الرجل الكبير ان يسخر فأرة من الفئران وال ذئبًا من الذئاب.

أما قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي تشكروا والله ﷻ على تسخيرها لكم، وإلا فما كنتم لها مطيعين، وذلك كما في الدعاء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والبدُن، وهي جمع بدنة ثم قال: والبدن: هو الضخم من كلّ شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق، والسدير البَدَن: لضخمه واسترخاء لحمه، فإنه يقال: قد بَدَّن تبدينا. فمعنى الكلام. والإبل العظام الأجسام الضخام، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله: يقول: من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها، علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عطاء: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قال: البقرة والبعير

وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ يقول: لكم في البدن خير، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها، وفي الدنيا: الركوب إذا احتاج إلى ركوبها.

وأورد بإسناد صحيح عن إبراهيم: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قال اللبين والركوب إذا احتاج.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ يقول تعالى ذكره: فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم إياها صواف.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ قال:

قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله، اللهم أكبر، اللهمّ منك ولك.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس في قوله: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ ﴾ قال: الله أكبر الله أكبر، اللهمّ منك ولك. صوافّ: قياما على ثلاث أرجل. فقيل لابن عباس: ما نصنع بجلودها؟ قال: تصدّقوا بها، واستمتعوا بها.

وأورد الطبري أيضًا جملة من الآثار في هذا الصدد وكذا أورد عدة آثار مفادها أن قراءة (صواف) (صَوافِيَ) ومعناه خالصة، أي مخلصين لله ﷻ ومنها أثر ابن زيد، في قوله: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ ﴾ قال: خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون، يجعلون لله ولآلهتهم صوافي صافية لله تعالى.

قال أبو جعفر: وقد تقدم بيان أولى هذه الأقوال بتأويل وقوله: ﴿صَوَآفَّۖ﴾ وهي المصطفة بين أيديها المعقولة إحدى قوائمها.

وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا ﴾ يقول: فإذا سقطت فوقعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر، ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا ﴾ وهو من قولهم: قد وجبت الشمس: إذا غابت فسقطت للتغيب، ومنه قول أوس بن حجر:

أَلَــمْ تُكْسَــفِ الشَّــمْسُ والبَــدْرُ والْكَواكِــبُ لِلْجَبَــلِ الوَاجِــبِ

يعني بالواجب: الواقع.

وقوله: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا ﴾ وهذا مخرجه مخرج الأمر ومعناه الإباحة والإطلاق؛ يقول الله: فإذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر فقد حل لكم أكلها، وليس بأمر إيجاب.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إبراهيم، قال: المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين، فأكلوا منها، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل.

وبإسنادٍ حسن عن مجاهد قال: إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، فهي بمنزلة: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢].

قال الطبري:

واختلف أهل التأويل في المعنّي بالقانع والمعترّ، فقال بعضهم: القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل، والمعترّ: الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل.

وقال آخرون: القانع الذي يقنع بما عنده ولا يسأل.

والمعتر: الذي يعتر بك فيسألك.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن قتادة قال: القانع المتضعف الجالس في بيته.

والمعتر: الذي يعتريك فيسألك.

ونحوه بإسنادٍ صحيح عن مجاهد.

وقال آخرون: القانع الطواف.

والمعتر: الصديق الزائر.

وأورد أقوالًا أخر.

قال الطبري:

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل؛ لأنه لو كان المعنيّ بالقانع في هذا الموضع، المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعترّ. وفي إتباع ذلك قوله: والمعترّ، الدليل الواضح على أن القانع معنيّ به السائل، من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعا؛ ومنه قول لبيد:

وأعْطانِي المَوْلى عَلى حِينَ فقْرِهِ إذَا قَالَ أبْصِرْ خَلّتِي وَقُنُوعي

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنِعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعترّ: فإنه الذي يأتيك معترّا بك لتعطيه وتطعمه.

قلت: كذا قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ قوله غيره أولى والله أعلم

قال الطبري:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ يقول: لتشكروني على تسخيرها لكم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى ممتنا على عباده فيما خلق لهم من البدن، وجعلها من شعائره، وهو أنه جعلها تهدى إلى بيته الحرام، بل هي أفضل ما يهدى [إلى بيته الحرام]، كما قال تعالى: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٢] الآية.

قال ابن جريج: قال عطاء في قوله: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، قال: البقرة، والبعير. وكذا رُوي عن ابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري. وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل.

قلت: أما إطلاق البَدَنة على البعير فمتفق عليه، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة، على قولين، أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح في الحديث.

ثم قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦﴾: يقول تعالى: من أجل هذا ﴿سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ أي: ذللناها لكم، أي: جعلناها منقادة لكم خاضعة، إن

شئتم ركبتم، وإن شئتم حلبتم، وإن شئتم ذبحتم، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝﴾ [سورة يس:٧١-٧٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف العلماء في البدن هل تطلق على غير الابل من البقر أم لا، فقال ابن مسعود وعطاء والشافعي: لا. وقال مالك وأبو حنيفة: نعم. وفائدة الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد البدنة أو لم يقدر عليها وقدر على البقرة، فهل تجزيه أم لا، فعلى مذهب الشافعي وعطاء لا تجزيه. وعلى مذهب مالك تجزيه. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء، لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة: «**من راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة**» الحديث. فتفريقه عليه السلام بين البقرة والبدنة يدل على أن البقرة لا يقال عليها بدنة، والله أعلم. وأيضا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ يدل على ذلك، فإن الوصف خاص بالإبل. والبقر يضجع ويذبح كالغنم، على ما يأتي. ودليلنا أن البدنة مأخوذة من البدانة وهو الضخامة، والضخامة توجد فيهما جميعا. وأيضا فإن البقرة في التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم بمنزلة الابل، حتى تجوز البقرة في الضحايا على سبعة كالابل. وهذا حجة لابي حنيفة حيث وافقه الشافعي على ذلك، وليس ذلك في مذهبنا. وحكى ابن شجرة أنه يقال في الغنم بدنة، وهو قول شاذ. والبدن هي الابل التى تهدى إلى الكعبة. والهدى عام في الابل والبقر والغنم.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ نص في أنها بعض الشعائر.

وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ يريد به المنافع التى تقدم ذكرها.

والصواب عمومه في خير الدنيا والاخرة.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ أمر معناه الندب. وكل العلماء يستحب أن يأكل الانسان من هدية، وفيه أجر وامتثال، إذا كان أهل الجاهلية لا يأكلون من هديهم كما تقدم. وقال أبو العباس بن شريح: الاكل والاطعام مستحبان، وله الاقتصار على أيهما شاء. وقال الشافعي: الاكل مستحب والاطعام واجب، فإن أطعم جميعها أجزاه وإن أكل جميعها لم يجزه، وهذا فيما كان تطوعا، فأما واجبات الدماء فلا يجوز أن يأكل منها شيئا حسبما تقدم بيانه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾.

ج: المعنى والله أعلم لن ينال الله لحوم هذه الأضاحي والهدي، ولا دماؤها، فهو الغني عن عباده، وهم الفقراء إليه ولكن يثيبكم إذا اتقيتموه ويتقبل تقواكم وخشيتكم له ويجازيكم عليه، فهكذا ذللها لكم لتكبروا الله عزَّ وجل عليها عند ذبحها ونحرها ولتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه، وكما وفقكم لسلوك طريقه المستقيم وأعانكم على ذلك ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا رسول الله ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾ أهل الإحسان.

الذين يتقون الله ويراقبونه، ويعبدونه كأنهم يرونه الذين يحسنون كذلك إلى الذبيحة عند ذبحها وعند نحرها.

الذين يفعلون الفرض بعد النفل المحسنون في طاعتهم له عزَّ وجل:

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها، ولكن يناله اتقاؤكم إياه أن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه، وعملتم فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته.

وأورد بإسناد صحيح عن إبراهيم في قول الله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ قال: ما أريد به وجه الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في وقوله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ قال: إن اتقيت الله في هذه البُدن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله تعظيما لشعائر الله ولحرمات الله، فإنه قال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ قال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ قال: وجعلته طيبا، فذلك الذي يتقبل الله. فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟

قال الطبري:

وقوله: {كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟} يقول: هكذا سخر لكم البُدن. يقول: {وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ} يقول: كي تعظموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقه إياكم لدينه وللنسك في حجكم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: {وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ} قال: على ذبحها في تلك الأيام {وبشر المحسنين}: يقول: وبشِّر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا، لتذكروه عند

ذبحها، فإنه الخالق الرازق لأنه لا يناله شيء من لحومها ولا دمائها فإنه تعالى هو الغني عما سواه.

وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابتهم ونضحوا عليها من دمائها فقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ ولكن يناله التقوى منكم.

أي: يتقبل ذلك ويجزي عليه. كما جاء في الصحيح: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

وقوله: {كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ} أي: من أجل ذلك سخر لكم البُدن، {وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ} أي: لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه، وما يرضاه، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾ أي: وبشر يا محمد المحسنين، أي: في عملهم، القائمين بحدود الله، المتبعين ما شَرَعَ لهم، المصدقين الرسولَ فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ من سبحانه علينا بتذليلها وتمكيننا من تصريفها وهى أعظم منا أبدانا وأقوى منا أعضاء، ذلك ليعلم العبد أن الامور ليست على ما يظهر إلى العبد من التدبير، وإنما هي بحسب ما يريدها العزيز القدير، فيغلب الصغير الكبير ليعلم الخلق أن الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده.

❀ ❀ ❀

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ
أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ
كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ
إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ
وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ ﴾

[الحج: ٣٨-٤٤].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿خَوَّانٍ -كَفُورٍ - دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ - صَوَٰمِعُ - وَبِيَعٌ - وَصَلَوَٰتٌ - عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ - فَأَمْلَيْتُ - نَكِيرِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿خَوَّانٍ﴾	خائن (كثير الخيانة)
﴿كَفُورٍ﴾	جحود للنعم
﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾	يصد الله بعض الناس عما يريدونه من الشر بتسليط قوام آخرين عليهم
﴿صَوَٰمِعُ﴾	أماكن يتخذها الأشخاص للعبادة كل شخص يكون في صومعة بعيدًا عن الناس يعبد الله فيها(وهي للنصارى)
﴿وَبِيَعٌ﴾	كنائس
﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾	أماكن صلوات اليهود
﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾	الحكم في نهاية الأمر (فضلا عن كل وقت)
﴿فَأَمْلَيْتُ﴾	فأخرتهم وأخرت إنزال العذاب عليهم
﴿نَكِيرِ﴾	إنكار

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أن الله عزَّ وجل يرفع عن أهل الإيمان ما يُراد بهم من شرور ومن مكايد ويحفظهم ويسلمهم من أرادهم بسوء، وكذا يقيض لهم من عباده من يدافع عنهم، ويقيض لهم من الأمور ما بها تدُفع عنهم الشرور.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ﴾ للعهود والمواثيق والأمانات ﴿كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ جحود للنعم منكرٌ للمعروف فهؤلاء المذكورة صفاتهم الخوان والكفور لا يحبهم الله.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، إن الله لا يحبّ كل خوّان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان ﴿كَفُورٍ﴾ يقول: جَحود لنعمه عنده، لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها. وقيل: إنه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم.

قال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال تعالى: { أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ } [الزمر: ٣٦] وقال: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٖ قَدْرٗا ﴿٣﴾} [الطلاق: ٣].

وقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾} أي: لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهو الخيانة في العهود والمواثيق، لا يفي بما قال. والكفر :

الجحد للنعم، فلا يعترف بها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أذن الله عزَّ وجل لأهل الإيمان الذين يُقاتلون من أهل الكفر، الذين يقاتلهم أهل الكفر، أذن لهم في القتال والدفاع عن أنفسهم والانتصار من ظلمهم وبغي عليهم وذلك لكونهم ظُلموا، والله عزَّ وجل قدير على نصرهم بدون تدخل منهم للدفاع عن أنفسهم قادرٌ ربي عزَّ وجل على الانتقام ممن ظلموهم، ولكن أيضًا أذن لأهل الإيمان في القتال والانتصار، وهذا، والله أعلم لكونه قد كان أهل الإيمان ممنوعين من قتال من قاتلهم، وكانوا مأمورين بكف الأيد كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾.

ثم بيَّن الله حال أهل الإيمان هؤلاء، وبعض ما حدث لهم، فقال سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وهم أهل الإيمان من أهل مكة أخرجهم أقوامهم الكفار منها، فخرجوا بسبب إيذائهم لهم وعنتهم وشدتهم معهم ولم يكن لهم إذ أُخرجوا من ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له وأقروا بربوبيته وإلهيته بلا شريك له فقالوا ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، فهذا الذي أخرجوا بسببه خُرجوا من أجله كما قال تعالى في شأن ما حل بأهل

الإيمان المذكورين في سورة البروج إذ خُدَّت لهم الأخاديد وأشعلت فيها النيران وألقاهم قومهم فيها ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨].

أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ فحاصل معناه، ولولا أن الله عزَّ وجل صدَّ شر بعض الناس بأقوام آخرين جعلهم سببا لدفع الشر لتسلط الشريرون فأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ولهدموا الصوامع وهي المباني الصغيرة التي كان يتخذونها عباد النصارى كلٌّ يتخذ صومعة ينفرد فيها للعبادة كما في حديث جريج ففيه أن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ابن مريم وصاحب جريج، وكان جريج رجلًا عابدًا فاتخذ صومعةً فكان فيها**......» الحديث.

وكذلك لولا أن الله عزَّ وجل قيض أقوامًا لدفع الظالمين لسلط الظالمون فهدموا البيِّع وهي الكنائس كنائس النصارى ولهدموا الصلوات، وهي كما قال فريق من أهل الله- أماكن عبادة اليهود وكذا لهدم الظالمون المساجد التي هي أماكن الصلاة عند المسلمين، مع أن الأرض كلها للمسلمين مسجدٌ وطهور، أي أن الله عزَّ وجل دفع ببعض الناس شرور أقوامٍ مفسدين يريدون أن يهدموا الصوامع والبيع والصلوات والمساجد التي يُذكر فيها اسم الله كثيرًا إذن فمن مقاصد الجهاد المحافظة على الأماكن التي يُذكر فيها اسم الله كثيرًا، فمن مقاصده إذن إقامة ذكر الله عزَّ وجل ذلك دليلٌ على عظيم فضل الذِّكر.

هذا، وقد عمَّ بعض أهل العلم القول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ ...﴾.

فقالوا ما حاصله أن الله قيض أقوامًا لصدِّ أقوام عن مرادهم الشرير، فمن ذالك أن الله لما فرض الجهاد، أو أباحه لأهل الإيمان أباحه لهم الأمور منها صدِّ اعتداء المعتدين على المساجد...وكذا قيض الله نبيه محمد ﷺ وأصحاب الحماية هذا الدين ولوصوله إلينا.

وكذا قيض الله الأئمة والسلاطين أهل الفضل والصلاح لدفع شرور الشريرين والأخذ على أيديهم وكما قيض ربنا ذا القرنين ليجعل بين يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض، دين سائر الناس سدًا.

وكذا قيض الله العلماء لبيان خطورة الإفساد في الأرض فمن ثمَّ منع الله بهم أهل الجهل من إمضاء جهالاتهم وكذا قيض الله أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لدفع شرور الشريرين وكيد الكائدين.

وأحيانا يدفع الله شر زوجة بشدة زوجها عليها، وأحيانًا يدفع الله عن شخص الشر والفساد بسبب زوجة وهكذا فإن الله يدفع شر قومٍ بأقوام آخرين وإلا لتسلط الشريرون وغلبوا على الأرض وأفسدوا فيها ودمروا ما فيها من مساجد.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ فوعد من الله عزَّ وجل أن ينصر من ينصر هذا الدين ونصره أما بالسيف (أي في المعارك) وإما بالحجة والبيان والغلبة بهما، وكذا نصره لهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ قوي قادرٌ على إنفاذ ما يريد، لا يغلبه أحد فهو عزيز غالب لا يمنع من شيء أراده جل وعزَّ وتبارك وتقدس أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ فهذا بيان لحال أهل الإيمان وذكرٌ لبعض شأنهم أنهم إذا مكنهم الله في الأرض وجعل لهم المكانة والرئاسة والقدرة الكاملة فيها، وجمعوا ذلك لطاعة الله عزَّ وجل ولا يملأ كلمته فأقاموا الصلاة، هم أنفسهم يؤدون الصلاة ويحملون الناس على أدائها ويلزمونهم بذلك، فيكونون سببًا في نجاة أمهم من النار، وكذا أتوا الزكاة أدوا ما عليهم من زكاة ولم يتحلوا بذلك ويحلوا الناس على أدائها أيضًا وأمروا الناس بالمعروف ونهوا الناس عن المنكر، فهذا هو شأنهم ليسوا كالمترفين الذي إذا أقرهم الله فسقوا فهلكوا إذ الله قال: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ۝١٦﴾ [الإسراء: ١٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ أي أن صيرورة الامول كلها إلى الله يوم القيامة ومرجع الناس إليه فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي المجاهدين في سبيله ومقيمي الصلاة والمؤدين للزكاة والأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أحسن الجزاء.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم.

وأورد رحمه الله بعض الوجوه:

وفي قراءة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ ثم قال وقد اختلف في الذين عنوا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال، فقال بعضهم عني به: نبيّ الله وأصحابه.

وأورد بسندٍ صحيح وقد روى مرسلًا عن ابن عباس قال: لما خرج النبي

ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن قال قال ابن عباس: فأنزل الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. وهي أول آية نزلت في (القتال) وهذه عند أحمد.

وبسند صحيح عن ابن زيد وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ قال: أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين. وقرأ: { ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ } وقال: هؤلاء المؤمنون.

وقال آخرون: بل عني بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة، فمنعوا من ذلك.

وقوله: { ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ } يقول جل ثناؤه: وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر، وقد نصرهم فأعزّهم ورفعهم وأهلك عدوّهم وأذلهم بأيديهم.

يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون { ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ } فالذين الثانية ردّ على الذين الأولى. وعنى بالمخرجين من دورهم: المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة. وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله، وسبهم بعضهم بألسنتهم ووعيدهم إياهم، حتى اضطرّوهم إلى الخروج عنهم. وكان فعلهم ذلك بهم بغير حقّ، لأنهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحقّ، فلذلك قال جل ثناؤه: { ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ } . وقوله: {إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ } يقول تعالى ذكره: لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم: ربنا الله وحده لا شريك له! فأن في موضع خفض ردّا على الباء في وقوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وقد

يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء.

وقوله: {وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ} اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولولا القتال والجهاد في سبيل الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله ﷺ عمن بعدهم من التابعين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عمن لا يجوز شهادته وغيره، فأحيا بذلك مال هذا ويوقي بسبب هذا إراقة دم هذا، وتركوا المظالم من أجله، لتظالم الناس فهدمت صوامع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهُدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفِّه المشركين بالمسلمين عن ذلك؛ ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم؛ ومنه كفُّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيَعهم وما سمّى جل ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بيَّنته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا.

وقوله: ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالصوامع، فقال بعضهم: عني بها صوامع الرهبان.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن رفيع في هذه الآية ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾ قال صوامع الرهبان.

وقال آخرون: بل صوامع الصابئين.

وقال: وأما قوله: ﴿وَبِيَعٞ﴾ فإنه يعني بها بيع النصارى.

وقال آخرون: يعني بالبيع في هذا الموضع كنائس اليهود

قوله: ﴿وَصَلَوَٰتٞ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: عني بالصلوات: الكنائس.

وقال آخرون: عني بالصلوات مساجد الصابئين.

وقال آخرون: هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في وقوله: ﴿وَصَلَوَٰتٞ﴾ قال: الصلوات صلوات أهل الإسلام، تنقطع إذا دخل العدو عليهم، انقطعت العبادة، والمساجد تهدم، كما صنع بختنصر.

وقوله: { وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ } اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول، فقال بعضهم: أريد بذلك مساجد المسلمين.

وقال آخرون: عني بقوله: ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ الصلوات والبيع والصوامع.

قال الطبري:

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: الصلوات لا تهدم، ولكن حمله على فعل آخر، كأنه قال: وتركت صلوات. وقال بعضهم: إنما يعني: مواضع الصلوات. وقال بعضهم: إنما هي صلوات، وهي كنائس اليهود،

تدعى بالعِبرانية: صلوتا.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدِّمت صوامع الرهبان وبِيَع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا.

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم، وما خالفه من القول وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه من وجهه إليه.

وقوله: { وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ } يقول تعالى ذكره: وليعينَنّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوّه؛ فنصْر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا.

وقوله: { إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ } يقول تعالى ذكره: إن الله لقويّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في مُلكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة. والذين ههنا رد على الذين يقاتلون.

ويعني بقوله: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إن وطنا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، وآتوا الزكاة: يقول: وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له

﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يقول: ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله {وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ} يقول: ونهوا عن الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحقّ والإيمان بالله {وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ} يقول: ولله آخر أمور الخلق، يعني: أن إليه مصيرها في الثواب عليها، والعقاب في الدار الآخرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال غير واحد من السلف هذه أول آية نزلت في الجهاد، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي: هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن هو يريد من عباده أن يبلوا جهدهم في طاعته، كما قال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤-٦]، وقال تعالى: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

والآيات في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ وقد فعل.

وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددًا، فلو أمرَ المسلمين، وهم أقل من العشر، بقتال الباقين لشَقَّ عليهم؛ ولهذا لما بايع أهلُ يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ، وكانوا نيفا وثمانين، قالوا: يا رسول الله، ألا نميل على أهل الوادي -يعنون أهل مِنًى- ليالي مِنى فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ «**إني لم أومر بهذا**». فلما بَغَى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم، وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شَذرَ مَذَر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة، وآخرون إلى المدينة. فلما استقروا بالمدينة، ووافاهم رسولُ الله ﷺ، واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومَعْقلا يلجؤون إليه -شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحج:٣٩-٤٠]

قال العَوْفي، عن ابن عباس: أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق، يعني: محمدًا وأصحابه.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ أي: ما كان لهم إلى قومهم إساءة، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له. وهذا استثناء منقطع بالنسبة إلى ما في نفس الأمر، وأما عند المشركين فهو أكبر الذنوب، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج:

٨]. ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق، ويقولون:

لا هُمّ لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فأنزلنْ سكينةً علينا ... وثبّت الأقدامَ إنْ لاقينا

إنّ الألى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أبيْنَا

فيوافقهم رسول الله ﷺ، ويقول معهم آخر كل قافية، فإذا قالوا: «**إذا أرادوا فتنة أبينا**»، يقول: «أبينا»، يمد بها صوته.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشف شرّ أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ [محمد: ٧، ٨].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ وصف نفسه بالقوة والعزة، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه، فقير إليه. ومن كان القويّ العزيز ناصرَه فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ -١٧٣] وقال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ قيل: هذا بيان قوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ أي يدفع عنهم غوائل الكفار بأن يبيح لهم القتال وينصرهم، وفيه إضمار، أي أذن للذين يصلحون للقتال في القتال، فحذف لدلالة الكلام على المحذوف. وقال الضحاك: استأذن أصحاب رسول الله ﷺ في قتال الكفار إذ آذوهم بمكة، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ فلما هاجر نزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾. وهذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعراض وترك صفح. وهي أول آية نزلت في القتال.

قال ابن عباس وابن جبير: نزلت عند هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وروى النسائي والترمذي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال. فقال: هذا حديث حسن. وقد روى غير واحد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير مرسلا، وليس فيه: عن ابن عباس.

وقال:

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ أي لولا ما شرعه الله تعالى للانبياء والمؤمنين من قتال الاعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الامم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات، فكأنه قال: أذن في القتال، فليقاتل المؤمنون. ثم قوى هذا الامر في القتال بقوله: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الاية، أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة. فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض

لمذهبه، إذ لولا القتال لما بقى الدين الذى يذب عنه. وأيضا هذه المواضع التى اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم، وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام إنما ذكرت لهذا المعنى، أي لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع، وفى زمن محمد عليه السلام المساجد. ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ من هدمت البناء أي نقضته فانهدم. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الاية. وروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال: ولولا دفع الله بأصحاب محمد ﷺ الكفار عن التابعين فمن بعدهم. وهذا وإن كان فيه دفع قوم بقوم إلا أن معنى القتال أليق، كما تقدم. وقال مجاهد لولا دفع الله ظلم قوم بشهادة العدول. وقالت فرقة: ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة. وقال أبو الدرداء: لولا أن الله عزوجل يدفع بمن في المساجد عمن ليس في المساجد، وبمن يغزو عمن لا يغزو، لاتاهم العذاب. وقالت فرقة: ولولا دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء والاخيار إلى غير ذلك من التفصيل المفسر لمعنى الاية، وذلك أن الاية ولا بد تقتضي مدفوعا ؟ من الناس ومدفوعا عنه، فتأمله.

ثم قال رحمه الله:

فإن قيل: لم قدمت مساجد أهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين؟ قيل: لانها أقدم بناء. وقيل: لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر، كما أخر السابق في قوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ [فاطر: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ أي من ينصر دينه ونبيه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ ﴾ أي قادر.

قال الخطابى: القوى يكون بمعنى القادر، ومن قوى على شئ فقد قدر

عليه.

﴿عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ أي جليل شريف، قاله الزجاج.

وقيل الممتنع الذى لا يرام، وقد بيناهما في الكتاب الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، وإن يكذبك قومك يا رسول الله فلا تجزع ولا تحزن ولا تقلق فتلك سنةٌ جارية أن أهل الكفر يكذبون أنبياءهم فقد كذبت قبل كفار قريش هؤلاء قوم نوح كذَّبوا رسولهم نوح ﷺ وقد دعاهم إلى عبادة الله وحده ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فما ازدادوا إلا تكذيبًا بعد تكذيب وكذا كذبت قبلهم قوم عادٍ، كذبوا نبيهم هودًا عليه السلام، وكذا ثمود كذبوا صالحًا عليه السلام، وكذا كذب قوم إبراهيم، ومنهم أبوه، كذبوا إبراهيم عليه السلام وقوم لوط كذبوا لوطًا أيضًا، وأصحاب مدين، وهم قوم شعيب عليه السلام كذبوا شعيبًا، وكذا فإن نبي الله موسى عليه السلام كذبه فرعون وقومه أما قوم موسى عليه السلام وهم بنوا إسرائيل فقد استجابوا له ومن ثمَّ قيل وكُذب موسى.

فماذا كان بعد هذا التكذيب، لقد أخرهم الله زمنًا كي يتوبوا وينيبوا إلى الله عزَّ وجل، فلم يتوبوا ولم ينيبوا إلى الله عزَّ وجل فأخر الله نزول العذاب عليهم ثم أخذهم بالعذاب فانظر متفكرًا بعين قلبك كيف كان إنكار الله عزَّ وجل

عليهم لقد كان إنكارًا شديدًا وعذابًا أليمًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدًا ﷺ عما يناله من أذى المشركين بالله، وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السبّ والتكذيب: وإن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما آتيتَهم به من الحق والبرهان، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذّبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم، فلا يصدنك ذلك، فإن العذاب المهين من ورائهم ونصري إياك وأتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال. فقد كذبت قبلهم يعني مشركي قريش؛ قوم نوح، وقوم عاد وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وهم قوم شعيب. يقول: كذب كلّ هؤلاء رسلهم. وكذب موسى، فقيل: وكذب موسى، ولم يقل: وقوم موسى، لأن قوم موسى بنو إسرائيل، وكانت قد استجابت له ولم تكذّبه، وإنما كذّبه فرعون وقومه من القبط.

وقد قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة.

وقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول: فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ يقول: ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري ما كان بهم من نعمة وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم، ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا

وهلاكا وبالعمارة خرابا؟ يقول: فكذلك فعلي بمكذّبيك من قريش، وإن أمليت لهم إلى آجالهم، فإني منجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم، فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليا نبيَّه محمدا ﷺ في تكذيب من خالفه من قومه: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) إلى أن قال : (وَكُذِّبَ مُوسَى) أي: مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أنظرتهم وأخرتهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ أي: فكيف كان إنكاري عليهم، ومعاقبتي لهم؟!

ذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وبين إهلاك الله له أربعون سنة.

وفي الصحيحين (١) عن أبي موسى، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِته، ثم قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تسلية للنبي ﷺ وتعزية، أي كان قبلك أنبياء كذبوا فصبروا إلى أن أهلك الله المكذبين، فاقتد بهم واصبر.

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ أي كذبه فرعون وقومه.

فأما بنو إسرائيل فما كذبوه، فلهذا لم يعطفه على ما قبله فيكون وقوم موسى.

(١) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أخرت عنهم العقوبة.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ فعاقبتهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ استفهام بمعنى التغيير، أي فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك، فكذلك أفعل بالمكذبين من قريش.

قال الجوهرى: النكير والانكار تغيير المنكر، والمنكر واحد المناكير.

❀ ❀ ❀

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ
لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن
تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ
وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧ وَكَأَيِّن مِّن
قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ٤٨ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ
أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١ ﴾

[الحج: ٤٥-٥١].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ فَكَأَيِّن - ظَالِمَةٌ - خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا - وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ - وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ - أَمْلَيْتُ لَهَا - سَعَوْا فِيٓ ءَايَٰتِنَا - مُعَٰجِزِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ فَكَأَيِّن ﴾	كم (للتكثير)
﴿ ظَالِمَةٌ ﴾	ظالمة لنفسها بشركها بالله – مشركة
﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾	فارغة على سقوفها، وقيل المعنى ليس فيها أحدٌ، وقد سقطت سقوفها على جدرانها وأعمدتها فلا يقيمها ولا يصلح
﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾	بئر قد دفنت من التراب ولم يأتي أحدٌ للسقيا منها
﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾	قصر فيع رفيع شيد بالجص، مُجصص مطليٌّ بالبياض
﴿أَمْلَيْتُ لَهَا ﴾	أخرتها وأجَّلتُ تعذيبها
﴿سَعَوْا فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾	اجتهدوا لإبطال آياتنا وحججنا
﴿مُعَٰجِزِينَ ﴾	مغالبين – يظنون أنهم سيغلبوننا يظنون أنها سيعجزوننا وهناك قراءة (معِّجزين) أي مجتهدون تعجيز الناس حتى لا يدخلوا في الإسلام

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم وكم من قرية أفنينا أهلها وأهلكناهم وأبدناهم، وهم مشركون بالله ظالمون لأنفسهم بذلك فها هي بلادهم خاوية فارغة منهم، ليس فيها أحد قد سقطت سقوفها على جدرانها، وها هي الأبار التي كانوا يستقون منها قد تعطلت وأهملت فدفنت بالتراب فلا أحد يرعاها ولا أحد يتعاهدها وكذا قصورهم المنيعة الرفيعة الحصينة التي شيدوها بالجص وبيضوها بالبياض، ها هي أيضًا قد أصبحت خربة لا معلم فيها لأحدٍ، فهل من مُدكرٍ يدَّكر، وهل من متعظ يتعظ.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون؛ يقول: وهم يعبدون غير من ينبغي أن يُعبد، ويعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه. وقوله: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يقول: فباد أهلها وخلت، وخوت من سكانها، فخربت وتداعت، وتساقطت على عروشها؛ يعني على بنائها وسقوفها.

وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ يقول تعالى: فكأين من قرية أهلكناها، ومن بئر عطلناها، بإفناء أهلها وهلاك وارديها، فاندفنت وتعطلت، فلا واردة لها ولا شاربة منها﴿وَ﴾ من ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ رفيع بالصخور والجصّ، قد خلا من سكانه، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم، فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم. والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية. كان

بعض نحويي الكوفة يقول: هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا، وإن لم يحسن فيهما، على أن العروش أعالي البيوت، والبئر في الأرض، وكذلك القصر، لأن القرية لم تخو على القصر، ولكنه أتبع بعضه بعضا كما قال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣] فمعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك: فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة، فهي خاوية على عروشها، ولها بئر معطلة وقصر مشيد؛ ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها، أتبعها في الإعراب العروش، والمعنى ما وصفت.

واختلف أهل التأويل في معنى وقوله: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فقال بعضهم: معناه: وقصر مجصص.

وقال آخرون: بل يعني ذلك وقصر رفيع طويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عني بالمشيد المجصص، وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الجصّ بعينه؛ ومنه قول الراجز:

كَحَبَّةِ المَاءِ بينَ الطَّيِّ والشِّيدِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: كم من قرية أهلكتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: مكذبة لرسولها، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ قال الضحاك: سقوفها، أي: قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: لا يستقى منها، ولا يَرِدُها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ قال عكرمة: يعني المُبَيَّض بالجص.

وروي عن علي بن أبي طالب، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وأبي

المَلِيح، والضحاك، نحو ذلك.

وقال آخرون: هو المُنيف المرتفع.

وقال آخرون: الشديد المنيع الحصين.

وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يَحْمِ أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه، ولا إحكامه ولا حصانته، عن حلول بأس الله بهم، كما قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أفلم يسر هؤلاء المكذبون لك يا رسول الله الجاحدون وحدانية الله وقدرته المنكرون للبعث، أفلم يسيروا في الأرض، يسافرون فيها فينظروا مصارع من مضوا قبلهم ممن أهلكناهم وأفنيناهم وأبدناهم ودمرناهم، فمن ثم يعقلون بقلوبهم ترى كانت قلوبهم تعقل فيعتبرون ويدكرون ويتعظون، وكذا إن كانت لهم أذانٌ صاغية للحق فليستمعوا إلى ما مكن لهم وذكرتهم به وكذا يبصرون بأعينهم الحق إن كانت لهم عيون تبصر، ولكن على كل حال فليست العبرة بعمى البصر، إنما عمى البصيرة أشد وأشد، وذاك عمى القلوب التي في الصدور عن الحق والعياذ بالله.

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم يسيروا هؤلاء المكذّبون بآيات الله والجاحدون

قدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذّبي رسل الله الذين خلوْا من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكَّروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذّب رسله، فينيبوا من عتوّهم وكفرهم، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحقّ ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيّنا ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يقول: أو آذان تصغي لسماع الحقّ فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل. وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يقول: فإنها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم؛ ولكن تعمى قلوبهم التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته.

والهاء في وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى﴾ هاء عماد، كقول القائل: إنه عبد الله قائم.

وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (فإِنَّهُ لا تَعْمَى الأبْصَارُ). وقيل: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ والقلوب لا تكون إلا في الصدور، توكيدا للكلام، كما قيل: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا، ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ أضاف العقل إلى القلب لانه محله كما أن السمع محله الاذن.

وقد قيل: إن العقل محله الدماغ، وروى عن أبى حنيفة، وما أراها عنه صحيحة.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال الفراء: الهاء عماد، ويجوز أن يقال فإنه، وهى

قراءة ؟ ؟ عبد الله بن مسعود، والمعنى واحد، التذكير على الخبر، والتأنيث على الابصار أو القصة، أي فإن الابصار لا تعمى، أو فإن القصة.

﴿لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي أبصار العيون ثابتة لهم.

﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ أي عن درك الحق والاعتبار.

❀ ❀ ❀

س: هل القلوب التي تعقل في الصدر أم في الدماغ؟

ج: لا شك أنها في الصدر، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

ولقوله ﷺ: «التقوى هاهنا وأشار إلى صدره»(١).

ولقوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(٢).

ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ [الناس: ٥].

ولقوله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦].

ولقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١].

وكذا الأحاديث الواردة في شق صدر النبي ﷺ واستخراج حظ الشيطان منه(٣). وكذا الحديث للمشتكي شيئًا في صوره «ضع يدك على الذي تألم وقل بسم الله ثلاثة وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد

(١) مسلم (٢٥٦٤).
(٢)البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٣)انظر تفسير سورة الانشراح.

وأحاذر»(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ويطلب منك أهل الكفر والتكذيب تعجيل العذاب، إنزاله عاجلاً غير آجل فتأكد يا رسول الله أن الله عزَّ وجل لن يخلفك ما وعدك بل سيتحقق وعد الله، وسيعذب هؤلاء في الوقت الذي قدر الله عليهم فيه العذاب فلا تعلق، ولا يستعجلونك فالأيام عند ربك التي أنتم ترونها طويلة هي عند الله قصيرة، فاليوم عند ربك كألف سنة مما نعد وحسب.

ثم يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكم من قرية ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾. أخرتها وأمهلتها وأجلَّت نزول العذاب عليها وهي مشركة ثم إني أخذتها وهي تشعر أو لا تشعر وإليَّ مرجع الجميع وحاسبهم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا، ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم، فقتلهم يوم بدر.

---

(١) مسلم (٢٢٠٢).

واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي يوم هو؟ فقال بعضهم: هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

وقال آخرون، بل هو من أيام الآخرة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن سمير بن نهار، قال: قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾.

وبسندٍ صحيح عن مجاهد ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال: من أيام الآخرة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عكرمة، أنه قال في هذه الآية: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال: هذه أيام الآخرة. وفي وقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ قال: يوم القيامة، وقرأ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦-٧].

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله، فقال بعضهم: إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا، فأنزل الله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا. وإن يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدّون في الدنيا.

وقال آخرون: قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل، ولكنه يمهل إلى أجل أجّله، وأن البطيء عندهم قريب عنده، فقال

لهم: مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدّون أنتم أيها القوم من أيامكم، وهو عندكم بطئ وهو عندي قريب.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإن يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة.

والقول الثاني عندي أشبه بالحقّ في ذلك؛ وذلك إن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله ﷺ بالعذاب، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده، ثم أتبع ذلك وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة، تركه معاجلتهم بالعذاب، فبين بذلك أنه عنى بقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ نفي العجلة عن نفسه، ووصفها بالأناة والانتظار، وإذ كان ذلك كذلك، كان تأويل الكلام: وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة، يوم واحد كألف سنة من عددكم، وليس ذلك عنده ببعيد، وهو عندكم بعيد، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدّته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ يقول: أمهلتهم وأخّرت عذابهم، وهم بالله مشركون، ولأمره مخالفون، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جلّ ثناؤه، فلم أعجل بعذابهم،﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ يقول: ثم أخذتها بالعذاب، فعذّبتها في الدنيا بإحلال عقوبتنا بهم،﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ يقول: وإليّ مصيرهم أيضا بعد هلاكهم، فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له؛ يقول تعالى ذكره: فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركي قومك، وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم، فإني آخذهم بالعذاب، فقاتلهم

بالسيف، ثم إليّ مصيرهم بعد ذلك فموجعهم إذن عقوبة على ما قدّموا من آثامهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه : (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) أي: هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر، كما قال [الله] تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ص: ١٦].

وقوله: ﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ أي: الذي قد وَعَد، من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه، والإكرام لأوليائه.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي: هو تعالى لا يَعجَل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه، لعلمه بأنه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته شيء، وإن أجّلَ وأنظَر وأملى؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾.

وأورد حديث عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم: خمسمائة عام**». وأورد شواهد لهذ الحديث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يستعجلونك بالعذاب ولغيرهم ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩﴾. هذا شأن ما أنا إلا نذير مظهر وموضح لكم عاقبة ما انتم فيه، وكذا مظهر وموضحٌ أمرًا لله عزَّ وجل لكم، ليس لي من أمر تعجيل عذابكم شيء إنما ذلك أمر موكول إلى الله عزَّ وجل.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدقوا وأيقنت قلوبهم بوحدانية الله وقدرته واليوم الذي يبعث الله فيه العباد، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وأقاموا الشريعة ولم يضيعوها فعجلوا بمقتضاها ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم وآثامهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠﴾ وهو الجنة دار الخلود وما فيها من زرع والذين اجتهدوا الإبطال آياتنا وحجتنا وصرف الناس عنها يظنون بذلك أنهم يعجزوننا ويغالبوننا فجزائهم ما ذكره الله عزَّ وجل في كتابه إذ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١﴾ وبه آخر وقراءة أخرى في قوله ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ وهي معجزِّين أي صادين الناس عن الدخول في الإسلام ومانعين لهم فأولئك أصحاب الجحيم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتباعا منهم لكل شيطان مريد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩﴾ أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا، وعذابه في الآخرة أن تصلوه مبين: يقول: أبين لكم إنذاري ذلك وأظهره، لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك، لا أملك لكم غير ذلك، فأما تعجيل العقاب وتأخيره الذي تستعجلونني به، فإلى الله ليس ذلك إليّ، ولا أقدر عليه؛ ثم وصف نذارته وبشارته، ولم يجر للبشارة ذكر، ولما ذكرت النذارة على عمل

علم أن البشارة على خلافه، فقال: والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ يقول: لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٥٠﴾ يقول: ورزق حسن في الجنة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ يقول: والذين عملوا في حججنا فصدّوا عن اتباع رسولنا، والإقرار بكتابنا الذي أنزلناه، وقال في آياتنا فأدخلت فيه في كما يقال: سعى فلان في أمر فلان.

واختلف أهل التأويل في تأويل وقوله: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ فقال بعضهم: معناه: مشاقين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم.

قال الطبري:

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه: ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ بالألف، وهي قراءة عامة قرّاء المدينة والكوفة. وأما بعض قرّاء أهل مكة والبصرة، فإنه قرأه: (مُعَجِّزِينَ) بتشديد الجيم بغير ألف، بمعنى أنهم عجزوا الناس وثبطوهم عن اتباع رسول الله ﷺ والإيمان بالقرآن.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، متقاربتا المعنى؛ وذلك أن من عجز عن آيات الله، فقد عاجز الله، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطِّئون الناس عن الإيمان بالله، واتباع رسوله، ويغالبون رسول الله

ﷺ، يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه، وقد ضمن الله له نصره عليهم، فكان ذلك معاجزتهم الله. فإذ كان ذلك كذلك، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك.

وأما المعاجزة فإنها المفاعلة من العجز، ومعناه: مغالبة اثنين، أحدهما صاحبه أيهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره.

وأما التعجيز: فإنه التضعيف وهو التفعيل من العجز. وقوله: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها.

وقال ابن كثير:

يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب منه الكفار وُقُوعَ العذاب، واستعجلوه به: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: إنما أرسلني الله إليكم نذيرًا لكم بين يدي عذاب شديد، وليس إلي من حسابكم من شيء، أمركم إلى الله، إن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره عنكم، وإن شاء تاب على من يتوب إليه، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار، و﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] و﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ أي: آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: مغفرة لما سلف من سيئاتهم، ومجازاة حَسَنَةٌ على القليل من حسناتهم.

وقال محمد بن كعب القُرَظِيّ: إذا سمعتَ الله تعالى يقول: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ فهو الجنة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾ : قال مجاهد: يُثَبِّطون الناس عن

متابعة النبي ﷺ. وكذا قال عبد الله بن الزبير: مثبطين.

وقال ابن عباس: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مراغمين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١﴾: وهي النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكالها، أجارنا الله منها.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى أهل مكة. ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٌ﴾ أي منذر مخوف. وقد تقدم في البقرة الانذار في أولها. ﴿مُّبِينٞ ۝٤٩﴾ أي أبين لكم ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ يعنى الجنة. ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي في إبطال آياتنا. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ أي مغالبين مشاقين، قاله ابن عباس. الفراء: معاندين. وقال عبد الله بن الزبير: مثبطين عن الاسلام. وقال الاخفش: معاندين مسابقين. الزجاج: أي ظانين أنهم يعجزوننا لانهم ظنوا أن لا بعث، وظنوا أن الله لا يقدر عليهم، وقاله قتادة. وكذلك معنى قراءة ابن كثير وأبى عمرو (معجزين) بلا ألف مشددا. ويجوز أن يكون معناه أنهم يعجزون المؤمنين في الايمان بالنبي عليه السلام وبالايات، قاله السدى. وقيل: أي ينسبون من اتبع محمدا ﷺ إلى العجز، كقولهم: جهلته وفسقته. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١﴾.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ
أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي
مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥
ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ
لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨
لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩ ﴾

[الحج: ٥٢-٥٩].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿تَمَنَّىٰٓ - أُمۡنِيَّتِهِۦ - فَيَنسَخُ - يُحۡكِمُ - فَتُخۡبِتَ - صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ - مِرۡيَةٖ - بَغۡتَةً - عَقِيمٍ - مُّدۡخَلٗا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَمَنَّىٰٓ﴾	تلا - قرأ - حدثته نفسه
﴿أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾	تلاوته - حديثه لنفسه
﴿فَيَنسَخُ﴾	يمحو - يبطل - يزيل
﴿يُحۡكِمُ﴾	يثبت
﴿فَتُخۡبِتَ﴾	فتخضع
﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	صراط واضح مستقيم
﴿مِرۡيَةٖ﴾	شك
﴿بَغۡتَةً﴾	فجأة
﴿عَقِيمٍ﴾	لا خير فيه ولا نفع
﴿مُّدۡخَلٗا﴾	مكانًا حسنا (وهو الجنة) يرضون به

❃ ❃ ❃

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾.

ج: ابتدأ، فقد تقدم الحديث معنى كثير من هذه الآيات في سورة النجم عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم: ١٩-٢٠] فليرجع إليه.

أما عن المعاني الإجمالية لهذه الآيات، فأقول وبالله التوفيق، مُوردًا حاصل الوجهين للعماء في ذلك.

الوجه الأول: يخبر الله عزَّ وجل نبيه محمد ﷺ مواسيًا له مُسليًا له، فقد حدث له بعض الضيق الذي يحدث للبشر من جراء ما ألقاه الشيطان في أمنيته.

فيقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ﴾. كلفناه برسالة إلى قوله ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ مننا عليه بالنبوة والوحي ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قيل حدثته نفسه بأمور ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ ألقى الشيطان في نفسه وفي أمنيته بعض ما يُكره، كأن يكون القى في نفسه ميلًا إلى رضاء قومه أو الاقتراب منهم أو غير ذلك فيحزن النبي لما كان منه عن تفكير في هذا الصدد فيبطل الله عزَّ وجل ما ألقاه الشيطان ويُذهبن ثم يبقى الله عزَّ وجل من الأمنيات ما هو خير، وما فيه نفع، والله عليم بما في النفوس حكيم فيا يشرع وحكيمٌ فيما يصنع.

وهذا الذي يحدث يحدث بقدر الله عزَّ وجل وإلا فالشيطان غير قادر على إنقاذ أي أمرٍ إلا أمرًا يريد الله أن يكون والإرادة هنا إرادة كونية قدرية، يُريد ابن أن يحدث ذلك لا يرد لعله من العلل، منها أن يختبر بذلك ويتعالى أهل النفاق الذي في قلوبهم شك وريب، ويظهر ما في نفوسهم من نفاق وشك ومن ثم يصرفهم عن هذا الدين الحق إذ هم ليسوا له بأهل وكذا يحدث بأهل الكفر

الذي لا يتأثرون بوعظ ولا ينتفعون بقرآنٍ ولا بهدي.

فإن قال قائل وكيف يحدث ذلك، والنبي ﷺ إنما حدثته نفسه، فجواب ذلك أن النبي قد يصدر منه من التصرفات، بناء على ما كان من حديث النفس أو تصدر منه كلمات لسانه لا يريدها أن يخرج تكون سببًا في متنه هؤلاء لأمر يريده الله عزَّ وجل.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ فحاصل معناه، وإن أهل الكفر لفي شقاق أو بعيدٍ عن الإسلام تمام البُعد، وفي غمائر وشاقة لأهل الإيمان.

أما قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

فحاصل معناه وليعلم الذين آتاهم الله رسوخًا في العلم وهم أهل الإيمان وأهل العلم أن هذا القرآن هو الحق من ربك ليس من عند أحدس سواه فتخضع له قلوبهم وتستسلم له وترضى به، وإن الله عزَّ وجل ليزيدهم توفيقًا وسدادًا بما أنزل من كتاب ويزيدهم بذلك إيمانًا أيضًا.

هذا حاصل الوجه الأول.

أما الوجه الثاني: فحاصل معناه أن أصحاب فسروا التمني في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ بالتلاوة وبنوا على الوارد من الأخبار في ذلك تفسيرهم للآيات، فقالوا ما حاصله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا رسول الله ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ أوحيناه إليه وكلفناه برسالة لقومه ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أوحينا إليه ذاكرناه بالنبوة ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إلا إذا قرأ ما أوحيناه إليه وتلاه ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أدخل الشيطان في تلاوته ما ليس بوحي، بأن أجرى ذلك على لسانه. في حال سموٍ من النبي أو في حالٍ آخر ويقدره الله فيدخل الشيطان في تلاوته أشياء يجريها على لسانه ثم إن النبي

يتذكر أن هذا ليس مما نزل عليه من الوحي فيبين ذلك للناس، وأهل الإيمان يوفون ذلك كما إذا كان إمام مسجد يُصنع بالناس فتأتي على لسانه كله ليست من القرآن تدخل على تلاوته، وهو يعلم بعد قراءتها أنها ليست من القرآن، وكذا يعلم من يصلون خلفه أنها ليست من القرآنن فيعلن عن ذلك، ويزيل الله عزَّ وجل هذه الكلمة ويبطلها، تلك التي ألقاها الشيطان على اللسان ويبقى المحكم الثابت من كتاب الله عزَّ وجل، والله عليم بما يجري ويحدث وعليم بما في نفوس العباد حكيم في كل شيء وفيما يُصنع من ذلك.

وهذا الذي يجري ويحدث من التاء الشيطان بعض الكلمات أثناء القراءة يجري بقدر له، ويجعله الله ابتلاءًا واختبارًا لإظهار نفاق المنافقين بل ولصرفهم عن طريق الإيمان وعدم تشريفهم بالإيمان لما صدر منهم، وكذلك يجعله فتنة لأهل الكفر قساة القلوب فيزدادون به انصرافًا عن الحق وتمسكًا بالكفر، لأمرٍ ربي يعلمه، وإن أهل الكفر وأهل الظلم لفي شقٍ آخر، بعيدٍ عن شق أهل الإيمان وفي طريق آخر بعيد عن طريق أهل الإيمان وكذا يحدث الذي يحدث ليزداد الذين آمنوا إيمان ويعلم الراسخون في العلم منهم أن هذا القرآن حق من عند الله، وأن ما أدخله الشيطان ماطل إيمانًا مع إيمانهم وهداية مع هدايتهم وتوفيقًا إلى توفيقهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لموفقهم إلى طريق الحق الصواب والرشاد طريق الجنة جنة النعيم .

وهذا الوجه الثاني- الذي هو تفسير التمني بالتلاوة هو الذي عليه أكثر أهل العلم ربه جاءت الآثار المتكاثرة عن السلف الصالح على ما بينته فس سورة النجم- فقال قاتلوه إن قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ تلا وقرأ ثم أدخل الشيطان في قراءة النبي ﷺ إذ كان يقرأ سورة النجم حتى بلغ ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾

وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ [النجم: ١٩-٢٠] أدخل الشيطان في قراءته تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففتن المشركون بذلك، وقالوا يوشك أن يرجع إلى ديننا، فازداد بعضهم تسمكًا بكفره وضلاله، ثم إن الله أبطل ذلك الذي أدخله الشيطان، وأثبت المحكم من تنزيله، وهناك وجه ثالث وذكره بعض أهل العلم حاصله أن الشيطان هو الذي قلل صوت رسول الله صلى أكب ما دخل في أسماع الناس أنهم كلام رسول الله وكما أسلفت فقد تعددت أقوال الكثير من أهل العلم.

في هذا العدد في تفسير سورة النجم، واختصر هنا على إيراد بعضها إذ المقام يحتاج إلى شيء من التذكير بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، أن الشيطان كان ألقي على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ واغتمَّ به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات.

وأورد الطبري عددًا من الآثار في ذلك منها.

ما أورده بسندٍ صحيح:

عن أبي العالية قال: قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق، فقرأ رسول الله ﷺ سورة النجم؛ فلما انتهى على هذه الآية ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠] فألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرانقة العلى، وشفاعتهن ترتجى؛ فلما فرغ منها سجد

رسول الله ﷺ و والمسلمون والمشركون، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، أخذ كفا من تراب وسجد عليه؛ وقال: قد أن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من المسلمين أن قريشا قد أسلمت، فاشتدّ على رسول الله ﷺ ما ألقى الشيطان على لسانه، فأنزل الله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾....إلى آخر الآية.

وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وكذا ما أورده الطبري بسندٍ صحيح عن سعيد بن جُبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ ﴾ [النجم: ١٩] قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فسجد رسول الله ﷺ. فقال المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾... إلى وقوله: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥ ﴾. وهذا مرسل أيضًا صحيح الإسناد.

وأورد الطبري آثارًا أُخر قدمنا ذكرها في سورة النجم.

ثم قال الطبري:

فتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم، ولا نبيّ محدث ليس بمرسل، إلا إذا تمنى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال: ذلك التمني من النبيّ ﷺ ما حدثته نفسه من محبته، مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدّث.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة وقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ على ذلك؛ لأن الآيات التي أخبر الله جلّ ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ يقول:

ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه(وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) بما يحدث في خلقه من حدث، لا يخفى عليه منه شيء﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره إياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحبّ.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾.

يقول تعالى ذكره: فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثُم يُحكم الله آياته، كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل، كقول النبيّ ﷺ: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى فتنة يقول: اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق، وذلك الشكّ في صدق رسول الله ﷺ وحقيقة ما يخبرهم به.

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: وإن

مشركي قومك يا محمد لفي خلاف الله في أمره، بعيد من الحق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ٥٤﴾.

يقول تعالى ذكره: وكي يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد. يقول: فيصدّقوا به. يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه.

وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحقّ القاصد والحقِّ الواضح، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله، فلا يضرّهم كيد الشيطان، وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب إيراده القصة:

وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا، وكلها مرسلات ومنقطعات، فالله أعلم. وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس، ومحمد بن كعب القُرَظِيّ، وغيرهما بنحو من ذلك، ثم سأل هاهنا سؤالا كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس، من ألطفها: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ، وليس كذلك في نفس الأمر، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا من رسول الرحمن ﷺ، والله أعلم.

وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته. وقد تعرض القاضي عياض، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتاب «الشفاء» لهذا، وأجاب بما حاصله.

وقوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ ، هذا فيه تسلية له، صلوات الله وسلامه عليه ، أي: لا يَهيدنّك ذلك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء.

قال البخاري: قال ابن عباس: ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾، يقول: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه.

وقال مجاهد: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ يعني: إذا قال.

ويقال: ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ : قراءته، ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، يقولون ولا يكتبون.

قال البغوي: وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: تلا وقرأ كتاب الله، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تَمَنّى كتَابَ الله أولَ لَيْلَة ... وآخرَها لاقى حمَامَ المَقَادر

وقال الضحاك: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ : إذا تلا.

قال ابن جرير: هذا القول أشبه بتأويل الكلام.

وقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، حقيقة النسخ لغة: الإزالة والرفع.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي فيبطل الله -سبحانه وتعالى- ما ألقى الشيطان.

وقال الضحاك: نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، أي: بما يكون من الأمور والحوادث، لا تخفى

عليه خافية، ﴿حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ أي: في تقديره وخلقه وأمره، له الحكمة التامة والحجة البالغة؛ ولهذا قال: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك وشرك وكفر ونفاق، كالمشركين حين فرحوا بذلك، واعتقدوا أنه صحيح، وإنما كان من الشيطان.

قال ابن جريج: ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم: المنافقون ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركون.

وقال مقاتل بن حيان: هم الكافرون اليهود.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ أي: في ضلال ومخالفة وعناد بعيد، أي: من الحق والصواب.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل، المؤمنون بالله ورسوله، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك، الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره، بل هو كتاب حكيم، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله: ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: يصدقوه وينقادوا له، ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع وتذل، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه، ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى درجات الجنات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأملًا عن القاضي عياض كأخذين أولها تضعيف الأخبار والورادة في ذلك، والثاني قال فيه القاضي عياض- كما نقل عنه القرطبي.

وأما المأخذ الثاني فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح. وقد أعاذنا الله من صحته، ولكن على كل حال فقد أجاب أئمة المسلمين عنه بأجوبة، منها الغث والسمين. والذى يظهر ويترجح في تأويله على تسليمه أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الاى تفصيلا في قراءته، كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكيا نغمة النبي ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها. ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحققهم من حال النبي ﷺ في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه، فيكون ما روى من حزن النبي ﷺ لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الاية.

قلت (القرطبي): وهذا التأويل أحسن ما قيل في هذا. وقد قال سليمان بن حرب: إن «في» بمعنى عنده، أي ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ، كقوله عزوجل: ﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا ﴾ [الشعراء: ١٨] أي عندنا. وهذا هو معنى ما حكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق، وإليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي، وقال قبله: إن هذه الاية نص في غرضنا، دليل على صحة مذهبنا أصل في براءة النبي ﷺ مما ينسب إليه أنه قاله، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ أي في تلاوته. فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه إذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل سائر المعاصي. تقول: ألقيت في الدار كذا، وألقيت في الكيس كذا، فهذا نص في الشيطان أنه زاد في الذى قاله

النبي ﷺ، لا أن النبي ﷺ تكلم به.

ثم ذكر معنى كلام عياض إلى أن قال: وما هدى لهذا إلا الطبري لجلالة قدره وصفاء فكره وسعة باعه في العلم، وشدة ساعده في النظر، وكأنه أشار إلى هذا الغرض، وصوب على هذا المرمى، وقرطس بعدما ذكر في ذلك روايات كثيرة كلها باطل لا أصل لها، ولو شاء ربك لما رواها أحد ولا سطرها، ولكنه فعال لما يريد.

❁ ❁ ❁

س: ما الفرق بين الرسول والنبي؟

ج: لأهل العلم أقوالٌ في ذلك:

أحدها: أن الرسول هو من كلف برسالة من ربه عزَّ وجل يبلغها قومه أما النبي فلم يكلف بإنباء قومه.

الثاني: أن الرسول ما أُوحي إليه بواسطة جبريل والنبي إنما أُلهم إلهامًا.

وقال بعض أهل العلم إن كل رسول نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولًا:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال العلماء: إن هذه الاية مشكلة من جهتين: **إحداهما:** أن قوما يرون أن الانبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وفيهم غير مرسلين. وغيرهم يذهب إلى أنه لا يجوز أن يقال نبى حتى يكون مرسلا. والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فأوجب للنبى ﷺ الرسالة. وأن معنى ﴿نَبِيٍّ﴾ أنبأ عن الله ﷻ، ومعنى أنبأ عن الله عزوجل الارسال بعينه. وقال الفراء: الرسول الذى أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه عيانا، والنبى الذى تكون نبوته إلهاما أو مناما، فكل رسول نبى وليس كل نبى

رسولا. قال المهدوى: وهذا هو الصحيح، أن أكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا. وكذا ذكر القاضى عياض في كتاب الشفا قال: والصحيح والذى عليه الجم الغفير أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا، واحتج بحديث أبى ذر، وأن الرسل من الانبياء ثلثمائة وثلاثة عشر، أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ولا يزال الذين كفروا وجحدوا وحدانية الله عزَّ وجل في شك وارتياب من هذا القرآن، وفي كونه نزل من عند الله، ولن يزال هذا الشرا ملازمًا لهم حتى يأتيهم أجلهم فجأة ويموتون، أو حتى تأتيهم القيامة فجأة أو يأتيهم عذاب الله يوم لا خير فيه لهم بل كله شرٌ عليهم، وهو يوم بدر الذي قتلت فيه ساداتهم وقتل فيه كبراؤهم، وقيل إنه عقيم لأنه لا مثل له في شدته عليهم من أيام الدنيا.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْۚ﴾ أي يوم القيامة الملك لله وحده لا ينازعه فيه منازع كما كان ينازع في الدنيا، فالله يحكم بينهم يوم القيامة، بين المحق والمبطل، بين الشاك في القرآن، وأنه من عند الله عزَّ وجل والموقن بأن هذا القرآن من عند الله، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ ينعمون فيها بكل ما يريدون ويشهدون.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ والذين جحودًا وحدانيتنا وكذبوا بأباتنا

فزعموا أنها ليست من عند الله، وأنها قول بشر فأولئك لهم يوم القيامة عذاب مُذلٌ مُخزي.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ عائدٌ على ما ألقى على قراءة النبي ﷺ أي أنهم في شك من هذا الذي أدخله الشيطان على قراءة النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا يزال الذين كفروا بالله في شكّ.

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: منه من ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر قول النبيّ ﷺ: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى.

وأورد بإسنادٍ صحيح إلى سعيد بن جبير قال: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ من قوله تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتجى.

وبإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ قال: مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة.

وقال آخرون: بل هي من ذكر القرآن.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أقرب منه من ذكر وقوله: ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ والهاء من قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في وقوله: ﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ بالهاء من وقوله: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أولى من إلحاقها بما

التي في قوله ﴿مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مع بُعد ما بينهما.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقول: لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة، يقول: فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾.

واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أيّ يوم هو؟ فقال بعضهم: هو يوم القيامة.

وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يوم عقيم، أنهم لم ينظروا إلى الليل، فكان لهم عقيما.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب، وهو ما ذكرنا. في معناه.

فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له، فلا ينظرون فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: السلطان والمُلك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك

له ولا ينازعه يومئذ منازع، وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ يقول: يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين؛ فالذين آمنوا بهذا القرآن، وبمن أنزله، ومن جاء به، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ، والذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله، وقالوا: ليس ذلك من عند الله، إنما هو إفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون،﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾﴾ يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين، يعني عذاب مذلّ في جهنم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار: أنهم لا يزالون في مرية، أي: في شك وريب من هذا القرآن، قاله ابن جريج، واختاره ابن جرير.

وقال سعيد بن جبير، وابن زيد: ﴿مِّنۡهُ﴾ أي: مما ألقى الشيطان.

﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾: قال مجاهد: فجأة. وقال قتادة: ﴿بَغۡتَةً﴾، بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.

وقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ : قال مجاهد: قال أبي بن كعب: هو يوم بدر، وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة وغير واحد. واختاره ابن جرير.

وقال عكرمة، ومجاهد في رواية عنهما: هو يوم القيامة لا ليلة له. وكذا قال الضحاك، والحسن البصري.

وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به، لكن

هذا هو المراد؛ ولهذا قال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، كقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ، أي: آمنت قلوبهم، وصدقوا بالله ورسوله، وعملوا بمقتضى ما علموا، وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم .

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ . أي: لهم النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: كفرت قلوبهم بالحق، وجحدوا به وكذبوا به، وخالفوا الرسل، واستكبروا عن اتباعهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾ أي: مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠] أي: صاغرين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يوم القيامة هو لله وحده لا منازع له فيه ولا مدافع. والملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الامور. ثم بين حكمه فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾.

قلت: وقد يحتمل أن تكون الاشارة بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ليوم بدر، وقد حكم فيه بإهلاك الكافر وسعادة المؤمن، وقد قال عليه السلام لعمر: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم، إخبارٌ من الله عزَّ وجل عما أعدَّه للمهاجرين في سبيله لإعلاء كلمته وابتغاء رضائه ونصرةً لرسوله ﷺ وفرارًا بدينهم ثم قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على توحيده والاستقامة على أمره، يخبر الله عزَّ وجل ويعدهم الله عزَّ وجل أن يرزقهم رزقًا حسنًا رزقًا كريم واسعًا، فالله عزَّ وجل هو خير الرازقين، ثم يبين ربنا سبحانه هذا الرزق الحسن فيقول ليدخلهم مدخلًا يرضونه، وهو الجنة والخلود ودار السلام، وإن الله العليم بما في قلوبهم وعليم بما بذلوه لنصرة دينهم لا يضيع عند شيء ﴿لَعَلِيمٌ﴾ إذ لم يعاجلهم بعقوبة على ما صدر منهم بل غفر لهم ولطف بهم وصفح عنهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك، ليرزقهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا. يعني بالحسن: الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن: الثواب الجزيل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول: وإن الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله، فقال بعضهم: سواء المقتول منهم والميت.

وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ، يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ليدخلنّ الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ﴾ وذلك المُدخل هو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا.

﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ عن عصاة خلقه، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عمن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وطلبا لما عنده، وترك الأوطان والأهلين والخلان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرة لدين الله ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ أي: في الجهاد ﴿أَوْ مَاتُواْ﴾ أي: حتف أنفهم ، أي: من غير قتال على فرشهم، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾ أي: ليُجْرِيَنّ عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ﴾ أي: الجنة. كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة نعيم، كما قال هاهنا: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾، ثم قال: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ أي: بمن يهاجر ويجاهد في سبيله، وبمن يستحق ذلك، ﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ أي: يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه. فأما من قتل في سبيل الله

من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حي عند ربه يرزق، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، والأحاديث في هذا كثيرة، كما تقدم وأما من تُوُفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه، وعظيم إحسان الله إليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا المسيَّب بن واضح، حدثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن شُرَيْح، عن ابن الحارث -يعني: عبد الكريم- عن ابن عقبة -يعني: أبا عبيدة بن عقبة- قال: حدثنا شُرَحْبِيل بن السِّمْط: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم، فمر بي سلمان -يعني: الفارسي- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: إني سمعت رسول الله يقول: «**من مات مرابطًا، أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر، وأجرى عليه الرزق، وأمن من الفتَّانين**»(١) واقرءوا إن شئتم: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ٥٩﴾.

(١) والحديث أخرجه مسلم (١٩١٢) دون قوله «واقرءوا إن شئتم...».

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ
ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ
ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى
ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا
مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ
هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ
﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا

لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَاۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[الحج: ٦٠-٧٢].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بُغِيَ عَلَيۡهِ - لَعَفُوٌّ - يُولِجُ - ٱلۡبَٰطِلُ - لَطِيفٌ - ٱلۡحَمِيدُ - وَٱلۡفُلۡكَ - لَرَءُوفٌ - لَكَفُورٌ - مَنسَكًا - نَاسِكُوهُ - يَسِيرٌ - سُلۡطَٰنًا - ٱلۡمُنكَرَ - يَسۡطُونَ - ٱلۡمَصِيرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾	اعتدي عليه – ظلم
﴿لَعَفُوٌّ﴾	يعفو عن السيئات – يمحوها ويزيلها ولا يؤخذ بها
﴿يُولِجُ﴾	يدخل
﴿ٱلۡبَٰطِلُ﴾	المضمحل الذاهب الذي لا حقيقة له ولا قيمة له ولا تأثير
﴿لَطِيفٌ﴾	ذو لطف في الأمور
﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾	المحمود
﴿وَٱلۡفُلۡكَ﴾	السفن العظيمة
﴿لَرَءُوفٌ﴾	ذو رأفة
﴿لَكَفُورٌ﴾	لجحود للنعم – منكر لها، غير شاكر
﴿مَنسَكًا﴾	مكانا أو زمانا يعتادونه للذبح فيه
﴿نَاسِكُوهُ﴾	والاجتماع فيه والتنسك فيه
﴿يَسِيرٌ﴾	سهل
﴿سُلۡطَٰنًا﴾	حجة – برهان

﴿ٱلۡمُنكَرَ﴾	الاستنكار - الغضب والعبوس والضيق
﴿يَسۡطُونَ﴾	يبطشون
﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾	المرجع والمآب

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآية الكريمة ﴿۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ سبب نزول.

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ ...﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ..﴾ [البقرة: ١٩٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ذلك الذي ذكرته لكم من حجازاتي الذين هاجروا في سبيل ثم قدَّرت عليهم بأن يقتلوا أو يموتوا دون قتلٍ، وأيضًا فأخبركم أن من عاقب من ظلموه وبغوا عليه بمثل ما عاقبوه ثم اعتدوا عليه بعد ذلك وأراد ظلمه فإني أَعِدُه بنصري إن الله لعفو له عما صدر منه من معاقبته لمن عاقبوه وغفور لذنوبه التي صدرت منه كذلك ومع ذلك الذي ذكرته لكم، أذكركم أيضًا بأن الله عزَّ وجل قادرٌ على كل شيء، ومن قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، يدخل الليل في النهار فيطول الليل، ويدخل في بعضه أوقات السنة النهار في الليل فيطول بذلك النهار، فهو سبحانه يقلب الأمور والأحوال، وقادرٌ على نصر عباده المستضعفين، وهو الذي يداول الأيام بين الناس ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لأقوال عباده وسميع لكل شيء وبصير أيضًا بهم.

ذلك أيضًا الذي ذكرته لكم، وأني أقلب الليل والنهار، وأدخل هذا في ذاك، وأنني الذي أنصر عبادي ذلك بأن الله عزَّ وجل هو الإله الحق المعبود المستحق للعبادة وحده لا شريك له، القادر على كل شيء، وأن كل ما سواه من الألهة باطلٌ وذاهب ومضمحلٌ وأن الله عزَّ وجل هو العلي فلا شيء أعلى منه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ فلا شيء أكبر منه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله، ثم قُتلوا أو ماتوا، ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم.

وأورد الطبري بإسناده إلى ابن جُرَيج: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ قال: هم المشركون بغَوْا على النبي ﷺ، فوعده الله أن ينصره، وقال في القصاص أيضا. وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرّم، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر، فأبى المشركون ذلك، وقاتلوهم فبغَوْا عليهم، وثبت المسلمون لهم فنُصروا عليهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ بأن بدئ بالقتال وهو له كاره، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ (١).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحقّ، غفور لما فعل ببادئه بالظلم مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي، لأني القادر على ما أشاء. فمن قُدرته أن الله يولج الليل في النهار يقول: يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، فما نقص من هذا زاد في هذا. ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، فما نقص من طول هذا زاد في طول هذا، وبالقُدرة التي تفعل ذلك ينصر محمدا ﷺ وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم

---

(١) وهذا ضعيف لإعضاله.

من ديارهم وأموالهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٦١﴾ يقول: وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول؛ لا يخفى عليه منه شيء، بصير بما يعملون، لا يغيب عنه منه شيء، كل ذلك معه بمرأى ومسمع، وهو الحافظ لكل ذلك، حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار، وإيلاجي النهار في الليل، لأني أنا الحقّ الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ندّ، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء، بل هو المصنوع، يقول لهم تعالى ذكره: أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكلّ شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته. وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ يعني بقوله: ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه. ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أثر ابن جريج المذكور.

يقول تعالى منبها على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء، كما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧] ومعنى إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل: إدخاله من هذا في هذا، ومن هذا في هذا، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، كما في الشتاء، وتارة يطول النهار ويقصر

الليل، كما في الصيف.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٦١﴾ أي: سميع بأقوال عباده، بصير بهم، لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم.

ولما بين أنه المتصرف في الوجود، الحاكم الذي لا معقب لحكمه، قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء فقير إليه، ذليل لديه، ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد والأوثان، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل؛ لأنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ ، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩] فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه، و‌ﷻ عما يقول الظالمون [المعتدون] علوا كبيرا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمعنى ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه، فسمى جزاء العقوبة عقوبة لاستواء الفعلين في الصورة، فهو مثل: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

ومثل: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ..﴾[البقرة:١٩٤]. وقد تقدم. ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ أي بالكلام والازعاج من وطنه، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوه وأخرجوهم من مكة، وظاهروا على

إخراجهم. ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ أي لينصرن الله محمدا ﷺ وأصحابه، فإن الكفار بغوا عليهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ أي عفا عن المؤمنين ذنوبهم وقتالهم في الشهر الحرام وستر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾.

ج: هذا والله أعلم لفت نظر العبد إلى التكفر في مخلوقات الله ﷻ والاستدلال بذلك على قدرته ووحدانيته، والاستدلال بذلك على البعث فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بعينيك، وكذا ألم تتفكر بقلبك وعقلك فيما يحدث أمامك، فإن الله ﷻ أنزل من السماء ماء، وهو المطر فقبلته الأرض فخرج منها النبات الاخضر الذي يكسوها، فأصبحت خضراء بعد جدبها، إن الله لطيف إذ استخرج النبات من الأرض خبير بعباده إذ أنزل عليهم المطر، وخبيرٌ بكل شيء هذا والآية كما أسلفت يستدل بها على البعث، فالذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأنفس بعد موتها كذلك.

أما قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ فبيان لكونه سبحانه مالك السموات والأرض وما فيهم يتصرف فيهن بما يشاء وكيف يشاء، وكل ما فيها ملك له، الملك ملكه، والخلق عبيده، وهو ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وهم الفقراء إليه المحاويج إليه. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود من عباده تحمده الخلائق، فهو المستحق للحمد المنعم على العباد بما لا يحصيه إلا هو. فإذا كان الأمر كذلك، وهو بحمد الله كذلك، فالله هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني مطرا ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بما ينبت فيها من النبات﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه﴿خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ بما يحدث عن ذلك النبت من الحبّ، وبه قال:﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ﴾ فرفع، وقد تقدمه وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وإنما قيل ذلك كذلك لأن معنى الكلام الخبر، كأنه قيل: اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض؛ ونظير ذلك قول الشاعر:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ القَدِيمَ فَيَنْطِقُ ... وهلْ تُخْبِرَنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ

لأن معناه: قد سألته فنطق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: له مُلك ما في السموات وما في الأرض من شيء هم عبيده ومماليكه وخلقه، لا شريك له في ذلك، ولا في شيء منه، وإن الله هو الغنيّ عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه، الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه، فإنه يرسل الرياح، فتثير سحابا، فيمطر على الأرض الجُرُز التي لا نبات فيها، وهي هامدة يابسة سوداء قحلة، ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥].

وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ ، الفاء هاهنا للتعقيب، وتعقيب كل شيء

بحسبه، كما قال: ﴿خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقد ثبت في الصحيحين: «**أن بين كل شيئين أربعين يوما**» ومع هذا هو معقب بالفاء، وهكذا هاهنا قال: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ أي: خضراء بعد يبسها ومُحُولها .

وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز: أنها تصبح عقب المطر خضراء، فالله أعلم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر، لا يخفى عليه خافية، فيوصل إلى كل منه قسطه من الماء فينبته به، كما قال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، وقال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ الآية [يونس: ٦١]؛ ولهذا قال أمية بن أبي الصلت -أو: زيد بن عمرو بن نفيل- في قصيدته:

وَقُولا لَه: مَن يُنْبِتُ الحبَّ في الثَّرَى ... فيُصبحَ منْهُ البَقْلُ يهْتَزُّ رَابيَا

ويُخْرِجُ منْهُ حَبَّه في رُؤُوسه ... ففي ذاك آياتٌ لمَنْ كانَ واعيَا

وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ أي: ملكه جميع الأشياء، وهو غني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، عبد لديه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا، وكل محتاج

إلى تدبيره وإتقانه.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ فلا يحتاج إلى شيء، وهو المحمود في كل حال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ألم تبصر بعينيك وترى بقلبك كذلك وتقف متفكرًا متدبرًا متأملًا في قدرة الله ﷻ فترى أن الله ﷻ ذلل لكم ما في الأرض، وخلقه لخدمتكم يا بني آدم وكذا سخر لكم السفن العظيمة تجري في البحر بأمره وبتيسيره لها، ولو شاء لأمسك الرياح فظلَّت رواكد على ظهره، وكذا فإنه ﷻ يمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا إذا أذن بذلك وهذا قبيل القيامة كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، ﴿لَرَءُوفٞ﴾ لذو رأفة بهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ إذ لم يفد بهم بإسقاط السماء عليهم بل أمهلهم حتى يتوب منهم من يتوب ويرجع إليه منهم من يرجع.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ بإخراجكم من بطون أمهاتكم بعد أن كنتم نُطُفًا ثم علقة ثم مضغة فأخرجه طفلًا وعشتم على الحياة ما عشتم ثم يتوفاكم إذا انتهت آجالكم، ولكن الإنسان جحود لكل نعم الله ﷻ عليه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من

الدّوابّ والبهائم، فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ يقول: وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره، يعني بقُدرته، وتذليله إياها لكم كذلك.

واختلفت القرّاء في قراءة وقوله: ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ نصبا، بمعنى سخر لكم ما في الأرض، والفلك عطفا على "ما"، وعلى تكرير "أن" وأن الفلك تجري. ورُوي عن الأعرج أنه قرا ذلك رفعا على الابتداء والنصب هو القراءة عندنا في ذلك لإجماع الحجة من القرّاء عليه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ويمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه. ومعنى وقوله: ﴿أَن تَقَعَ﴾ أن لا تقع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ بمعنى: أنه بهم لذو رأفة ورحمة، فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك.

ويقول تعالى ذكره: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم، ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حُسن خلقه إياه، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبرّ والبحر، وتركه إهلاكه بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد، وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من حيوان، وجماد، وزروع،

وثمار. كما قال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: من إحسانه وفضله وامتنانه، ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ أي: بتسخيره وتسييره، أي: في البحر العَجَاج، وتلاطم الأمواج، تجري الفلك بأهلها بريح طيبة، ورفق وتؤدة، فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع، من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر، ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك، مما يحتاجون إليه، ويطلبونه ويريدونه، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ أي: لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ أي: مع ظلمهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرعد: ٦].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾، كقوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الجاثية: ٢٦]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١] ومعنى الكلام: كيف تجعلون مع الله أندادا وتعبدون معه غيره، وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَحْيَاكُمْ ﴾ أي: خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا يذكر، فأوجدكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: جحود.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

ج: يُخبر الله تبارك وتعالى بأنه لكل أمة من الأمم التي أرسل إليها الأنبياء زمانا أو مكانا يعتادونه كعيدٍ لهم أو مكانًا وزمانًا للذبح يذبحون فيه نسكهم فكان من اللائق أن يعرف المشركون ذلك ولا يجادلونك فيه، وذلك لأن أهل الشرك كانوا يجادلونه في العبادات والنسك والذبائح فيقولون لأهل الإسلام لم تتركون أكل الميتة وقد أماتها الله وتأكلون ما ذبحتموه بايديكم، إلى غير ذلك من صور الجدل، وفينهى الله نبيه ﷺ عن جدالهم ويأمره بالدعوة إلى الله ويطمئنه ويؤكد له أنه على طريق مستقيم يوصله بإذن الله ويهديه إلى جنات النعيم ويؤكد له على معنى وهو عدم الخوض في الجدال معهم ورد الأمر لله فيقول: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨)﴾ اعلم بافتراءاتكم وجدالكم وسائر أعمالكم، ثم إنه ﷻ يحكم بين الجميع يوم القيامة فيم كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيعطي المحق نصيبه ويجازي المسيء بما شاء.

وبنحو ماذكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك، جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه، وقضاء فرائضي، وعملا يلزمونه. وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شرّ؛ يقال: إن لفلان منسكا يعتاده: يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر. وإنما سميت مناسك الحجّ بذلك، لتردّد الناس إلى

الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحجّ والعُمرة. وفيه لغتان: "مَنْسِك" بكسر السين وفتح الميم، وذلك من لغة أهل الحجاز، و "مَنْسَك" بفتح الميم والسين جميعا، وذلك من لغة أسد. وقد قرئ باللغتين جميعا.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بوقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أيّ المناسك عنى به؟ فقال بعضهم: عنى به: عيدهم الذي يعتادونه.

وقال آخرون: عنى به: ذبح يذبحونه، ودم يهريقونه.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمِنى، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله ﷺ كانت إراقة الدم في هذه الأيام، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا. ولذلك قلنا: عنى بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا.

وقوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتقولون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فأنك أولى بالحقّ منهم، لأنك محقّ وهم مبطلون.

وقوله: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئْتهم به من عند الله، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرّءوا منها، إنك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحقّ والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك، وهم الضلال على

قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم وعبادتهم الآلهة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك، فقل: الله أعلم بما تعملون ونعمل.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون، فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحقّ من المبطل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا.

قال ابن جرير: يعني: لكل أمة نبي منسكا. قال: وأصل المنسك في كلام العرب: هو الموضع الذي يعتاده الإنسان، ويتردد إليه، إما لخير أو شر. قال: ولهذا سميت مناسك الحج بذلك، لترداد الناس إليها وعكوفهم عليها.

فإن كان كما قال من أن المراد: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ فيكون المراد بقوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ أي: هؤلاء المشركون. وإن كان المراد: لكل أمة جعلنا منسكا جعلا قدريا -كما قال: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾ [البقرة: ١٤٨] ولهذا قال هاهنا: ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾ أي: فاعلوه-فالضمير هاهنا عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق، أي: هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته، فلا تتأثر بمنازعتهم لك، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق؛ ولهذا قال: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾﴾ أي: طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود.

وهــذه كقولــه: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ ﴾ [القصص: ٨٧].

وقوله: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ، كقولـه: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ تهديد شديد، ووعيد أكيد، كقوله: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ ﴾ [الأحقاف: ٨] ؛ ولهذا قال: ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

وهذه كقوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية أدب حسن علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتا ومراء ألا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه ﷺ. وقد قيل: إن هذه الآية منسوخة بالسيف، يعني السكوت عن مخالفه والاكتفاء بقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

ج: المعنى إجمالًا ألم تعلم يا رسول الله، ويا عبد الله أن الله ﷻ يعلم كل شيء يجري في السماء والأرض ويحدث فيها فكل ذلك مكتوب عند الله ﷻ قبل أن يخلق الخلق والعلم بذلك على الله شيء سهل يسير، وكتابه ذلك عند

الله أمر سهل ويسير والعلم بما يختلف فيه الخلق على الله أمر سهلٌ ويسير.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كلّ ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جلّ ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ اختلف في ذلك، فقال بعضهم: معناه: إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين. وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك، وذلك أن وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾... إلى وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ أقرب وهو له مجاور، ومن وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ متباعد مع دخول وقوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بينهما، فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه، وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في

كتابه اللوح المحفوظ، كما ثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»(١).

وفي السنن(٢)، من حديث جماعة من الصحابة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها، وقدرها وكتبها أيضًا، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك، على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علما، وهو سهل عليه، يسير لديه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ أي وإذ قد علمت يا محمد هذا وأيقنت فاعلم أنه يعلم أيضا ما أنتم مختلفون فيه فهو يحكم بينكم.

وقد قيل: إنه استفهام تقرير للغير. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ﴾ أي ما يجري في العالم فهو مكتوب عند الله في أم الكتاب. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ أي إن الفصل بين المختلفين على الله يسير. وقيل: المعنى إن كتاب القلم الذي أمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة على الله يسير.

---

(١) مسلم (٢٦٥٣).

(٢)صحيح: وتقدم تخريجه في سورة القلم، وانظر سنن أبي داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩).

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ويعبد هؤلاء المشركون الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر، يعبدون آلهة ما أنزل الله بها في كتبه من حجة ولا أمر باتباعها وعبادتها في كتاب أنزله، وليس عندهم علم بما يقولون ولا فيما يصفون وما لهؤلاء المشركين يوم القيامة من نصير ينصرهم.

وبنحو ذلك قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جلّ ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله، بأنها آلهة تصلح عبادتها، فيعبدوها بأن الله أذن لهم في عبادتها، وما ليس لهم به علم أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة، فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا، وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا، يعني: حجة وبرهانا، كقوله: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]. ولهذا قال هاهنا: ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ أي: ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا

حجة، وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم؛ ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ أي: من ناصر ينصرهم من الله، فيما يحل بهم من العذاب والنكال.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم وإذا تُقرأ على هؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله إلهًا آخر، آيات الله التي أنزلها في كتابه الكريم يأمرهم الله فيها بتوحيده وطاعته ويذكرهم فيها بمصيرهم الذي هم إليه صائرون إلى غير ذلك مما في آيات الكتاب العزيز، فعندها عن تلاوتها عليهم تعرف في وجوههم علامات الإنكار الشديد عليك والإنكار الشديد لما جئتهم به تعرف في وجوههم الغضب والعبوس والضيق والتبرم، وترى الشر وكأنه يخرج من عيونهم ووجوههم يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات الله الذين يقرأون عليهم كتاب الله، فقل لهؤلاء إن كنتم يا هؤلاء ترون القرآن شرًا، وترون تلاوته عليكم شرًا، فتعالوا أنبئكم بما هو أشر عليكم من ذلك أشرُّ عليكم من ذلك النار التي وعد الله الكفار بها وبئس المصير الذي تصيرون إليه. والله أعلم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ﴿آيَاتُنَا﴾ يعني: آيات القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: واضحات

حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ يقول: تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها، لسماعهم بالقرآن.

وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ يقول: يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي ﷺ، لشدّة تكرّههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم.

وقوله: ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ﴾ يقول: أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكرّهون قراءتهم القرآن عليكم، هي ﴿ٱلنَّارُ﴾ وعدها الله الذين كفروا. وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: إن المشركين قالوا: والله إن محمدا وأصحابه لشرّ خلق الله! فقال الله لهم: قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد ﷺ، أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار. ورفعت النار على الابتداء، ولأنها معرفة لا تصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة، كما يقال: مررت برجلين: أخوك وأبوك، ولو كانت مخفوضة كان جائزا؛ وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعدها وأنت تنوي بها الاتصال بما قبلها، يقول تعالى ذكره: فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه.

وقوله: ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢﴾ يقول: وبئس المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ أي: وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله، وأنه لا إله إلا هو، وأن رسله الكرام حق وصدق، ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ أي: يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن،

ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء! ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء. ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ﴾ أي: النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم، إن نلتم بزعمكم وإرادتكم.

وقوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٧٢﴾ أي: وبئس النار منزلا ومقيلا ومرجعا وموئلا ومقاما، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ يعني القرآن. ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ﴾ أي الغضب والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي يبطشون والسطوة شدة البطش، يقال: سطا به يسطو إذا بطش به، كان ذلك بضرب أو بشتم، وسطاعليه. ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ﴾ وقال ابن عباس: يسطون يبسطون إليهم أيديهم. محمد بن كعب: أي يقعون بهم. الضحاك: أي يأخذونهم أخذا باليد، والمعنى واحد وأصل السطو القهر والله ذو سطوات، أخذات شديدة. ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ﴾ أي أكره من هذا القرآن الذي تسمعون هو النار. فكأنهم قالوا: ما الذي هو شر، فقيل هو النار. وقيل: أي هل أنبكم بشر مما يلحق تالي القرآن منكم هو النار، فيكون هذا وعيدا لهم على سطواتهم بالذين يتلون القرآن. ويجوز في «النار» الرفع والنصب والخفض، فالرفع على هو النار، أو هي النار. والنصب بمعنى أعنى، أو على إضمار فعل مثل الثاني، أو يكون محمولا على المعنى، أي أعرفكم بشر من ذلكم النار. والخفض على البدل. ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ﴾ في القيامة. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي الموضع الذي يصيرون إليه وهو النار.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ
مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ
ٱلۡأُمُورُ ٧٦ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ
مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ
شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

[الحج: ٧٣-٧٨].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ - تَدْعُونَ - وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ - يَسْلُبْهُمُ - ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ - مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ - يَصْطَفِي - حَقَّ جِهَادِهِۦ - وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ - ٱجْتَبَىٰكُمْ - حَرَجٍ - مِّلَّةَ - وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾	جُعِل لله مثلٌ - جعل الكفار لله ﷻ شبيها ومثيلًا وندًا
﴿تَدْعُونَ﴾	تعبدون
﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾	لو اجتمعوا وحاولوا أن يخلقوا
﴿يَسْلُبْهُمُ﴾	يأخذ منهم
﴿ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾	الطالب الأصنام، والمطلوب فيه الذباب وقيل الطالب الكفار، والمطلوب منه الأوثان
﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾	ما عظموا الله حق تعظيمه
﴿يَصْطَفِي﴾	يختار
﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾	جاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله
﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾	أعظم الجهاد وأصوبه وأرشده
﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾	اختاركم واصطفاكم
﴿حَرَجٍ﴾	ضيق
﴿مِّلَّةَ﴾	شريعة - دين

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾	يثقوا بالله وأحسنوا التوكل عليه والالتجاء إليه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم يا أيها الناس جعل لي أهل الشرك شبهًا، لقد جعلوا الأصنام ندًا لي وشبهًا لي تعبدوها معي وجعلوها شريكة لي فاستمعوا إلى حال ما جعلوها شريكة لي إنها أي تلك الأصنام التي عبدتموها معي ودعوتموها من دوني وكذا عموم الآلهة التي عبدتموها من دوني اجتمعت كلها على أن تخلق ذبابًا م استطاعت بل وإنها جميعًا لو سلبها الذباب شيئًا لو أخذ الذباب منها أي شيء ما استطاعت ردَّه ولا استعادته فالطلاب الذي تطلوبه به هذه الأصنام على سبيل المثال وكذا الدهن والطيب الذي تدهنونها بها لو وقف عليه الذباب فأخذ منه ما شاء ما استطاعت تلك الآلهة أن تدفع الذباب عن نفسها ولا أن تسترد ما أخذه الذباب منها ضعف الطالب قيل إنها الآلهة التي تعاود أن تسترد ما أخذه الذباب منها، والمطلوب هو المطلوب منه، وهو الذباب الذي أخذ حاجته وانصرف.

وقيل ضعف الطالب، وهو المشرك الذي يدعو الوثن والصنم، والمطلوب منه وهو الصنم.

وأما قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾.

فحاصل معناه: وأعظموا الله حق تعظيمه لما جعلوا له شريكًا في الملك؟ ولما جعلوا له شبعًا وهو الأصنام، إن الله لقويٌّ عزيز لا يمنعن مانع من شيء يريده.

وبنحو هذا قا ل أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر. ومعنى ضرب في هذا الموضع: جعل من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل عليهم. وضرب الجزية على النصارى، بمعنى جعل ذلك عليهم؛ والمَثَل: الشَّبَه، يقول جلّ ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشَّبَه والمَثَل: الآلهة، يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبها، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي. فاستمعوا له: يقول: فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبها وصفته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقه جميعها. والذباب واحد، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذِبَّان غُراب، يجمع في القلة أَغْرِبة، وفي الكثرة غِرْبان.

وقوله: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذبابُ شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه.

واختلف في معنى وقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ فقال بعضهم: عني بالطالب: الآلهة، وبالمطلوب: الذباب.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك:﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ من بني آدم إلى الصنم حاجته، ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله، يقول: ضعف عن ذلك وعجز.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب.

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فأن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا، عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جلّ ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريعا منه بذلك عَبَدتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئا عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السماوات والأرض ومالكٌ جميع ذلك والمحيي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت، إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

وقوله: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قَصَّر بحقه، وهم يريدون تعظيمه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا ﴾... إلى آخر الآية، قال: هذا مثل ضربه الله لآلهتهم، وقرأ ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ ﴾ يقول: إن الله لقويّ على خلق ما يشاء من صغير ما

يشاء من خلقه وكبيره عزيز: يقول: منيع في مُلكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من مُلكه شيئا، وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب، ولا على الامتناع من الذباب، إذا استلبها شيئا ضعفا ومهانة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به، ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ أي: أنصتوا وتفهموا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك. كما قال الإمام أحمد (١).

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شَرِيك، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زُرْعة، عن أبي هريرة -رفع الحديث- قال: «**ومن أظلم ممن خلقًا كخلقي؟ فليخلقوا مثل خلقي ذَرّة، أو ذبابة، أو حَبَّة**».

وأخرجه صاحبا الصحيح (٢)، من طريق عُمَارة، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة**».

ثم قال تعالى أيضا: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن

---

(١) أحمد (٢/٣٩١) وفي سنده شريك فيه كلام، وانظر ما بعده.

(٢) البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

تستنقذه منه لما قدرت على ذلك. هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾.

ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره، من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ أي: هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٢، ١٣]، ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقوله: ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: قد عز كل شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ هذا متصل بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾. وإنما قال: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ لان حجج الله تعالى عليهم بضرب الامثال أقرب إلى أفهامهم. فإن قيل: فأين المثل المضروب، ففيه وجهان: الاول - قال الاخفش: ليس ثم مثل، وإنما المعنى ضربوا لله مثلا فاستمعوا قولهم، يعنى أن الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره، فكأنه قال جعلوا لي شبيها في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشبيه. الثاني - قول القتبى: وأن المعنى يأيها الناس، مثل من عبد آلهة لم تستطع أن تخلق ذبابا وإن سلبها الذباب شيئا لم تستطع أن تستنقذه منه. وقال النحاس: المعنى ضرب الله ﷻ ما يعبد من دونه مثلا، قال: وهذا من أحسن ما قيل فيه، أي بين الله لكم شبها ولمعبودكم.

ثم قال:

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ الاستنقاذ والانقاذ التخليص. قال ابن عباس: كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فتجف فيأتي فيختلسه. وقال السدى: كانوا يجعلون للاصنام طعاما فيقع عليه الذباب فيأكله. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ قيل: الطالب الالهة والمطلوب الذباب. وقيل بالعكس. وقيل: الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم، فالطالب يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه، والصنم المطلوب إليه. وقد قيل: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ راجع إلى ألمه في قرص أبدانهم حتى يسلبهم الصبر لهم والوقار معها. وخص الذباب لاربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته، فإذا كان هذا الذى هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله ﷻ على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين. وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم: الله يختار من ملائكة ما يشاء فيرفع رقبهم ويزيدهم فضلًا ومنزلةً ويجعلهم رسُلًا بينه وبين رسله عليهم السلام، وكذا يصطفي من الناس رسلًا إلى خلقه إن الله سميع لأقوال الخلق وسميع لكل ما من شأنه أن يُسمع بصيرٌ بهم كذلك، يعلم ما قدمته الملائكة والرسل من أعمال، وكذا يعلم ما أخروه منها وما سيعملوه منها، وإلى الله مرجع الأمور جميعها فإن كان القرشيون اعترضوا على النبي ﷺ وقالوا ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ

بَيۡنِنَاۚ﴾ [ص: ٩] فجواب ذلك أن الله ﷻ هو الذي يصطفي ويختار كما قال تعالى: ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨] وإن كانوا يقولون: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف: ٣١] فجواب قبلهم ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم. ومعنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إلي وبيدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ يقول: إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد ﷺ، وما جاء به من عند ربه، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾.

يقول تعالى ذكره: الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قبل أن يخلقهم وما خلفهم، يقول: ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾.

يقول: إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا، وإليه تعود كما كان منه البدء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقَدَره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ أي: سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم، كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾ أي: يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء، كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]، فهو سبحانه رقيب عليهم، شهيد على ما يقال لهم، حافظ لهم، ناصر لجنابهم؛ ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ الآية [المائدة: ٦٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ ختم السورة بأن الله اصطفى محمدا ﷺ لتبليغ الرسالة، أي ليس بعثه محمدا أمرا بدعيا.

وقيل (١): إن الوليد بن المغيرة قال: أو أنزل عليه الذكر من بيننا، فنزلت الاية. وأخبر أن الاختيار إليه سبحانه وتعالى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لاقوال عباده ﴿بَصِيرٞ ٧٥﴾ بمن يختاره من خلقه لرسالته. ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يريد ما قدموا. ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾ يريد ما خلفوا، مثل قوله في يس: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ

---

(١) وكونه سببًا للنزول لا يصح، والله أعلم.

﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ [يس: ١٢] يريد ما بين أيديهم ﴿وآثارهم﴾ يريد ما خلفوا.
﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٧٦﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ سجدة؟

ج: هذه السجدة، وهي السجدة الثانية في سورة الحج فيها نزاع بين العلماء، ولم يثبت فيها خبرٌ عن النبي ﷺ وأما حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قلت لرسول الله ﷺ أفي سورة الحج سجدتان، قال نعم ومن لم يسجدها فلا يقرأها. فهو حديث ضعيف أخرجه أبو داود (١) والترمذي وأحمد وغيرهم وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف وفي السند كذلك شرح بن .....يروي عن عقبة أشياء مناكير. هذا، ولم يعقد الإجماع على السجود في هذه السجدة. إلا أن الجمهور قالوا باستحباب السجود فيها وصح السجود فيها عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢).

وصح أيضًا عن أبي الدرداء وابن عباس وعددٍ من أهل العلم (٣).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾.

ج: المعنى والله أعلم يا أهل الإيمان اركعوا لله وحده في صلاتكم واسجدوا له فيها ولا تسجدوا لغيره واخضعوا لربكم واسمعوا له وأطيعوه

(١) أبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، وأحمد (١٥١/٤).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٩٤/٢).
(٣)انظر ابن أبي شيبة (٣٩٤/٢) فما بعده.

واسألوه وتذللوا له بطاعتكم، وأفعلوا الخير الذي أواكم الله بفضله لعلكم تفوزون بمطلوبكم وتنجون من مرهوبكم.

والمفلح هو من فاز بالمطلوب وهو رضا الله ﷻ وجنته وسلم من المرهوب وهو سخط الله عزَّ وجل وعذابه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾ لله في صلاتكم ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾ له فيها ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ يقول: وذلوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة، الذي أمركم ربكم بفعله ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ يقول: لتفلحوا بذلك، فتدركوا به طَلِباتكم عند ربكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، وجاهدوا يا أهل الإسلام في الله لإعلاء كلمة الله حق جهاده أقول الجهاد وأحسنه وأجمله وأسده وأرشده، قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، أنفقوا من أموالكم لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله تكلموا بألسنتكم كلمة الحق ابتغاء مرضات الله ولإعلاء كلمة الله.

﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي أن الله عزَّ وجل اختاركم وشرفكم وفضلكم ومنَّ عليكم بواسع فضله إذ جعلكم جندا له تنصرون دينه، إذ اختاركم من بين الأمم فجعلكم خير أمةٍ أخرجت للناس. وأرسل إليكم أفضل رسول وأنزل

عليه أفضل كتاب، فلذا جاهدوا في الله أحق جهاده قابلوا نعمة الله بشكر يتمثل في الجهاد والنصرة أين والملائكة وكذا فمن نعمته عليكم أنه عزَّ وجل ما جعل عليكم في الدين الذي شرعه لكم من حرج، من ضيق وشدة وعنت يضيق عليكم ولم يشدد عليكم ولم يفرض عليكم ما فيه مشقة، بل دينه يُسر، ومن يسر هذا الدين، ومن عدم الحرج أنه.

ما من مُذنب يُذنب ويريد أن يتوب ويرجع إلا وباب التوبة مفتوحٌ له، والذنب مهما عظم كفارات، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فهنالك ذنوب تغفر بكلمة استغفر الله، وأُخر تغفر بصلاة ركعتين، وأُخر تغفر بعمل برٍّ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤].

وذنوب أُخر تغفر بالكفارات كالحنث في الأيمان، أو الظهار أو التحريم ونحو ذلك وذنوب تغفر بالقصاص.

وذنوب تغفر بالحدود.

وذنوب يغفرها الله لمن يشاء.

فهذا نوع من أنواع رفع الحرج ما من ذنب إلا وله سبيل كي يغفره الله بإذن الله.

وعن صور رفع الحرج رفع التضييق في العبادات فمن لم يستطع الصلاة قائمًا صلى جالسًا وإلا فعلى جنب، والمسافر له قصر الصلاة وله الجمع.

ومنها إفطار الصائم إذا كان مريضًا أو مسافرًا وحلق الحاج شعره قبل

التحلل إذا اعتراه ما يضره ويؤذيه، وكذا تحلله من إخراجه إذا اضطر لذلك ما دام يفعل المأمور به في هذا الصدد.

ومن صور رفع الحرج: أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها ولا يكلف نفسصا إلا ما آتاها ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧].ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] فإذا تلفظ العبد المكره بكلمة الكفر فلا حرج عليه.

ومن ذلك إباحة المطعومات المحرمة كذا خوف الضرر (كإباحة الميتة والدم ولحم الخنزير) قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وكما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾ [الأنعام: ١١٩].

ومن صور رفع الحرج رفعه الجهاد عن المريض والأعرج والأعمى، والذي لا يجد ما ينفق ومن صور رفع الحرج أننا نجتهد وإذا أخطأنا فلسنا بملومين بل نثاب مع الاجتهاد حتى إذا أخطأنا.

فإذا أخطأنا في رؤية الهلال صمنا وحججنا وأجزأ عنا حجنا.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٥].

ومن صور ذلك أننا نتحري العدل في الكيل والميزان وبعد التحري لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ومن ذلك إباحة تزوج الأربع.

ومن ذلك إباحة الطلاق والخلع رفع الحرج عند الزوجين إن خافا ألا يقيما حدود الله.

فالحاصل أن الحرج مرتفع عن هذه الأمة ولله الحمد فيما ذُكر وفي غيرما ذُكر فضلًا من الله ونعمة والله عليم حكيم.

فالذي رفع عنا الحرج هو الله عزَّ وجل فجدير بنا أن نجاهد لإعلاء كلمته ونصرة دينه فهو الذي اجتبانا وتفضل علينا.

أما قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي الشأن في رفع الحرج هو الشأن في ملة أبيكم إبراهيم عليه السلام فالحرج مرفوع فيها كذلك.

أما قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾.

فالمراد به أن الله عزَّ وجل سماكم مسلمين قبل نزول القرآن وقد قال بعض أهل العلم إن الذي سمانا مسلمين من قبل هو إبراهيم عليه السلام، مستدلًا بقول إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ولكن الذي عليه الجمهور أن الذي سمانا مسلمين من قبل هو الله عزَّ وجل بدليل قوله ﷺ: «**فتسموا بما سماكم الله به هو سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله**».

أما قوله تعالى: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ فالمراد به وسماكم المسلمين في هذا القرآن أيضًا أن الله ﷻ سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة وسماكم المسلمين في هذا القرآن كذلك.

أما قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي اجتباكم يا أمة محمد وجعلناكم خير أمة أخرجت للناس ورفعنا عنكم الحرج لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لكونكم خير أمة أخرجت لهم وأعدل أمةٍ أخرجت لهم وكذلك ليكون رسول عليكم شهيدًا.

فلذا لهذا التفصيل وإلا كلام قابلوا الإحسان بإحسان، وقابلوا النعمة بالشكر والعرفان فأقيموا الصلاة كما أمركم الله به، وآتوا الزكاة التي أمركم الله

بإخراجها ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ توكلوا عليه فأحسنوا التوكل ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ تولى نصركم ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ الذي يتولاكم ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ الذي ينصركم فإن ينصركم الله فلا غالب لكم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ فقال بعضهم: معناه وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح: عن ثور بن زيد، عن عبد الله بن عباس، في قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ كما جاهدتم أوّل مرّة، فقال عمر من أمر بالجهاد، قال: قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس، فقال عمر، صدقت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تخافوا في الله لومة لائم، قالوا: وذلك هو حقّ الجهاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: اعملوا بالحقّ، حقّ عمله، وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من في روايته نظر.

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: عُني به الجهاد في سبيل الله، لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله، وحقّ الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه. قوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ يقول: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله.

وقال ابن زيد في ذلك، ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ قال: هو هداكم.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعل عليكم

ربكم في الدين الذي تعبَّدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه، بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا، والكفَّارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج.

وأورد بسندٍ صحيح: عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يسأل عن ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ قال: ما هاهنا من هذيل أحد فقال رجل: نعم قال: ما تعدّون الحرجة فيكم؟ قال: الشيء الضيق، قال ابن عباس، فهو كذلك.

وقال آخرون: معنى ذلك ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ من ضيق في أوقات فروضكم إذا التبست عليكم، ولكنه قد وسع عليكم حتى تَيَقَّنوا محلها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما جعل في الإسلام من ضيق، بل وسعه.

وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ نصب ملة بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه، كملَّة أبيكم، فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصبت، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها، لأن الكلام قبله أمر، فكأنه قيل: اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم.

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ يقول تعالى ذكره: سماكم يا معشر من آمن بمحمد ﷺ المسلمين من قبل.

وقال آخرون: بل معنا: إبراهيم سماكم المسلمين؛ وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم ﷺ:

وأورد الطبري قولًا عن ابن زيد وتعقبه في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: ألا ترى قول إبراهيم ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً

لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]. قال: هذا قول إبراهيم ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة، ذُكرت بالإيمان والإسلام جميعا، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان، ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك، لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل، وقد قال الله تعالى ذكره ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن، وفي القرآن، الله الذي لم يزل ولا يزال. وأما قوله ﴿مِن قَبْلُ ﴾ فإن معناه: من قبل نزول هذا القرآن في الكتب التي نزلت قبله، وفي هذا يقول: وفي هذا الكتاب.

وقوله ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد ﷺ مسلمين، ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة، بأنه قد بلَّغكم ما أرسل به إليكم، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين، أنهم قد بلَّغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: فأدّوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ يقول: وثقوا بالله، وتوكلوا عليه في أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ يقول: نعم الوليّ الله لمن فعل ذلك منكم، فأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده، واعتصم به ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ يقول: ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف الأئمة، رحمهم الله، في هذه السجدة الثانية من سورة الحج: هل هي مشروع السجودُ فيها أم لا؟ على قولين. وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ: «**فُضلت سورة الحج بسجدتين، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما**»(١).

وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي: بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول، وأكمل شرع.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فَشَقَ عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا، فالصلاة -التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين- تجب في الحَضَر أربعًا وفي السفر تُقْصَر إلى ثِنْتَين، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة، كما ورد به الحديث، وتُصَلى رجالا وركبانا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها. وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المريض جالسا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات، في سائر الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال، عليه السلام: «**بُعِثْتُ بالحنيفيَّة السَّمحة**»(٢) وقال لمعاذ وأبي موسى، حين بعثهما أميرَين إلى اليمن: «**بَشِّرا ولا تنفرا، ويَسِّرا ولا تُعسِّرَا**»(٣). والأحاديث في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا

(١) ضعيف وأشرت إليه قريبًا.

(٢) معناه صحيح أخرجه أحمد (٥/٢٦٦) وغيره.

(٣) البخاري في صحيحه (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٢).

﴿جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ يعني: من ضيق.

وقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾: قال ابن جرير: نصب على تقدير: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ أي: من ضيق، بل وَسَّعه عليكم كملة أبيكم إبراهيم. قال: ويحتمل أنه منصوب على تقدير: الزموا ملة أبيكم إبراهيم .

قلت: وهذا المعنى في هذه الآية كقوله: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ﴾ الآية [الأنعام: ١٦١].

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾ قال الإمام عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ قال: الله عز وجل. وكذا قال مجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدي، وقتادة، ومقاتل بن حَيَّان.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ يعني: إبراهيم، وذلك لقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

قال ابن جرير: وهذا لا وجه له؛ لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسمّ هذه الأمة في القرآن مسلمين، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾ قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر، ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ يعني: القرآن. وكذا قال غيره.

قلت: وهذا هو الصواب؛ لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾، ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل، ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نَوّه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان، في كتب

الأنبياء، يتلى على الأحبار والرهبان، فقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل هذا القرآن ﴿وَفِي هَٰذَا﴾.

وأورد من حديث الحارث الأشعري، عن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثيّ جهنم**». قال رجل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: «**نعم، وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله**».

وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ من سورة البقرة [الآية: ٢١]؛ ولهذا قال: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾.

أي: إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا عدولا خيارا، مشهودا بعدالتكم عند جميع الأمم، لتكونوا يوم القيامة ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها؛ فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك. وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها، وأدوا حق الله عليكم في أداء ما افترض، وطاعة ما أوجب، وترك ما حرم. ومن أهم ذلك إقامُ الصلاة وإيتاءُ الزكاة، وهو الإحسان إلى خلق الله، بما أوجب، للفقير على الغني، من إخراج جزء نزر من ماله في السَّنة للضعفاء والمحاويج، كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة "التوبة".

وقولـه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: اعتضـدوا بـالله ، واسـتعينوا بـه، وتوكلـوا عليـه، وتَأيَّـدوا بـه، ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أي: حـافظكم وناصـركم ومُظفـركُم علـى أعدائكم، ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ يعنـي: [نعـم] الـولي ونعـم الناصـر مـن الأعداء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ قيـل: عنـى بـه جهـاد الكفـار. وقيل: هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمـر الله بـه، والانتهـاء عـن كـل مـا نهـى الله عنه، أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردوها عن الهـوى، وجاهـدوا الشـيطان في رد وسوسـته، والظلمـة في رد ظلمهـم، والكـافرين في رد كفـرهم. قـال ابـن عطيـة: وقـال مقاتـل وهـذه الايـة منسـوخة بقولـه تعـالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغـابن: ١٦]. وكـذا قـال هبـة الله: إن قولـه: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ وقولـه في الايـة الاخرى. ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] منسوخ بالتخفيف إلى الاستطاعة في هذه الاوامر. ولا حاجة إلى تقدير النسخ، فإن هذا هو المراد مـن أول الحكـم، لان ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ مـا ارتفـع عنـه الحـرج. قولـه تعـالى: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي اختاركم للذب عن دينه والتزام أمره، وهذا تأكيد للامر بالمجاهدة، أي وجـب عليكم أن تجاهدوا لان الله اختاركم له. واختلف العلماء في هذا الحرج الـذى رفعه الله تعالى، فقال عكرمة: هو ما أحل من النسـاء مثنـى وثـلاث وربـاع، ومـا ملكت يمينك. وقيل: المراد قصر الصلاة، والافطار للمسافر، وصـلاة الايمـاء لمـن لا يقـدر علـى غيـره، وحـط الجهـاد عـن الاعمـى والاعـرج والمـريض والعديم الذى لا يجد ما ينفق في غزوه، والغريم ومن له والـدان، وحـط الاصـر الذى كان على بنى إسرائيل. وقد مضى تفصيل أكثر هـذه الاشـياء . وروى عـن

ابن عباس والحسن البصري أن هذه في تقديم الاهلة وتأخيرها في الفطر والاضحى والصوم، فإذا أخطأت الجماعة هلال ذى الحجة فوقفوا قبل يوم عرفة بيوم أو وقفوا يوم النحر أجزأهم، على خلاف فيه بيناه في كتاب المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه. وما ذكرناه هو الصحيح في الباب. وكذلك الفطر والاضحى

وقال القرطبي أيضًا:

قال العلماء: رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السلابة والسراق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين، وليس في الشرع أعظم حرجا من إلزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله تعالى، ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج.

❀ ❀ ❀

تفسير سورة المؤمنون

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ
ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ
مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾
[المؤمنون: ١-١١].

س: وضح معنى ما يلي:
﴿أَفْلَحَ - خَٰشِعُونَ - ٱللَّغْوِ - مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ - غَيْرُ مَلُومِينَ - ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ - ٱلْعَادُونَ -رَٰعُونَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفْلَحَ﴾	سعدوا وفازوا بالمطلوب (والذي هو رضا الله ﷻ عليهم ودخول جنته) ونجو من المرهوب، وهو سخط الله ﷻ، والنار عياذاً بالله
﴿خَٰشِعُونَ﴾	متذللون– ساكنون– خائفون وجلةٌ قلوبهم
﴿ٱللَّغْوِ﴾	ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال الباطل من القول والفعل
﴿مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾	المراد الإماء (اللواتي يأتين بالشراء أو بالسبي وبنحو ذلك)
﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾	غير مذمومين ولا موبخين
﴿ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾	فعل غير ذلك، جامع في غير هذه الأبواب– صرف فرجة في غير هذه الأشياء المذكورة
﴿ٱلْعَادُونَ﴾	المعتدون المتجاوزون للحد
﴿رَٰعُونَ﴾	محافظون – موقرون– قودون

❁ ❁ ❁

س: هل ورد حديث صحيح في فضل سورة المؤمنون:

ج: لا أعلم حديث صحيحًا في فضل سورة المؤمنون والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد خبر صحيح عن رسول الله ﷺ مفاده أن الجنة خلقها الله بيده فتكلمت قائلة قد أفلح المؤمنون أو أن الله ﷻ نظر إليها لما خلقها بيده، وقال قد أفلح المؤمنون.

ج: كل ذلك لم أقف له على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ، وإنما هي بعض الآثار عن بعض التابعين وغالب ظنيٍّ أنها مُتلقاة من الإسرائيليات والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآيات (قد أفلح المؤمنون سبب نزول)؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، وإنما ورد م حصله أنها نزلت لما كان النبي ﷺ يرفع بصره إلى السماء في صلاته، فأنزل الله عليه قد أفلح المؤمنون... ولا يصح.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن رسول الله ﷺ استقبل القبلة ثم قال «اللهم زدنا ولا تنقصنا... الحديث» ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر.

ج: قد روى الإمام أحمد وغيره هذا الحديث ولا يصح سنده إلى رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الخبر الذي فيه أن النبي ﷺ قرأ في صلاة الصبح بالمؤمنون حتى بلغ ذِكر موسى وهارون فأخذته سعلة فركع؟

ج: صحيح أخرجه مسلم بنحوه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، قد فاز المؤمنون بمطلوبهم وأعظم مطلوب لهم هو أن يرضى الله عنهم ويدخلهم جنة وكذا قد نجا المؤمنون من مرهوبهم الذي يرهبونه ويخشونه، وهو سخط الله عليهم وتعذيب الله لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات، الخلود في جنّات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، أي: قد فازوا وسعدوا، وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم سئلت عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأت ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ حتى انتهت إلى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

ج: في سنده من تُكلِّم فيه.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٥٠) وغيره من طريق.

ج: هذا وصف لأهل الإيمان في صلاتهم. فهم فيها متذللون لله ﷻ ساكنون لا يلتفتون (إلا عند الضرورات وبقدرٍ) قد خشعت قلوبهم فانعكس الخشوع على جوارحهم فهم في صلاتهم خائفون ساكنون قد غضوا البصر وخفضوا الجناح.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صَلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها.

وقال أيضًا بعد أن أورد جملة من الآثار.

فتأويل الكلام ما وصفت من قبل، من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رُؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أُمر بتركه فيها.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن)

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها.

❁ ❁ ❁

مبحث في الخشوع في الصلاة والأسباب المعينة عليه بإذن الله

س: اذكر بعض الأسباب المعينة على الخشوع في الصلاة؟

ج: أولًا: ليعلم أن الخشوع من معاينة الذلِّ والانكسار،ومن معاينة الخضوع والتواضع ومن معاينة السكون، سكون الجوارح ومن معاينة الخوف.

ثانيًا: وعن الأسباب المعينة على الخشوع أقول وبالله التوفيق من ذلك ما يلي:

١- التفكر في الآيات التي تتلى وتدبر معانيها فقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

فالتفكر في الآيات وحضور القلب كلَّ ذلك يولِّد خشوعًا، وانكسارًا خوفًا من الله ألا ترى أن الله قال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

هذ وكلما كان الشخص عالمًا بمعاني الآيات التي يتلوها أو تتلى عليه فإن ذلك من مسببات الخشوع والخشية قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**» قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟!! قال نعم فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ...﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

ومن أسباب الخشوع، وأفضلها سؤال الله ﷻ ذلك، والتعوذ، بالله من قلب لا يخشع، وقد كان من تعوذات النبي ﷺ، تعوذه من قلب لا يخشع.

ومن أسباب الخشوع في الصلاة إزالة ما يشغل المصلي وإزالة ما يذهب تفكيره فمن ذلك.

إبعاد التصاوير فإن الشغل ينشغل بها عن قراءته وتدبره.

وقد أخرج البخاري من حديث أنس قال كان قرامٌ لعائشة رضي الله عنها سترت به جانب بيتها فقال لها النبي ﷺ: «**أميطي عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي**».

وفي رواية لمسلم من طريق القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة فكان النبي ﷺ يُصلي إليه فقال أخريه عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض وعن عائشة رضي الله عنها قال كان النبي ﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام فنظر إلى أعلمها فلما قضى صلاته قال «**اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم ابن حذيفة وأتوني بأنبجانية فإنها ألهتني آنفًا في صلاتي**»، وفي رواية «**شغلتني أعلام هذه**». وفي رواية «كانت له خميصة لها علم فكان يتشاغل بها في الصلاة».

ومن أسباب الخشوع أيضًا انتقاء الحالات....المساعدة على الخشوع ما دام في الوقت سعة، فمن ذلك تأخير النبي ﷺ صلاة الظهر حتى تنكسر حدةُ الحر وذلك بقوله **أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**».

ومن ذلك قوله ﷺ «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**».

فإن المصلي الجائع والأكل أمامه يفكر في الأكل وينصرف بقلبه إليه، وكذلك الذي يصلي وهو يريد أن يبول أو يتغوط فإنه لا يكاد......والتدبر والا يكاد يقف لله خاشعًا في صلاته ولذلك قال رسول الله ﷺ إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدءوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم».

وفي رواية: «إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء ولا يعجلن حتى يفرغ منه».

ومن ذلك قول النبي ﷺ «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه».

وفي رواية: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقول».

وما دون ذلك تعليل الحركة وترك الالتفات قدر الاستطاعة فإن النبي ﷺ قال «إن في الصلاة لشغلا».

وسُئل النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

وفي الكلمات التي أمر الله ﷻ بها يحي بن زكريا عليه السلام أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها. وإن الله بالصلاة فإن صليته فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهة لوجه عبده في صلاته ما لم يتلفت.

هـذا، وقـد قـال تعـالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] وتقـدم في تفسيرها أنهم بعد نزولها أُمروا بالسكوت.

واحذر الإكثار من التثاؤب خاصة في الصلاة فإن الشيطان يدخل، فإذا دخل شوَّش.

قـال صلى الله عليه وسلم: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل**».

ومن ذلك عدم رفع البصر في الصلاة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال م بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم وفي راية عنه الدعاء في الصلاة، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لينهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**» ولا تبزق تجاه القبلة ففي الحديث «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله تبارك وتعالى ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكًا واليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها**».

ملاحظة: وليعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم يرد عنه تغميض العين في الصلاة بل الوارد عنه يفيد أنه كان يصلي والعين مفتوحة كما حدث في صلاة الكسوف، وكذا عند مرور الشاة أمامه وتقدمه، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا.

ومن ذلك أعني من أسباب الخشوع في الصلاة التعوذ بالله من الشيطان عند حضوره ووسوسته.

فعن عثمان بن أبي العاص قال يا رسول الله إن الشيطان قد حل بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الشيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثًا، قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني».

ومن ذلك الطمأنينة في الصلاة قال ﷺ: «....**ثم اركع حتى تطمئن راكعًا.....ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا**.....».

ومن ذلك عدم الانشغال بتسوية الحصى، فإن النبي ﷺ قال في الرجل يسوى التراب حيث يسجد «**إن كنت فاعلًا فواحدة**».

ويتأتى الخشوع أكثر في صلاة النافلة في البيت وفي صلاة الليل، وكل ذلك للبعد عن المشوشات وقال ﷺ «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**».

ومن ذلك الابتعاد عن الصلاة بجوار المتحدثين الذين يشوشون عليك صلاتك بحديثهم وكذا قد ورد النهي عن الصلاة خلف النائم ولذلك.

مبحث في معرض آخر إن شاء الله:

وكذا لا تشوشن على أحد بقراءتك ولا يشوشن عليك أحد ففي الحديث عن رسول الله ﷺ إن كلكم مناج ربَّه فلا يؤذين بعضكم بعضًا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة وفي رواية «**لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**».

هذا وثمَّ أسباب أُخر للخشوع في الصلاة اجتزأت منها بما ذكرت وفي الجملة....الشخص أن يتحرى صفة صلاة رسول الله ﷺ فكلها خشوع وهو خير أسوة وبالله تعالى التوفيق.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم والذين هم عن الباطل ومالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال موضونه لا ينشغلون به ولا يقفون عنده.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ يقول تعالى ذكره: والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ أي: عن الباطل، وهو يشمل: الشرك -كما قاله بعضهم- والمعاصي -كما قاله آخرون- وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال قتادة: أتاهم والله من أمر الله ما وقذهم عن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: شأن أهل الإيمان الإعراض عن اللغو، اذكر ما يدل على ذلك وبعض الوارد في الحث على قلة الكلام.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١١٤﴾.

[النساء: ١١٤]

وإلى ذلك أرشدنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام:

قال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت».

وحثنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام على حفظ ألسنتنا:

فقال عليه الصلاة والسلام: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صمت نجا**».

وقال ﷺ: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال**».

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزكاة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد زكاة الأموال والزروع والانعام والفطر وغير ذلك من الزكوات المفروضة.

والثاني: زكاة النفوس أي تطهيرها من الشرك والدنس والذنوب والمعاصي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدون، وفعلهم الذي وصفوا به هو أذؤهما.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾: الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النُّصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا: زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٩-١٠]، وكقوله: ﴿وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧]، على

أحد القولين في تفسيرها.

وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادًا، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

في المراد بالزكاة هنا وجهان من التفسير معروفان عند أهل العلم.

أحدهما: أن المراد بها زكاة الأموال، وعزاه ابن كثير للأكثرين.

الثاني: أن المراد بالزكاة هنا: زكاة النفس أي تطهيرها من الشرك، والمعاصي بالإيمان بالله، وطاعته وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام، وعلى هذا فالمراد بالزكاة كالمراد بها في قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٩-١٠] وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤]. الآية وقوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: ٢١] وقوله: ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ [الكهف: ٨١] الآية وقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧] على أحد التفسيرين. وقد يستدل لهذا القول الأخير بثلاث قرائن.

الأولى: أن هذه السورة مكية، بلا خلاف، والزكاة إنما فرضت بالمدينة كما هو معلوم. فدل على أن قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ نزل قبل فرض زكاة الأموال المعروفة، فدل على أن المراد به غيرها.

القرينة الثانية: هي أن المعروف في زكاة الأموال: أن يعبر عن أدائها بالإيتاء كقوله تعالى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله ﴿ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ونحو ذلك. وهذه الزكاة المذكورة هنا، لم يعبر عنها بالإيتاء، بل قال تعالى

فيها ﴿ والذين هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ فدل على أن هذه الزكاة: أفعال المؤمنين المفلحين، وذلك أولى بفعل الطاعات، وترك المعاصي من أداء مال.

الثالثة: أن زكاة الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة، من غير فصل بينهما كقوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧] وقوله: ﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وهذه الزكاة المذكورة هنا فصل بين ذكرها، وبين ذكر الصلاة بجملة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣].

والذين قالوا المراد بها زكاة الأموال قالوا: إن أصل الزكاة فرض بمكة قبل الهجرة، وأن الزكاة التي فرضت بالمدينة سنة اثنتين هي ذات النصب، والمقادير الخاصة.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ هل هي عامة في الرجال والنساء؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ فهي عامة في الرجال والنساء.

أما قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ فهي خاصة بالرجال إذ لا يحل للمرأة أن تُمكِّن عبدها من نفسها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ قال ابن العربي: «من غريب القرآن أن هذه الآيات العشر عامة في الرجال والنساء، كسائر ألفاظ القرآن التى هي محتملة لهم فإنها عامة فيهم، إلا قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

﴿حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ فإنما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات، بدليل قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾. وإنما عرف حفظ المرأة فرجها من أدلة أخرى كآيات الاحصان عموما وخصوصا وغير ذلك من الأدلة».

قلت: وعلى هذا التأويل في الاية فلا يحل لامرأة أن يطأها من تملكه إجماعا من العلماء، لانها غير داخلة في الاية، ولكنها لو أعتقته بعد ملكها له جاز له أن يتزوجها كما يجوز لغيره عند الجمهور.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ يقول: والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج في هذا الموضع: فروج الرجال، وذلك أقبالهم. ﴿حَٰفِظُونَ﴾ يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ يقول: إلا من أزواجهم اللاتي أحلهنّ الله للرجال بالنكاح. ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ يعني بذلك: إماءهم. و«ما» التي في قوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ محل خفض، عطفا على الأزواج. ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه، وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير مُوَبَّخٍ على ذلك، ولا مذمومٍ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ حافظون لها من ماذا؟

ج: حافظون لها من الزنا واللواط والسحاق، وكذا من الاستمناء على الصحيح، وحافظون لها من نظر الآخرين إليها أيضًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـــه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ أي: والـذين قـد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج؛ ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غير الأزواج والإماء، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ أي: المعتدون.

❁ ❁ ❁

حكم الاستمناء

س: ما حكم الاستمناء، ووضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ..﴾.

ج: الظاهر لي والله أعلم تحريمه لأن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر من رُفع عنه اللوم إذ قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾. ثم عقب ذلك بقوله جل ذكره: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ والاستمناء مما وراء ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل الإمام الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهـذه الآيـة الكريمـة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ قال: فهذا الصنيع خارج عن هـذين القسمين، وقد قـال: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ وقد استأنسوا بحديث رواه الإمـام الحسن بـن عَرَفَةَ في جزئه المشهور حيث قال: حدثني علي بن ثابت الجَزَرِيّ، عن مسلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سبعة**

لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا يجمعهم مع العاملين، ويدخلهم النار أول الداخلين، إلا أن يتوبوا، فمن تاب تاب الله عليه: ناكح يده ، والفاعل، والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره». هذا حديث غريب، وإسناده فيه من لا يعرف؛ لجهالته، والله أعلم.

قلت (مصطفى): والأمر كما ذكر الحفاظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالحديث ضعيف جدًا، وتكفي الآية بعمومها للاستدلال على منع الاستمناء والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ يقول: فمن التمس لفرجه مَنكَحًا سوى زوجته، وملك يمينه، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حَرّم عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قيلة، ويا ليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها. فإن قيل: إنها خير من نكاح الامة، قلنا: نكاح الامة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء خير من هذا، وإن كان قد قال به قائل أيضا، ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل، عار بالرجل الدنيء فكيف بالرجل الكبير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم، والذين هم لأماناتهم اليت استؤمنوا عليها، ويدخل في ذلك الأمانات التي يودعها الناس عندهم، وكل الأمانات التي استؤمنوا

عليها كالأسرار التي يُستأمنون عليها، وكذا العهود التي عاهدوا عليها الكفار لا يتعدونها ولا ينتقضونها ولا يغدرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ ﴾ التي ائتمنوا عليها ﴿وَعَهۡدِهِمۡ ﴾ وهو عقودهم التي عاقدوا الناس ﴿رَٰعُونَ ٨ ﴾ يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ ﴾ أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم والذين هم على صلاتهم يحافظون بتأديتها في وقتها وبأركانها وواجباتها لا يتركونها حتى يخرج وقتها، ولا يُخَلُّون بواجباتها وفرائضها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ ﴾ يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولــــه: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ أي: يواظبـــون عليهـــا في مواقيتها، كما قال ابن مسعود: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**بِرُّ الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختتمها بالصلاة، فدل على أفضليتها، كما قال رسول الله ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أولئك الذين تقدمت أوصافهم هم الذين يرثون أماكن الكفار في الجنان فما من شخص إلا له معقدان مقعد في الجنة ومقعد في النار فإذا دخل المؤمن الجنة ودخل الكافر النار، ورث المؤمن مكان الكافر في الجنة، وورث الكافر مكان المؤمن في النار.

أما الفردوس فهي أعلى الجنة فأفضلها كما في الحديث عن رسول الله ﷺ وسيأتي إن شاء الله.

أما قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ أي ماكثون فيها إلا ما لا نهاية لا يبغون عنها حولًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار في الجنة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَلَهُ مَنزلانِ: مَنزل فِي الجَنَّةِ، ومَنزلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنزلَهُ**» فذلك قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ﴾ البستان ذا الكَرْم، وهو ﴿ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ عند العرب. وكان مجاهد يقول: هو بالرومية.

وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾ يعني ماكثون فيها، يقول: هؤلاء الذين يرثون الردوس خالدون، يعني ماكثون فيها أبدًا، لا يتحولون عنها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولَما وَصَفَهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾.

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن**».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترَكَ أولئك ما أمرُوا به مما خُلقوا له -أحرزَ هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضًا، وهو ما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي بُردَةَ، عن أبيه، عن النبي

ﷺ قال: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضَعُها على اليهود والنصارى».

وفي لفظ له: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دَفَعَ الله لكل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقال: هذا فَكَاكُكَ من النار». فاستحلف عُمر بن عبد العزيز أبا بُردَةَ بالله الذي لا إله إلا هو، ثلاث مرات، أن أباه حَدَّثه عن رسول الله ﷺ، قال: فحلف له. قلت: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣]، وكقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢]. وقد قال مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر: الجنة بالرومية هي الفردوس.

وقال بعض السلف: لا يسمى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب، فالله أعلم.

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ
خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا
ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ ﴾

[المؤمنون: ١٢-١٦].

س: وضح معنين ما يلي:

﴿سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ - نُطۡفَةٗ - قَرَارٖ مَّكِينٖ - عَلَقَةٗ - مُضۡغَةٗ - خَلۡقًا ءَاخَرَۚ - فَتَبَارَكَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾	طين مستل من جميع الأرض أستللناه (استخرجناه) من طين وقيل نيٌّ استل من ظهر آدم، وقيل عن آدم طين لأنه خرج منه وقيل عنه مكين لقوله هيئ لذلك ومُكِّن فيه، ابن آدم بإذن ربه ﷿
﴿نُطۡفَةٗ﴾	قطرة المني
﴿قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾	مكان يستقر فيه أعدّ لذلك وقيل: عن مكين لقوله هيء لذلك ومُكِّن فيه ابن آدم بإذن ربه ﷿
﴿عَلَقَةٗ﴾	دم متجمع
﴿مُضۡغَةٗ﴾	قطعة لحم
﴿خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾	بعد نفخ لروح فيه تحول إلى خلقه أخر وهو الجنين في بطن الأمن وقيل غير ذلك
﴿فَتَبَارَكَ﴾	كثر الخير الوارد منه- وتعاظم وتنامى

❁ ❁ ❁

الأطوار التي يمر بها الإنسان

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾؟

ج: ابتداءً فلأهل العلم قولان في المراد بالإنسان:

أحدهما: أنه آدم ﷺ.

الثاني: أنهم عموم أبنائه.

وبناء على ذلك يتأتى التفسير.

فالذين قالوا إن الإنسان هو آدم عليه السلام قالوا السلالة من طين هي تربة الأرض بصفة عامة التي استل منها الطين الذي خلق منه آدم عليه فقد خلق آدم عليه السلام من قبضة من التراب قبضها الله عز وجل من جميع الأرض.

وأخرج الإمام أحمد وغيره من حديث:

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدْرِ الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك، والخبيث والطيب، وبين ذلك».

فعلى ذلك فالسلالة هي الشيء المستل أي المستخرج من طين.

والذين قالوا إن الإنسان المراد به بنوا آدم قالوا إن السلالة هي المنيُّ المستل (المستخرج) من صلب آدم عليه السلام، ولما كان آدم عليه السلام قد خلق من طين، قيل سلالة من طين.

وهذا بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ أسللناه منه، فالسلالة: هي المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من

أديم الأرض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعني بالإنسان في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به آدم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقنا ولد آدم، وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع، من سلالة، وهي النطفة التي استلَّت من ظهر الفحل من طين، وهو آدم الذي خُلق من طين.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خُلق منه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين؛ والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته. لأنهما مسلولان منه، ومن السُّلالة قول بعضهم:

حَمَلَتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنفرًا ... سُلالَةَ فَرجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ

وقول الآخر:

وَهَلْ كُنْتُ إلا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً ... سُلالَةَ أفْراسٍ تَجَلّلها بَغْلُ

فمن قال: سلالة جمعها سلالات، وربما جمعوها سلائل، وليس بالكثير. لأن السلائل جمع للسليل، ومنه قول بعضهم:

إذا أُنْتِجَتْ مِنْها المَهارَى تَشابَهَتْ ... عَلَى القَوْدِ إلا بالأنُوفِ سَلائِلُهْ

وقول الراجز:

يَقْذِفْنَ فِي أسْلابِها بالسَّلائِلِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو آدم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون. وقال الأعمش، عن المِنْهال بن عمرو، عن أبي يحيى، عن ابن عباس: ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢﴾ قال: صَفوةُ الماء. وقال مجاهد: ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ أي: من منيّ آدم. قال ابن جرير: وإنما سمي آدم طينًا لأنه مخلوق منه. وقال قتادة: استُلّ آدمُ من الطين. وهذا أظهر في المعنى، وأقرب إلى السياق، فإن آدم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، خلق من طين لازب، وهو الصلصال من الحمأ المسنون، وذلك مخلوق من التراب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم: ٢٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم جعلنا ابن آدم بعد أن استخرجناه من صلب أبيه نطفة، وهي قطرة المني، فجعلناها، وبعد جماع الزوج لزوجته وإخراج المني في الرحم نطفة تستقر مكان هي لها وأعدَّ لها ومُكنت فيه وهو رحم المرأة، ثم خلقنا هذه النطفة علقة، حولناها إلى دم متجمع ثم تحول هذا الدم إلى قطعة لحم، وهي المضغة ثم خلقنا هذه المضغة قطعة اللحم عظامًا، حولناها إلى عظام مكسوةٍ باللحم ثم نفخنا فيه الروح، فبعد أن كان شكلًا بلا روح نفخنا فيه الروح فتحوَّل إلى جنين يتحرك فتكاثر الخير الوارد من الله عَزَّ وَجَلَّ وتعاظم وتنامى وتزايد، فإنه عَزَّ وَجَلَّ أحسن الخالقين.

هذا، وقد قا ل بعض أهل العلم إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أنه تغلب الإنسان في الدنيا بعد مولده فيكون طفلًا ثم يقوى ويشب ثم يكون شيخًا كما قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] هذا وقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ لا يفيد أن هناك خالق غير الله، إلا إذا وجه الخلق بمعنى الصنع، ومن العلى من قال إن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير لكن خلق الله أحسن من خلق عيسى عليه السلام، وهذا القول متعقب بأن عيسى عليه السلام كان يخلق بإذن الله ثم هذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذُكر عمومًا.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ١٣﴾ ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرّت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين؛ لأنه مكن لذلك، وهيأ له ليستقرّ فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا. وقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ يقول: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة، وهي القطعة من الدم، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ يقول: فجعلنا ذلك الدم مضغة، وهي القطعة من اللحم.

وقوله: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما. وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق سوى عاصم: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ على الجمع، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك: ﴿عَظْما﴾ في الحرفين على التوحيد جميعا.

والقراءة التي نختار في ذلك الجمع؛ لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ يقول: فألبسنا العظام لحما. وقد ذكر أن

ذلك في قراءة عبد الله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظْمًا﴾ وعصبا، فكسوناه لحما.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر. وهذه الهاء التي في: ﴿أَنْشَأْنَاهُ﴾ عائدة على الإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة، جعل ذلك كله كالشيء الواحد. فقيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ فقال بعضهم: إنشاؤه إياه خلقا آخر: نفخه الروح فيه؛ فيصير حينئذ إنسانا، وكان قبل ذلك صورة.

وقال آخرون: إنشاؤه خلقا آخر، تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة في الطفولة والكهولة، والاغتذاء، ونبات الشعر والسنّ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا.

وقال آخرون: بل عني بإنشائه خلقاً آخر: سوَى شبابه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه.

وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٤﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٤﴾ لأن عيسى ابن

مريم كان يخلق، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقا، ومنه قول زهير:

وَلأنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

ويروى:

وَلأنْتَ تَخْلُقُ ما فريتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾: هذا الضمير عائد على جنس الإنسان، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٧، ٨] أي: ضعيف، كما قال: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ، يعني: الرحمُ مُعَد لذلك مهيأ له، ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٢، ٢٣] ، أي: [إلى] مدة معلومة وأجل معين حتى استحكم وتنَقَّل من حال إلى حال، وصفة إلى صفة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ أي: ثم صَيَّرنا النطفة، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل -وهو ظهره- وترائب المرأة -وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى الثندوة- فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة. قال عكرمة: وهي دم.

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾: وهي قطعة كالبَضعة من اللحم، لا شكل فيها ولا تخطيط، ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾ يعني: شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.

وقرأ آخرون: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾.

قال ابن عباس: وهو عظم الصلب.

وفي الصحيح، من حديث أبي الزِّنَاد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل جسد ابن آدم يبلى إلا عَجْبُ الذَّنَب، منه خلق ومنه يركب**».

﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ أي: وجعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾ أي: ثم نفخنا فيه الروح، فتحرك وصار ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى القولين المذكورين في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾. ثم قال: ولا منافاة فإنه من ابتداء نفخ الروح شرع في هذه التنقلات والأحوال والله أعلم.

ثم أورد الحافظ ابن كثير عدة أحاديث منها حديثا ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم ليُجمع خَلقُه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وهل هو شقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها**».

وحديث حذيفة بن أسيد -يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم- قال: «**يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين، فيقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقول الله، ويكتبان، فيقول: أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد على ما فيها ولا ينتقص**».

وفي رواية: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم يقول، يا رب، أذكر أم**

أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه، ليقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص».

وفي رواية: «إن الله وكّل بالرحم مَلكًا فيقول: أي رب، نطفة. أيْ رب، علقة أي رب، مضغة. فإذا أراد الله خلقها قال: يا رب، ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق والأجل؟» قال: «فذلك يكتب في بطن أمه».

وأورد غير ذلك ثم قال ابن كثير:

وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ يعني: حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السَّوِيّ الكامل الخلق، قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

❋ ❋ ❋

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم إنكم يا بني آدم بعد هذه النشأة التي ذكرناها لميتون عند انقضاء آجالكم، ثم إنكم من بعد موتكم لمبعوثون يوم القيامة للحساب وللثواب والعقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا، مبعوثون من التراب خلقا جديدا، كما بدأناكم أوّل مرّة. وإنما قيل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾؛ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم

يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يمت: هو مائت وميت عن قليل، ولا يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طمع فيما عندك إذا وصف بالطمع، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل: هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كلّ ما كان نظيرا لما ذكرناه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي بعد الخلق والحياة. والنحاس: ويقال في هذا المعنى لمائتون. ثم أخبر بالبعث بعد الموت فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ يعني: بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ يعني: النشأة الآخرة ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] يعني: يوم المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا

لَكُمْ بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾
وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾
وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[الأنبياء: ١٦-٢٢].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ – بِقَدَرٖ – فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ – عَلَىٰ ذَهَابِۢ بِهِۦ – جَنَّٰتٖ – طُورِ سَيۡنَآءَ – تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ – وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ – لَعِبۡرَةٗۖ – ٱلۡفُلۡكِ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ ﴾	سبع سموات، وقيل عن السموات طرائق لكون بعضها فوق بعض
﴿بِقَدَرٖ ﴾	على قدر الحاجة
﴿فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾	فجعلناه مستوًا في الأرض تنتفعون به
﴿عَلَىٰ ذَهَابِۢ بِهِۦ ﴾	على إذهابه وعدم الاحتفاظ به
﴿جَنَّٰتٖ ﴾	حدائق وبساتين
﴿طُورِ سَيۡنَآءَ ﴾	الطور جبل عليه نبات، وسيناء هي سيناء المعروفة، المراد- عند كثير به من العلماء الجبل الذي كلَّم الله عَزَّوَجَلَّ عنده نبيه موسى صلى الله عليه وسلم
﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾	تخرج الدهن، وهو الزيت
﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾	إدام يؤتدم به، الشيء الذي يوضع على الخبز كي يؤكل الخبز معه
﴿ لَعِبۡرَةٗۖ ﴾	لعظة ودلالة
﴿ ٱلۡفُلۡكِ ﴾	السفن العظيمة

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧ ﴾ ولماذا أطلق على السموات طرائق؟

ج: المعنى والله أعلم ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات شدادًا كما قال تعالى: ﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ ﴾ [النبأ: ١٢] ولم نفعل لمن تدبر أمر سائر الخلائق ولم نفعل عن عن تدبير أمر سائر الخلائق، ولم نفعل عن حفظًا الخلائق أيضًا فقد أمسكنا السموات كي لا تسقط عليكم كما قال جل ذِكره ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥].

هذا وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ يحتمل ما يلي: إننا خلقنا هذه السموات السبع العظيمة في شأنها البديعة في خلقها، ومع خلقناها لم نفعل عن تدبير أمر سائر الخلائق فلم نفعل عن تدبير أمر النملة في جحرها، أو الحيتان في البحار أو الوحوش في الغابات، لم نفعل عن تدبير أمر النحل والذباب والطيور، لم نفعل عن بني آدم وعن تدبير أمورهم ومعايشهم، لم نفعل عن سائر الخلق، ولم ننشغل بخلق السموات السبع عن سائر مخلوقاتنا، فالله لا يشغله جليل عن حقير ولا كبير عن صغير، بل أحصى كل شيء وحفظ كل شيء.

فإذا كان ذلك كذلك فلا يُقَصِّر الشخص عن الدعاء فليسأل ربَّه ﷻ القليل كما يسأله الكبير الكثير، وليسأل الله كل ما يريد، فلا يظن أن الله ﷻ منشغلٌ عنه بما هو أهم، فالله يكفي العباد ويسمع ويرى ويجيب ويعطي ويمنع ويتفضل أما لماذا أطلق على السموات طرائق، ملكوت بعضها فوق بعض لذا أطلق عليها طرائق كذا قال أكثر العلماء والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق؛ لأن بعضهنّ فوق بعض، فكلّ سماء منهنّ طريقة.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾ يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم، عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى خَلْق الإنسان، عطف بذكر خلق السموات السبع، وكثيرًا ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. وهكذا في أول ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها [في] صبيحة يوم الجمعة، في أولها خَلْقُ السموات والأرض، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين، وفيها أمر المعاد والجزاء، وغير ذلك من المقاصد.

فقوله: ﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾: قال مجاهد: يعني السموات السبع، وهذه كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥﴾ [نوح: ١٥]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

وهكذا قال هاهنا: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾ أي: ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير. وهو -سبحانه- لا

يَحجبُ عنه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا جبل إلا يعلم ما في وَعْره، ولا بحر إلا يعلم ما في قَعْره، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال، والبحار والقفار والأشجار، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾ قال أبو عبيدة: أي سبع سموات. وحكى عنه أنه يقال: طارقت الشئ، أي جعلت بعضه فوق بعض، فقيل للسموات طرائق لان بعضها فوق بعض. والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقة. وقيل: لانها طرائق الملائكة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾ قال بعض العلماء: أي عن خلق السماء. وقال أكثر المفسرين: أي عن الخلق كلهم من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

قلت: ويحتمل أن يكون المعنى ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾ أي في القيام بمصالحهم وحفظهم ، وهو معنى الحى القيوم، على ما تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾.

ج: يُذكِّر الله عَزَّ وَجَلَّ ببعض نعمه على خلقه فيقول وأنزلنا من السماء ماء وهو (المطر، والغيث) بقدر على قدر حاجاتكم، لا كثير فيهلككم ولا قليل فتموتون جوعًا وعطشًا، وإنما على قدر حاجاتكم فأسكناه في الأرض، جعلناه ساكنا مستقرًا أمامكم تستفيدون منه، وإنا على إذهابه لقاع الأرض لقادرون

وعلى إذهابه للبحار لقادرين، وعلى عدم إنزاله القادرون وعلى خلط الماء المالح به فيفسد عليكم الماء العذب القادرون على كل ذلك لقادرون.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ أي أنبتنا لكم به من الزروع والثمار والحدائق والنباتات ما ترون ومن ذلك ﴿جَنَّٰتٖ﴾ حدائق وبساتين من نخيل وأعناب لكم فيها (في الجبات) فواكه كثيرة من كل صنف ومن هذه الفواكه وثمار النخيل والأعناب تأكلون وكذا أنبتناكم بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء شجرة، وهي شجرة الزيتون تخرج من جبل الطور وعند جبل الطور، وقد قيل إن الطور كل جبل عليه نبات، وقيل إنه جبل مخصوص، وهو الذي كلَّم الله ﷻ عنده نبيه موسى ﷺ أما سيناء فالأصح أنها المكان المعروف (سيناء المعروفة بمصر، وقيل إنها تمتد إلى الشام) فالمراد أن شجرة الزيتون أصلها من الله ﷻ كانت عند هذا الجبل جبل الطور بسيناء وقال لبعضهم إن المراد بسيناء مباركٌ وحسنٌ واستبعد هذا بعض العلماء، لأنها لو كانت كذلك لكانت طور منونةً، أي طورٍ حسنٍ ولكن لما كانت طور مجرورة فقط عُلم أن سيناء اسم لمكان والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ أي تنبت هذه الشجرة شجرة الزيتون الدهن الذي يؤتدم به أي يوضع مع الخبز فيؤكل معه، فقيل الزيت الزيتون صبغ لآكلين، أي إدام يأتدم به الآكلون يضعون مع الخبز فيغير لونه ويغير طعمه ولذلك قيل عنه صبغ، فيؤكل مع الخبز، والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء فأسكناه فيها.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به ، فتهلكوا أيها الناس عطشا ، وتخرب أرضوكم، فلا تنبت زرعا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا.

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب ﴿ لَّكُمْ فِيهَا ﴾ يقول: لكم في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يقول: ومن الفواكه تأكلون، وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب. وخصّ جل ثناؤه الجنات التي ذكرها في هذا الموضع، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب ، دون وصفها بسائر ثمار الأرض؛ لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها، فكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف، فذكَّر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من ثمارها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وشجرة منصوبة عطفا على الجنات ويعني بها: شجرة الزيتون.

وقوله: ﴿ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ يقول: تخرج من جبل ينبت الأشجار.

وأما قوله: ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ فإن القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿سِيناء﴾ بكسر السين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿سَيْنَآءَ ﴾ بفتح السين، وهما جميعا مجمعون على مدّها.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار،

بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: المبارك، كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك.

قال آخرون: معناه حسن.

وقال آخرون: هو اسم جبل معروف.

وقال آخرون: إنه جبل ذو شجر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منوّنا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿ تَنۢبُتُ ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿ تَنْبُت ﴾ بفتح التاء، بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن، وقرأه بعض قرّاء البصرة: ﴿ تُنۢبِتُ ﴾ بضم التاء، بمعنى تنبت الدهن، تخرجه. وذكر أنها في قراءة عبد الله: ﴿ تُخْرِجُ الدُّهْن ﴾ وقالوا: الباء في هذا الموضع زائدة كما قيل: أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه، وكما قال الراجز:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أرْبابُ الفَلَجْ ... نَضْرِبُ بِالبيضِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ

بمعنى: ونرجو الفرج. والقول عندي في ذلك أنهما لغتان: نبت، وأنبت؛ ومن أنبت قول زهير:

رأيْتَ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينا لَهُمْ حتى إذا أنْبَتَ البَقْلُ

ويروى: نبت، وهو كقوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ [هود: ٨١] و«فاسر»، غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ: ﴿تَنْبُتُ ﴾ بفتح التاء؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليها. ومعنى ذلك: تَنْبُتُ هذه الشجرة بثمر الدهن.

وقوله: ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ يقول: تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين، يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه.

قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ قال: هذا الزيتون صبغ للآكلين، يأتدمون به، ويصطبغون به.

قال أبو جعفر: فالصبغ عطف على الدهن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبيده التي لا تعدّ ولا تحصى، في إنزاله القَطْر من السماء ﴿ بِقَدَرٍ ﴾ أي: بحسب الحاجة، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دِمْنتها إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، كما في أرض مصر، ويقال لها: «الأرض الجرُز»، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طينًا أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه، لأن أرضهم سباخ يغلب عليها

الرمال، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور.

وقوله: ﴿فَأَسْكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعلنا في الأرض قابليَّة له، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى.

وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾ أي: لو شئنا ألا تمطر لفعلنا، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري [والبحار] والقفار لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه أجاجًا لا ينتفع به لشُرب ولا لسقي لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض، بل ينجّر على وجهها لفعلنا. ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مَدَى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا. ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبًا فراتًا زلالا فيسكنه في الأرض ويَسْلُكُه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، فيسقي به الزروع والثمار، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون، فله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ يعني: فأخرجنا لكم بما أنزلنا من الماء ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي: بساتين وحدائق ذات بهجة، أي: ذات منظر حسن.

وقوله: ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ أي: فيها نخيل وأعناب. وهذا ما كان يألف أهل الحجاز، ولا فرق بين الشيء وبين نظيره، وكذلك في حق كل أهل إقليم، عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يَعْجِزُون عن القيام بشكره.

وقوله: ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ أي: من جميع الثمار، كما قال: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النحل: ١١].

وقوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩﴾ كأنه معطوف على شيء مقدر، تقديره: تنظرون إلى حسنه ونضجه، ومنه تأكلون.

وقوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ يعني: الزيتونة. والطور: هو الجبل. وقال بعضهم: إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر، فإن عَرِي عنها سمي جَبَلا لا طورًا، والله أعلم. وطور سيناء: هو طور سينين، وهو الجبل الذي كَلَّم [الله] عليه موسى بن عمران، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون.

وقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾: قال بعضهم: الباء زائدة، وتقديره: تنبت الدهن، كما في قول العرب: ألقى فلان بيده، أي: يده. وأما على قول من يُضَمِّن الفعل فتقديره: تخرج بالدهن، أو تأتي بالدهن؛ ولهذا قال: ﴿ وَصِبۡغٖ ﴾ أي: أدْم، قاله قتادة. ﴿ لِّلۡأٓكِلِينَ ۝٢٠ ﴾ أي: فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ.

وأورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة**» وأسانيده ضعيفة، والآية تشهد لمعناه، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بِقَدَرٖ﴾ أي على مقدار مصلح، لأنه لو كثر أهلك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [الحجر: ٢١]. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ يعني الماء المختزن. وهذا تهديد ووعيد؛ أي في قدرتنا إذهابه وتغويره، ويهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا ﴾ أي غائرا ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ۝٣٠ ﴾ [الملك: ٣٠].

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأۡنَا﴾ أي جعلنا ذلك سبب النبات، وأوجدناه به وخلقناه. وذكر تعالى النخيل والأعناب لأنها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما؛ قاله الطبري. ولأنها أيضا أشرف الثمار، فذكرها تشريفا لها وتنبيها عليها. ﴿لَّكُمۡ فِيهَا﴾ أي في الجنات. ﴿فَوَٰكِهُ﴾ من غير الرطب والعنب. ويحتمل

أن يعود على النخيل والأعناب خاصة إذ فيها مراتب وأنواع؛ والأول أعم لسائر الثمرات.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ شجرة عطف على جنات. وأجاز الفراء الرفع لأنه لم يظهر الفعل، بمعنى وثم شجرة؛ ويريد بها شجرة الزيتون. وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد، وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار. ﴿تَخْرُجُ﴾ في موضع الصفة. ﴿مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ أي أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ قراءة الجمهور وقرأت فرقة ﴿وأصباغ﴾ بالجمع وقرأ عامر بن عبد قيس ﴿ومتاعا﴾؛ ويراد به الزيت الذي يصطبغ به الأكل؛ يقال: صبغ وصباغ؛ مثل دبغ ودباغ، ولبس ولباس. وكل إدام يؤتدم به فهو صبغ؛ حكاه الهروي وغيره. وأصل الصبغ ما يلون به الثوب، وشبه الإدام به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه. وقال مقاتل: الأدم الزيتون، والدهن الزيت. وقد جعل الله تعالى في هذه الشجرة أدما ودهنا؛ فالصبغ على هذا الزيتون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم، وإن لكم في هذه الأنعام التي ترونها والتي منها الإبل، وهي أعظمها خلقًا كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾

[الغاشية: ١٧] لك في هذه الأنعام دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا وعظة تتعظون بها إذا انظرتم إليها فعلتم شيئًا من عظمة الخالق سبحانه وتعالى وشيئًا من قدرته، وشيئًا من نعمة وأياديه عليكم فإن الله ﷻ يخرج لكم من بطون هذه الأنعام من بين فرسٍ ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وكذا لكم فيها منافع كثيرة أخر، فمن أصوافها وأوبارها وأشعارها تتخذون أثاثًا ومتاعًا إلى حين وكذا تأكلون من لحومها وتصطبغون بدهونها وتعالجون بألبانها، بل وبأبوالها كما ورد في الحديث ومنافع كثيرةٌ أُخر، وأيضًا فتحل أثقالكم إلى لم تكونوا بالغين إلا بشق الأنفسن فتنتقلون عليها من مكان إلى مكان كما أن الله سخر لكم الفلك وهي السفن العظيمة الهائلة تنتقلون عليها أيضًا من مكان إلى مكان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ تعتبرون بها، فتعرفون بها أيادي الله عندكم، وقدرته على ما يشاء، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا ﴾ من اللبن الخارج من بين الفرث والدم، ﴿ وَلَكُمْ ﴾ مع ذلك ﴿ فِيهَا ﴾ يعني في الأنعام ﴿ مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ وذلك كالإبل التي يُحمل عليها، ويُركب ظهرها، ويُشرب درّها، ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يعني من لحومها تأكلون. وقوله: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يقول: وعلى الأنعام، وعلى السفن تحملون على هذه في البر، وعلى هذه في البحر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾: يذكر تعالى ما جعل لخلقه في الأنعام من

المنافع، وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرْث ودم، ويأكلون من حملانها، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها، ويركبون ظهورها ويحملونها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم، كما قال تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[النحل: ٧]

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ
عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤
إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا
كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا
وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ
عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ فَإِذَا
ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨
وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا
لَمُبۡتَلِينَ ٣٠ ﴾

[المؤمنون: ٢٣-٣٠].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ - ٱلْمَلَؤُا۟ - يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ - جِنَّةٌ - فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ - بِمَا كَذَّبُونِ - ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ - بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا - وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ - فَٱسْلُكْ فِيهَا - زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ - سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ - وَلَا تُخَٰطِبْنِى - فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ - ٱسْتَوَيْتَ - مُنزَلًا مُّبَارَكًا - خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	أفلا تخافون الله وتخشونه أفلا تجعلون بينكم وبين عذابه رقابة (بتوحيدكم وسمعكم وطاعتكم لله)
﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾	الأشراف والكبرا والوجهاء
﴿يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾	يتعالى عليكم – يتكبر عليكم – يكون له فضل عليكم يتعاظم عليكم
﴿جِنَّةٌ﴾	جنون وخبل
﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾	انتظروا به واصبرو عليه حتى يموت بعد زمنٍ، وكذا انتظروا حتى نقضي، أمرًا وتضارًا في شأنه
﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾	بسبب تكذيبهم – بإنكارهم ما جئتهم به من الأمر بتوحيدك وعبادتك وحدك لا شريك له
﴿ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾	اصنع السفينة العظيمة الهائلة قال الطبري أي منا ومنظر
﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾	وبتعليمنا إياك صنعتها

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾	علا الماء وجه الأرض- امتلأ التنور (وهو شيء يخبز منه) بالماء.
﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾	فأدخل فيها
﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾	قيل من كل صنف ذكر وأنثى
﴿سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾	كتبت عليه الشقاوة وقيل كان كافرًا وسبق القول أنه سيعذب
﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾	لا تسألني.....لهم ولا رحمتهم
﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾	في أهل الشرك

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد أرسلنا نبينا نوحًا عليه السلام وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض أرسلناه إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وأطيعوه واسألوه، وارجوه وحده لا شريك له فليس لكم معبودٌ يستحق العبادة غيره أفلا تتقون عذابه وتخشون عقابه وقد أشركتم به وعبدتم معه غيره، أفلا تخافون وتحذرونه أفلا تجعلون بينكم وبين عذابه وقاية بتوحيدكم له وعبادتكم إياه وحده لا شريك له.

هكذا دعاهم نوح عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له فما كان جوابهم

إلا أن قالوا وخاصة الملأ منهم وهم الأشراف الذين تصدروا المواجهة الحق وهم الأشراف الذين تصدروا المواجهة الحق وهم عليه القوم وأكابرهم، قال هؤلاء الملأ الذين كفروا من قومه قالوا لبعضهم البعض مُنفرين عن نوح عليه السلام صادِّين الناس عن دعوته واتباعه، ما هذا (أي نوح) إلا بشرٌ مثلكم، ليس ملكًا من السماء، بل هو بشر مثلكم يريد أن يتعالى عليكم ويتعاظم عليكم ويكون له فضلٌ عليكم ويتكبر عليكم وتيمز عنكم، وليس برسول من عند الله عز وجل، ولو أراد الله عز وجل أن يرسل إليكم رسولًا لأنزل ملائكة من عنده يامروننا وينهوننا، فما سمعنا من قبله عن رجل أرسله الله ما سمعنا أن الله أرسل نبيًا بشرًا، ولا وجدنا أباءنا الأولين حصل عندهم ذلك، فما نوح –عليه السلام– إلا رجل به جنون وخبل، فاصبروا عليه فسيموت وتستريحون منه بعد وقتٍ.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا، والبراءة من كل معبود سوانا، ﴿فَقَالَ﴾ لهم نوح ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ يقول: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)﴾ يقول: أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحلّ بكم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: فقالت جماعة أشراف قوم نوح، الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوه لقومهم: ما نوح أيها القوم إلا بشر مثلكم، إنما هو إنسان مثلكم

وكبعضكم ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعا وأنتم له تبع ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئًا سواه؛ لأنزل ملائكة، يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدّي إليكم رسالته. وقوله: ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ الذي يدعونا إليه نوح، من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية، وهي آباؤهم الأولون.

ويعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ الذين كفروا من قوم نوح: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ ما نوح إلا رجل به جنون. وقد يقال أيضا للجنّ: جنة، فيتفق الاسم والمصدر، وهو من قوله: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ كناية اسم نوح. وقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ يقول: فتلبثوا به، وتنظروا به حتى حين، يقول: إلى وقت مَّا، ولم يَعْنُوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم مَّا، أو إلى وقت مَّا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين بعثه إلى قومه، لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد، وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رسله، ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: ألا تخافون من الله في إشراككم به؟!

فقال الملأ -وهم السادة والأكابر منهم-: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ يعنون: يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم. فكيف أوحي إليه دونكم؟ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ أي: لو أراد أن يبعث نبيًّا، لبعث مَلَكًا من عنده ولم يكن بشرًا! ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ أي: ببعثة البشر في آبائنا الأولين. يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم والأمم الماضية.

وقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ أي: مجنون فيما يزعمه، من أن الله أرسله

إليكم، واختصه من بينكم بالوحي ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ أي: انتظروا به ريب المنون، واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه.

ومما قاله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي يسودكم ويشرف عليكم بأن يكون متبوعا ونحن له تبع. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ أي لو شاء الله ألا يعبد شيء سواه لجعل رسول ملكا. ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ أي بمثل دعوته. وقيل: ما سمعنا بمثله بشرا؛ أي برسالة ربه. ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ أي في الأمم الماضية؛ قال ابن عباس. والباء في ﴿بِهَٰذَا﴾ زائدة؛ أي ما سمعنا هذا كائنا في آبائنا الأولين، ثم عطف بعضهم على بعض فقالوا: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ يعنون نوحا ﴿إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ﴾ أي جنون لا يدري ما يقول. ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ أي انتظروا موته. وقيل: حتى يستبين جنونه. وقال الفراء: ليس يراد بالحين ها هنا وقت بعينه، إنما هو كقول: دعه إلى يوم ما. فقال حين تمادوا على كفرهم: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ أي انتقم ممن لم يطعن ولم يسمع رسالتي.

❃ ❃ ❃

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم قال نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ما كذبه قومه- داعيًا الله عَزَّ وَجَلَّ راجيًا ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿ٱنصُرۡنِي﴾ على قومي فقد كذبوني انصرني على قومي بسبب تكذيبهم لي.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ قال بعض أهل العلم أرسل الله إليه رسلًا (ملائكة من

السماء) بذلك، قال القرطبي أي أرسلنا إليه رسلًا من السماء، يأمرونه ويخبرونه بأمر الله له أن يصنع السفينة العظيمة الهائلة (وهي الفلك) ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ قال الطبري يقول بمرأى منا ومنظر ووحينا يقول بتعليمنا إياك صنعتها.

قلت: (مصطفى): وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإغراق هؤلاء واقترب وقت ذلك، وعلا ماء المطر والطوفان وجه الأرض، وامتلأ أيضًا التنور (الذي يُخبز فيه) امتلأ بالماء، كدليل على شدة الماء فاحمل في السفينة من كل صنف زوجين على شدة الماء فاحمل في السفينة من كل صنف زوجين اثنين، قيل ذكر وأنثى من كل جنس حتى يُحافظ على الخلق، وكذا فاحمل فيها أهلك إلا من سبق القول بأنه سيهلك ويموت على الكفر منهم، وسيعذب وهم زوجتك وولدك ولا تراجعني في شأنهم، ولا تطلب من شيئًا في شأنهم ولا تسألني نجاتهم ولا نجاة قومك الذين كفروا فإنهم جميعًا مغرقون.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ يقول: قال نوح داعيا ربه، مستنصرا به على قومه؛ لما طال أمره وأمرهم، وتمادوا في غيهم: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ على قومي ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ يعني بتكذيبهم إياي، فيما بلَّغتُهم من رسالتك، ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ يقول: فقلنا له حين استنصرنا على كَفَرة قومه: اصنع الفلك، وهي السفينة؛ بأعيننا، يقول: بمرأى منا، ومنظر، ووحينا، يقول: وبتعليمنا إياك صنعتها، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ يقول: فإذا جاء قضاؤنا في قومك، بعذابهم وهلاكهم ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾.

وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور. والصواب عندنا من القول فيه بشواهده، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ يقول: فادخل في الفلك واحمل. والهاء والألف في قوله: ﴿ فِيهَا ﴾ من ذكر الفلك ﴿ مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ يقال: سلكته في كذا، وأسلكته فيه، ومن سلكته قول الشاعر:

وكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ

وبعضهم يقول: أسلكت بالألف، ومنه قول الهُذَلي.

حتى إذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلا كمَا تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا

وقال: ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ وهم ولده ونساؤهم ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ من الله بأنه هالك، فيمن يهلك من قومك، فلا تحمله معك، وهو يام الذي غرق.

ويعني بقوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من أهلك، والهاء والميم في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ من ذكر الأهل.

وقوله: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي ﴾ الآية، يقول: ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم.

﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ يقول: فإني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه دعا ربه يستنصره على قومه، كما قال تعالى مخبرا [عنه] في الآية الأخرى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [القمر: ١٠] ، وقال هاهنا: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة وإحكامها وإتقانها، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي: ذكرًا وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار، وغير ذلك، وأن

يحمل فيها أهله ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ أي: سبق فيه القول من الله بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله، كابنه وزوجته، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ ﴾ أي: عند معاينة إنزال المطر العظيم، لا تأخذنك رأفة بقومك، وشفقة عليهم، وطَمَع في تأخيرهم لعلهم يؤمنون، فإني قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان. وقد تقدمت القصة مبسوطة في سورة «هود» بما يغني عن إعادة ذلك هاهنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠ ﴾.

ج: المعنى والله اعلم فإذا علوت السفينة واعتدلت عليها أنت ومن معك من المؤمنين بلك، وكذا من حملتهم معك من كل زوجين اثنين، فقل، وبعد علوك عليها واعتدالك عليها الحمد لله الذي سلمنا وحفظنا ونجانا من أهل الظلم والشرك بالله، وأسأل الله ﷻ أن ينزلك إنزالًا مباركًا بالسلامة والنجاة أجمل المنازل وأحسنها وأكثرها بركةً وخيرات وأمان قائلًا رب أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين أي: وأنت خير من أنزل العباد أكرم المنازل.

أما قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠ ﴾ فحاصل معناه إن فيما ذُكر في شأن قوم نوح وما حل بهم لدلالات على قدرتنا ووحدانيتنا وعلى إكرامنا لأوليائنا وأهل الطاعة لنا، ودلالة على انتقامنا ممن أشرك بنا وعادى رسلنا وكذبهم، وإن كنا لمختبرين للناس بهذا القرآن وبالذي أوردنه فيه من القصص

والعبر وغير ذلك والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك، ممن حملته معك من أهلك، راكبا فيها عاليا فوقها ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ يعني من المشركين.

يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: وقل إذا سلمك الله، وأخرجك من الفلك، فنزلت عنها: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ من الأرض ﴿مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ﴾ من أنزل عباده المنازل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي، بمعنى: أنزلني إنزالا مباركا. وقرأه عاصم ﴿مَنزِلا﴾ بفتح الميم وكسر الزاي. بمعنى: أنزلني مكانًا مباركًا وموضعا.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد، من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا، وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام- لعبرا لقومك من مشركي قريش، وعظات وحُجَجا لنا، يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم، فينزجروا عن كفرهم، ويرتدعوا عن تكذيبك، حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب.

وقوله: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا، لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ

رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤]. وقد امتثل نوح، عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [هود:٤١]. فذَكَر اللهَ تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه، وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ﴾ أي: إن في هذا الصنيع -وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين- ﴿ لَـَٔايَـٰتٍ ﴾ أي: لحججًا ودلالات واضحات على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى، وأنه تعالى فاعل لما يشاء، وقادر على كل شيء، عليم بكل شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ﴾ أي في أمر نوح والسفينة وإهلاك الكافرين. ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ أي دلالات على كمال قدرة الله تعالى، وأنه ينصر أنبياءه ويهلك أعداءهم. ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي ما كنا إلا مبتلين الامم قبلكم، أي مختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم ليظهر المطيع والعاصي فيتبين للملائكة حالهم، لا أن يستجد الرب علما. وقيل: أي نعاملهم معاملة المختبرين.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ
وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤
أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ
لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧
إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ
بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
قُرُونًا ءَاخَرِينَ ٤٢ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٤٣ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا
تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا
لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤﴾

[المؤمنون: ٣١-٤٤].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَنشَأْنَا - قَرْنًا - وَأَتْرَفْنَٰهُمْ - مُّخْرَجُونَ - هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ - لِمَا تُوعَدُونَ - عَمَّا قَلِيلٍ - ٱلصَّيْحَةُ - غُثَآءً - فَبُعْدًا - تَتْرَا - فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَنشَأْنَا﴾	خلقنا- أوجدنا- أحدثنا
﴿قَرْنًا﴾	القرن هنا جماعة من البشر وجدوا في زمن معين وجمعتهم خصال معينة وأمور معينة
﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾	أنعمنا عليهم ووسعنا عليهم، نعمناهم وبسطنا لهم في الأرزاق
﴿مُّخْرَجُونَ﴾	مبعوثون للحساب يوم القيامة، مخرجون من قبوربكم
﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾	بعيد بعيد
﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾	للذي يعدكم به من البعث والخروج من القبور
﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾	بعد قليل
﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾	قل صاح جبريل صيحة عظيمة- وقيل صوت العذاب الشديد، وقيل صوت عظيم
﴿غُثَآءً﴾	الغثاء ما ارتفع من السيل فكان فوق الماء
﴿فَبُعْدًا﴾	أبعد الله القوم الكافرين
﴿تَتْرَا﴾	يتبع بعضهم بعضا

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾	أهلكنا بعضهم بعد بعض

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الأجمالي للآيات المتقدمة من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾....إلى قوله تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ثم أوجدنا وأحدثنا وخلقنا من بعد قوم نوحٍ قرنًا آخرين جماعة من الناس في زمن واحد وجمعهم أمر معين، وهنا جمعتهم بعثة رسول فيهم وقد قيل إن المعنى بهؤلاء القرن الأخرين قوم عاد فهم الذين جاءوا من بعد قوم نوح عليه السلام وقيل إن المراد بهم قوم ثمود لانهم الذين أخذوا بالصيحة، والأظهر أنهم قوم عاد والله أعلم أرل الله إليهم رسولًا كريمصا وهو نبيه هودصا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له ويبين لهم أنه ليس لهم إله غير الله يستحق العبادة، ويحثهم هذا النبي الكريم على تقوى الله عز وجل والخوف منه وأن يجعلوا بينهم وبين عذاب الله عز وجل وقاية بتوحيدهم وإخلاص عبادتهم لله، فعندها قال الملأ وهم الأشراف والكبراء من أهل الكفر، قال هؤلاء الملأ الكفار المكذبون بالبعث بعد الموت، قال هؤلاء الذين أنعم الله عليهم ووسع عليهم وبسط لهم في الرزق وأمدهم بالمال والبنين والصحة والعافية في هذه الحياة الدنيا، قال هؤلاء مكذبين لهذا الرسول الكريم وصادين عن دعوته وعن الإيمان به، ومُنفرين عن عبادة الله وحده لا شريك له قالوا ما هذا إلا بشرٌ مثلكم، أي ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم ياكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون يأكل من طعامكم ويشرب من شرابكم، ليس بملكٍ من السماء، فكيف تطيعون إذا لئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذن لمغبونون خسرتم دنياكم التي تتلذذون فيها بالملذات، وخسرتم

شرفكم وعزتكم ووجاهتكم في الدنيا.

أيعدكم هذا الرجل وعدًا باطلًا فيقول لكم إنكم إذا متم وأصبحتم ترابًا وأصبحتم عظامًا باليةً نخرة مفتتة يفتتها من يريد أنكم ستخرجون من قبوركم للجزاء والحساب، هذا أمر مستحيل بعيد بعيد أن يحدث مثل هذا بعيدٌ بعيدٌ أن تخرجوا من قبوركم للجزاء والحساب بعيدٌ بعيدٌ أن يكون هناك بعث وثواب وعقاب فما هي إلا حياتنا الدنيا نعيش فيها حياتنا ثم نموت ولا بعث ولا ثواب ولا عقاب وما هو إلا رجل كذاب يفتري على الله الكذب، وما نحن له بمُصدقين فعند ذلك دعا رسولهم دعاءه قائلًا رب انصرني فقد كذبون فيا أخبرتهم به انصرني فقد أنكروا وحدانيتك وجحدوها وأنكروا البعث والثواب والعقاب، فأجابه الله ﷻ قال تعالى عما قليل ليصبحن نادمين، بعد قليل سيندم هؤلاء أشد الندم تكذيبهم وقاصد منهمن فأخذتهم صيحة عظيمة استأصلهم وأهلكتهم، صيحة عظيمةٌ مع الريح الصرصر الشديدة، صيحةٌ عظيمة يستحقونها فجلعناهم كالغثاء الذي على وجه الماء، ذلكم الغثاء الذي لا قيمة له ولا توبة له فأبعد الله أهل الظلم عن رحمته وعن جنته أبعد أهل الشرك به وتكذيب رسله عن كل خير.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تفسير الآيات السابقة:

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد مَهْلِك قوم نوح، قرنا آخرين، فأوجدناهم ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ داعيا لهم، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ يا قوم، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا له ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ يقول: ما

لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢﴾ أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه، وهو الإله الذي لا إله لكم سواه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣﴾.

يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح، وعَنَى بالرسول في هذا الموضع: صالحًا، وبقومه: ثمود. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يقول: الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا بلقاء الآخرة، يعني، كذّبوا بلقاء الله في الآخرة. وقوله: ﴿وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يقول: ونعَّمناهم في حياتهم الدنيا بما وسَّعنا عليهم من المعاش، وبسطنا لهم من الرزق، حتى بَطِرُوا وعَتوْا على ربهم، وكفروا، ومنه قول الراجز:

وَقَدْ أُرَانِي بِالدِّيَارِ مُتْرَفا

وقوله: ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يقول: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا، وخصه بالرسالة دوننا، وهو إنسان مثلنا، يأكل مما نأكل منه من الطعام، ويشرب مما نشرب، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته، قال: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣﴾ معناه: مما تشربون منه، فحذف من الكلام ﴿مِنْهُ﴾؛ لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم، وذلك أن العرب تقول: شربت من شرابك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ٣٥﴾

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فاتبعتموه، وقبلتم ما يقول وصدّقتموه. ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها القوم

﴿إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ يقول: قالوا: إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا، باتباعكم إياه.

قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: قالوا لهم: أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم ترابًا في قبوركم، وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم، وبقيت عظامها - أنكم مخرجون من قبوركم أحياء، كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت ﴿أَنَّكُمْ﴾ مرّتين، والمعنى: أيعدكم أنكم إذا متم، وكنتم ترابًا وعظامًا - مخرجون مرة واحدة، لما فرق بين ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى، وبين خبرها بإذا، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظنّ وأخواته، ثم اعترضت بالجزاء دون خبره، فتكرّر اسمه مرّة وتحذفه أخرى، فتقول: أظن أنك إن جالستنا أنك محسن، فإن حذفت أنك الأولى أو الثانية صلح، وإن أثبتهما صلح، وإن لم تعترض بينهما بشيء لم يجز خطأ أن يقال: أظنّ أنك أنك جالس، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ٣٥﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿۞هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات: أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياءً من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن.

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا يقول:

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال: يقول ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء، يقولون: إنما الناس كالزرع يحصد هذا، وينبت هذا، يقولون: يموت هؤلاء، ويأتي آخرون، وقرأ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٧] وقرأ: ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[سبأ: ٣].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مُخرجون. وقوله: ﴿هُوَ﴾ من ذكر الرسول، وهو صالح. ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يقول: وما نحن له بمصدقين فيما يقول: إنه لا إله لنا غير الله، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات. وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ يقول: قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله، ومن تصديقهم إياه بقولهم: ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ربّ انصرني على هؤلاء بما كذّبون يقول: بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحقّ، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه، وتكذيبهم له، فقال الله له مجيبًا في مسألته إياه ما سأله: عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين، وذلك حين تنزل بهم فتنتنا فلا ينفعهم الندم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا منهم، فأرسلنا عليهم الصيحة، فأخذتهم بالحقّ،

وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ﴾ يقول: فصيرناهم بمنزلة الغثاء، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه، كما لا ينتفع به في شيء فإنما هذا مثل، والمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه.

وقوله: ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾ يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم؛ إذ كفروا بربهم، وعصوا رسله ، وظلموا أنفسهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنًا آخرين -قيل: المراد بهم عاد، فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم. وقيل: المراد بهؤلاء ثمود؛ لقوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾ -وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. فكذبوه وخالفوه، وأبوا من اتباعه لكونه بشرًا مثلهم، واستنكفوا عن اتباع رسول بشري، فكذبوا بلقاء الله في القيامة، وأنكروا المعاد الجثماني، وقالوا ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾ أي: بعيد بعيد ذلك.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ أي: فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد. ﴿وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩﴾ أي: استفتح عليهم الرسول واستنصَرَ ربَّه عليهم، فأجاب دعاءه، ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠﴾ أي: بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به،

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: وكانوا يستحقون ذلك من الله لكفرهم وطغيانهم.

والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصَّرْصر العاصف القويّ

الباردة، ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وقوله: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ﴾ أي: صرعى هَلْكى كغثاء السيل، وهو الشيء الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه. ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾، كقوله: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[الزخرف:٧٦] أي: بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد هلاك قوم نوح. ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل: هم قوم عاد. ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني هودا، لانه ما كانت أمة أنشئت في إثر قوم نوح إلا عاد. وقيل: هم قوم ثمود ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ يعنى صالحا. قالوا: والدليل عليه قوله تعالى آخر الآية: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾، نظيرها: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٦٧]. قلت: وممن أخذ بالصيحة أيضا أصحاب مدين قوم شعيب، فلا يبعد أن يكونوا هم، والله أعلم. ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من عشيرتهم، يعرفون مولده ومنشأه ليكون سكونهم إلى قوله أكثر. ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ تقدم. ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي عن قليل، و«ما» زائدة مؤكدة. ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ على كفرهم، واللام لام القسم، أي والله ليصبحن. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ في التفاسير: صاح بهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صيحة واحدة مع الريح التى أهلكهم الله تعالى بها فماتوا عن آخرهم. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ﴾ أي هلكى هامدين كغثاء السيل، وهو ما يحمله من بالى الشجر من الحشيش والقصب مما يبس وتفتت. ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ أي هلاكا لهم. وقيل بعدا لهم من رحمة الله، وهو منصوب على المصدر. ومثله سقيا له ورعيا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم أوجدنا وخلقنا من بعد هذا القرى أهلكناه- عادًا أو ثمود- قرونًا كثيرة أخرى، لا تتقدم أمة بهلاكها على الوقت الذي حدَّده الله لإهلاكها ولا تتأخر يومًا عن ذلك بل ولا ثانية، وأرسلنا لهذه الأمم المكذبة رسلًا مثل إهلاكها- ينذرونهم ويخوفونهم ويعرِّفونها أمر الله ﷻ وأمر رسله عليهم الصلاة والسلام، أرسلنا إليهم رسلا متتابعين رسولًا يتلوه رسول سيكون رسول كلما جاء أنه رسولها كذبوه فأهلكنا بعضهم بعد إهلاك من قبلهم وجعلناهم أحاديث على الألسن يتحدث الناس بشأنهم ويتمثلون بهم في بشر فأبعد الله ﷻ وأخرى أهل الكفر والظلم وعدم الإيمان والتصديق.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قومًا آخرين. وقوله: ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها ، والوقت الذي وقتنا لفنائها، ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمدﷺ ، وإعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم ، مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله، ليبلغوا الأجل الذي أجل لهم ، فيحلّ بهم نقمته، كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا ﴾ إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود ﴿ رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ يعني: يتبع بعضها بعضا، وبعضها في أثر بعض، وهي من المواترة.

وقوله: ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم، التي أنشأناها بعد ثمود، رسولُها الذي نرسله إليهم، كذّبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا. وقوله: ﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا ﴾ يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ للناس، ومثلا يتحدّث بهم في الناس، والأحاديث في هذا الموضع جمع أحدوثة، لأن المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم، وقد يجوز أن يكون جمع حديث، وإنما قيل: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ لأنهم جعلوا حديثا، ومثلا يتمثَّل بهم في الشرِّ، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا، ولا أُحْدوثة. وقوله: ﴿ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله، ولا يصدّقون برسوله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: أمما وخلائق، ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يعني: بل يُؤْخَذون حَسَب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم، أمة بعد أمة، وقرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، وخَلفًا بعد سلف.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾: قال ابن عباس: يعني يتبع بعضهم بعضًا. وهذه كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ يعني: جمهورهم وأكثرهم، كقوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ٣٠].

وقوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: أهلكناهم، كقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: أخبارًا وأحاديث للناس، كقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٩].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد هلاك هؤلاء. ﴿قُرُونًا﴾ أي أمما. ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قال ابن عباس: يريد بني إسرائيل، وفي الكلام حذف: فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم. ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ ﴿مِنْ﴾ صلة، أي ما تسبق أمة الوقت المؤقت لها ولا تتأخره، مثل قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ويستقدمون﴾ [الاعراف: ٣٤]. ومعنى ﴿تَتْرَا﴾ تتواتر، ويتبع بعضهم بعضا ترغيبا وترهيبا.

وقال في: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي بالهلاك. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به، كأعاجيب جمع أعجوبة، وهي ما يتعجب منه. قال الأخفش: إنما يقال هذا في الشر ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ ولا يقال في الخير، كما يقال: صار فلان حديثا أي عبرة ومثلا، كما قال في آية أخرى: ﴿فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾ [سبأ: ١٩].

قلت: وقد يقال فلان حديث حسن، إذا كان مقيدا بذكر ذلك، ومنه قول ابن دريد:

وإنمـــــا المـــــرء حـــــديث بعـــــده   فكـــن حـــديثا حســـنا لمـــن وعـــى

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا
عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ
أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم
مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا
كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ
ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا
تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ
تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

[المؤمنون: ٤٥-٦٧].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بِـَٔايَٰتِنَا - وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ - وَمَلَإِيْهِۦ - فَٱسۡتَكۡبَرُواْ - عَالِينَ - عَٰبِدُونَ - ٱلۡمُهۡلَكِينَ - ٱلۡكِتَٰبَ - يَهۡتَدُونَ - ءَايَةٗ - رَبۡوَةٖ - ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ - أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ - فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ - فَذَرۡهُمۡ - فِي غَمۡرَتِهِمۡ - حَتَّىٰ حِينٍ - أَيَحۡسَبُونَ - نُمِدُّهُم - نُسَارِعُ - لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ - خَشۡيَةِ رَبِّهِم - مُّشۡفِقُونَ - يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ - وَجِلَةٌ - يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ - وُسۡعَهَا - وَلَدَيۡنَا - غَمۡرَةٖ - مِّن دُونِ ذَٰلِكَ - مُتۡرَفِيهِم - يَجۡـَٔرُونَ - عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ - مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾	بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا بالمعجزات التي أيدناهم بها
﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾	حجة موضحة لكونهما على الحق
﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾	أشراف قومه
﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾	فتعالوا عن الحق ورفضوا قبوله
﴿عَالِينَ﴾	قاهرين لغيرهم - مُتعالين على الناس
﴿عَٰبِدُونَ﴾	خاضعون أذلاء مطيعون
﴿ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾	الهلكى الميتين الذي أهلكهم الله ﷻ (وكان ذلك بإغراقهم)
﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾	المراد به هنا (التوراة)

﴿يَهْتَدُونَ﴾	يوفتون إلى طريق الحق والصواب ويُرشدون إليه
﴿ءَايَةً﴾	علاقة على قدرتنا ووحدانيتنا
﴿رَبْوَةٍ﴾	مكان مرتفع
﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾	ذات مستقر حسن، يُستقر عليها وذات ثمار وزرع
﴿وَمَعِينٍ﴾	ماء ظاهر جار
﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً﴾	المراد ملتكم
﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾	افترقوا فرقا وجعلوا دينهم أديانا متعددة متبعين كتبًا وضعوها وضلالات ألقوها
﴿فَذَرْهُمْ﴾	فاتركهم
﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾	فياهم مغمورون فيه من الضلال والجهل والكفر
﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾	حتى أجل حددناه لهم (لإنزال العذاب عليهم أو لموتهم أو ليوم القيامة
﴿أَيَحْسَبُونَ﴾	أيظنون
﴿نُمِدُّهُم﴾	نعطيهم ونمنحهم ونوسع عليهم في الدنيا
﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾	نكرمهم بخيرات الدنيا وسنكرمهم بخيرات الآخرة
﴿خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾	خوف ربهم ﷻ
﴿مُّشْفِقُونَ﴾	خائفون وجلون
﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾	يعطون ما أعطوا – يفعلون ما فعلوا من الخيرات

﴿وَجِلَةٌ﴾	خائفة
﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾	يسابقون إلى الخيرات
﴿وُسۡعَهَا﴾	طاقتها
﴿وَلَدَيۡنَا﴾	عندنا
﴿غَمۡرَةٖ﴾	غمرة بجهالة والعمى والكفر والغي
﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾	غير ذلك (غير الأعمال التي عملوها والشرك)
﴿مُتۡرَفِيهِم﴾	الأغنياء منهم
﴿يَجۡـَٔرُونَ﴾	يصيحون- يضجون- يصرخون
﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾	على أدباركم ترجعون
﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾	متعالين على الخلق
﴿سَٰمِرٗا﴾	سامرين (من السمر ليلاً)
﴿تَهۡجُرُونَ﴾	تتركون (الصلاة فيه) تهجرون القرآن. تتكلمون بالهجر من القول، وهو الباطل الردي الخاطئ القبيح

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ثم أرسلنا من بعد هؤلاء الرسل الذين

أرسلناهم متتابعين، أرسلنا موسى عليه السلام وهو ابن عمران كليم الله وأرسلنا أيضًا معه أخاه هارون وقد مننا عليه بالنبوة والرسالة كذلك، أرسلناها بآياتنا بحججنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا الدالة على صدقهم في قولهم إنا رسولا رب العالمين وكذا أيدناهما بحجج مظهرة إظهارًا كاملًا أنهما روسولان من الله عز وجل.

وهذه الحجج وتلك منها العصا التي تتحول إلى حية تسعى، واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء، في آيات أخر كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ... ﴾ كل هذا فضلًا عن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام.

أرسلنا موسى وأخاه هارون بهذه الحجج والآيات إلى فرعون وكبراء قومه وسائر قومهم فرفضوا الحق وكذبوه وظلموا عباد الله، وكانوا قومًا قارهين لغيرهم في الدنيا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب، وكانوا أيضًا متعالين على موسى وهارون عليهما السلام، كلما جاءتهم رسلنا ﴿موسى وهارون﴾ بحججنا الواضحات وآياتنا النيرات، رفضوها وتعالوا عليها قائلين أنؤمن لبشرين مثلنا يريدون لموسى وهارون عليهما السلام وقومهما خاضعون أذلاء مذللون لنا يخدموننا ويطيعوننا في كل ما نأمرهم به فكيف نترك ذلك، ونصبح نحن مطيعين لرجلين منهم فكان هذا الاستعلاء عن الحق سببًا في هلاكهم أي في هلاك فرعون وقومه.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه

الآية، موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ يقول: بحججنا ﴿ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ عن اتباعها، والإيمان بما جاءهم به من عند الله ﴿ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ، ومن في بلادهم من بنى إسرائيل وغيرهم بالظلم، قاهرين لهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، وقوله: ﴿ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ قال: علَوا على رُسُلهم ، وعصَوا ربهم، ذلك علوّهم، وقرأ: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ ﴾ [القصص: ٨٣] الآية.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فقال فرعون وملؤه: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ فنتبعهما ﴿وَقَوۡمُهُمَا ﴾ من بني إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ يعنون: أنهم لهم مطيعون متذللون، يأتمرون لأمرهم، ويدينون لهم، والعرب تسمي كل من دان لملك: عابدا له. ومن ذلك قيل لأهل الحيرة: العباد؛ لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: قال فرعون: ﴿ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾... الآية، نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع ذلك، وذلك حين أتوهم بالرسالة، وقرأ: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس: ٧٨] قال: العلوّ في الأرض.

وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يقول: فكذّب فرعون وملؤه موسى وهارون، فكانوا ممن أهلَكَهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأخاه هارون إلى فرعون وملئه، بالآيات والحجج الدامغات، والبراهين القاطعات، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما، والانقياد لأمرهما، لكونهما بَشرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر، تشابهت قلوبهم، فأهلك الله فرعون وملأه، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين، وأنزل على موسى الكتاب -وهو التوراة- فيها أحكامه وأوامره ونواهيه، وذلك بعد ما قصم الله فرعون والقبط، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

❁ ❁ ❁

س: أين هذه الربوة التي آوى الله ﷻ إليها مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وابنها ﷺ؟

ج: لأهل العلم في تحديد مكانها أقوال:

أحدها: أنها دمشق.

الثاني: أنها أرض الرملة من فلسطين.

الثالث: أنها ربوة من رُبا مصر.

الرابع: أنها بيت المقدس.

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ولقد آتينا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التوراة وأرسلناه بها إلى قومه لعلهم يوفقون ويرشدون إلى طريق الحق والصواب والإيمان والهدى،

وبعده جلعنا عيسى بن مريم عليه السلام وأمه مريم عليها السلام حجة على قومهما ودلالة على قدرتنا على كل شيء وعلى إيجاد بشرٍ من غير أبن ودلالة على وحدانيتنا وصيرناهما ووجهناهما إلى مكان مرتفع من الأرض حسن في سُكناه ألا وهي ربوةَ يُستقر عليها ويعيش المرء عليها فقد كانت خصبة ذات زروع وثمار ونخيل وغير ذلك وكان بها ماء جار ظاهر على وجه الأرض أيضًا تيسيرًا على من سكنها وتيسيرًا على مريم عليها السلام إذ سكنتها كما قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم: ٢٥].

وبنحو هذا قل أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل، ويعملوا بما فيها، ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ﴾ يقول: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب.

وقال رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ﴾ يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يأوي إليه، إذا صار إليه؛ وعلى مثال أفعلته فهو يُؤْويه. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبۡوَةٖ﴾ يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله، ولذلك قيل للرجل ، يكون في رفعة من قومه ، وعزّ وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه، وفيها لغتان: ضمّ الراء وكسرها إذا أريد بها الاسم، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل: رَبَا رَبْوة.

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة ، وآوَى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرَّمْلة من فلسطين.

وقال آخرون: هي دمشق.

وأورد قولًا: آخر فيه نظر وهو إنها ربوة من رُبا مصر.

وقولًا رابعًا: أنها بيت المقدس.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين.

وقال:

وقوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى، أنها أرض منبسطة وساحة، وذات ماء ظاهر، لغير الباطن، جار.

وقال آخرون: عُني بالقرار الثمار.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى: ﴿ذَاتِ قَرَارٖ﴾ وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار لما فيها من الثمار، ومن أجل ذلك، يستقرّ فيها ساكنوها، فلا وجه له نعرفه. وأما ﴿وَمَعِينٖ ٥٠﴾ فإنه مفعول من عِنْته فأنا أعينه، وهو مُعين، وقد يجوز أن يكون فعيلا من مَعَن يمعن فهو معين من الماعون، ومنه قول عَبيد بن الأبرص:

وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌ ... أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُهُوبُ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ

﴿لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣].

ثم قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه السلام، أنه جعلهما آية للناس: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى.

وأورد آثارًا ثم قال:

وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العَوْفِيّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾، قال: المعين الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤].

وكذا قال الضحاك، وقتادة: ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾: هو بيت المقدس. فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى. والقرآن يفسر بعضه بعضا. وهو أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

ج: هذا والله أعلم أمر الله عز وجل لجميع الرسل الذين أرسلهم إلى خلقه فقد قال لهم يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، أي من الحلال الطيب الذي أحللته

لكم وطيبته لكم، واعملوا أعمالًا صالحة تقربكم من مرضاتي بأعمالكم وأقوالكم عليه.

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: **"أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيلُ السفر أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك».**

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي ملتكم ملةً واحدة، وهي الإسلام وإخلاص العمل لله والتوحيد فالزموا ملتكم، فهي ملة واحدة للرسل كلهم، وأنا ربكم فاتقون واخشوني واعملوا بطاعتي ومرضاتي واجتنبوا معصيتي والشرك بي.

ولكن ماذا كان، كان أن افترقوا واختلفوا واتبعت كل فرقةٍ منهم كتابًا مختلفًا أو جزءًا من الكتاب وترك جزءس آخر منه واتبع بعضهم أساطير اكتتبوها، وفرح كل فريق منهم بما هو عليه من الغي والضلال، فاتركهم يا رسول الله بعد أن نصحتهم وبينت لهم- اتركهم في ضلالهم وغيِّهم يتمادون. أفيظنون أن ما هم فيه من المال والبنين، من السعة في المال وكثرة البنيين، أفيظنون أن هذا خيرٌ لهم أفيظنون أننا بذلك نحبهم ونكرمهم، كلا، بل هذا استدارج لهم، وهم لا يشعرون فلا يتصور أن الشخص يشرك ويعصى ويرتكب الكائر ويكرم من أجل هذا، إنما هذا، عياذًا بالله استدراج.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يأمر تعالى عباده المرسلين، عليهم الصلاة والسلام أجمعين، بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عَون على العمل الصالح، فقام الأنبياء، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بهذا أتم القيام. وجمعوا بين كل خير، قولا وعملا ودلالة ونصحًا، فجزاهم الله عن العباد خيرًا.

قال الحسن البصري في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ قال: أما والله ما أُمِرُوا بأصفركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حامضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الصحيح: «**ما من نبي إلا رعى الغنم**». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**».

وفي الصحيح: أن داود، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان يأكل من كسب يده .

وفي الصحيحين: «**إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب القيام إلى الله قيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سُدسَه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يَفر إذا لاقى**».

وذكر بعض الأحاديث ثم قال:

وقوله: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ أي : دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد، وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ ، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة «الأنبياء»، وأن قوله: ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ ﴾ أي: الأمم الذين بُعث إليهم الأنبياء،

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ أي: يفرحون بما هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون؛ ولهذا قال متهددًا لهم ومتواعدًا: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ أي: في غيهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾ أي: إلى حين حينهم وهلاكهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧﴾ [الطارق: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣].

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ يعني: أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا؟! كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾ [سبأ: ٣٥]، لقد أخطؤوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاء؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝٤٥﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]، وقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝١٦﴾ [المدثر: ١١-١٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ۝٣٧﴾ [سبأ: ٣٧] والآيات في هذا كثيرة.

قال قتادة في قوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ قال: مُكِرَ والله بالقوم في أموالهم وأولادهم، يا ابن آدم، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المعنى: هذا الذى تقدم ذكره هو دينكم وملتكم فالتزموه. والامة هنا الدين، وقد تقدم محامله ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٢٢] أي على دين.

وقال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الاية تقوى أن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ إنما هو مخاطبة لجميعهم، وأنه بتقدير حضورهم. وإذا قدرت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه الاية واتصال قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾. أما أن قوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ ﴾ وإن كان قيل للانبياء فأممهم داخلون فيه بالمعنى، فيحسن بعد ذلك اتصال. ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ أي افترقوا، يعني الامم، أي جعلوا دينهم أديانا بعد ما أمروا بالاجتماع. ثم ذكر تعالى أن كلا منهم معجب برأيه وضلالته وهذا غاية الضلال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿زُبُرٗاۖ ﴾ يعنى كتبا وضعوها وضلالات ألفوها، قاله ابن زيد. وقيل: إنهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الانجيل، ثم حرف الكل وبدل، قاله قتادة. وقيل: أخذ كل فريق منهم كتابا آمن به وكفر بما سواه. و﴿زُبُرٗاۖ ﴾ بضم الباء قراءة نافع، جمع زبور. والاعمش وأبو عمرو بخلاف عنه (زبرا) بفتح الباء، أي قطعا كقطع الحديد، كقوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ ﴾ [الكهف: ٩٦]. ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾ أي فريق وملة. ﴿بِمَا

﴿لَدَيۡهِمۡ﴾ أي عندهم من الدين. ﴿فَرِحُونَ ٥٣﴾ أي معجبون به. وهذه الاية مثال لقريش خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم في شأنهم متصلا بقوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ أي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم، ولا يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم، فلكل شئ وقت. والغمرة في اللغة ما يغمرك ويعلوك، وأصله الستر، ومنه الغمر الحقد لانه يغطى القلب. والغمر الماء الكثير لانه يغطى الارض. وغمر الرداء الذى يشمل الناس بالعطاء، قال:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

المراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة. ودخل فلان في غمار الناس، أي في زحمتهم. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤﴾ قال مجاهد: حتى الموت، فهو تهديد لا توقيت، كما يقال: سيأتي لك يوم.

أما الطبري رحمه الله: فذهب إلى أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ موجه إلى عيسى عليه السلام، وبنى تفسيره للآيات على ذلك، وأراه في ذلك قد ابتعد عن الصواب حيث يفهم من حديث أنه قصر الخطاب على عيسى عليه السلام.

قال رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام، ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنَّا أذاكم، وكما قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، وهو رجل واحد.

وقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ يقول: إني بأعمالكم ذو علم، لا يخفى عليّ منها شيء، وأنا مجازيكم بجميعها، وموفِّيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.

وقال رحمه الله:

﴿ وَإِنَّ ﴾ هذه على الاستئناف، والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب؛ لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ مبتدأ، فقوله: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ ﴾ مردود عليه عطفا به عليه، فكان معنى الكلام: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، وقلنا: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. وقيل: إن الأمة الذي في هذا الموضع: الدِّين والملة.

وقوله: ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ ﴾ يقول: وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ ﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿ زُبُرٗاۖ ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق: ﴿ زُبُرٗاۖ ﴾ بمعنى جمع الزبور. فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء: فتفرّق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة، دينهم الذي أمرهم الله بلزومه ﴿ زُبُرٗاۖ ﴾ كتبا، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان به الفريق الآخر، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة، وكذّبوا بحكم الإنجيل والقرآن، وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم، وكذبوا بحكم الفرقان.

ثم قال الطبري:

وقال آخرون من أهل هذه القراءة: إنما معنى الكلام: فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذهبهم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ ﴾ قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب، كلّ معجبون

برأيهم، ليس أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الشام ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبَرٗاۖ ﴾ بضم الزاي وفتح الباء، بمعنى: فتفرّقوا أمرهم بينهم قِطَعا كزُبَر الحديد، وذلك القطع منها واحدتها زبرة، من قول الله: ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ فصار بعضهم يهودا ، وبعضهم نصارى.

والقراءة التي نختار في ذلك قراءة من قرأه بضم الزاي والباء؛ لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك؛ لأن الزبُر هي الكتب، يقال منه: زبرت الكتاب: إذ كتبته.

فتأويل الكلام: فتفرّق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم دينهم بينهم كتبًا كما بيّنا قبل.

وقوله: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ يقول: كل فريق من تلك الأمم ، بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب ، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحقّ سواه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ ﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطّعوا أمرهم بينهم زبرا، ﴿ فِي غَمۡرَتِهِمۡ ﴾ في ضلالتهم وغيهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾، يعني: إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ ﴾ يقول تعالى ذكره: أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من

مال وبنين ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ ﴾ يقول: نسابق لهم في خيرات الآخرة، ونبادر لهم فيها. و«ما» من قوله: ﴿ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾ نصب؛ لأنها بمعنى الذي ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يقول تعالى ذِكْره تكذيبا لهم: ما ذلك كذلك، بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدّهم به من ذلك إنما هو إملاء واستدراج لهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

ج: هذه أوصاف لأهل الفضل والصلاح وبيان لبعض أعمالهم متضمنة ثناءًا من الله ﷻ عليهم، يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ خائفون خشية من ربهم ﷻ خائفون رهبة منه وهيبةً وإجلالًا له، خائفون كذلك من عذابه وعقابه ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قد صدقوا بكل آيات الله ﷻ وانتفعوا بها وامتثلوها آيات الكتاب العزيز الآيات الشرعية الدينية، والآيات الكونية القدرية صدقوا بكل ذلك، كما قال تعالى في شأن مريم عليها السلام: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ [مريم: ١٢] أي صدقت بآيات الكونية القدرية، وأيقنت أن الله ﷻ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون وكذا أيقنت بأوامر الله ونواهيه وامتثلت ما أُمرت به وانتهت عما نهيت عنه.

وهكذا فأهل الإيمان كذلك استدلوا بآيات الله الكونية القدرية على وحدانيته وعلى قدرته، استدلوا بجريان الشمس والقمر واختلاف الليل والنهار والأرض وما فيها والسموات على قدرة الله ووحدانيته فأيقنوا أن الله

على كل شيء قديرٍ وأنه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

وكذا امتثلوا ما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه فكانوا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ ﴾.

لم يشركوا بالله ﷻ ولم يعبدوا معه إلهًا آخر، بل عبد الله وحده لا شريك له وأخلصوا له الوجه والعمل، وكذا أدّوا م افترضه الله عليهم فرضًا ونفلًا، فأدوا الزكاة المفروضة وأتبعوها بنوافل الصدقات، وكذا الصلوات المفروضة واتبعوها بنوافل الصلوات وكذا سائر الأعمال من صيام وحج وذِكر وشكرٍ ودعاء، وإصلاح بين الناس وأعمال برٍّ وغير ذلك من أنواع التبرر فيعلون كل ذلك وقلوبهم خائفة من لقاء الله ﷻ فيقربون بالقربات ويسألون الله القبول كما في حديث عائشة رضي الله عنها، وإن كان فيه مقال يسيرٌ وسيأتي إن شاء الله قريبًا.

وأورد البعض معنى آخر لقوله: ﴿يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ على قراءة: ﴿يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي يفعلون ما فعلوا أب أنهم إذا أذنبوا ذنبًا ووقعوا في خطأ لضعفهم فهم بشر، وقد خلق الإنسان ضعيفًا، إذا فعلوا شيئًا من ذلك خافوا الله وخافوا العادة فلم يصروا على مافعلوا بل سألوه المغفرة والرحمة فقد أيقنوا بلقاء الله، وأيقنوا أنهم راجعون إلى الله ﷻ.

فهؤلاء الذين ذكُرت صفاتهم يسارعون في أعمال البر ويتسابقون إليها فيصلون الصلوات في أوقاتها، بل في أول وقتها في الصلوات التي يستحب لها ذلك ويبادرون بإخراج الزكوات عند حلول وقتها ويؤدون الحج فور استطاعتهم إليه سبيلان ويبادرون بالصلح مع المسلمين، وبالإصلاح بينهم.

وفي كل أنواع الخير ترى لهم سبقًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ ﴾.

فهذه بعض صفاتهم:

ثم أخبرهم الله ﷻ برحمته بهم ولطفه ورفقه بهم إذ قال: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي لا تحمل نفسًا فوق طاقتها، فلا يكلف العبد إلا بما يطيق ويستطيع ففي الآية الكريمة رفع للحرج عنهم فمن لم يستطع الصلاة قائمًا صلى جالسًا ومن لم يستطع الصلاة جالسًا صلى مضطجعًا ومن كان ذا عي وعرج ومرض سقط عنه الجهاد جهاد النفس ومن كان فقيرًا فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها، وهكذا ففي الآية رفع للحرج عن هذه الآية، وعن هؤلاء الذين ذكرت صفاتهم.

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ فحاصل معناه أن أعمال هؤلاء وغيرهم وأقوالهم كل ذلك يكتب في كتاب الاعمال ويرونه يوم القيامة ينطق عليهم الكتاب بالحق- بلا زيادة ولا نقص فكل خير عملوه وكل شيء عملوه مثبت في صحائفهم كما قال تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

وكما قال: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢].

أما قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ أي لا يبخسون شيئًا من حقوقهم، ولا يُهضموا شيئًا حق حسناتهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادّون في طلب مرضاته ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يقول:

والـذين هـم بآيـات كتابـه وحججـه مصـدقون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يقول: والذين يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لـوثَن، ولا لصنم، ولا يُراءون بها أحدا مـن خلقـه، ولكـنهم يجعلـون أعمـالهم لوجهه خالصا، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ والـذين يعطـون أهـل سُـهْمان الصدقة مـا فـرض الله لهـم في أمـوالهم. ﴿ مَآ ءَاتَواْ ﴾ يعنـي: مـا أعطـوهم إيـاه مـن صدقة، ويؤدّون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلهـا ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ يقـول: خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عـذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلـى الله لـذلك، كمـا قـال الحسـن: إن المـؤمن جمـع إحسانا وشفقة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن أنه كـان يقـول: إن المـؤمن جمـع إحسـانًا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا، ثم تلا الحسـن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ إلـى ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ وقـال المنـافق: إنمـا أوتيته على علم عندي.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قال: يعطـون مـا أعطـوا، وينفقـون مـا أنفقـوا، ويتصـدقون بمـا تصـدقوا وقلـوبهم وجلـه، اتقـاء لسخط الله والنار.

قال الطبري:

وعلى هذه القراءة أعني على ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ قرأة الأمصار، وبه رسـوم

مصاحفهم وبه نقرأ، لإجماع من القراء عليه، ووفاقه خط مصاحف المسلمين.

وأورد الطبري حديث عائشة أنها قالت: يا رسول الله «الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة» أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «**لا يا ابنة أبي بكر -أو يا ابنة الصديق- ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**».

وقال الطبري:

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾.

قال: والخيرات: المخافة والوجل والإيمان، والكفّ عن الشرك بالله، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات،

قوله: ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ كان بعضهم يقول: معناه سبقت لهم من الله السعادة، فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها.

وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون. وتأوّله آخرون: وهم من أجلها سابقون.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام؛ لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا

حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك، إلى تحويل معنى "اللام" التي في قوله: ﴿ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾ إلى غير معناها الأغلب عليها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٢ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفسا إلا ما يسعَها ويصلح لها من العبادة؛ ولذلك كلَّفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع.

﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشرّ، ينطق بالحقّ ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٢ ﴾ يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا، لا زيادة عليه ولا نقصان، ونحن موفو جميعهم أجورهم، المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٢ ﴾ يقول: وهم لا يظلمون، بأن يزاد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جُرْمه، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عمَّا له من الثواب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ ﴾ أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ ﴾ أي: يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، كقوله تعالى إخبارًا عن مريم، عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ [التحريم: ١٢]، أي: أيقنت أن ما كان فإنما هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن

كان أمرًا فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيرًا فهو حق، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ ﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له ولا كفء له.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ ﴾ أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.

وأورد ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها قالت: يا رسول الله! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق؛ ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عَزَّ وَجَلَّ**» وفي رواية للترمذي بنحوه. وقال: «**لا يابنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا..﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا: أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، أي: إلا ما تطيق حمله والقيام به، وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ يعني: كتاب الأعمال، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: لا يبخسون من الخير شيئا، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم بل قلوب هؤلاء المشركين مغمورة في الضلال والكفر والغفلة عن هذا القرآن وعن الذكر الحكيم، وعن الإيمان والتوحيد وعن الخصال الطيبة والفعال الحميدة التي تحلى بها وعملها أهل الإيمان الذين ذكرت أوصافهم من قبل أم قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ فحاصل معناه أن هؤلاء المكذبين المشركين كتب الله ﷻ عليهم أعمالًا سيئة غير الشرك به لم يكونوا عملوها وسيعملونها بعد أي فسيعيشوا حتى يعملوها كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده إن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

أما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فحاصل معناه أي أهل الكفر وأهل النعم منهم أهل الله الثراء أو المال يتقلبون في البلاد عملًا بمعصية الله ﷻ فيأتيهم العذاب بغتةً، فإذا بهم يصيحون ويضجون ويصرخون ويطلبون الإمهال فلا يمهلوا يسمع لهم الجؤار وهو الصوت المرتفع العالي ولكن لا مغيث ولا مجيب، وقد قال بعض أهل العلم إن ذلك كان يوم بدر إذ الله ﷻ أخزى أهل الكفر والشرك به وأكرم أهل الإيمان وأعزهم ونصرهم.

أما أهل الكفر فكما تقدم فقد خزاهم الله وأبعدهم ولم يُجبهم مجيب ولم يُصرخهم مستصرخ ولم يغثهم مغيث فلا ناصر ينصرهم ولا شافع يشفع لهم فقد كانت آياتي في الدنيا تتلى عليكم فكلما جاءهم شيء من كتاب الله ﷻ كذبوا به وأنكروه وازدادوا غيًّا وضلالًا وكلما رأوا معجزة كذبوا بها.

كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر: ٢].

فهؤلاء القوم كانوا إذا تليت عليهم الآيات ازدادوا كُفرًا وضلالًا، وغواية ونفورًا هذا شأنهم عند تلاوة الآيات عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥] أي أن الآيات إذا أنزلت ازدادوا تكذيبا ونفورًا فمن ثمَّ ازدادوا غيًّا وضلالًا وكفرًا.

أما قوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أن قوله مستكبرين به عائدٌ على الحرام، أي أن أهل مكة يشركون بالله ﷻ ويستكبرون بوجود الحرم في بلادهم، فيقولون نحن أهل الحرم لن نُهزم ولن نُغلب، ويتعالون على الناس، ومع ذلك فهم لا يصلون في الحرام ولا يوحدون الله فيه بل اسكبروا به على الناس وهجروه في ذات الوقت وما كان حظهم إلا السمر فيه ليلًا للقيل والقال.

الثاني: أن نزول القرآن ما زادهم إلى كبرًا ونفورًا وسمرًا بالليل للقيل والقال في شأن القرآن مع قولهم هجرًا من القول في شأن، أي باطلًا من القول في شأنه.

فلما نزل هذا القرآن كذبوا به فبطروا الحق بتكذيبهم وغمطوا الناس، بخسوهم حقوقهم، بخسوا أهل الإيمان حقوقهم ما آمنوا فوصفوهم بأقبح الأوصاف، ووصفوا القرآن كذلك بسيء الأوصاف، فمن قال إنه سحر ومن قال إنه قول شاعر، ومن قائل إن قول كاهن ومن قائل إنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلًا إلى غير ذلك من الأوصاف السيئة.

فعلى ذلك فقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي مستكبرين بسبب القرآن أي أنهم استكبروا على الإيمان به وكذبوه واتخذوه محلًا للسمر والتفكه) وقالوا فيه الهجر عن القول:

الثالث: أن قوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي برسول الله ﷺ استكبروا عن الإيمان به حين أرسل إليهم وذلك بتكذيبهم له ونفورهم عنه، واتخذوا ذكر رسول الله ﷺ مجالًا للسخرية والاستهزاء في مجالسهم، فملؤوا مجالسهم بالفكاهات وشيء الأوصاف الهذا الرسول الكريم، وقالوا فيه هجرًا من القول أيضًا، والله أعلم.

وبنحو ما ذكر في تفسير الآيات قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ من القرآن.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝٦٣﴾ يقول تعالى ذكره:

ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي. ﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ يقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله، وأهل التقوى والخشية له.

وأورد من طريق: عن حميد قال: سألت الحسن عن قول الله ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قال: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قال: لم يكن له بد من أن يستوفي بقية علمه، ويصلي به.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ ﴾ قال: المترفون: العظماء ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ يقول: فإذا أخذناهم به جأروا، يقول: ضجُّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا.

قال: وقوله: ﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ يقول: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله. ﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون، ولا يخلصكم منه شيء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه، بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم.

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: آيات كتاب الله، يقول: كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذّبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ يقول: مستكبرين بحرم الله يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد، لأنا أهل الحرم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ سَٰمِرًا ﴾ يقول: تَسْمُرون بالليل. ووحد قوله: ﴿ سَٰمِرًا ﴾ وهو بمعنى السُّمَّار؛ لأنه وضع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل، فوحد لذلك. وقد كان بعض البصريين يقول: وحد ومعناه الجمع، كما قيل: طفل في موضع أطفال. ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك، قول الشاعر:

مِنْ دُونِهِم إن جِئْتَهُم سَمَرًا   عَزْفُ القِيَانِ وَمَجْلِسٌ غَمْرُ

فقال: سمرًا لأن معناه: إن جئتهم ليلًا وهم يسمرون وكذلك قوله: ﴿سَٰمِرًا﴾.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن سعيد بن جبير: ﴿سَٰمِرًا﴾ قال تسمرون بالليل بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة ربما لا يمدرون.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿ تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ بفتح التاء وضم الجيم. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك

وجهان من المعنى: أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت، أو رسول الله ﷺ ورفضه. والآخر: أن يكون عنى أنهم يقولون شيئا من القول كما يهجر الرجل في منامه، وذلك إذا هذى؛ فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول، وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره. وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل.

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ قال: الهَذَيَان؛ الذي يتكلم بما لا يريد، ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري. قال: كان أُبيّ يقرؤها: ﴿ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾. وقرأ ذلك آخرون: ﴿ سَٰمِرًا تُهْجِرُونَ ﴾ بضم التاء وكسر الجيم. وممن قرأ ذلك كذلك من قرّاء الأمصار: نافع بن أبي نعيم، بمعنى: يفحشون في المنطق، ويقولون الخنا، من قولهم: أهجر الرجل: إذا أفحش في القول. وذكر أنهم كانوا يسُبُّون رسول الله ﷺ.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن في قوله: ﴿ سَٰمِرًا ﴾ تهجرون رسولي.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال منكرًا على الكفار والمشركين من قريش: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ ﴾ أي: غفلة وضلالة ﴿ مِّنْ هَٰذَا ﴾ أي: القرآن الذي أنزله [الله تعالى] على رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾: قال الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ ﴾ أي: سيئة من دون ذلك، يعني: الشرك، ﴿ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قال: لا بد أن يعملوها. كذا روي عن مجاهد، والحسن، وغير واحد.

وقال آخرون: ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي: قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة، لتحق عليهم كلمة العذاب.

ورُوِي نَحو هذا عن مقاتل بن حيَّان والسُّدِّيّ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهو ظاهر قوي حسن. وقد قدمنا في حديث ابن مسعود: «**فوالذي لا إله غيره، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها**».

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ يعني: حتى إذا جاء مترفيهم -وهم السعداء المنعمون في الدنيا- عذابُ الله وبأسه ونقمته بهم ﴿ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون، كما قال تعالى: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ ﴾[المزمل: ١١-١٣]، وقال تعالى: ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ ﴾ [ص: ٣].

وقوله: ﴿ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ أي: لا نجيركم مما حل بكم، سواء جأرتم أو سكتُّم، لا محيد ولا مناص ولا وَزَرَ لزم الأمر ووجب العذاب.

ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: إذا دعيتم أبيتم، وإن طُلبتم امتنعتم؛ ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

وقوله: ﴿ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾: في تفسيره قولان، أحدهما: أن مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه، استكبارًا عليه واحتقارًا له ولأهله، فعلى هذا الضمير في ﴿ بِهِۦ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه الحرم بمكة، ذموا لأنهم كانوا يسمرون بالهُجْر من الكلام.

والثاني: أنه ضمير القرآن، كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام: «إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة» إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة.

والثالث: أنه محمد ﷺ، كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة، من أنه شاعر، أو كاهن، أو ساحر، أو كذاب، أو مجنون. وكل ذلك باطل، بل هو عبد الله ورسوله، الذي أظهره الله عليهم، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء.

وقيل: المراد بقوله: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ أي: بالبيت، يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياؤه، وليسوا بهم، كما قال النسائي في التفسير من سننه.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ
فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ
كَٰرِهُونَ ٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن
فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١ أَمۡ
تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤ ﴾

[المؤمنون: ٦٨-٧٤].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ - جِنَّةُۢ - ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ - أَتَيْنَٰهُم - بِذِكْرِهِمْ - خَرْجًا - فَخَرَاجُ رَبِّكَ -عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾	يتفكروا في القرآن ويعقلون معانيه
﴿جِنَّةُۢ﴾	جنون
﴿ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾	وافقهم الحق في كل ما يريدون وقال عددٌ من أهل العلم إن الحق هو الله ﷻ أي رافقهم الله في كل ما يريدون ويهوون
﴿أَتَيْنَٰهُم﴾	أتيناهم بما فيه شرفٌ لهم وعزٌّ لهم
﴿بِذِكْرِهِمْ﴾	أتيناهم بما فيه تذكيرٌ لهم وبيان لهم
﴿خَرْجًا﴾	أجرًا
﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾	فرزق ربك، وأجر ربك وثواب ربك
﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾	عن طريق الحق لمنحرفون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ
﴿٧٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أفلم يتفكر هؤلاء المشركون فيما أُنزل عليهم من قول الله ﷻ، أولم يتفكروا في هذا القرآن الكريم ويتعقلوا آيات أم أنهم قد جاءهم من القول من الرسل ما لم يأت أبارهم الأولين فهم لذلك منكرون فقوله: ﴿أَمۡ جَآءَهُم﴾ تحتمل أوين أحد هي أن تكون استفهامية فيكون المعنى أفقد جاءهم من الرسل ما لم يأت أباءهم الأولين (بمعنى الأقدمين) فإذا كان كذلك فقد أخطأوا فقد جاءت رسلٌ قبل رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] ثم إنهم يوفون عددًا من الرسل كإبراهيم عليه السلام وموسى وعيسى عليهما السلام.

فعليه يكون المعنى استفهام للتوبيخ والمراد قد جاءتكم رسلٌ من قبلي فلم تنكرون أن أكون رسولاً وقد جئتكم بالبنيات من ربكم.

والثاني: أن تكون ﴿أَمۡ﴾ بمعنى بل، ويكون المعنى بل جاءهم من الرسل والكتب، رسول وكتاب أم الرسول فهو محمد ﷺ وأما الكتاب فهو القرآن فيكون المعنى قد جاءهم ما لم يأت أباءهم الأولين فكان من اللائق، وقد تفضل الله عليهم بإرسال رسول إليهم، ولم يرسله لأبائهم كان من اللائق أن يشكروا هذه النعمة من الله ويبادروا بالإيمان والتصديق، فقد قالوا من قبل لو أن عندنا ذِكرًا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين.

وكانوا كما قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]. ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦﴾ [يس: ٦].

أما قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ فالاستفهام على بابه،

والمعنى أفيجهلون رسول الله من هو فمن ثمَّ ينكرونه كلا بل إنهم يوفونه ويعرفون صدقه وأمانته ونسبه وكريم خلقه، ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ أفيقولون عنه مجنون كلا وحاشاه بل قد جاءهم بالحق، وكل ما جاءهم به ودعاهم إليه حق ولكن أكثرهم للحق وللإذعان للحق كارهون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟ ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾؟ يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون ﴿أَمْ﴾ في هذا الموضع بمعنى: بل، فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه، إذ لم يكن فيمن سلف من آباءهم ذلك.

وقوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمدًا، وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون، يقول: فينكروا قوله، أو لم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول جلّ ثناؤه: فكيف يكذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة؟! ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ يقول: أيقولون بمحمد جنون، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول؟! ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بَيّن، وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحقّ الذي لا تخفى

صحته على ذي فطرة صحيحة، فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟

وقوله: ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠ ﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحقّ كارهون ولأتباع محمد ساخطون؛ حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم، وتدبرهم له وإعراضهم عنه، مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف، لا سيما وآباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية، حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله إليهم بقبولها، والقيام بشكرها وتفهمها، والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، ورضي عنهم.

وقال قتادة: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ إذًا والله يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه، ولكنهم أخذوا بما تشابه، فهلكوا عند ذلك.

ثم قال منكرا على الكافرين من قريش: ﴿ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ ﴾ أي: أَفَهُمْ لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم، أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهتة فيه؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته.

وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته، وكانوا بعد كفارًا لم يسلموا، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك.

وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ يحكي قول المشركين عن النبي ﷺ أنه تقوَّل القرآن، أي: افتراه من عنده، أو أن به جنونا لا يدري ما يقول. وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن، فإنه قد أتاهم من كلام الله ما لا يُطاق ولا يُدافع، وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله، فما استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين؛ ولهذا قال: ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ يحتمل أن تكون هذه جملة حالية، أي: في حال كراهة أكثرهم للحق، ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ يعني القرآن وهو كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] وسمي القرآن قولا لأنهم خوطبوا به ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ فأنكروه وأعرضوا عنه وقيل: ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى بل أي بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به فلذلك أنكروه وتركوا التدبر له وقال ابن عباس: وقيل: المعنى أم جاءهم أمان من العذاب وهو شيء لم يأت آباءهم الأولين فتركوا الأعز.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح فيقولون: الخير أحب إليك أم الشر أي قد أخبرت الشر فتجنبه وقد عرفوا رسولهم وأنه من أهل

الصدق والأمانة ففي اتباعه النجاة والخير لـولا العنت قال سفيان: بلى ! قد عرفوه ولكنهم حسدوه !

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ ﴾ أي أم يحتجون في ترك الإيمان به بأنه مجنون فليس هو هكذا لزوال أمارات الجنون عنه ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ يعني القرآن والتوحيد الحق والدين الحق ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ أي كلهم ﴿ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ حسدا وبغيا وتقليدا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: أن الحق هو الله ﷻ فيكون المعنى، ولو وافقهم الله ﷻ في كل ما يريدون ويهدون لفسدت السموات والأرض وذلك لأن، أهواءهم مختلفة وأراءهم متعارضة وشهواتهم متناقضة، ومن ثمَّ لو وافقهم الله في كل ما يريدون لفسدت السموات والأرض وفسد كل شيء فيها، لأن السموات والأرض قامتا بالحق.

والوجه الثاني: أن الحق هو التشريع الذي أنزله الله فيكون المعنى، ولو جاءت الأحكام وتفسير الآيات وفق ما يريدون ويهوون لفسدت السموات والأرض من فيهن، وذلك أيضًا لاختلافهم وتناقضهم وتعدد أرائهم.

أما قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ ففي ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ أيضًا وجهان:

أحدهما: شرفهم وعزهم، أي قد أتيناهم بما فيه إن اتبعوه شرفٌ لهم وعزٌّ

لهم ولكنهم هذا الشرف موصونة عن هذا العزِّ معرضون، ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ أي شرف لك ولقومك.

والثاني: أن المراد ﴿بِذِكۡرِهِمۡ﴾ بما فيه بيانٌ لهم بأحكام الله ﷻ وشرائعه، وما هو حق، وما هو باطل، فأعرضوا عن هذا البيان وعن هذا القرآن، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق.

وقال وقوله: ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١ ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرفهم؛ وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم، لأنه نزل على رجل منهم، فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك نظير قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ وهذان القولان متقاربا المعنى؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله ﷺ وقومه وشرف لهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ قال مجاهد، وأبو صالح والسدي: الحق هو الله عز وجل، والمراد: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: لفساد أهوائهم واختلافها، كما أخبر عنهم في قولهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ثم قال: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠] وقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ٥٣] ، ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، وتدبيره لخلقه تعالى وتقدس، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

ثم قال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يعني: القرآن ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ هنا هو الله سبحانه وتعالى قاله الأكثرون منهم مجاهد و ابن جريج وأبو صالح وغيرهم وتقديره في العربية: ولو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل: هو مجاز أي لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعا مجازا أي لو كانوا يكفرون بالرسل ويعصون الله عز و جل ثم لا يعاقبون ولا يجازون على ذلك إما عجزا وإما جهلا لفسدت السموات والأرض وقيل: المعنى ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ آلهة مع الله تعالى لتنافت الآلهة وأراد بعضهم ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير وفسدت السموات والأرض وإذا فسدتا فسد من فيهما وقيل: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ

﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي بما يهواه الناس ويشتهونه لبطل نظام العالم لأن شهوات الناس تختلف وتتضاد وسبيل الحق أن يكون متبوعا وسبيل الناس الانقياد للحق وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ إشارة إلى من يعقل من ملائكة السموات وإنس الأرض وجنها الماوردي وقال الكلبي: يعني وما بينهما من خلق وهي قراءة ابن مسعود لفسدت السماوات والأرض وما بينهما فيكون على تأويل الكلبي وقراءة ابن مسعود محمولا على فساد من يعقل وما لا يعقل من حيوان وجماد وظاهر التنزيل فير قراءة الجمهور يكون محمولا على فساد ما يعقل من الحيوان لأن ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد فعلى هذا ما يكون من الفساد يعود على من في السموات من الملائكة بأن جعلت أربابا وهي مربوبة وعبدت وهي مستعبدة وفساد الإنس يكون على وجهين: أحدهما: باتباع الهوى وذلك مهلك الثاني: بعبادة غير الله وذلك كفر وأما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه التبع لأنهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بما فيه شرفهم وعزهم قاله السدي وسفيان وقال قتادة: أي بما لهم فيه ذكر ثوابهم وعقابهم ابن عباس: أي ببيان الحق وذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أفأعرض هؤلاء المشركون عن الحق، وعن الإيمان، وعن اتباعك فيما تدعوهم إليه من أمر الله ﷻ لكونك تسأهلم على ذلك أجرصا، كلا فما سألتهم يا رسول الله أجرًا على إيمانهم وعلى ما جئتهم

بل، بل ثواب الله وعطاءه لك وجزاؤه لك خير من أي أجرٍ آخر من البشر، وربك خير من رزق وخيرٌ من أعطى وتفضل، وإنك يا رسول الله العلي الحق وتدعوهم إلى الطريق المستقيم الذي يقودهم إلى جنة الله ﷻ وإلى مرضاته وإن أهل الكفر عن هذا الطريق المستقيم لمنحرفون، عادلون عنه، أي منحرفون عنه متنكبون عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا، يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ؛ ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ فأجر ربك على نفاذك لأمره، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك، ولم يسألهم ﷺ على ما أتاهم به من عند الله أجرا، قال لهم كما قال الله له، وأمره بقيله لهم: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى: ٢٣] وإنما معنى الكلام: أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم، مستكبرين بالحرم، فخراج ربك خير.

وقوله: ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢ ﴾ يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا.

وقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣ ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين لا يصدّقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة،

ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة؛ ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ يقول: عن محجة الحق وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده العادلون. يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكب عنه: أي عدل عنه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾: قال الحسن: أجرا. وقال قتادة: جعلا ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي أنت لا تسألهم أجرة ولا جعلا ولا شيئا على دعوتك إياهم إلى الهدى، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه، كما قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [سبأ: ٤٧]، وقال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]، وقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: ٢٠، ٢١].

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: لعادلون جائرون منحرفون. تقول العرب: نكب فلان عن الطريق: إذا زاغ عنها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أم تسألهم رزقا فرزق ربك خير ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي ليس يقدر أحد أن يرزق مثل رزقه ولا ينعم مثل إنعامه وقيل: أي ما يؤتيك الله من الأجر على طاعتك له والدعاء إليه خير من عرض الدنيا وقد عرضوا عليك أموالهم حتى تكون كأغنى رجل من قريش فلم تجبهم إلى ذلك قال معناه الحسن والخرج والخراج واحد إلا أن اختلاف الكلام أحسن قاله الأخفش وقال أبو حاتم: الخرج الجعل والخراج العطاء المبرد: الخرج المصدر والخراج الاسم وقال النضر بن شميل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق

بين الخرج والخراج فقال: الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت به وعنه أن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض ذكر الأول الثعلبي والثاني الماوردي.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٧٣) ﴾ أي إلى دين قويم والصراط في اللغة الطريق فسمي الدين طريقا لأنه يؤدي إلى الجنة فهو طريق إليها ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أي بالبعث ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ (٧٤) ﴾ قيل: هو مثل الأول وقيل: إنهم عن طريق الجنة لناكبون حتى يصيروا إلى النار نكب عن الطريق ينكب نكوبا إذا عدل عنه ومال إلى غيره ومنه نكبت الريح إذا لم تستقم على مجرى وشر الريح النكباء.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ٧٥
وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا
عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ٨٠ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٨٢ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٨٣ ﴾

[المؤمنون: ٧٥-٨٣].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ - يَعۡمَهُونَ - فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ - وَمَا يَتَضَرَّعُونَ - مُبۡلِسُونَ - قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ - ذَرَأَكُمۡ - تُحۡشَرُونَ - أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾	لتمادوا واستمروا في كفرهم وشركهم وظلمهم
﴿يَعۡمَهُونَ﴾	يتحيرون ويترددون
﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾	فما خضعوا لربهم ﷻ، وما تذللوا له
﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾	وما يدعونه وما يسألونه ويلجؤون إليه
﴿مُبۡلِسُونَ﴾	آيسون من الرحمة
﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾	شكركم قليل - قليلٌ منكم الشاكر
﴿ذَرَأَكُمۡ﴾	خلقكم
﴿تُحۡشَرُونَ﴾	تجمعون يوم القيامة
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	قصص وحكايات الأولين

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أن هو الكفار لا ينتفعون بالآيات والنذر،

وكذا لا ينتفعون بإكرام الله ﷻ لهم فيؤمنوا فسواء عليهم رحمهم الله وأنزل عليهم الغيث من السماء يرحمهم به بعد مهلكةس كانوا فيها، وبعد عطش شديد وهلاك للأموال والأنفس والبهائم والثمرات فانزل عليهم ماءًا من السماء شربوا وسقت أنعامهم وزروعهم فنمت أرضهم وأنبتت وأثمرت وسمنت بهائهم فحلبوا ألبانها واستقوا وصحت أبدانهم من العلل كذلك.

وكذا لو كشفنا عنهم بلاءً حلَّ بهم من أجسادهم ورفعنا عنهم التفرد والمسكنة والمذلة وغير ذلك من أنواع الضر، ما انتفعوا بذلك بل لتمادوا في كفرهم وظلمهم وتجاوزهم حدود الله تجاوزًا شديدًا واستمروا فيما هم فيه مترددون من كفرٍ إلى كفرٍ ومن ضلالٍ إلى ضلال ومن حيرة إلى حيرة، وكذا لو بدلنا الأهوال فبد لنا النعم إلى نقم والرحمة عذابًا والصحة والعافية مرضًا وسقمًا أيضًا ما حملهم ذلك على الخضوع لربهم والتذلل له وبيان الافتقار إليه وسؤاله ورجاءه ودعائه.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ حاصل معناه والله أعلم أنه أهل الكفر لما لم ينتفعوا بالمجاعات والأمراض ونحو ذلك ولم ينتفعوا كذلك بالرحمة والعافية وسعة الأرزاق شأنهم شأن الأم المكذبة قبلهم، إذ الله قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥] فالحاصل أنهم لما لم ينتفعوا بهذا ولا بذاك، ولم يهتدوا إلى الإيمان بعد تقليب الأمور والأحوال وتغيرها وتنوع الابتلاءات بالسراء والضراء، فتح لله لهم بابًا ذا عذابا شديدٍ، جآءهم من الله عذابٌ شديد وفتحت عليهم أبواب، إذا هم أيسون

يائسون لا يدرون ماذا يصنعون ولا يدرون إلى أي مكان يفرون ويذهبون. وإذا هم أيسون من الرحمة والعافية.

وقد قيل إن هذا العذاب الشديد هو عذاب النار فلا نجاة معها إذا دخلوها، لا خروج لأهل الشرك منها ولا سلامة لهم فيها.

وقيل: إن هذا العذاب الشديد هو ما حلَّ بهم يوم بدر من القتل، وقيل إن عذاب شديدٌ في الدنيا تمثل في مجاعات عظيمة حتى أكلوا الميتة، ومصوا النوى من شدة الجوع، والله تعالى أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ ﴾ يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضرّ الجوع والهزال؛ ﴿ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ يعني في عتوّهم وجرأتهم على ربهم. ﴿ يَعۡمَهُونَ ٧٥ ﴾ يعني: يتردّدون.

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم، وأجدبنا بلادهم، وقتلنا سراتهم بالسيف. ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ ﴾ يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه، وينيبوا إلى طاعته ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ ﴾ يقول: وما يتذللون له.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال، فقتلوا يوم بدر.

وقال آخرون: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد.

وقوله: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم، في تكذيبهم بآيات الله، في حين لا ينفعهم الندم والحزن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾: يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أراح عللهم وأفهمهم القرآن، لما انقادوا له ولاستمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٩]، فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون، لو كان كيف يكون.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ ﴾ أي: ابتليناهم بالمصائب والشدائد، ﴿ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا على ضلالهم وغيهم. ﴿ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ ﴾ أي: ما خشعوا، ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: ما دعوا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وأورد حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن ابن عباس، أنه قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز -يعني: الوبر والدم- فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾.

وأصل هذا الحديث في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**».

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي: حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا

يحتسبون، فعند ذلك أبْلَسُوا من كل خير، وأيسوا من كل راحة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي لو رددناهم إلى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم ﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ قال السدي في معصيتهم ﴿يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ قال الأعمش: يترددون وقال ابن جريج: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ يعني في الدنيا ﴿وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي من قحط وجوع ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي لتمادوا في ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ وضلالتهم وتجاوزهم الحد ﴿يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ يتذبذبون ويخبطون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ قال الضحاك: بالجوع وقيل: بالأمراض والحاجة والجوع وقيل: بالقتل والجوع ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ أي ما خضعوا ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ أي ما يخشعون لله ﷻ في الشدائد تصيبهم.

❋ ❋ ❋

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٨٠ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم والله الذي أنشأ لكم السمع تسمعون به والأبصار ترون بها، والأفئدة تعقلون بها، ولكن قلَّ منكم من يقدم شكرًا لله ﷻ، ومن قدَّ من منكم شكرًا فشكره قليل.

والله هو الذي خلقكم وأنشأكم وأحدثكم في الأرض تعيشون عليها

حياتكم الدنيا إلى أن تنقضي آجالكم فتموتوا ثم تحشروا إليه يوم القيامة والله هو الذي يحي خلقه إذ خلقهم من نطفةٍ ثم من علقة ثم من مضغة ثم أخرجهم طفلًا من بطون أمهاتهم فعاشوا في الدنيا ما شاء الله أن يعيشوا ثم يميتكم إذا انقضت آجالكم التي كتبها الله لكم وأمر الليل والنهار إليه يقلب الله الليل والنهار، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، يدخل هذا في ذاك فيطوله ثم تنعكس الأمور، ويكون القصير طويلًا والطويل قصيرًا، والحر باردًا والبارد حارًا أفلا تفهمون وتعقلون قدرة الله أفلا تتوصلون بما ترونه من هذه الآيات إلى أن هذا الكون له إلهٌ يدبر الأمر؟؟!! كل هذا المذكور كان ينبغي أن يُتفكر فيه ويُتأمل ويستدل به على وحدانية الله وقدرته على كل شيء وكذا على قدرته على كل شيء وكذا على قدرته على إحياء الأنفس بعد موتها وعلى تصديقه فيما أخبر به على ألسنة رسله والذي منه البعث والثواب والعقاب، إلا أنه أهل الكفر لم يهتدوا لهذا بل كذبوا بالبعث، وقالوا مثلما قال آباؤهم الأولون قالوا مستكبرين كما قال آباءهم أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون، أي لمبعوثون بعد الموت خلقا جديدًا لقد وعدنا نحن وآباؤنا مثل هذه الوعود بالبعث من قبل هذا، ولكن لم يحصل شيء من ذلك فما هي إلا وعود كاذبة وقصص وخرافات وحكايات الأقوام الذين تقدمونا ولن يحصل منها شيء وليس هناك بعث ولا ثواب ولا عقاب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها المكذّبون بالبعث بعد الممات السمعَ الذي تسمعون به، والأبصَارَ التي تبصرون بها، والأفئدة التي

تفقهون بها، فكيف يتعذّر على من أنشأ ذلك ابتداء إعادته بعد عدمه وفقده، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنيه إذا أراد ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ يقول: تشكرون أيها المكذّبون خير الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلقكم في الأرض وإليه تُحْشَرونَ من بعد مماتكم، ثم تبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها ، ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ يقول: ويميتهم بعد أن أحياهم ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين، كما يقال في الكلام: لك المنّ والفضل، بمعنى: إنك تمنّ وتفضل. وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ يقول: أفلا تعقلون أيها الناس، أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، و لا تدبروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا ﴾ يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من

لحومنا ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، وَوَعَد آباءنا من قبلنا قومٌ ذكروا أنهم لله رسل من قبلك، فلم نره حقيقة ﴿إِنْ هَٰذَآ ﴾ يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار، التي لا صحة لها و لا حقيقة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم ذكر تعالى نعمته على عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، وهي العقول والفهوم، التي يدركون بها الأشياء، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، وأنه الفاعل المختار لما يشاء.

وقوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ أي: وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم، كقوله: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر، في بَرْئة الخليقة وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم، فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا، ولا ذكرا ولا أنثى، ولا جليلا ولا حقيرا، إلا أعاده كما بدأه؛ ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أي: يحيي الرمم ويميت الأمم، ﴿ وَلَهُ

﴿ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ أي: وعن أمره تسخير الليل والنهار، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، يتعاقبان لا يفتران، ولا يفترقان بزمان غيرهما، كقوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[يس: ٤٠].

وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٨٠ ﴾ أي: أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم، الذي قد قهر كل شيء، وعز كل شيء، وخضع له كل شيء.

ثم قال مخبرا عن منكري البعث، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين: ﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٨٢ ﴾ يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى، ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨٣ ﴾ يعنون: [أن] الإعادة محال، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلاقهم. وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخبارا عنهم: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ ﴾ [النازعات: ١١-١٤]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

❁ ❁ ❁

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦
سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ
فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشۡرِكُونَ ٩٢ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي
فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٩٤ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ٩٥ ٱدۡفَعۡ
بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ
هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ
أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾

[المؤمنون: ٨٤-١٠٠].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ - ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ - يُجِيرُ - وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ - فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ - لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ - وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ - سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ - ٱلۡغَيۡبِ - وَٱلشَّهَٰدَةِ - فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ - إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ - فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ - مَا نَعِدُهُمۡ - ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ - أَعُوذُ بِكَ - هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ - ٱرۡجِعُونِ - كَلَّآ - كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ - بَرۡزَخٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	أفلا تتعظون وتعتبرون
﴿ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	العرش الكبير عظيم القدر
﴿يُجِيرُ﴾	يحفظ وينصر ويدفع عنه السوء والمكروه
﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾	لا يمنع منه أحدٌ، ولا يستطيع أحدٌ أن يمنع أحدًا من الله ولا أن يدفع عنه شيئًا أراده الله به
﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾	من أي وجه تصرفون عن الحق إلى الباطل من أي وجه تزيفون الحق، وقريبا لكم دلائله
﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾	لا نفرد كل إله بمخلوقاته
﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾	لاستكبر كل إلهس على الأخر، وحاول أن يسلبه ملكه

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	تنزه الله ﷻ عن كل ما لا يليق به مما يصفه الواصفون المشركون
﴿ٱلْغَيْبِ ﴾	ما غاب عن الأعين والحواس
﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾	فاظهر من الأمور
﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	تقدس وترفع عن الشركاء
﴿إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴾	إذا أريتني ما وعدتهم من العذاب وأنا حي إذا أحللت بهم عذابك وأنا حي
﴿ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	فلا تجعلني مع المعذبين
﴿مَا نَعِدُهُمْ ﴾	ما نخبرهم به من العذاب
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾	قابل الإساءة بإحسان
﴿أَعُوذُ بِكَ ﴾	ألجأ إليك وأستجير بك
﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	نخس الشياطين وغمزهم
﴿ٱرْجِعُونِ ﴾	ردوني إلى الحياة الدنيا
﴿كَلَّآ ﴾	كلمة ردع وزجر
﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾	مجرد كلمة، وقيل كلمة لابد وأن يقولها

﴿بَرۡزَخٌ﴾	حجاب بينه وبين الرجوع إلى الدنيا وقيل المدة ما بين موته إلى مبعثه يوم القيامة

❁ ❁ ❁

س: هل كان أهل الشرك يعرفون الله بعض المعرفة ويقرون له بأنه الخالق الرازق ونحو ذلك؟

ج: نعم كان أهل الشرك يعرفون الله ﷻ دلَّ على ذلك إقرارهم، إذ الله قال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾ [الزخرف: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ [ص: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بالبعث الجاحدين وحدانية الله ﷻ لمن ملك الأرض ولمن ملك من فيها ومن المتصرف في الأرض ومن المتصرف فيما فيها إن كان عندكم علم بذلك أفيدوني، فسيقولون لله، أي أن ملك الأرض ومن فيها لله ﷻ يتصرف فيها بما يشاء وتقضي فيها بما يريد عزَّ وجل وتعالى وتقدس، وكذا له ملك ما في الأرض يتصرف فيه كيف يشاء ويقضي فيه بالذي يريد، فقل لهم يا رسول الله إن هم أجابوك بهذا الجواب أفلا تذكرون أفلا تتعظون وتعتبرون وتؤمنون بالله ﷻ على كل شيء قدير وأمه على بعثكم لقدير.

ثم قل لهم: ﴿مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ من خالقها ومن صاحبها ومن المتصرف في السموات ومن المستوى على العرش العظيم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ أي ملكها لله ﷻ وحده لا شريك له فقل لهم حينئذٍ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي أفلا تتقون الله ﷻ فتجعلون بينكم وبين عذابه وقاية بطاعتكم له واجتنابكم ما نهاكم عنه وبتوحيدكم له ومراقبتكم له، وأراكم بما أخبركم به على ألسنة رسله عليهم السلام.

ثم قل لهم كذلك: ﴿مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي خزائن كل شيء، وملك كل شيء، وهو يجير من استجار به، يحفظه –يمنعه –ينصره– يؤيده– يُدبر له أمره ولا يستطيع أحدٌ أن يجير أحدًا أراده الله بسوء فإذا أراد الله بقوم سوء فلا رد له وما لهم من دونه من وال، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

[الأحزاب: ١٧].

فسيقول أهل الكفر إذا قلت لهم: ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ قل ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ من أي وجهٍ تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ومن أي وجه تكذبون عليه وتجلعون له شريكًا فإذا أقروا لك بكل ذلك أقروا بأن الأرض ومن فيها لله ﷻ، وبأن رب السموات السبع ورب العرش العظيم هو الله وبان الله عو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، فاعلم حينئذس أنهم كذبة في دعواهم لله الشرك، وفي قولهم الملائكة بنات الله وفي قولهم بأن الله ﷻ له ولد، بل أتيناهم بالحق الذي لا مرية فيه إنهم لكاذبون فيما ادعوا وفيما افتروا.

وأيقن يا رسول الله وليوقن كل مؤمن وأخبر الناس كذلك أن الله ﷻ ما اتخذ من ولدٍ فليس له ولد وما كان معه إلهٍ آخر فلو كان معه آلهة أخرى لانفرد كل إله بما يملكه ولحصل بغيٌ من بعضهم على بعض كلٌ يريد أن يتعالى على الآخر ويستولي على ملكه ونصيبه وتكون مكانته هي العليا، فسبحان الله الذي لا إله غيره ولا معبود سواه، سبحانه تنزه وتقدس عن الشريك والمثيل والولد وتنزه عما يصفه الواصفون المشركون وعما ينسبون إليه من اتخاذ الشريك والمثيل والولد والصاحبة عالم الغيب والشهادة، يعلم ما غاب عن الأعين وما ظهر لها، يعلم ما غاب في الصدور وما ظهر على الألسن، يعلم السر وأخفى فتعالى عن هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه وتعالى وتقدس عن كل شريك اتخذ معه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤﴾

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق، إن كنتم تعلمون من مالكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: من ربّ السماوات السبع، وربّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه، فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: من بيده خزائن كلّ شيء؟

وقوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ من أراد ممن قصده بسوء، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه وعقابه ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ من ذلك صفته، فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمد: ﴿ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ يقولون: فمن أيّ وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم

بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!

وقد بيَّنت فيما مضى السِّحْر: أنه تخييل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته، فذلك معنى قوله: ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ إنما معناه: فمن أيّ وجه يخيل إليكم الكذب حقا: والفاسد صحيحا، فتصرفون عن الإقرار بالحقّ الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله، من أن الملائكة بنات الله، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ اليقين، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك الإسلام، ولا يُعْبَد شيء سوى الله؛ لأنه لا إله غيره ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله، وينْحَلُونه من الولد والشريك ، وقوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد، ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته ﴿ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ ﴾ يقول: إذن لاعتزل ﴿كُلُّ إِلَٰهٍ﴾ منهم ﴿ بِمَا خَلَقَ ﴾ من شيء، فانفرد به، ولتغالبوا، فلعلا بعضهم على بعض، وغلب القويّ منهم الضعيف؛ لأن القويّ لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها، لمن عقل وتدبر. وقوله: ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ ﴾ جواب لمحذوف، وهو: لو كان معه إله، إذن لذهب كل إله بما خلق، اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه. وقوله: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره؛

تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القِدم إلها يُعبد تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ يقول تعالى ذكره: هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه، وما رأوه وشاهدوه، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة، أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم، بل عن جهل منهم به، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها، وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء، فخبره هو الحق دون خبرهم وقال: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ فرفع على الابتداء، بمعنى: هو عالم الغيب، ولذلك دخلت الفاء في قوله: ﴿ فَتَعَٰلَىٰ ﴾ كما يقال: مررت بأخيك المحسن فأحسنت إليه، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء؛ لأن معنى الكلام إذا كان كذلك: مررت بأخيك هو المحسن، فأحسنت إليه. ولو جعل الكلام بالواو فقيل: وأحسنت إليه، لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ، ولذلك لو جاء ﴿ فَتَعَٰلَىٰ ﴾ بالواو كان وجه الكلام في ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله، وكان يكون معنى الكلام: سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى! فيكون قوله: ﴿ وَتَعَالَى ﴾ حينئذ معطوفا على سبحان الله ، وقد يجوز الخفض مع الفاء؛ لأن العرب قد تبدأ الكلام بالفاء، كابتدائها بالواو، وبالخفض كأن يقرأ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ في هذا الموضع أبو عمرو، وعلى خلافه في ذلك قراءة الأمصار.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه، والثاني: صحته في العربية.

وقوله: ﴿ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين، ووصفهم إياه بما يصفون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقرر تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية، فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا، ولا يملكون شيئًا، ولا يستبدّون بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] ، فقال: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ أي: من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات، وسائر صنوف المخلوقات ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ ﴾ أي: فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك ﴿ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [أي: لا تذكرون] أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره.

﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ أي: من هو خالق العالم العُلْوي بما فيه من الكواكب النيّرات، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات، ومن هو رب العرش العظيم، يعني: الذي هو سقف المخلوقات.

ثم قال: ﴿ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ يعني: الكبير: وقال في آخر السورة: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ أي: الحسن البهي. فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو، والحسن الباهر؛ ولهذا قال من قال: إنه من ياقوتة حمراء.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ أي: إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم، أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به؟

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: بيده الملك، ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ [هود: ٥٦]، أي: متصرف فيها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا والذي نفسي بيده**»، وكان إذا اجتهد في اليمين قال: «**لا ومقلب القلوب**»، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا، لا يُخْفَر في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه، لئلا يفتات عليه، ولهذا قال الله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي: وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له الخلق والأمر، ولا معقب لحكمه، الذي لا يمانع ولا يخالف، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقال الله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أي: لا يسئل عما يفعل؛ لعظمته وكبريائه، وقهره وغلبته، وعزته وحكمته، والخلق كلهم يُسألون عن أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ أي: سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه، هو الله تعالى، وحده لا شريك له ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ أي: فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك.

ثم قال تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾، وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾أي: في عبادتهم

مع الله غيره، ولا دليل لهم على ذلك، كما قال في آخر السورة: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون: ١١٧] ، فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال، وإنما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال، كما قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك، فقال: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ أي: لو قُدِّر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود. والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض، في غاية الكمال، ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ ﴾ [الملك: ٣] ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض.

﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا.

﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه، ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي: تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قُل ﴾ يا محمد جوابا لهم عما قالوه ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ يخبر بربوبيته ووحدانيته وملكه الذي لا يزول وقدرته التي لا تحول ف ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ ولا بد لهم من ذلك ف﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ أي إفلا تتعظون وتتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على إحياء الموتى بعد موتهم قادر ﴿ قُلْ

مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) ﴾ يريد أفلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم أن الملائكة بناتي وكرهتم لأنفسكم البنات ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يريد السموات وما فوقها وما بينهن والأرضين وما تحتهن وما بينهن وما لا يعلمه أحد إلا هو وقال مجاهد: ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ خزائن كل شيء الضحاك: ملك كل شيء والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت وقد مضى في (الأنعام) ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ أي يمنع ولا يمنع منه وقيل: ﴿ يُجِيرُ ﴾ يؤمن من شاء ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ أي لا يؤمن من أخافه ثم قيل: هذا في الدنيا أي من أراد الله إهلاكه وخوفه لم يمنعه منه مانع ومن أراد نصره وأمنه لم يدفعه من نصره وأمنه دافع وقيل: هذا في الآخرة أي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع ﴿ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ أي فكيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده أو كيف يخيل إليكم أن تشركوا به ما لا يضر ولا ينفع ! والسحر هو التخييل.

قوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي بالقول الصدق لا ما تقوله الكفار من إثبات الشريك ونفي البعث ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (٩٠) ﴾ أن الملائكة بنات الله فقال الله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ ﴾ ﴿ مِن ﴾ صلة ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ ﴾ ﴿ مِنۡ ﴾ زائدة والتقدير: ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا كان معه إله فيما خلق وفي الكلام حذف والمعنى: لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه ﴿ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾ أي ولغالب وطلب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضا لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

﴿يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ تنزيها عن الولد والشريك ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ تنزيه وتقديس.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم قل يا رسول الله داعيًا الله راجيًا إياه مستعيذًا به، يارب إذا حلَّ بهؤلاء القوم المكذبين عذاب فلا تجلعني من المعذبين معهم، بل مسلمين يا رب واحفظني ولا تؤاخذني بجريرة هؤلاء الظالمين، ولا تحشرني معهم ولا تنزلني منزلهم.

ثم يُخبر الله ﷻ نبيه ﷺ ويعلمه بأنه قادر على تعجيل إنزال العذاب على هؤلاء المكذبين فيرى النبي ﷺ عذبهم وهو حيٌ قبل أن يموت فيقول تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ربّ إنْ تُرِيَنّي في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك، فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجِّني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك. وقوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلۡنِي﴾ جواب لقوله: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ اعترض بينهما بالنداء، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام، لا يقال: يا زيد فقم، ولا يا رب فاغفر؛ لأن النداء مستأنف، وكذلك الأمر بعده مستأنف، لا تدخله الفاء والواو، إلا أن يكون جوابا لكلام قبله.

وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم،

لقادرون، فلا يحْزُنَنَّك تكذيبهم إياك بما نعدهم به، وإنما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يدعو هذا الدعاء عند حلول النقم: ﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أي: إن عاقبتهم -وإني شاهدُ ذلك- فلا تجعلني فيهم، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي -وصححه-: «وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون».

وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والمحن.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

علمه ما يدع به أي قل رب أي يا رب أريتني ما يوعدون من العذاب ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي في نزول العذاب بهم بل أخرجني منهم وقيل: النداء معترض و ﴿ما﴾ في ﴿إما﴾ زائدة وقيل: إن أصل إما إن ما ف﴿إن﴾ شرط و ﴿ما﴾ شرط فجمع بين الشرطين توكيدا والجواب ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني منهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

أمر جلا وعلا نبيه في هاتين الآيتين الكريمتين أن يقول: رب إما تريني ما يوعدون: أي أن ترني ما توعدهم من العذاب، بأن تنزله بهم، وأنا حاضر شاهد أرى نزوله بهم ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي لا تجعلني في

جملة المعذبين الظالمين، بل أخرجني منهم، ونجني من عذابهم، وقد بين تعالى في مواضع أخر: أنه لا ينزل بهم العذاب، وهو فيهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية، وبين هنا أنه قادر على أن يره العذاب، الذي وعهدهم به في قوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٥] وبين في سورة الزخرف، أنه إن ذهب به قبل تعذيبهم، فإنه معذب لهم ومنتقم منهم لا محالة، وأنه إن عذبهم، وهو حاضر فهو مقتدر عليهم. وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم إرشادٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ وكذا إرشاد عام لأهل الإيمان للتعامل مع شياطين الإنس وشياطين الجن، هنا وفي سورة الأعراف وفي سورة المؤمنون يتكرر مثل هذا الإرشاد وحاصله أننا نتعامل مع شياطين الإنس ابتداءًا بدفع السيئة بالحسنة، فإذا أساءوا قابلنا الإساءة بالإحسان، العفو والصفح، وقابلنا الكلمة السيئة بالكلمة الطيبة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾.

وكما قال: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وكما قال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

أي العدو الشيطان فلا مهادنة فإنه لا تجدي معه المداهنة ولا المدارة ولا

تأليف ولكن تجدي معه بإذن الله التعوذات بالله وحسن الالتجاء إلى الله فمن ثم شرع لنا التعوذ بالله منه.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠].

هذا ومن العلماء من ذهب إلى هذه الآيات مبسوطة بآية السيف وذهب آخرون إلى عدم النسخ وقالوا هذه لها مقامات تتنزل فيها، والنسخ لا يُصار إليه إلا عند عدم إمكان الجمع، والجمع هل هنا حكمة والله أعلم.

وأعود فأقول فقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

أي قابل جهالتهم ومقالاتهم السيئة بالطريقة التي هي حسنة وبالكلمة الطيبة فقابل الإساءة بإحسان والسيئة بصفح وغفران، فالله ﷻ أعلم بما يصفونك به ويصفون به كتابه ﷻ ويفون به ربهم ﷻ وقل متعوذًا بالله ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ ألجأ إليك وأستجير بك ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ غمزهم وطعنهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ وألجأ إليك يا رب لتصرفهم عني فلا يحضرون مجلسي ولا يشوشون عليَّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم، وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم، وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم

به من عند الله، يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله.

وقوله: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به، وينحَلُونه من الأكاذيب والفِرية عليه، وبما يقولون فيك من السوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول.

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد: ربّ أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها، والهَمْزُ: هو الغَمْز، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام: هَمْزة، والهَمَزَاتُ جمع همزة.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ يقول: وقل أستجير بك أن يحضروني في أموري.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال مرشدًا له إلى التِّرْياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة، فقال: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾، وهذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]: أي ما يلهم هذه الوصية أو الخصلة أو الصفة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي: على أذى الناس، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾: أمره أن يستعيذ من الشياطين، لأنهم لا تنفع معهم الحيل، ولا ينقادون بالمعروف.

وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**أعوذ بالله السميع**

العليم من الشيطان الرجيم، من هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه».

وقوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ أي: في شيء من أمري؛ ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور -وذلك مطردة للشياطين- عند الأكل والجماع والذبح، وغير ذلك من الأمور؛ ولهذا روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهَرَم، وأعوذ بك من الهَدْم ومن الغرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت**». وأورد ما أقر به الإمام أحمد من طرق أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم، من الفزع: «**بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ أمر بالصفح ومكارم الأخلاق فما كان منها لهذه الأمة فيما بينهم فهو محكم بينهم فهو محكم باق في الأمة أبدا وما كان فيها من موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن أمورهم فمنسوخ بالقتال ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ أي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي أنها آية موادعة والله تعالى أعلم

وقوله قوله تعالى: ﴿ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ الهمزات هي جمع همزة والهمز في اللغة النخس والدفع يقال: همزه ولمزه ونخسه دفعه قال الليث الهمز كلام من وراء القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس فيهمس في وسواسه في صدر ابن آدم وهو قوله: ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ أي نزعات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله تعالى.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان)

والظاهر في قوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨ ﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنًا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨ ﴾ [النحل: ٩٨] أو عند حضور الموت أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: هل الشياطين تحضر بعض المجالس وتتخلف عن مجالس أُخر لا تحضرها.

ج: نعم الشياطين قد تحضر بعض المجالس والأماكن والأشخاص، وقد تتخلف عن الحضور، فمنها شياطين نشطة ومنها شياطين خاملة ودلَّ على ذلك من النصوص ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾.

ومجيء الشيطان بغلام كأنه يُدفع وبجارية كأنها تُدفع كي يأكلا الطعام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يستحل بها الطعام ففي الحديث الذي أخرجه مسلم

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم - طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا**

فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِىِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِى يَدِى مَعَ يَدِهَا ».

وكذلك الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه في فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة».

وفي رواية عند مسلم أيضًا: عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِىءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِىءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ - قَالَ - فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ ».
قَالَ الأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ « فَيَلْتَزِمُهُ ».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن هؤلاء المشركين المكذبين يستمرون في تكذيبهم وعنادهم حتى إذا عاين أحدهم الموت بمقدماته، وحضرته ملائكة العذاب قال رب ارجعون، وفي راية قال: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ بالجمع أقوال:

أحدها: أنه قال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ معظمًا الله ﷻ.

الثاني: أنه نادى ربه أولًا بقوله: ﴿رَبِّ﴾ ثم لما رأى الملائكة قال: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ فتحول خطابه.

الثالث: أن معنى ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ ارجعوني ارجعوني ارجعونني هذا، وطل بالرجوع إلى الدنيا لا لمالٍ ولا لأولاد ولا لمنصب ولا لجاه ولا سلطان إنما لعلي أعمل صالحًا فيما تركت، لعلي أُسلم لعلِّي أصلي لعلي أصوم لعلي

أعمال البر كلها تلك الأعمال التي قصرت فيها في دنياي، فيجاب قائلًا ﴿كَلَّآ﴾ وهي كلمة ردع ونفي.

أما قوله ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: إنها مجرد كلمة لا تتعدى حجمها كونها كلمة بلا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨].

الثاني: إنها كلمة لابد وأن يأتي عله وقت يقولها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي ومن أمامهم حاجز وحجاب بينهم وبين الحياة مرة ثانية يستمر هذا الحاجز والحجاب إلى يوم البعث فلن يعود إلى الحياة إلا يوم القيامة والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ، وعاين نزول أمر الله به، قال:- لعظيم ما يعاين مما يَقْدَم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات، وتلهُّفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة-: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ إلى الدنيا فردّوني إليها، ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ يقول: كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته، وفرّطت فيه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ قال: هذه في الحياة الدنيا، ألا تراه يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال: حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت.

قال الطبري:

قوله: ﴿كَلَّآ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك، لن يُرْجع إلى الدنيا، ولن يعاد إليها ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يقول: هذه الكلمة،

وهو قوله: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩﴾ كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا بد له أن يقولها يقول ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ يقول: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمُهْلة متقاربات في المعنى.

وأورد عن عدد من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ حاصله أن البرزخ بقية الحياة الدنيا وحجاب بين الميت وبين الرجوع إلى الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: هاهنا: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: كلا حرف ردع وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه.

وقوله: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم.

ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله: ﴿كَلَّآۚ﴾، أي: لأنها كلمة، أي: سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه، وقول لا عمل معه، ولو رد لما عمل صالحا، ولكان يكذب في مقالته هذه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال ابن كثير:

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل.

وقال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها، ولا قوة إلا بالله. وعن محمد بن كعب القرظي نحوه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾: تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، كما قال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠] وقال ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ١٧﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ أي: يستمر به العذاب إلى يوم البعث.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فأما قوله: ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ وهو مخاطب ربه عز وجل ولم يقل: «ارجعني» جاء على تعظيم الذكر للمخاطب.

وقيل: استغاثوا بالله عز وجل أولا، فقال قائلهم: رب، ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال: ارجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج.

وقيل: إن معنى ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ على جهة التكرير، أي ارجعني ارجعني ارجعني.

❁ ❁ ❁

س: المحتضر (وخاصة الكافر) يتمنى الموت في عدة مواطن عند الاحتضار، ويوم القيامة وعند لقاء الله وإذا دخل النار، وفي عدة مواطن، وضح ذلك بأدلته:

ج: أما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا عند الاحتضار فمن أدلته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا

تَرَكْتُ ...﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وأما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا يوم البعث والنشور، فمن أدلته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وأما تمنيهم الرجوع عند كلام الله معهم فدليله:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة: ١٢].

وأما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا عند معاينة النار فدليله:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

وأما تمنيهم الموت وهم في النار فمنه قولهم: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ﴾ [فاطر: ٣٧].

قلت: وإلى مثل ما ذُكر أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ
فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ
وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾
قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا
فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ
فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي
جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٠١-١١١].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلصُّورِ - فَلَآ أَنسَابَ - ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ - ٱلۡمُفۡلِحُونَ - تَلۡفَحُ - كَٰلِحُونَ - غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا - ضَآلِّينَ - ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا - سِخۡرِيًّا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرن يُنفخ فيه
﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾	فلا قرابات بينهم تنفعهم ولا يُنادى قريب قريبه
﴿ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾	رجحت كفة حسناته
﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	الفائزون بالمطلوب الناجون من المرهوب
﴿تَلۡفَحُ﴾	تسفع
﴿كَٰلِحُونَ﴾	كُشف أسنانهم بعد أن أُحرقت وجوههم وتقلصت شفاههم عن أسنانهم وقيل عابسون
﴿غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾	رجعنا إلى ما كتبت علينا من الشقاوة فعملنا بعمل أهل الشقاوة- غلبت علينا أعمال أهل الشقاوة من الشهوات والملذات والكفر والضلال
﴿ضَآلِّينَ﴾	منحرفين عن طريق الحق والصواب
﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾	امكثوا فيها

﴿سِخۡرِيّٗا﴾	مجالًا للاستهزاء والضحك والانتقاص أما سُخريا بالضم فمعناها الاستعباد والتسخير في الأعمال

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾.

ج: فإذا نفخ الملك الموكل بالصور في الصور، الملك هو إسرافيل عليه السلام، وقد اختلف في هذه النفخة أهي الأولى أم الثانية، والظاهر والله أعلم أنها النفخة الثانية عند قيامهم من القبور، إذ النفخة الأولى يعقبها صعق، أما النفخة الثانية هي التي يصحبها قيامهم وهم ينظرون، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

فالمعنى فإذا نُفخ في الصور فقاموا للحساب، للثواب أو العقاب فعند ذلك لا ينفع ذا نسب نسبه ولا يسأل بعضهم بعضا بل كل منشغلٌ بما هو فيه كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وعند ذلك توضع الموازين لوزن الأعمال والأقوال فمن ثقلت كفة حسناته ورجحت على كفة سيئاته فأولئك هم الفائزون الذي فازوا بالمطلوب الذي منه رضوان الله عليهم، وجنته التي أعدها لهم ومن خفت كفة حسناته، وثقلت عليها ورجحت كفة السيئات فأولئك الذين خسروا أنفسهم غبنوها

وضيعوها من قبل وكانوا قد باعوها بثمن بخس، بالشهوات والشبهات والكفر والضلال، هؤلاء الذي ضاعوا وخسروا وخابوا فمأواهم جهنم والعياذ بالله خالدين فيها تسفع النارُ وجوههم وهم في النار، وقد احترقت وجوههم وتقلصت شفاههم عن أسنانهم فرؤيت أسنانهم، وقد تقلصت الشفاة بسبب احتراق الوجوه، فهذا هو الكالح، وقيل إن الكالح العابس.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢﴾ يعني: الخالدون في جنات النعيم ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يقول ومن خفَّت موازين حسناته فرجَحَت بها موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ يقول: هم في نار جهنم.

وقوله: ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يقول: تَسْفَع وُجوهَهم النارُ.

﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ والكلوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان، حتى تبدو الأسنان، كما قال الأعشى:

وَلَــهُ المُقْــدَمُ لا مِثْــلَ لَــهُ ساعة الشِّدْق عَنِ النَّابِ كَلَحْ

فتأويل الكلام: يَسْفَع وجوههم لهبُ النار فتحْرقها، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان؛ من إحراق النار وجوههم.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن أبي الأحوص عن عبد الله، في قوله: ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه، وقلصت شفتاه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ قال ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والد لولده، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ [المعارج: ١٠، ١١] أي: لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وهو كان أعز الناس عليه -كان- في الدنيا، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢﴾ أي: من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، قاله ابن عباس.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة.

وقال ابن عباس: أولئك الذين فازوا بما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: ثقلت سيئاته على حسناته، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: خابوا وهلكوا، وباؤوا بالصفقة الخاسرة.

﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ أي: ماكثون فيها، دائمون مقيمون لا ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠﴾ [إبراهيم: ٥٠] وقال تعالى: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ

يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أضواء البيان)

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

في هذه الآية الكريمة، سؤالان معروفان يحتاجان إلى جواب مبين للمقصود مزيل للإشكال.

السؤال الأول: أنه تعالى ذكر في هذه الآية: أنه إذا نفخ في الصور، والظاهر أنها النفخة الثانية، أنهم لا أنساب بينهم يومئذ، فيقال: ما وجه نفي الأنساب بينهم، مع أنها باقية كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس: ٣٣-٣٦] ففي هذه الآية ثبوت الأنساب بينهم.

السؤال الثاني: أنه قال: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ مع أنه ذكر في آيات أخر أنهم في الآخرة يتساءلون، كقوله في سورة الطور ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الطور: ٢٥] وقوله في الصافات ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الصافات: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ذكرنا الجواب عن هذين السؤالين في كتابنا: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب بما حاصله:

إن الجواب عن السؤال الأول: هو أن المراد بنفي الأنساب انقطاع آثارها، التي كانت مترتبة عليها في دار الدنيا، من التفاخر بالآباء، والنفع والعواطف والصلات. فكل ذلك ينقطع يوم القيامة، ويكون الإنسان لا يهمه إلا نفسه، وليس المراد نفي حقيقة الأنساب، من أصلها بدليل قوله: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٥] الآية.

وإن الجواب عن السؤال الثاني من ثلاثة أوجه:

الأول: هو قول من قال: إن نفي السؤال بعد النفخة الأولى، وقبل الثانية، وإثباته بعدهما معاً. وهذا الجواب فيما يظهر لا يخلو من نظر.

الثاني: أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة، والجواز على الصراط وإثباته فيما عدا ذلك وهو عن السدي، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

الثالث: أن السؤال المنفي سؤال خاص، وهو سؤال بعضهم العفو من بعض، فيما بينهم من الحقوق، لقنوطهم من الإعطاء، ولو كان المسؤول أباً أو ابناً أو أماً أو زوجة، ذكر هذه الأوجه الثلاثة صاحب الإتقان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

ج: هذا والله أعلم توبيخٌ من الله ﷻ لأهل النار، يقول لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، ألم أرسل إليكم رسلًا وأنزل إليكم كتابًا فقلت الرسل عليكم كتب وآياتي وأقامت عليكم الحجج فكذبتم بكل ذلك؟!!

فعندها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي يا ربنا كُتبت علينا الشقاوة فصرنا إليها كتبت علينا الشقاوة في اللوح المحفوظ، وفي بطون الأمهات فعملنا بعلم أهل الشقاوة.

وقيل غلبت علينا الملذات والشهوات والأهواء فعملنا فيها بمعصيتك فصرنا بذلك على الشقاوة وقوله وكنا قومًا ضالين، أي وكنا قومًا في دنيانا ضآلين عن طريق الحق وعن سبيل الرشاد وقد تنكبنا عنه بعد مجيء رسلك إلينا فيا ربنا أخرجنا من هذه النار فإن عدنا إلى الأعمال السيئة التي علمناها فإنا حينئذٍ أهل ظلم فافعل بنا ما تريد.

قال الله ﷻ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ امكثوا فيها أبدًا بدين ولا تكلمون، أمكثوا فيها مطرودين من رحمتي مُبعدين عن جنتي ماكثين في عذابي ولا تكلموني في شيء، ولا تسألوني رحمتكم ولا تسألوني إخراجكم من النار، فقد كان فريق من عبادي، وهم أهل الإيمان يقولون في الدنيا ربنا آمنا بك وصدقنا رسلك

وأقررنا بما جاءونا به وآمن بكل ما أمرتنا بالإيمان به، وكافرًا يسألونني رحمتي ومغفرتي قائلين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، أنت يا ربنا خر من رحم فكنتم تسخرون منهم إذا قالوا ذلك وتهزأون بهم وتمادت بكم السخرية منهم والاستهزاء بهم فانشغلتم بذلك عن ذكري، وكان شأنكم الضحك منهم فهاهم الآن أعمني أهل الإيمان قد جُوزوا أفضل الجزاء وأحسن الجزاء إنني أنا الذي جازيتهم اليوم على إيمانهم وعلى صبرهم على أذاكم، وعلى ثباتهم على الإيمان، فكانوا هم الفائزين هذا اليوم، قد نالوا مطلوبهم ونجوا من مرهوبهم، وسلم ولله الحمد لهم أمرهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ وترك ذكر يقال؛ لدلالة الكلام عليه ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين، وبغير ألف، وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «شَقاوَتُنا» بفتح الشين والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخطّ لنا في أمّ الكتاب.

وقوله: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ يقول: كنا قومًا ضللنا عن سبيل الرشاد،

وقصد الحق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل الذين خفَّت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجنا من النار، فإن عدنا لما تكره منا من عمل، فإنا ظالمون.

وقوله: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيبا ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾ أي: اقعدوا في النار، يقال منه: خَسَأْتُ فلانا أخْسَؤُه خَسْأً وخُسُوءا، وخَسيء هو يخسأ، وما كان خاسئا، ولقد خَسِيء، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، ولقد كانوا طامعين فيه.

وأورد بسند صحيح عن أبي الزعراء، عن عبد الله، في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: فإذا أراد الله ألا يُخْرج منها، يعني من النار أحدا، غير وجوههم وألوانها، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم، فيقول: يا ربّ، فيقول: من عرف أحدا فليخرجه؛ قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا، فيقول: يا فلان يا فلان، فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ فإذا قالوا ذلك؛ انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ وهذه الهاء في قوله "إنه" هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة، وقد بينت معناها فيما مضى قبلُ. ومعنى دخولها في

الكلام، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ يقول: كانت جماعة من عبادي، وهم أهل الإيمان بالله، يقولون في الدنيا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾ وأنت خير من رحم أهل البلاء، فلا تعذبنا بعذابك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فاتخذتم أيها القائلون لربكم ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ في الدنيا، القائلين فيها: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ سُخْريا. والهاء والميم في قوله: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ من ذكر الفريق.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿سِخْرِيًّا﴾ فقرأه بعض قرّاء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بكسر السين، ويتأوّلون في كسرها أن معنى ذلك الهزء، ويقولون: إنها إذا ضُمت فمعنى الكلمة: السُّخْرة والاستعباد. فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء: فاتخذتم أهل الإيمان بي في الدنيا هُزُؤًا ولعبا، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكري. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ بضم السين، وقالوا: معنى الكلمة في الضمّ والكسر واحد. وحكى بعضهم عن العرب سماعا لِجِّيّ ولُجِّي، ودِرِيّ، ودُرِيّ، منسوب إلى الدرّ، وكذلك كِرسيّ وكُرسيّ؛ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك، نظير قولهم في جمع العصا: العِصِيّ بكسر العين، والعُصِيّ بضمها؛ قالوا: وإنما اخترنا الضم في السِّخري؛ لأنه أفصح اللغتين.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان

بمعنى واحد، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب، وليس يُعْرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت؛ لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حَكَيت عنه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾ قال: هما مختلفتان: سِخريا، وسُخريا، يقول الله: ﴿ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ ﴾ [الزخرف: ٣٢] قال: هذا سِخريّا: يُسَخِّرونهم، والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم سُخريًّا، فتلك سِخريًّا يُسَخرونهم عندك، فسخَّرك رفعك فوقه، والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هي: سُخريّا يَسْخَرون منهم. فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾ [هود: ٣٨] وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح، اتخذوهم سُخريًّا: اتخذوهم هُزُوًا، لم يزالوا يستهزئون بهم.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي ﴾ يقول: لم يزل استهزاؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري، فألْهاكم عنه ﴿ وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ ﴾.

في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي ﴾ قال: أنسى هؤلاء الله استهزاؤهم بهم، وضحكهم بهم، وقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ ﴾ [المطففين: ٢٩] حتى بلغ: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾ [المطففين: ٣٢].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ ﴾ يقول تعالى ذكره: إني أيُّها المشركون بالله المخلَّدون في النار، جَزَيْت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون اليوم، بما صبروا على ما كانوا يلقَون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا ﴿ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ ﴾.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا: إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا؛ بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا، ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا تقريع من الله تعالى لأهل النار، وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم، التي أوبقتهم في ذلك، فقال: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ أي: قد أرسلت إليكم الرسل، وأنزلت الكتب، وأزلت شُبَهكم، ولم يبق لكم حجة تدلون بها كما قال: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك: ٨-١١]، ولهذا قالوا: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ أي: قد قامت علينا الحجة، ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها، فَضَلَلْنَا عنها ولم نُرْزَقْها.

ثم قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ أي: رُدَّنا إلى الدار الدنيا، فإن عدنا إلى ما سلف منا، فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة، كما قالوا: ﴿ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ١١، ١٢] أي: لا سبيل إلى الخروج؛ لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار ، يقول: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ أي: امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء. ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي.

قال العَوْفي، عن ابن عباس: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ قال: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه.

وأورد بسندٍ صحيح عن عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو قال: إن أهل جهنم يدعون مالكا، فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يردّ عليهم: إنكم ماكثون. قال: هانت دعوتهم -والله- على مالك ورب مالك. ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ قال: والله ما نَبَس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم. قال: فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق.

وبسندٍ صحيح عن أبي الزَّعْرَاء قال: قال عبد الله بن مسعود: إذا أراد الله ألا يخرج منهم أحدًا -يعني: من جهنم- غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين، فيشفع فيقول: يا رب . فيقول: من عرف أحدًا فليخرجه. فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدًا فيقول: أنا فلان. فيقول: ما أعرفك.

قال: فعند ذلك يقول: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ ﴾ ، فعند ذلك يقول: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ . وإذا قال ذلك، أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بَشَر.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مذكرًا لهم بذنوبهم في الدنيا، وما كانوا يستهزئون بعباده

المؤمنين وأوليائه، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ أي: فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ، ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾ أي: حملكم بغضهم على أن نَسِيتم معاملتي ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: من صنيعهم وعبادتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠] أي: يلمزونهم استهزاء.

ثم أخبر عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين، فقال: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ﴾ أي: على أذاكم لهم واستهزائكم منهم، ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ أي: جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة، الناجين من النار.

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ
ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ
أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا
بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ
ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨ ﴾

[المؤمنون: ١١٢-١١٨].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَبِثۡتُمۡ - بَعۡضَ يَوۡمٖ - ٱلۡعَآدِّينَ - عَبَثٗا - فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ - ٱلۡكَرِيمِ - لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ - لَا يُفۡلِحُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَبِثۡتُمۡ﴾	مكثتم
﴿بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾	جزءًا من اليوم
﴿ٱلۡعَآدِّينَ﴾	الذين يعدون الأيام والليالي السنين (قيل هم الملائكة، وقيل غير ذلك)
﴿عَبَثٗا﴾	لعبا – باطلا – عن غير حكمة
﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾	تقدس – تمجد – ترفَّع
﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾	الحسن – البهي – جميل الشكل والمنظر
﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ﴾	لا حجة – لا بيِّنة
﴿لَا يُفۡلِحُ﴾	لا يحظى بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب – لن يسلم من النار ولن ينجو منها ولن يدخل جنة ولن يرد عليها

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا
أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، سؤال توبيخ لأهل الكفر والضلال الذين أضاعوا دنياهم في الكفر والشرك والشهوات والملذات، قال الله ﷻ لهم يوم القيامة وكم لبثتم في الأرض عدد سنين كم لبثتم في الأرض من السنوات وكم عشتم على الأرض أحياءًا، وقيل كم لبثتم في القبور والأول أولى.

فجهل هؤلاء الجواب، وأنساهم أليم العذاب مدة مكثهم في الحياة الدنيا فقالوا لبثنا يومًا أو جزءًا من اليوم فسأل الذين يُعدون الأيام والليالي ويحسبونها، أما نحن فلا علم لنا، وظننا أننا لبثنا يومًا أو بعض يوم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ [الروم: ٥٥] أما ﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾ فلأهل العلم في تعيينهم أقوال:

أحدها: أنهم الملائكة.

الثاني: أنهم الحُسَّاب الذي يحسبون الأيام والليالي والشهور.

أما قوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤﴾ فحاصل معناه أن الله ﷻ قال لهم ما لبثتم في دنياكم إلا زمنا قليلًا، وقيل ما لبثتم في قبوركم إلا زمنًا قليلًا ، وهذا وذاك بالنسبة إلى ما هم فيه من شدة العذاب وطول البقاء في النار، فالدنيا مهما طالت فهي قصيرة وحياة الشخص فيها أقصروا أقصروا بالنسبة للآخرة أما قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فحاصل معناه إن كنتم تعلمون حقيقة ما مكثتموه فيها وقيل إن كنتم تعلمون المصير الذي أنتم إليه صائرون ما كفرتم ولا أشركتم ولا تلذذتم بالمحرمات والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ وفي

قوله: ﴿ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ ﴾، وكذلك قوله: ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ ﴾.

ووجه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال لهؤلاء الأشقياء من أهل النار وهم في النار: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾؟ وأنهم أجابوا الله فقالوا: ﴿ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ ﴾، فنسِي الأشقياء؛ لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا، وقَصُرَ عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها؛ لما حلّ بهم من نقمة الله، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوما أو بعض يوم. ولعلّ بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل، والسنين الكثيرة.

واختلف أهل التأويل في المعني بالعادين، فقال بعضهم: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، ويُحْصُون عليهم ساعاتهم.

وقال آخرون: بل هم الحُسّاب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ وهم الذين يَعُدّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأيّ ذلك من أيّ ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادّين دون بعض.

وقوله: ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ ﴾ وتأويل الكلام على قراءتنا: قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا قليلًا يسيرًا، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده، ولو صَبَروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون، ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ ﴾ أي: كم كانت

إقامتكم في الدنيا؟ ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ أي: الحاسبين ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: مدة يسيرة على كل تقدير ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ أي: لما آثرتم الفاني على الباقي، ولما تَصَرَّفتم لأنفسكم هذا التصرف السّيئ، ولا استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته -كما فعل المؤمنون- لفزتم كما فازوا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: يعنى في القبور. وقيل: هو سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا. وهذا السؤال للمشركين في عرصات القيامة أو في النار. ﴿عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ بفتح النون على أنه جمع مسلم، ومن العرب من يخفضها وينونها. ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور. وقيل: لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم.

مسألة

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾.

في هذه الآية سؤال معروف: وهو أنهم لما سئلوا يوم القيامة عن قدر مدة لبثهم في الأرض في الدنيا أجابوا بأنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم، مع أنه قد دلت آيات أخر على أنهم أجابوا بغير هذا الجواب كقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾ [طه: ١٠٣] والعشر أكثر من يوم أو بعضه، وكقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ [الروم: ٥٥] والساعة: أقل من يوم أو بعضه، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النازعات: ٤٦] وقوله: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [يونس: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]

وقد بينا الجواب عن هذا السؤال في كتابنا: دفع إيهام الاضطراب عن آيات

الكتاب في الكلام على هذه الآية بما حاصله: أن بعضهم يقول لبثنا يومـًا أو بعض يوم ، ويقول بعض آخر منهم: لبثنا ساعة ويقول بعض الآخر منهم: لبثنا عشراً.

والدليل على هذا الجواب من القرآن أنه تعالى بين أن أقوالهم إدراكـًا ، وأرجحهم عقلاً ، وأمثلهم طريقة هو من يقول: إنهم ما لبثوا إلا يومـًا واحداً ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [طـه: ١٠٣-١٠٤] فالآية صريحة في اختلاف أقوالهم ، وعلى ذلك فلا إشكال والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ أي الحاسبين ، الذين يضبطون مدة لبثنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أفظننتم يا أهل الكفر ويا أهل الشرك يا من اتخذتم دينكم لعبًا ولهوًا وغرتكم الحياةُ الدنيا، أفحسبتم يا هؤلاء أنما خلقناكم باطلًا وعبثًا منا لغير حكمةٍ وخلقناكم هملًا بال تكليف، وبلا أمرٍ ولا نهي وحسبتم أنكم لن ترجعوا إلى الله ﷻ فتعالى الله عن ذلكن تعالى الله عن الباطل وعن العبث فربنا ﷻ لا يعبث، فهو الملك الحق وقوله الحق وخلقه خلقهم بالحق لا معبود غيره ولا رب سواه هو رب العرش الكريم العرش حسن المنظر، والعرش البهي.

وبنحو ذلك قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها

الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم، لعبا وباطلا وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون، من أن له شريكا، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبودة إلا الله الملك الحقّ ﴿ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ والربُّ: مرفوع بالردّ على الحقّ، ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحقّ، ربّ العرش الكريم، لا إله إلا هو.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا ﴾ أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، ﴿ وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۝١١٥ ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ ﴾ [القيامة: ٣٦]، يعني هملا .

وقوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ أي: تقدَّس أن يخلق شيئا عبثا، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦ ﴾ ، فذكر العرش؛ لأنه سقف جميع المخلوقات، ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر بهي الشكل، كما قال تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ ﴾ [لقمان: ١٠].

❀ ❀ ❀

س: الله ﷻ لم يخلق خلقه عبثا، ولن يتركهم هملًا، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

وقوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦-١١٧].

وقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ أي: هملًا بل ثواب ولا عقاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾ [الأحقاف: ٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ومن يعبد مع الله إلهًا آخر، ويسأله ويرجوه ولا حجة له ولا بينة له على صحة ذلك، ولا أمر له من أن بذلك قطعًا، فإنما حسابه عند ربه، وسيجازيه على ذلك أسوء العذاب فلن ينجو من النار ولن يحضى بالأمن يوم الوعيد، لن يسلم أهل الكفر والجحود والنكران والشرك والطغيان لن يسلموا من عذاب الله ولن يلفتوا منه، ولن يحظوا بالأمن السلامة فعل يا رسول الله ويا عبد الله رب اغفر، ما مضى من ذنوبي، استرها عليَّ ولا تؤاخذني بها وارحمني بقبول توبتي ورجوعي إليك وارحمني بإنجائي من عذابك وإدخال جنتك وأنت خير من رحم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة.

وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ يقول: فإنما حساب عمله السَّيِّئ عند ربه

وهو مُوَفِّيه جزاءه إذا قدم عليه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد: ربّ استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك، وتركك عقابي على ما اجترمت ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ يقول: وقل: أنت يا ربّ خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره، وعَبَدَ معه سواه، ومخبرًا أن من أشرك بالله ﴿ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ أي: لا دليل له على قوله -فقال: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ ، وهذه جملة معترضة، وجواب الشرط في قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: الله يحاسبه على ذلك.

ثم أخبر: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ أي: لديه يوم القيامة، لا فلاح لهم ولا نجاة.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ هذا إرشاد من الله إلى هذا الدعاء، فالغَفْرُ -إذا أطلِق- معناه محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة معناها: أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ أي لا حجة له عليه ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي هو يعاقبه ويحاسبه. ﴿إِنَّهُۥ﴾ الهاء ضمير الامر والشأن. ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ وقرأ الحسن وقتادة: (لا يفلح) - بالفتح - من كذب وجحد ما جئت به وكفر نعمتي. ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستغفار لتقتدى به الامة. وقيل: أمره بالاستغفار لأمته.

تم بحمد الله.

* * *